

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام علي بن أبي طالب



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

١٣٥٥ لسنة ٢٠١٦ م

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda.

رقم تصنيف LC: 2017 - N3 - BP 37.3

المؤلف الشخصي: النصر الله، جواد كاظم.

العنوان: الإمام علي (عليه السلام) في فكر معتزلة بغداد.

بيان المسؤولية: تأليف الأستاذ الدكتور جواد كاظم النصر الله، تقديم السيد نبيل الحسيني الكربلائي.

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - مؤسسة علوم نهج البلاغة.

١٤٣٨ هـ = ٢٠١٧ م.

الوصف المادي: ٧٤٤ صفحة.

سلسلة النشر: سلسلة الكتب العلمية - وحدة علم الكلام والفرق الإسلامية؛ ١٠ - مؤسسة علوم نهج البلاغة.

تبصرة عامة:

تبصرة بيبليوغرافية: يتضمن هوامش - لائحة المصادر (الصفحات ٦٩٣-٧٤٠).

تبصرة محتويات:

موضوع شخصي: ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الدين محمد، ٥٨٦ - ٦٥٦ هجرياً. شرح نهج البلاغة.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - أحاديث.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - فضائل.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - تأثير في المعتزلة.

مصطلح موضوعي: المعتزلة - تأثير علي بن أبي طالب (عليه السلام).

مصطلح موضوعي: المعتزلة (علم الكلام).

مصطلح موضوعي: المعتزلة (فرقة إسلامية) - العراق - بغداد - تاريخ - العصر العباسي.

مصطلح موضوعي: العلماء المسلمون - المعتزلة - تراجم.

مؤلف إضافي: الحسيني، نبيل قدوري حسن، ١٩٦٥ م، مقدم.

مؤلف إضافي: ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الدين محمد، ٥٨٦ - ٦٥٦ هجرياً. شرح نهج البلاغة.

عنوان إضافي: شرح نهج البلاغة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

الإمام علي بن أبي طالب عنه السلام في معرفة معتزلة بغداد

تأليف

أ. د. جواد كاظم النصر الله

إصدار
موسسة الإمام علي بن أبي طالب
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م



العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة - مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع: www.inahj.org

Email: Info@Inahj.com

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها،
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَأِ﴾

الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ *

﴿كَأَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة النبأ: ١-٥)

الإهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ
مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾
إلهي وسيدي ومولاي
منك وإليك

مقدمة المؤسسة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما أهدى والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاهاء، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يتقصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية، بل وغيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿ما فرطنا في

الكتاب من شيء ﴿١﴾، كذا نجد يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ ﴿٢﴾، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات العلمية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الكتب العلمية) والتي يتم عبرها طباعة هذه الكتب وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه بغية إيصال هذه العلوم إلى الباحثين والدارسين واعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والانتهاج من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وما هذه الدراسة التي بين أيدينا إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبها للغوص في بحر علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقد أذن له بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) يس: ١٢.

بيان أثر تلك المرويات العلوية والتأصيل العلمي في ميدان علم الكلام ولتقدم لنا الدراسة صورة عن رؤية اعتزالية ألا وهي مسألة التفضيل، أي تفضيل الإمام علي (عليه السلام) بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التي جاءت عند المعتزلة من جانبيين، بكونه الأكثر ثواباً والأكثر مناقباً.

فجزى الله الباحث خير الجزاء فقد بذل جهده وعلى الله أجره.

والحمد لله رب العالمين..

السيد نبيل الحسني الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على من كان نبيا، وآدم بين الماء والطين، وعلى ذوي قرباه الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، وعلى الخيرة من أصحابه المنتجبين الذين ثبتوا على الدين القويم حتى آتاهم اليقين.

شهدت الحركة الثقافية في الدولة العربية الإسلامية منذ بواكير نشأتها نشاطاً ملحوظاً في شتى صنوف المعرفة^(١)، فقد كانت أمة العرب هي أمة الشعر والبلاغة منذ ما قبل الإسلام، ثم جاء الدين الإسلامي بكتابه المقدس القرآن الكريم الذي تحدى بلاغة فصحاء العرب، وما جاء عن النبي ﷺ وهو أفصح من نطق بالضاد، لذا نجد اهتماماً كبيراً بالأدب، حيث تناثرت في مؤلفات

(١) أنظر عبد الخضر حمادي: الحركة الفكرية في القرن الأول الهجري رسالة ماجستير، الجامعة

المستنصرية، بغداد، ١٩٨٤.

التراث، وعلى مختلف أنواعها اللغوية والأدبية والتاريخية والكلامية والفقهية الخطب والرسائل وقصار الكلمات لبلغاء العرب سواء قبل الإسلام أو بعده.

بل لقد خصصت بعض الكتب لهذا الغرض ككتاب البيان والتبيين للجاحظ ت ٢٥٥هـ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ت ٢٧٦هـ، والكامل في اللغة والأدب للمبرد ت ٢٨٥هـ، والأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ت ٣٥٦هـ.

وما إن جاء القرن الرابع الهجري وهو قمة الإبداع العربي الإسلامي^(١) في مختلف صنوف المعرفة، حيث انجب الكثير من فطاحل العروبة، ومنهم محمد ابن الحسين المعروف بالشريف الرضي^(٢) الذي نبغ بالأدب شعراً ونثراً، ففي إطار الشعر ترك لنا ديواناً لا زال مثار اهتمام الباحثين^(٣). أما في مجال النشر فقد

(١) أنظر آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.

(٢) عن الشريف الرضي أنظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/٣١-٤١ وسيرد بإسم الشرح. الثعالبي: يتيمة الدهر ٣/١٥٥-١٧٨. الخطيب: تاريخ بغداد ٢/٢٤٦-٢٤٧. ابن الجوزي: المنتظم ٧/٢٧٩-٢٨٣. الففطي: أنباه الرواة ٣/١١٤-١١٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/٤١٤-٤٢٠. الصفدي: الوافي بالوفيات ٢/٣٧٤-٣٧٦. ابن عنبه: عمدة الطالب ص ٢٠٧-٢١١.

(٣) خصصت مجلة آفاق عربية، ع ٧، ١٩٨٥ للشريف الرضي في ذكره الألفية فنشرت فيه المقالات التالية: شلش: من صور البطولة في شعر الشريف الرضي ص ٧-٢٢. الشيبني: حجازيات الشريف الرضي ص ٢٣-٦٢. الصفار: المؤثرات العامة في شعر الشريف الرضي ص ٦٣-٩٣. الجادر: الرؤى الاجتماعية والأخلاقية في شعر الشريف الرضي ص ٩٥-١٤٠. مطلوب: الشريف الرضي ناقداً ص ١٥٩-١٩٢. غزوان: بناء القصيدة عند الشريف الرضي ص ١٩٣-٢٤٦. الصائغ: الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي ص ٢٤٧-٣٢٩-٣٥٣. وانظر: العطية: الشريف الرضي الشاعر الأبي والاديب العبقري، مجلة ثقافة الهند ص ٤٠-٦٢.

وضع سلسلة من المؤلفات التي تميزت بالطابع البلاغي.

فقد نظر في ما أثر عن النبي ﷺ من كلام فاقتبس منه قبسات أودعها كتاباً أسماه المجازات النبوية، وقد تميز ما اقتبسه بأسلوب المجاز وهو أسلوب بلاغي. ثم نظر في ما أثر من كلام الإمام علي عليه السلام في ما توافر لديه من كتب اللغة والأدب والتاريخ وغيرها، فانتقى منه ما كان في قمة الفصاحة فأودعها في كتاب أسماه نهج البلاغة.

هذا يعني إن ما جاء في نهج البلاغة لا يمثل إلا نزرًا يسيراً مما أثر عن الإمام علي عليه السلام، ونظرة متفحصية في كتب التراث تؤكد ذلك. وقد قسم الشريف الرضي كتابه هذا على ثلاثة أقسام؛

الأول: خطب الإمام علي عليه السلام.

الثاني: رسائله.

الثالث: قصار كلماته.

وقد ترك نهج البلاغة وقعاً في النفوس، إذ تلاقفته أقلام المفكرين وعقولهم شرحاً وتعليقاً منذ أيام الشريف الرضي وإلى يومنا هذا، حتى بلغت شروحاته (٣٧٠) شرحاً^(١). وقد تباينت هذه الشروحات في احجامها، فمنها الكبير كشرح حبيب الله الهاشمي المسمى منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (ط)، والمتوسط كشرح ميثم البحراني (ط)، والصغير كشرح صبحي الصالح (ط). وتباينت أيضاً في موضوعاتها، فهناك من غلب عليه الطابع البلاغي كشرح

(١) أنظر الأميني: الغدير ٤/ ٢٥٧-٢٦٥. الخطيب: مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١/ ٢٤٧-٣١٤.

٢٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ميثم البحراني^(١)، أو السياسي كشرح محمد جواد مغنية (ط) أو اللغوي كشرح محمد عبده (ط).

ومن بين هذه الشروحات كان شرح - ابن أبي الحديد ت ٦٥٦ هـ وهو من رجالات الاعتزال، وقبل الحديث عن هذا الشرح لابد أن نوضح ما المقصود بالاعتزال؟

الاعتزال: تيار فكري ظهر في إطار الفكر العربي الإسلامي متمثلاً بفرقة المعتزلة التي اتخذت من علم الكلام موضوعاً لها^(٢).

فعلم الكلام^(٣) هو الجانب النظري في الفكر الإسلامي، فالمعروف ان الدين الإسلامي جاء عقيدة وعملاً، فالعمل هو ما يقوم به الفرد من اعمال في اوقات محددة كالصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها لذا سميت بالاعمال، وهو ما اطلق عليه اصطلاح (فروع الدين)، والعلم الذي يهتم به يسمى علم الفقه، والشخص الذي يهتم به يسمى الفقيه.

اما القسم الأول وهو العقيدة، فهو ما عقد في القلب دون القيام بعمل

(١) قال أحد الباحثين: «يكاد يكون شرحاً بلاغياً لولا لغة ابن ميثم القريبة من المنطق والجدل والكلام» أنظر: الفحام: التصوير الفني في خطب الإمام علي عليه السلام. ص ٢.

(٢) عن فكر المعتزلة أنظر: الناشئ الأكبر: مسائل الإمامة. الخياط: الانتصار. وانظر موسوعة القاضي عبد الجبار: المغني في التوحيد والعدل وهي في عشرين جزءاً، وكتابه الآخر شرح الاصول الخمسة. ابن متويه: كتاب التذكرة، أبي رشيد النيسابوري: كتاب مسائل الخلاف بين البصريين والبغداديين.

(٣) عن علم الكلام أنظر: الجاحظ: رسالة صناعة الكلام ٤٩-٥٨. احمد محمود صبيحي: في علم الكلام ١/١ - ١٠١. بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/١ - ٧/٣٢.

كالاعتقاد بأن الله واحد، وأنه لا شبيه له، وأن افعاله معللة بالغايات التي هي لمصلحة الانسان كالعقل وبعثة الانبياء وإكمال رسالاتهم بالاوصياء، وأن الله يبعث من في القبور، فهذه المسائل تسمى اصول الدين. والعلم الذي يهتم بها هو علم الكلام، وقد ظهرت في نطاقه فرق متعددة كالامامية والمعتزلة والخوارج، والأشاعرة وغيرها^(١).

لقد واجهت المجتمع العربي الاسلامي مشكلات فكرية منذ اواخر القرن الأول الهجري، وقد طرح بعض المفكرين اجابات لهذه المشكلات، فإزاء مسألة هل الانسان حر في افعاله أم مقيد؟ طرح غيلان الدمشقي^(٢) فكرة حرية الارادة، وإزاء كنهه الله سبحانه وتعالى طرح الجعد بن درهم^(٣) مسألة نفى الصفات، وكانت مسألة مرتكب الكبيرة تشغل بال الكثيرين، فطرح واصل بن عطاء مسألة المنزلة بين المنزلتين.

(١) عن معنى العقيدة أنظر: الشريف المرتضى: شرح جمل العلم والعمل ص ٣٧ - ٢٤٨. الشيخ الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ص ٢١ وما بعدها. ابن ميثم البحراني: قواعد الكلام في علم الكلام ص ٢١ وما بعدها. العلامة الحلي: كشف المراد ص ٧ وما بعدها. المقداد السيوري: الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد ص ٤٢ - ٤٣. التبريزي: الأنوار الإلهية ص ٧٥ - ٧٦.

(٢) هو غيلان بن مسلم الدمشقي ظهر أيام عمر بن عبد العزيز حيث ولاه الخزان، ولما جاء هشام ابن عبد الملك صلبه. ابن قتيبة: المعارف ص ٤٨٤. القاضي: فرق وطبقات المعتزلة ص ٣٨-٤١. ابن نباتة: سرح العيون ص ٢٠١-٢٠٣. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٢٥-٢٧.

(٣) هو من الموالي كان يسكن الجزيرة الفراتية واتصل بمروان بن محمد لما تولى الأخير الجزيرة لهشام ابن عبد الملك وكان الجعد مؤدباً لمروان، قتله خالد القسري لنفيه الصفات. أنظر: ابن الاثير: اللباب ١/ ٢٣٠. ابن نباتة: سرح العيون ص ٢٠٣، ابن تغري: النجوم الزاهرة ١/ ٣٢٢. الحفني: موسوعة الفرق ص ١٩٨-١٩٩.

هذه الآراء التي كان التوصل إليها عقلاً، أخذ يعتنقها فيما بعد تيار عرف بالاعتزال، بدأ بالبصرة ثم بغداد مكوناً مدرستين.

وتميز الاعتزال بميزات ثلاث:

الاولى: انه اعتبر العقل هو المصدر المعرفي الوحيد، حيث انه سابق للشرائع، لأن الشرائع موجهة لأناس عقلاء، فلا تأتي الشريعة للصبي، ولا المجنون لأنها بلا عقل، بل حتى السكران والنائم يرتفع عنه تكليف الشريعة مادام فاقداً للعقل. الثانية: التأويل: إن فهم الشريعة يكون بالعقل، لذا يجب أن تكون الشريعة مطابقة للعقل، ولكن احياناً نجد ظاهر الشريعة يخالف العقل، هنا اضطر المعتزلة لصرف ظاهر النص الشرعي إلى معنى مجازي أي القول بالتأويل معتمدين على قوله تعالى:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(١).

ولذا قالوا: «إذا تعارض ظاهر النص مع العقل، فإن العقل هو المرجح»^(٢).

الثالثة: حرية الارادة: إن الله سبحانه وتعالى اعطى الانسان العقل وهو امتياز عن باقي المخلوقات مقابل تكليفه. اذاً فالانسان مسؤول عن عمله، وهذه المسؤولية تقتضي أن يكون الانسان حراً في إرادته^(٣).

اذاً فهذه المشكلات الفكرية ادت إلى ظهور تيار فكري عرف بالاعتزال، تمثله مدرستان الاولى في البصرة، والثانية في بغداد. وقد تميزت معتزلة بغداد عن البصرة:

(١) سورة آل عمران، آية ٧.

(٢) صبحي: في علم الكلام ١/ ٣٨٩.

(٣) الموسوي: محاضرات ألقىت على طلبة الدكتوراه ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

الميل إلى الإمام علي عليه السلام.

الرغبة بتطبيق الاعتزال عملياً^(١).

وقد انتعشت المعتزلة أيام الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق ولكنها واجهت تحدياً قوياً منذ عهد المتوكل، حتى جاء الصاحب بن عباد^(٢) فأحيا الفكر الاعتزالي مرة أخرى^(٣).

ولكن المعتزلة واجهت تحدياً من الأشاعرة والمتصوفة منذ القرن الخامس الهجري، وهذا ما دفعهم للبحث عن اصول لهم فادعوا أن واصلاً تتلمذ على يد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه محمد، ومحمد تلميذ أبيه الإمام علي عليه السلام^(٤).

والملاحظ ان جذوة الاعتزال قد خفت منذ أواخر القرن الخامس الهجري، فلم نعد نسمع بشخصيات اعتزالية لها أثر في الفكر الاعتزالي، حتى ان ابن المرتضى ت ٨٤٠هـ لما وضع كتاب (طبقات المعتزلة) توقف في القرن الخامس الهجري^(٥).

(١) صبحي: في علم الكلام ١/ ٢٨٣-٢٨٧. الراوي: ثورة العقل ص ٩٤-٩٥.

(٢) هو الوزير البويهبي اسماعيل وأول من لقب بالصاحب (٣٢٦-٣٥٨)، أنظر: ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ١٧٩، ١٨١. القفطي: انباه الرواة: ١/ ٢٠١-٢٠٣. الحموي: معجم الادباء ٦/ ١٦٨-٣١٧. الخوانساري: روضات الجنات ٢/ ١٩-٤٣.

(٣) زهدي جار الله: المعتزلة ص ١٥٨-٢١٣.

(٤) الشرح ١/ ١٧، ٦/ ٣٧١. القاضي: فرق وطبقات المعتزلة ص ١٧-١٨. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٥-٧.

(٥) ص ١١٦-١١٩.

وفي القرن السابع الهجري ظهر ابن أبي الحديد المعتزلي^(١) ٥٨٦-٦٥٦ هـ الذي ولد ونشأ في المدائن ثم انتقل إلى بغداد، فدرس علوم اللغة والادب والكلام والفلسفة حتى أصبح من كبار علماء عصره، وبرز بشكل واضح في الأدب والكلام، ففي الأدب وضع كتابه (الفلك الدائر على المثل السائر) وهو رد على كتاب المثل السائر لابن الاثير^(٢)، اما في الكلام فقد وضع عدة مؤلفات ولكنها فقدت ولم تصل إلينا. ومن كتبه الكلامية (النقيضين)، و(نقض السفيانية) وهو رد على كتاب السفيانية للجاحظ، و(شرح الغرر) وهو شرح لكتاب الغرر للمرتضى.

ومن بين كتبه كان كتاب (شرح نهج البلاغة) الذي يقع في عشرين جزءاً، وهو كتاب موسوعي ضم اللغة والادب والتاريخ والكلام، وغيرها من نوادير المعرفة ولذا اعتبره «كتاب ادب لا نظر»^(٣).

ويأتي التساؤل: لماذا شرح ابن أبي الحديد نهج البلاغة؟ وما الذي أراد أن يقوله من خلال شرحه هذا؟

أولاً: الملاحظ أن المعتزلة واجهوا نقداً شديداً في هذه الفترة وما سبقها منذ القرن الخامس الهجري حول أصل الاعتزال لذا أراد رجال المعتزلة تأصيل الفكر الاعتزالي بإرجاعه إلى مصدر موثوق من قبل الجميع ألا وهو الإمام علي عليه السلام وذلك

(١) أنظر ترجمته: الحوادث الجامعة لمؤلف مجهول ص ٣٦٦. الكتبي: فوات الوفيات ٢/٢٥٩-

٢٦٢. ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/١٩٩-٢٠٠. ولمزيد من التفاصيل والتحليلات أنظر:

رسالة الماجستير الموسومة «ابن أبي الحديد سيرته وآثاره الادبية والنقدية» لعلي جواد محي الدين.

(٢) محي الدين: ابن أبي الحديد ص ٢٢١-٢٢٦.

(٣) الشرح ٢٠/٢٤٥.

عن طريق اتصال واصل بأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وقد ساعدتهم على ذلك ما أثر عن الإمام علي عليه السلام من كلام حول التوحيد والنبوة والمعاد وخلق الافعال وغيرها من المسائل الكلامية، مما لا يوجد مثيله لدى أحد من الصحابة. ولذا نجد ابن أبي الحديد في شرحه للنهج يشرحه شرحاً اعترالياً ليقول بعد ذلك بأن عقائد المعتزلة مأخوذة من كلام الإمام علي عليه السلام.

ثانياً: ان الميزة التي ميزت معتزلة بغداد قاطبة هو القول بالترفضيل^(١)، لذا نجد ابن أبي الحديد يفتح شرحه بالقول بالترفضيل ثم يؤكد على هذه المسألة في اجزائه العشرين اينما سنحت له الفرصة.

ومثلما وجدنا الزرخشري يقول ان مدة تفسيره للكشاف استمرت سنتين وثلاثة أشهر وهي مدة خلافة الخليفة أبي بكر^(٢). نجد ابن أبي الحديد يقول ان مدة اكماله شرح نهج البلاغة استمرت أربع سنوات واربعة أشهر وهي مدة خلافة الإمام علي عليه السلام^(٣). فالزرخشري يؤكد على رؤية معتزلة البصرة القائلة بأفضلية الخليفة أبي بكر وكأن ابن أبي الحديد رد على ذلك برؤية معتزلة بغداد القائلة بأفضلية الإمام علي عليه السلام.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتقدم لنا صورة عن رؤية اعتزالية ألا وهي مسألة التفضيل أي تفضيل الإمام علي عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم التي جاءت عند المعتزلة من جانين:

(١) أنظر: تفصيل ذلك في المدخل الذي قدمناه لهذه الدراسة.

(٢) الكشاف ٤/١.

(٣) الشرح ٣٤٩/٢٠.

بكونه الأكثر ثواباً.

الأكثر مناقباً.

لم تكن هذه الدراسة هي الأولى حول شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، بل سبقتها دراسات متعددة منها:

أولاً: الكتب:

محمود الملاح: تشريح شرح نهج البلاغة^(١): كتاب وضع للرد على شرح ابن أبي الحديد، ومن خلال نظرة متفحصة للكتاب يعلم القارئ إلى أي مدى يستحق مؤلفه العطف على ضالة تفكيره.

احمد الربيعي: العذيق النضيد بمصادر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة. استعرض فيه مؤلفه أولاً مصادر الشريف الرضي في نهج البلاغة، ثم مصادر ابن أبي الحديد في الشرح مرتباً المصادر ترتيباً ابجدياً، مكتفياً بتعريف بسيط للمؤلف وإشارة إلى كون المصدر مطبوعاً أو مخطوطاً، ثم إشارة للصفحات الوارد فيها المصدر في الشرح، وحياناً إذا كثرت الصفحات يذكر بعضاً منها. ان الذي يؤخذ على الكتاب:

ذكره لمجموعة من المصادر ليست لابن أبي الحديد وإنما للشريف الرضي^(٢).
ذكره لمجموعة من المصادر ليست من مصادر ابن أبي الحديد، وإنما هي من مصادر مصادر ابن أبي الحديد^(٣).

(١) طبع في بغداد ١٩٥٤ م.

(٢) أنظر مثلاً العذيق ص ١٣٤ وقارن الشرح ١٧/١٣١.

(٣) أنظر مثلاً العذيق ١٦٧-١٦٨ وقارن الشرح ٤/١٢٠، ٥/٥٩-٦٠.

لم يتم بدراسة للمصدر الذي اعتمده ابن أبي الحديد، من حيث نوعية الاستفادة، والموضوع الذي استقى منه ابن أبي الحديد.
ومع ذلك تبقى لهذا الكتاب أهمية خاصة لمن يريد القيام بدراسة شاملة لمصادر ابن أبي الحديد المتنوعة.

ثانياً: المقالات:

د. مصطفى جواد: بعض مستندات ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة^(١).
مقال ذكر فيه مجموعة من مصادر ابن أبي الحديد في الشرح مكتفياً بذكر اسمائها دون التعليق عليها.

د. صفاء خلوصي: الكنوز الدفينة في شرح نهج البلاغة^(٢). يتحدث عن بعض المصادر التي اعتمدها ابن أبي الحديد، حيث ضم بين اجزائه العشرين مادة واسعة لمصادر فقدت ولم تصل إلينا لحد الآن، إذ يقول: «ان كثيراً من الكتب التي اصبحت في عداد التراث العربي المفقود لا تزال عناوينها ومقتبسات منها محفوظة فيه»^(٣) ولكن بعضاً من هذه الكتب قد اكتشفت الآن وحققت.^(٤)
بالإضافة لبعض الموضوعات التي اسهب ابن أبي الحديد في الحديث عنها كالحوارج وصاحب الزنج والتتار.

(١) مجلة لغة العرب، مج ٩، ٧٤، ١٩٣١، ص ٥٤٣-٥٤٦.

(٢) مجلة المعلم الجديد، مج ٢٤، ح ٣-٤، س ١٩٦١، ص ١-٢٢.

(٣) مجلة المعلم الجديد، مج ٢٤، ح ٣-٤، س ١٩٦١، ص ١.

(٤) مثل كتاب صفيين للمنقري وكتاب الغارات لأبي هلال الثقفني وكتاب الموفقيات لابن بكار

وكتاب الخراج لقدامة بن جعفر وغيرها.

د. صفاء خلوصي: مصادر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد^(١)، وهو مقال يتضمن جرداً بالاسماء فقط لطائفة من مصادر الشرح وليس كلها.

د. صفاء خلوصي: شكوك الرضي وابن أبي الحديد في بعض نصوص نهج البلاغة^(٢). فيما إذا كانت بعض تلك النصوص هي للإمام علي عليه السلام أم للرسول ﷺ^(٣)، اما بالنسبة لابن أبي الحديد، فقد توقف في بعض النصوص التي اضطر إلى تأويلها أو التوقف فيها^(٤).

د. مصطفى جواد: عبد الحميد ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة^(٥). مقال في حدود الصفحتين وهو تعريف موجز بابن أبي الحديد وشرحه للنهج. ابراهيم الأياري: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد^(٦)، وهو تعريف بسيط بابن أبي الحديد وشرحه للنهج.

الرسائل الجامعية:

علي جواد محي الدين: ابن أبي الحديد سيرته وآثاره النقدية والادبية رسالة ماجستير، تناولت عصر ابن أبي الحديد وسيرته ومؤلفاته بالتفصيل، لذا اغنت كل باحث عن الرجوع للمصادر الاخرى أو الكتابة عنه.

حامد الظالمي: ابن أبي الحديد: جهوده النقدية والبلاغية رسالة ماجستير

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٩، س ١٩٦١، ص ٣٤٠-٣٤٨.

(٢) مجلة الاستاذ، كلية التربية، مج ١٠، س ١٩٦٢.

(٣) أنظر مثلاً الشرح: ٣١١/١٨، نهج البلاغة ص ٤٩٠.

(٤) أنظر مثلاً الشرح ٨٧/٩، ٨٨، ٣٠٧، ١٦/١٥٦-١٥٧.

(٥) مجلة المعرفة (بغداد)، س ٢، ع ٢٩، ١٩٦٢، ص ٤-٦، ٣٤.

(٦) مجلة تراث الانسانية، مج ٢، ص ١٢٥-١٣٩.

ناقش فيها الباحث جهود ابن أبي الحديد في النقد.

عبد الواحد خلف وساك آل عجيل: جهود ابن أبي الحديد النحوية في شرح نهج البلاغة، رسالة في اللغة العربية، درس فيها الباحث جهود ابن أبي الحديد في النحو.

عبد الجبار سالم عبد الكريم: شعر عبد الحميد بن هبة الله المدائني، رسالة دكتوراه جمع فيها الباحث شعر ابن أبي الحديد من شرح نهج البلاغة أو القصائد السبع العلويات أو القصائد المستنصريات لابن أبي الحديد، أو من مؤلفات أخرى.

حسن حميد فياض: ابن أبي الحديد ناقدًا، وهي رسالة تتحدث عن النقد الادبي عند ابن أبي الحديد وخاصة في كتابه الفلك الدائر على المثل السائر. وجاءت هذه الرسالة لتتناول جانباً معيناً من فكر ابن أبي الحديد المعتزلي، حيث تقدم لنا رؤية معتزلة بغداد إزاء الإمام علي عليه السلام.

اقتضت الدراسة البدء بمدخل يبين رؤية المعتزلة عموماً للإمامة، ومسألة الأفضل وجواز امامة المفضول أم لا؟ ثم اوضحنا رؤية معتزلة بغداد قاطبة القائلة بالتفضيل مبينين ادلتهم في هذا الاطار، ثم موقف ابن أبي الحديد الذي ارجع التفضيل إلى عصر الصحابة.

ولأجل ايضاح هذه الرؤية قسمت الرسالة على خمسة فصول، اختص الفصل الأول منها بدراسة تفصيلية لعراقه نسب الإمام علي عليه السلام حيث ينتسب لبني هاشم الذين وصفهم الجاحظ بأنهم ملح الارض، فكان هاشم الجد الأكبر للقبيلة صاحب الايلاف الذي جعل من مكة مركزاً دينياً واقتصادياً، ثم جاء

٣٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ولده عبد المطلب الذي تزامن عصره مع سلسلة احداث مهمة كحفر زمزم وفشل حملة الفيل، واستحدائه جملة أعمال أقرها الإسلام فيما بعد حتى سمي بابراهيم الثاني. وقد ترك عشرة من الاولاد وصفهم اكثم بن صيفي (١) بأن الله إذا إراد أن ينشأ دولة أوجد لها مثل هؤلاء (٢)، وقد اوصى إلى أبي طالب، ومن جملة وصاياه اوصاه بالنبي صلى الله عليه وآله تلك الوصية التي استمرت لخمسين سنة حيث كان لأبي طالب الدور الرائد في حماية النبي صلى الله عليه وآله واستمراره للدعوة لعشر سنوات بحيث لما توفي أبو طالب أخذ النبي صلى الله عليه وآله يبحث عن اماكن أخرى لنشر الدعوة الاسلامية.

وكان الإمام علي عليه السلام قد ولد لأبوين هاشميين فأمه أيضاً من بني هاشم، مضافاً لذلك كان الإمام علي عليه السلام يفتخر نسباً بعمه حمزة وأخيه جعفر.

اما الفصل الثاني؛ فقد اوضحنا فيه رؤية المعتزلة لنشأة الإمام علي عليه السلام، التي عدوها من اسس تفضيله عليه السلام، فبدأً كانت ولادته في الكعبة الشريفة، ثم انتقاله لبيت الرسالة، حيث كان له شرف التربية على يد النبي صلى الله عليه وآله، فكان لذلك اثر في نشأته الروحية، حيث كان في مقدمة من آمن بالرسول صلى الله عليه وآله، ثم ما لبث ان أصبح له وزيراً يوم الإنذار، واستمر في المؤازرة طيلة وجودهما في مكة، وكان هو من نام في فراش الرسول صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة ليموه على المشركين.

وبعد الهجرة المباركة زوجه النبي صلى الله عليه وآله بأمر السماء من السيدة فاطمة

(١) اكثم بن صيفي التميمي أحد حكماء العرب قبل الإسلام وقد ادرك الإسلام ويقال حث قومه على الدخول فيه. أنظر: الثعالبي: التمثيل والمحاضرة ص ٣٦. ابن نباته: سرح العيون ص ١٤-١٦. ابن حجر: الاصابة ١/ ١١٠-١١٢.

(٢) اليعقوبي: تاريخ ١١/٢.

الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، فكان ذلك من أعظم فضائله حتى ان كبار الصحابة كعمر وسعد بن أبي وقاص كانا يغبطانه على ذلك.

ومن زواجه هذا جاء ولداه الحسن والحسين عليهما السلام سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسيدا شباب أهل الجنة، وقد تكون من هذه الاسرة أهل بيت النبوة الأطهار الذين خصهم القرآن بعدد من الآيات كآية التطهير والمباهلة.

كان للإمام علي عليه السلام جملة من الخصائص الخلقية، والسجايا النفسية فاق بها الأقران والمعاصرين وأسدل الستار على من سبقه وتلاه فيها.

هذه الخصائص خصص الفصل الثالث لبيان رؤية المعتزلة فيها، سواء في الشجاعة أو الحلم أو الصبر أو الزهد أو العيان أو غيرها. والشيء الذي يلفت النظر في خصائصه عليه السلام هو جمعه بين المتناقضات حيث كان ذلك مثار اعجاب الشريف الرضي وابن أبي الحديد.

اما تفسير المعتزلة لرؤية الإمام علي عليه السلام لنظام الحكم، فقد تناولها الفصل الرابع، إذ يرى معتزلة بغداد ان الإمام علياً عليه السلام يرى نفسه الأحق ليس بالنص، وإنما بالأفضلية، ولكنه عليه السلام لما رأى ان الأمة اجمعت على بيعه الخليفة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان فقد بايع لهم حسبا يرى المعتزلة.

ويتخذ معتزلة بغداد مواقفهم من موقف الإمام علي عليه السلام، إذ لما قبل بخلافة من سبقه عدّ المعتزلة خلافتهم صحيحة، ولكنهم خطأوا من خرج عليه أيام خلافته، وحكموا بتوبة أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وأنهم من أهل الجنة.

وقد اوضح ابن أبي الحديد الرؤية الاعتزالية التي قدمها الجاحظ والاسكافي والجبائي والقاضي حول كثير من الشبهات التي اثيرت حول سياسة الإمام

علي عليه السلام سواء قبل خلافته أو بعد توليه الخلافة.

في حين جاء الفصل الخامس والآخر ليوضح الرؤية الاعتزالية حول الإمام علي عليه السلام والفكر العربي الاسلامي، إذ أثبت المعتزلة أن الإمام علياً عليه السلام هو الوحيد الذي بان في العلم الإلهي، ومن خلال ما جاء في كلامه عن التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخلق الأفعال وغيرها استمد المعتزلة آراءهم الكلامية، وكان ابن أبي الحديد يؤكد على ذلك في شرحه اينما سنحت له الفرصة.

ان كثيراً مما ورد في فكر المتصوفة مأخوذ من الإمام علي عليه السلام، وهذا ما أشار إليه ابن أبي الحديد في اثناء شرحه لكلام الإمام علي عليه السلام، وأكد انتساب المتصوفة للإمام عليه السلام.

اما في علم الفقه فقد أكد ابن أبي الحديد أن الإمام علياً عليه السلام كان مصدر الخلفاء والصحابة والمذاهب الفقهية الاربعة، حيث أثر عن الخليفة عمر قوله «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن».

وكذا الحال في علوم القرآن، وعلوم اللغة العربية وخاصة البلاغة حيث ترك الإمام علي عليه السلام كنزاً من الخطابة أصبح مصدراً ومورداً للادباء والشعراء يتقنون منه ويوحشون به خطبهم وأشعارهم.

وكان عليه السلام قد أشار لبعض الحوادث التاريخية والمسائل الفلكية، وما يخص علم الحيوان، بالاضافة لإشارته لبعض الغيبات التي عدّها ابن أبي الحديد من أسس تفضيله.

وختمنا هذه الفصول بخاتمة اوضحنا فيها أهم ما تم التوصل إليه من خلال

البحث، منوّهين بالمواضع التي يمكن ان تكتب عن ابن أبي الحديد وكتابه شرح نهج البلاغة، التي لا زالت لم تحظ باهتمام الباحثين.

تحليل المصادر

لقد اعتمدت الدراسة على جملة من المصادر والمراجع يأتي في مقدمتها - شرح نهج البلاغة - لابن أبي الحديد المعتزلي، إذ هو المحور الذي دارت حوله الدراسة. لقد صنفه ابن أبي الحديد على عشرين جزءاً، اودع فيه الكثير من جوانب المعرفة سواء في اللغة أو الأدب أو التاريخ أو الكلام وغيرها، لذا عدّه كتاب ادب وليس نظراً. ولما كانت موضوعات نهج البلاغة متنوعة جاءت موضوعات شرح نهج البلاغة متنوعة أيضاً.

قال باحث معاصر في وصفه: «كتاب ولا كالكتب، بل بوسعي أن اقول إنه من الكتب القليلة النادرة التي تجمع بين المتعة والفائدة إلى اقصى حدودهما، مع نضاعة في الديباجة، وحلاوة في اللغة، وسلامة في التعبير، وسلاسة في البيان، فأنت حين تقرأ الكتاب تشعر كأنك تطالع انسكلوبيديا أو دائرة معارف تزودك بمعلومات لغوية وأدبية وتاريخية وفلسفية على صعيد واحد ضمن اطار نهج البلاغة للامام علي ... وتستشف من وراء الكتاب كله عقلية نيرة غير متعصبة وتحليلات منطقية وألمعية في التفكير وابتكاراً في التعليل، قلّ أن تجد له نظيراً في الكتب الحديثة بله القديمة. وبوسع القارئ المطالع له ان يقتبس شيئاً جديداً من كل فصل من فصوله إن لم أقل من كل صفحة من صفحاته فهو الكتاب القديم-الجديد دائماً وأبداً»^(١).

(١) خلوصي: الكنوز الدفينة ص ١-٢.

ويخلص للقول: «وهكذا نجد بوجه عام أن ابن أبي الحديد قد جعل شرح نهج البلاغة اطاراً جميلاً لصورة رائعة تزدهم فيها الوقائع التاريخية والبحوث الادبية والمناقشات الفلسفية، فهو بحق منجم لكنوز دفينه لاتقوم بثمان»^(١).

وقد شرح ابن أبي الحديد نهج البلاغة شرحاً اعتزالياً ليؤكد رؤية المعتزلة القائلة بأن مصدر عقيدتهم هو الإمام علي عليه السلام، ولكنه كان يتوقف عند بعض النصوص التي لا تتفق والرؤية الاعتزالية لذا يضطر لتأويلها أو التوقف عندها وعدم اصدار حكم فيها^(٢).

ومن هنا فإن ابن أبي الحديد عامل كلام الإمام معاملة النص القرآني أو الحديث النبوي الذي يؤول إذا خالف ظاهره العقل عند المعتزلة.

لقد حاول ابن أبي الحديد وهو من معتزلة بغداد المتأخرين أن يسدل الستار على الخلاف ما بين مدرستي الاعتزال وأن يقدم صورة موحدة للفكر الاعتزالي، وإن كان احياناً يشير لمواضع الخلاف ويحاول تبريرها.

ولم يظهر منه تحامل على معتزلة البصرة، بل اعتمد كثيراً من مؤلفاتهم كمؤلفات الجاحظ ت ٢٥٥هـ، الذي كان يقف عند ارائه قائلاً «رحم الله أبا عمرو لقد غلبت عليه البصرة وطينتها...»، ولما اتهم ابراهيم بن سيار النظام - وهو من معتزلة البصرة - الإمام علياً عليه السلام بالتدليس في الحديث، رد عليه ابن أبي الحديد مستغفراً له.

وقد استخدم ابن أبي الحديد في إثبات ما يراه ونفي ما لا يراه صحيحاً

(١) خلوصي: الكنوز الدفينة ص ٢٢.

(٢) أنظر: مثلاً الشرح ٩/ ٨٧-٨٨، ٣٠٧، ١٦/ ١٥٦-١٥٧.

الآيات القرآنية التي يأخذها على ظاهرها، أما إذا تعارض ظاهرها مع العقل فإنه يؤولها. وكذا الحال بالنسبة للسنة النبوية الشريفة، مع انه يرى ان هناك الكثير من الاحاديث النبوية موضوعاً، وكذلك كان يستخدم الروايات التاريخية ونجده لا يقف سلبياً إزاءها بل يناقشها فيقبل ما يراه صحيحاً ويرفض العكس. ووصل إلينا من مؤلفاته أيضاً سبع قصائد في مدح الإمام علي عليه السلام سميت بالقصائد السبع العلويات، اوضح فيها رؤيته للإمام علي عليه السلام.

وتأتي مؤلفات علم الكلام بعد-شرح نهج البلاغة-كمصدر للرسالة، ومنها مؤلفات المعتزلة كرسائل الجاحظ الكلامية ومنها العثمانية التي اوضح فيها وجهة نظر القائلين بعدم أفضلية الإمام علي عليه السلام، فرد عليه الاسكافي ت ٢٤٠هـ وهو من معتزلة بغداد بكتاب (نقض العثمانية) الذي استفدنا منه في بيان رؤية معتزلة بغداد في تفضيل الإمام علي عليه السلام.

وللناشئ الأكبر ت ٢٩٣هـ أحد رجال المعتزلة كتاب (مسائل الإمامة) أفاد الرسالة في بيان رؤية المعتزلة للإمامة من حيث وجوبها؟ ثم رؤيته للإمام هل يجب أن يكون الأفضل؟ أم تجوز امامة المفضول؟ ومن هو الأفضل؟

وللخياط ت ٣٠٠هـ أحد معتزلة بغداد كتاب (الانتصار) اثبت فيه أفضلية الإمام علي عليه السلام. وجاءت مؤلفات القاضي عبد الجبار ت ٤١٥هـ وخاصة كتابه (المغني في ابواب العدل والتوحيد) الذي صنفه على عشرين جزءاً، اوضح فيه تفصيلاً الفكر الاعترالي، حيث استفدنا من الجزء العشرين الذي يقع في قسمين خصصهما للإمامة، وقد افرد فصلاً عن التفضيل مبيناً آراء المعتزلة فيه كالاسكافي وابي علي وابي هاشم الجبائيان. اما كتابه فضل الاعترال فقد افادنا

٣٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

في دراسة تراجم رجالات المعتزلة قبل القاضي، وقد نشر - النشار - كتاباً باسم - فرق وطبقات المعتزلة - أخذه من كتاب المنية والأمل لابن المرتضى^(١)، فإن الموجود منه هو ما جاء لدى ابن المرتضى في كتابه (المنية والأمل) أما الكتاب الاصيل فلم يحصل عليه.

ومن المؤلفات الكلامية مؤلفات الأشاعرة، كمقالات الاسلاميين لأبي الحسن الاشعري ت ٣٢٤ هـ، والتمهيد للباقلاني ت ٤٠٣ هـ، والفرق بين الفرق للبغدادي ت ٤٢٩ هـ. ومن كتب الإمامية الكلامية: تنزيه الانبياء للشريف المرتضى ت ٤٣٦ هـ، الذي استفدنا منه في رؤيته لرواية خطبة الإمام علي عليه السلام جويرية بنت أبي جهل.

وكتابه (الشافي في الإمامة) وهو رد على كتاب المغني للقاضي عبد الجبار، وقد اعتمده ابن أبي الحديد كثيراً في معرض المقارنة بين آراء القاضي عبد الجبار والشريف المرتضى. ويلاحظ على ابن أبي الحديد عدم الميل نحو القاضي لأنه معتزلي مثله، بل تارة يؤيد هذا وتارة يؤيد ذلك حسبما يراه صحيحاً.

لقد اعتمد ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة على جملة من المصادر التاريخية بعض منها وصل إلينا، لذا آثرنا من باب التوثيق التاريخي الرجوع إلى هذه المصادر كسيرة ابن اسحق ت ١٥١ هـ، ومغازي الواقدي ت ٢٠٩ هـ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ت ٣١٠ هـ، ومروج الذهب للمسعودي ت ٣٤٦ هـ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ت ٦٣٠ هـ وغيرها.

وهناك من المصادر التاريخية لم يعتمد عليها ابن أبي الحديد، ولقد رجعنا إليها

(١) أنظر: رأي: البطاط في هذا الكتاب: قاضي القضاة عبد الجبار ص ٤٢-٤٣.

في مواضع من البحث كتاريخ يعقوبي ت بعد ٢٩٢هـ الذي قدم لنا رؤية لبني هاشم قبل الإسلام خاصة موقف عبد المطلب في حملة أبرهة وانعكاس ذلك الموقف في رؤية العرب له، وإشارته إلى ما سنه من سنن اثبتها الإسلام فيما بعد. اما كتب التفسير فقد اعتمدت الدراسة في تفسير بعض الآيات على جامع البيان للطبري، والبيان في تفسير القرآن للطوسي ت ٤٦٠ هـ، والكشاف للزمخشري ت ٥٢٨ هـ. ويعد الزمخشري من معتزلة البصرة، لذا أفدنا منه كثيراً في بيان رؤية معتزلة البصرة في الآيات الخاصة بالإمام علي (عليه السلام)، والجامع لاحكام القرآن للقرطبي ت ٦٧١ هـ.

اما كتب الحديث؛ فقد استفاد البحث من عدد من كتب الصحاح كصحيح البخاري ت ٢٥٦ هـ، ومسلم ت ٢٦٣ هـ، وكتب السنن كسنن ابن ماجه ت ٢٧٣ هـ، وابي داود ت ٢٧٥ هـ، والترمذي ت ٢٧٩ هـ، والنسائي ت ٣٠٣ هـ، والبيهقي ت ٤٥٨ هـ، ومن المسانيد مسند احمد بن حنبل ت ٢٤٠ هـ. ومنها المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ الذي استفدنا منه في مواضع متعددة، ومنها تأكيده على ولادة الإمام علي (عليه السلام) في الكعبة إذ يقول: «وتواترت الاخبار ان فاطمة بنت اسد ولدت علياً كرم الله وجهه في جوف الكعبة».

اما كتب الصحابة فقد رجعنا إلى الطبقات الكبرى لابن سعد ت ٢٣٠ هـ، والاستيعاب لابن عبد البر ت ٤٦٣ هـ، وصفة الصفوة لابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ، وأسد الغابة لابن الاثير ت ٦٣٠ هـ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ت ٨٥٢ هـ، وغيرها.

٣٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ومن كتب التراجم رجعنا لكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ، و معجم الادباء لياقوت الحموي ت٦٢٦ هـ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ت٦٨١هـ، وفوات الوفيات للكتبي ت٧٦٤هـ، والوفاء بالوفيات للصفدي ت٧٦٤هـ، ومرآة الجنان لليافعي ت٧٦٨هـ.

اما كتب الأدب فقد رجعنا لكتاب البيان والتبيين للجاحظ ت٢٥٥هـ، وعيون الاخبار لابن قتيبة ت٢٧٦ هـ، والكامل في الأدب للمبرد ت٢٨٥ هـ، والاغاني لأبي الفرج الاصفهاني ت٣٥٦ هـ، وربع الابرار للزنجشيري ويلاحظ أن كثيراً من نصوص الشرح ربما منقولة عن الأخير ولكنه لم يشر لذلك.

واعتمد البحث على كتب الجرح والتعديل لمناقشة بعض الروايات ككتاب الضعفاء لأبي زرعة ت٢٤٦ هـ، ورجال البرقي ت٢٧٤هـ، وكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ت٣٢٧ هـ، ورجال الكشي ت٣٤٠ هـ، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ت٣٦٥ هـ، ورجال النجاشي ت٤٥٠ هـ، ورجال وفهرست الطوسي ت٤٦٠ هـ، ورجال ابن المطهر الحلي ت٧٢٦ هـ، ورجال ابن داود الحلي ت٧٤٠ هـ، وميزان الاعتدال للذهبي ت٧٤٨ هـ، وتقريب التهذيب وتهذيب التهذيب، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ت٨٥٢ هـ.

ورجعنا لعدد من الدواوين الشعرية لتوثيق كثير من الأبيات الشعرية كديوان امرئ القيس، والنابغة، وأبي طالب بن عبد المطلب، وامية بن أبي الصلت، والفرزدق، والسيد الحميري، وابي تمام، والبحثري، والمتنبي، والشريف الرضي، وعبد الباقي العمري وغيرهم.

فضلاً عن اعتماد الدراسة على مجموعة من الكتب الحديثة والرسائل الجامعية

وبعض المقالات، حيث اقتبست الرسالة آراءهم إما للتأييد أو للمناقشة. ولما كانت الدراسة حول كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد لذا أثرنا إذا تعددت المصادر في الهامش الواحد الاشارة أولاً إليه ثم إلى المصادر الاخرى حتى وإن كانت اسبق منه زمنياً واقتصرنا في الاشارة إليه بكلمة الشرح. ولغرض عدم ائقال الهوامش بالمعلومات لذا اقتصرنا على الاشارة لاسم المؤلف وكتابه والجزء إن وجد والصفحة، أما باقي المعلومات فسيجدها القارئ في فهرس المصادر والمراجع.

وختاماً لا بد من القول ان الله سبحانه وتعالى أبى أن يكون هناك صحيح إلا كلامه المقدس، ولذا فإن هذه الدراسة المتواضعة لا تخلو من الهنات، وما احرى كاتبها بالقول:

وما أبرئ نفسي أنني بشرٌ أسهو وأخطىء ما لم يحمني قدرٌ
ولا ترى عذراً أولى بذى زللٍ من أن يقول بأئني بشرٌ

فإن كنت أصبت الذي أردت فهذا من جزيل نعم الله تعالى فله الحمد والشكر مبلغ رضاه، وإن كنت لم ابلغ ذلك فيكفيني نيتي التي أسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم... ونية المرء خير من عمله.

وآخر دعوانا ربي.... توفني مسلماً وألحقني بالصالحين واجعلني من ورثة جنة النعيم... والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

جواد كاظم النصر الله

البصرة

رمضان ١٤٢٣ هـ كانون أول ٢٠٠٢ م

المدخل

المدخل

التفضيل عند المعتزلة

اقتضت الحكمة الإلهية تكليف الانسان للقيام ببعض الاعمال، والانتهاز عن اعمال أخرى، وسيقابل هذا الانجاز بشمرات دنيوية وأخروية على أن ذلك لن يكون إلا بوجود ضمانات له توجه الانسان للقيام به. ومن هنا فإن الإسلام لم يطرح النظرية فقط، بل وضع لها اسس التطبيق العملي حيث أوجد نظاماً سمي «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» مهمته حماية المجتمع والنظام، مما يساعد على تحقيق ما كلف به الانسان على الوجه الأفضل ويقف على رأس هذا النظام -الحاكم- الذي وصل لهذا المنصب بناءً على شروط معينة^(١).

لقد عدَّ المعتزلة -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- اصلاً من اصولهم الخمسة^(٢)، وهو الاصل العملي الوحيد، إذ باقي الاصول نظرية^(٣)، وهذا الاصل واجب عند المعتزلة ووجوبه شرعي بدليل قوله تعالى:

(١) د. عبد الكريم عثمان: قاضي القضاة ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) وهي -التوحيد- العدل- الوعد والوعيد- المنزلة بين المنزلتين- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فكل من قال بهذه الاصول مجتمعة فهو معتزلي. أنظر: الخياط: الانتصار ص ٩٣. وقد شرح هذه الاصول القاضي عبد الجبار بكتاب اسماها شرح الاصول الخمسة. وهو مطبوع.

(٣) صبحي: في علم الكلام ١/ ١٧٤-١٧٧.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١).

بالإضافة لوجوبه العقلي^(٢)، فهو يجب إلى درجة استخدام القوة، ومن هنا أجاز المعتزلة الخروج على الامام الجائر، وبهذا فهم يماثلون الخوارج^(٣)، لكنهم اکتفوا بالقول دون الفعل لذا سموا مخانيث الخوارج^(٤).

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عند المعتزلة على كل مكلف وفق شروط^(٥)، وهو فرض كفاية إذا قام به من به الكفاية سقط عن الآخرين^(٦).

وفي مقدمة من يجب عليهم القيام بهذا الاصل هو الامام، لذا أصبح موضوع الإمامة من موضوعات هذا الاصل «ووجه اتصاله بهذا الباب إن أكثر ما يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقوم به إلا الأئمة»^(٧).

وقبل التحدث عن موضوع الإمامة لابد من الإشارة إلى أن التطور التاريخي للمعتزلة يشير لمدرستين للاعتزال، الاولى نشأت في البصرة وشارت الروايات إلى أن أول من قال بالاعتزال هو واصل بن عطاء وزميله عمرو بن عبيد،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة ص ١٤٢، ٧٤١-٧٤٦.

(٣) ابن أبي الحديد: الشرح ٧٨/٥.

(٤) البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٧١.

(٥) القاضي: شرح الاصول ص ١٤٢-١٤٤.

(٦) القاضي: شرح الاصول ص ١٤٨.

(٧) القاضي: شرح الاصول الخمسة ص ٧٤٩.

وسميت بمدرسة البصرة لنشوئها في البصرة، وقد وضع رجالات هذه المدرسة القواعد والاصول الاساسية للاعتزال، وبرز فيها كبار رجالات المعتزلة كأبي الهذيل العلاف، وابراهيم بن سيار النظم، والجاحظ، والجبائيان، والقاضي عبد الجبار، وابن متويه، واصبح كل من يحمل آراء هذه المدرسة يعد بصرياً بغض النظر عن بلدته^(١).

اما بالنسبة لمعتزلة بغداد فهي التي ينسب تأسيسها إلى بشر بن المعتمر الذي تتلمذ على يد معتزلة البصرة، ثم جاء لبغداد مؤسساً فرعاً جديداً للاعتزال عرف بمعتزلة بغداد، فأصبح كل من يأخذ بآراء هذه المدرسة يعد من معتزلة بغداد بغض النظر عن بلدته. ومن رجالات هذه المدرسة بشر بن المعتمر، والجعفریان، والاسكافي، واحمد بن أبي دؤاد^(٢)، والخياط، والكعبي، وابن أبي الحديد^(٣).

والذي يميز مدرسة بغداد عن مدرسة البصرة:

أولاً: ميل مدرسة بغداد قاطبة إلى الإمام علي عليه السلام.

ثانياً: إنها طبقت عملياً رؤية معتزلة البصرة في التوحيد حيث ألغت القول

(١) عن مدرسة البصرة أنظر: صبحي: في علم الكلام ١/ ١٠٥-٣٩٣. الراوي: ثورة العقل

ص ٢٣-٧٧. النعيمي: مدرسة البصرة الاعتزالية ص ٧ وما بعدها.

(٢) هو احمد بن أبي دؤاد فرح بن جرير القاضي، والمتولي لمهمة القول بخلق القرآن فيما عرف بالحنة.

أنظر: الملطي: التنبيه والرد ص ٣٩. ابن النديم: الفهرست ص ٣-٤ (تراجم ملحقة بآخر

الكتاب). ابن الاثير: اللباب ١/ ٤٢٧. الصفدي: الوافي بالوفيات ٢/ ٣٣. ابن المرتضى: طبقات

المعتزلة ص ١٢٣-١٢٦.

(٣) عن مدرسة بغداد أنظر: صبحي: في علم الكلام ٣/ ٢٨٣-٣١٧. الراوي: ثورة العقل ص ٨١-

٤٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

بالصفات، وقالت بخلق القرآن، فكان ما عرف تاريخياً بالمحنة، حيث كان معتزلة بغداد القائمين بها^(١).

ثالثاً: النزعة العملية: حيث لما اتسم الاعتزال البصري بالسكونية والنظرات التجريدية، وجعل البحث النظري حواراً وجدلاً طابعه العقائدي، نجد معتزلة بغداد تسعى لإيجاد بعد عملي لفكرها على نحو تحقيق رغبتها بإقامة دولة اعتزالية.

رابعاً: اقتضاهم عصر النهضة الفكرية، وقراءتهم للفلسفة، تعميق وتطوير مباحث العدل الالهي^(٢)، بعد أن شرحتها معتزلة البصرة، كالتقول بالتوليد^(٣)، واللفظ الالهي^(٤).

خامساً: تصدى معتزلة بغداد للمباحث الدقيقة في الكلام، كمسألة

(١) صبحي: في علم الكلام ١/ ٢٨٣-٢٨٧، الراوي: ثورة العقل ص ٩٥. وعن مسألة خلق القرآن أنظر: الجاحظ: رسالة في خلق القرآن ص ١٦٣-١٧٥. الأزدي: تاريخ الموصل: ٤١٢-٤١٤.

(٢) العدل: ما يقتضيه العقل من الحكمة، أو صدور الفعل على وجه الصواب والمصلحة، ويناقش المعتزلة تحت هذا الاصل موضوعات. (نفي صدور القبح عن الله، اللفظ الالهي، حرية الارادة)، أنظر الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ٥٥-٥٦. صبحي: في علم الكلام ١/ ١٤٨-١٦٥.

(٣) هو الفعل الذي يتولد من فعل الانسان، فإذا ضرب انسان انساناً، فالضربة من فعل الضارب، وهو مسؤول عنها، ولكن ماذا عن الألم المتولد، أو إذا فعل الانسان فعلاً عن غير قصد. أنظر الخياط: الانتصار ٦٠-٦١، الباقلاني: التمهيد ١/ ٢٩٦-٣٠٢، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ٨٨-٩٠، بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/ ١٩٢-١٩٧.

(٤) هو كل ما يوصل الانسان إلى الطاعة ويبعده عن المعصية. أنظر القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة ص ٥١٨-٥٢٥، الباقلاني: التمهيد ١/ ٣٣٨-٣٤٠، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ٨٢-٨٣، بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/ ٢٩٣-٢٩٧.

الجوهر (١).

سادساً: الزهد: كانت هذه الصفة غالبية على اكثرية معتزلة بغداد كبشر بن المعتمر، وتلميذه أبي موسى، والاسكافي وغيرهم، ولشيعاء هذه الصفة فيهم عرفوا بـ «نسك بغداد» (٢).

لقد ناقش المتكلمون على اختلاف توجهاتهم موضوع الإمامة، من حيث وجوب نصب الامام أو لا؟ وهل أن الإمامة واجبة عقلاً أم شرعاً؟ وهل يجب أن يكون الامام أفضل الأمة؟ أم تجوز امامة المفضول مع وجود الأفضل؟ (٣) قال ابن حزم: «اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع المعتزلة، وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة... حاشا النجدات (٤) من الخوارج» (٥).

(١) هو الجزء الذي لا يتجزأ وأول من قال به أبو الهذيل العلاف، أنظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٧، أبو رشيد: المسائل في الخلاف ص ٢٨، ابن متويه: التذكرة ص ٤٧ ١٤٥. الجرجاني: التعريفات ص ١٣، التهانوي: كشف اصطلاحات العلوم ١/ ٢٠٧. بينس: مذهب الذرة عند المسلمين ص ١-١٦.

(٢) الراوي: ثورة العقل ص ٩٤-١٠٠.

(٣) افرد المتكلمون مؤلفات لهذا الغرض. أنظر: الناشئ الأكبر: مسائل الإمامة، وخصص القاضي عبد الجبار الجزء العشرين من كتابه (المغني) في قسميه الأول والثاني لمسائل الإمامة ووضع الشريف المرتضى: الشافي في الإمامة أنظر ص ٢ وما بعدها، الطوسي: تلخيص الشافي ١/ ٦٣-١٩٠، ٢٠٧-٢٤٢.

(٤) اصحاب نجدة بن عامر الحنفي. أنظر الاشعري: مقالات الاسلاميين ١/ ١٦٢-١٦٤.

الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٩. البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٥٢-٥٤. الشهرستاني:

الملل ١/ ١٦٥-١٦٩.

(٥) الفصل في الملل ٤/ ١٤٩.

وأوضح - الناشئ الأكبر - وجهة نظر المعتزلة فقال: «المعتزلة صنفان: صنف أوجبوا الإمامة وزعموا أن نصب الامام فرض على الأمة في عقد الدين، وصنف انكروا وجوب الإمامة، وزعموا أن للمسلمين أن يقيموا اماماً، ولهم أن لا يقيموه، وليس أحد الأمرين بأولى من الآخر»^(١).

بينما أشار ابن أبي الحديد إلى أن المعتزلة جميعهم قالوا بالوجوب ما عدا أبا بكر الأصم^(٢) الذي يرى «إنها غير واجبة إذا تناصفت الأمة ولم تتظالم». وهذا الرأي عدّه متأخرو المعتزلة قولاً بالوجوب، وذلك لأن في العادة لا تستقيم امور الناس من دون رئيس يحكم^(٣).

وقد تباينت وجهة نظر المعتزلة حول طريق وجوب الإمامة، هل هو شرعي؟ أم عقلي؟ فالبعض من معتزلة البصرة يرى ان طريق وجوبها الشرع. اما معتزلة بغداد وبعض من معتزلة البصرة كالجاحظ، وأبو الحسين البصري، فيرون ان طريق وجوبها العقل واتفقت معهم الإمامية^(٤) بذلك^(٥).

(١) مسائل الإمامة ص ٤٩.

(٢) هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الاصم من معتزلة البصرة، يعد من الطبقة السادسة. أنظر:

المطبي: التنبيه ص ٣٩، القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٦٧، الشهرستاني: الملل ٩٣/١. ابن

المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٥٦-٥٧، الداودي: طبقات المفسرين ١/ ٢٧٤.

(٣) الشرح ٢/ ٣٠٨. أنظر رأي الاصم: الاشعري: مقالات الاسلاميين ٢/ ١٣٣.

(٤) ان كل الفرق الاسلامية قالت بالإمامة، ولكن لفظ (الإمامية) إذا ذكر ينصرف إلى تلك الفرقة

التي حددت عدد أئمتها واسماهم بلا زيادة ولا نقصان. وهم المعروفون بالاثني عشرية. فيها

لم تحدد باقي الفرق الاسلامية عدد أئمتها. أنظر الاشعري: مقالات الاسلاميين ١/ ٨٧-٨٨.

الفياض: تاريخ الإمامية ص ٧٣-٨٥.

(٥) الشرح ٢/ ٣٠٨.

وإذا كانت المعتزلة ترى ان الهدف من وجوب الإمامة لأن فيها مصالح دنيوية ودفع مضار دنيوية، فإن الإمامية يوجبونها على الله لأن فيها لطف وابعاد للمكلفين عن مواجهة القبائح العقلية^(١).

وناقش المتكلمون: هل يجب أن يكون الامام هو الأفضل؟ أم تجوز امامة المفضل؟^(٢) يرى الباقلاني^(٣) انه «واجب أن يكون الامام أفضل الأمة». وقد رد عليه ابن حزم قائلاً: «هذا خطأ متيقن لبرهانين؛ احدهما: إنه لا يعرف الأفضل إلا بالظن في ظاهر أمره، وقد قال تعالى:

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾^(٤).

والثاني: ان قريشاً انتشرت في مشرق الارض وغربها وجنوبها وشمالها، ولا سبيل لمعرفة الأفضل، ويكفي بطلان قول الباقلاني؛ ان الصحابة الذين ادركوا امامة الحسن ومعاوية قالوا بها مع أن فيهم من هو أفضل من الحسن ومعاوية كسعد، وسعيد بن زيد، وابن عمر^(٥).

(١) الشرح ٣٠٨/٢. عن الإمامة أنظر: الناشء الأكبر: مسائل الامامه ص ٤٩. الشريف المرتضى

ص ٤-٥. الطوسي: تلخيص الشافي ١/٦٣-١٩٠.

(٢) الاشعري: مقالات الاسلاميين ٢/١٣١ وما بعدها.

(٣) أبو بكر محمد بن الطيب ولد بالبصرة ثم سكن بغداد وهو من كبار رجالات الاشاعرة ت ٤٠٣ هـ.

أنظر: السمعاني الانساب ١/٢٦٦. ابن الاثير: اللباب ١/٥١-٥٢. النباهي: تاريخ قضاة

الاندلس ص ٣٧-٤٠. الصفدي: الوافي ٣/١٧٧. محمد عبد الله رمضان: الباقلاني ص ٩٦ وما

بعدها. بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/٥٦٩-٦٣٣.

(٤) سورة يونس، آية ٣٦.

(٥) الفصل في الملل ٤/١٧٩-١٨٠.

٥٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

إن التمعن في فهم معنى آيات التطهير والمباهلة والمودة وهل أتى، وكذا أحاديث النبي ﷺ كحديث الثقلين، وقوله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا». يقطع بأفضلية الامام الحسن على من ذكرهم فضلا عن كل الأمة بعد أبيه عليه السلام.

اما المعتزلة فقد انقسموا لقسمين:

الأول: يرى عدم جواز عقد الإمامة إلا للأفضل، لأنهم يرون انه ليس بعد النبوة منزلة أفضل من الإمامة، فكما كان النبي ﷺ أفضل الناس فكذلك الامام، لأن الامام هو الذي يؤدب الأمة ويعرفها معالم دينها، فلا يجوز أن يكون المؤدب أفضل من المؤدب، وإلى هذا المذهب يذهب عمرو بن عبيد^(١)، وإبراهيم النظام^(٢).

اما القسم الثاني فيرى جواز امامة المفضول مع وجود الأفضل حيث يرون ان النبي ﷺ ولى المفضول على الأفضل كما في تولية عمرو بن العاص في غزوة

(١) هو صاحب واصل بن عطاء ولد في البصرة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٤٠ هـ. أنظر: البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٨٦-٨٩. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٤٢-٢٥٠. الشهرستاني: الملل: ١/٦٢. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٣/٤٦٠-٤٦٢. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٣٥-٤١. المقرئ: الخطط ٢/٣٤٦.

(٢) أحد معتزلة البصرة، سمي بالنظام لاشتغاله بنظم الخرز. له آراء ومؤلفات فلسفية ويعد فيلسوف المعتزلة. أنظر: الحياط: الانتصار ص ١٩، ٢١-٤٧. البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٧٠-٧١. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٦٤-٢٦٥. ابن النديم: الفهرست ص ٢ (تراجم ملحقة بآخر الكتاب). البغدادي: الفرق ص ٧٩-٩١. الشهرستاني: الملل ١/٦٧-٨١، ابن نباتة: سرح العيون ص ١٥٣-١٥٧. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٤٩-٥٢. ابن تغري: النجوم الزاهرة ٢/٢٣٤. بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/١٩٨-٢٧٩.

ذات السلاسل^(١) على جيش فيه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، وهم أفضل منه، وتولية أسامة بن زيد على جيش فيه أبو بكر وعمر^(٢)، ويرون «إذا رأينا رجلاً تجمع عليه الكلمة ولم يكن ساقط العدالة، وكان معه علم بالكتاب والسنة، وليناه أمر الأمة، وإن كان فيهم من هو أفضل منه وأوسع علماً. والقائلون بهذا القول واصل بن عطاء^(٣)، ومعتزلة بغداد قاطبة^(٤).

وناقش المتكلمون من هو الأفضل بعد الرسول ﷺ، قال ابن حزم: «اختلف المتكلمون فيمن هو أفضل الناس بعد الانبياء ﷺ، فذهب بعض السنة وبعض المعتزلة، وبعض المرجئة^(٥)، وجميع الشيعة إلى أن أفضل الأمة بعد

(١) كانت في السنة السابعة للهجرة. أنظر: الشرح ٦/٣١٩-٣٢٠. ابن سعد: الطبقات ٢/١٣١. البخاري: الصحيح ٥/٦٨. الطبري: تاريخ ٣/٣٢. الحاكم: المستدرک ٣/٤٥. الشهرستاني: الملل ١/٢١٩.

(٢) في مرض الرسول ﷺ. الشرح ١/١٥٩، ٦/٥٢، ١٧/١٨٣. ابن سعد: الطبقات ٢/٢٤٩. يعقوبي: التاريخ ٢/١٠٣. أبو هلال العسكري: الاوائل ص ١٣٧.

(٣) ينسب إليه تأسيس الاعتزال. وكان أثنى بالراء ومع ذلك كان يلقي الخطب البليغة الخالية من الراء. وهو أول من قال بالمنزلة بين المنزلتين. أنظر: ابن عطاء: الخطبة الخالية من الراء، نوادر المخطوطات ٢/١١٨-١٣٦. البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٦٤-٦٨. ابن النديم: الفهرست ص ١٠ (تراجم ملحقة بآخر الكتاب). البغدادي: الفرق ص ٧٠-٧٢. الشهرستاني: الملل ١/٥٧-٦٢. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٢٨-٣٥. بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/٧٣-٩٦.

(٤) الناشئ الأكبر: مسائل الإمامة ص ٥١-٥٢. أنظر الاشعري: مقالات الاسلاميين ٢/١٣٤. ويوافقهم الزيدية. الشهرستاني: الملل ١/٢٠٨.

(٥) هي فرقة كلامية ناقشت مسألة الإيثار والعمل ويرى اصحابها انه مثلما لا ينفع مع الكفر طاعة لا يضر مع الإيثار معصية. أنظر: الملطي: التنبيه ص ٤٣-٤٧، ١٤٦-١٥٦، البغدادي: الفرق =

رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام وقد روينا هذا القول نصاً عن بعض الصحابة عليه السلام وعن جماعة من التابعين والفقهاء.

«وذهبت الخوارج كلها وبعض أهل السنة، وبعض المعتزلة، وبعض المرجئة، إلى أن أفضل الصحابة بعد الرسول أبو بكر ثم عمر، وروينا عن أبي هريرة أن أفضل الناس بعد الرسول صلى الله عليه وآله جعفرًا ثم حمزة، وروينا عن نحو عشرين من الصحابة «أكرم الناس على الرسول صلى الله عليه وآله علي والزبير»^(١).

ثم قال: «والذي نقول به، وندين الله تعالى به، ونقطع على أنه الحق عند الله عز وجل: أن أفضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام نساء رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم ثم أبو بكر»^(٢).

حيث يرى أن أفضل الناس بعد الرسول صلى الله عليه وآله هم الصحابة لأن فضيلة الصحبة لها فضل عظيم، ولما كانت نساء النبي صلى الله عليه وآله، قد اشتركن في الصحبة، وزدن بفضيلة الأمومة (أمهات المؤمنين)، ثم كونهن زوجات الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا يعني انهن معه في الدنيا والآخرة، لذا اصبحن هن الأفضل^(٣).

واوضح البغدادي رؤية الاشاعرة الذين «قالوا بتفضيل أبي بكر وعمر على من بعدهما، وإنما اختلفوا في التفاضل بين علي وعثمان...»^(٤).

أما بالنسبة إلى المعتزلة فقد تعددت وجهة نظرها بتعدد مدارسها فمدرسة

=بين الفرق ص ١٢٢-١٢٥، الشهرستاني: الملل ١/ ١٨١-١٩٥.

(١) الفصل ٤/ ١٨١.

(٢) الفصل ٤/ ١٨١.

(٣) الفصل ٤/ ١٨٣.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢١١.

البصرة تنقسم على عدة اقسام:

القسم الأول: يرى أفضلية الخلفاء حسب تسلسلهم بالخلافة.

القسم الثاني: يرى أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم علي ثم عثمان.

القسم الثالث: يرى أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عبد الرحمن بن عوف ثم

عثمان.

القسم الرابع: يتوقف في القول الافضلية بين أبي بكر والإمام علي عليه السلام.

القسم الخامس: يرى أفضلية الإمام علي عليه السلام ثم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان.

فبالنسبة إلى القسم الأول دليلهم «ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قدموه (أبو بكر)

في الإمامة على سائر الناس، قالوا: ووجدنا المفضول لا يتولى على الفاضل

إلا بإحدى خصلتين: إما بأن يغلب المفضول الأمة على أمرها، ويتولى على

الفاضل، والناس لذلك كارهون، وأما بأن يكون الذين يتولون اختيار الامام

غير مناصحين للامة ولا ناظرين ولا محتاطين في حسن الاختيار لإمام يرعاها

فينحرفون عن الفاضل البارع إلى المفضول الناقص، وقالوا: كما وجدنا امامة

أبي بكر قد زال عنها هذان الأمران وذلك انه لم يستكره الأمة، ولم يغلبها على

الإمامة، ولو كان ذلك لجاءت الاخبار به، وكان الذين عقدوا امامته خيار

الخلق والحجة، وهم الذين الرسول لأدابه، وباجتماع منهم عليه، وقد قال النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم): ولم تكن امتي لتجتمع على ضلالة^(١). علماً

إن أبا بكر إنما عقد المسلمون له الإمامة لأنه افضلهم عندهم. وقالوا مثل ذلك

(١) اخرجه أبو داود: السنن ٩٨/٤. ابن الطيب: المعتمد ٢/٤٧١، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٨٠، ٤٨٣، ٤٨٤.

في عمر، أنه أفضل الناس بعد بيعة أبي بكر، وأن عثمان أفضل الناس بعد عمر في الوقت الذي ولي إلى سنة ست من خلافته... واثبتوا امامة علي فقالوا: كان أفضل الناس في الوقت الذي عقد له الخلافة...»^(١).

اما القسم الثاني فهو رأي واصل بن عطاء حيث قدم الإمام علياً على عثمان بالافضلية لتوقف واصل في احداث الفتنة^(٢).

وانفرد أبو بكر الاصم في القسم الثالث بإثباته أفضلية عبد الرحمن بن عوف بعد أبي بكر وعمر، وتقديمه على عثمان، لأنه يرى ان عبد الرحمن ازهد الناس، فيما لم يثبت أي امامة للإمام علي عليه السلام وذلك «ان بيعته عن غير شورى، وأن اكفائه ونظرائه في الفضل نازعوه وأبوا أن يسلموه الإمامة فحاربهم، قال: والامامة لا تعقد بالسيف، وإنما تعقد لمن تمد إليه الاعناق طوعاً بعد النظر والتشاور ورضى الأمة، واجتماع الكلمة. وصوب معاوية في حربه علياً ومنعه من الشام لأن عمر ولي معاوية ثم اثبتته عثمان، وهما امامان. فلما قتل عثمان كان على معاوية ألا يسلم الشام إلا إلى أمام مفترض الطاعة، فإذا أراد ذلك الامام أن يأخذ الشام بالقوة وجب على معاوية محاربتة...»^(٣).

أما القسم الرابع فقد توقفوا في القول بالترفضيل بين أبي بكر وعمر وبين الإمام علي عليه السلام، ومن هؤلاء أبو الهذيل العلاف^(٤) الذي يعد المؤسس الثاني

(١) الناشئ الأكبر: مسائل الإمامة ص ٥٢-٥٣.

(٢) الشرح ٨/١. القاضي: شرح الاصول الخمسة ص ٧٦٧. المغني ٢٠/٢/١١٤.

(٣) الناشئ الأكبر: مسائل الإمامة ص ٥٩-٦٠.

(٤) هو محمد بن الهذيل العلاف (١٢٥-٢٣٥): لقب بالعلاف لأن داره في العلافين بالبصرة. أنظر

ترجمته: الخياط: الانتصار ص ١٥-٢١، ٥٦-٥٩، ٨٠-٨٣، ٩٠-٩٢، ١١٣-١١٤، ١١٥ =

للاعتزال بعد واصل، هو وان توقف بين أبي بكر وعمر والإمام علي، فإنه يقطع بتفضيل الإمام علي على عثمان^(١).

ومن الداهيين إلى التوقف أيضاً - أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي^(٢) - (٢٤٧-٣٢١هـ) وهو من متأخري معتزلة البصرة، وقد عدّه القاضي في الطبقة التاسعة من طبقات المعتزلة.

كان يرى في التفضيل بأنه لو صح خبر الطائر^(٣) لوجب القطع بأفضلية

= ١١٧، ١٢٠، ١٢١. البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٦٩-٧٠. المطي: التنبيه ص ٣٨-٣٩. القاضي: فضل الاعتزال: ص ٢٥٤-٢٦٣. ابن النديم: الفهرست ص ١-٢ (تراجم ألحقت في آخر الكتاب). البغدادي: الفرق ص ٧٣-٧٩. الشهرستاني: الملل ١/٦٢-٦٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/٢٦٥-٢٦٧. اليافعي: مرآة الجنان ٢/١١٦. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٤٤-٤٩. ابن حجر: لسان الميزان ٥/٤١، ٤١٤.

(١) الشرح ٨/١. ابن حجر: لسان الميزان ٥/٤١٣-٤١٤.

(٢) أنظر ترجمته: المطي: التنبيه ص ٤٠. القاضي: فضل الاعتزال ص ٣٠٤-٨. الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص ٢٧٨-٢٧٩. ابن النديم: الفهرست ص ٢٤٧. البغدادي: الفرق بين الفرق ص ١١١-١١٩. الشهرستاني: الملل ١/٩٨-١٠٨. السمعاني: الانساب ٣/١٨٧-١٨٨. ابن الاثير: اللباب ١/١٥٧. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٩٤-٩٦. المقرئ: الخطط ٢/٣٤٨. ابن حجر: لسان الميزان ٤/١٦.

(٣) أشارت كتب الحديث انه اهدي للنبي ﷺ طائر مشوي فقال: اللهم ائتني بأحب الخلق اليك يأكل معي هذا الطائر فجاء علي بن أبي طالب عليه السلام. اخرج: الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ٢٣١، ٢٢٠، ٢٣٢. الترمذي: صحيح ١٢/١٧٠. البلاذري: انساب ٢/١٤٢. النسائي: خصائص ص ٥١-٥٢. ديوان الصاحب بن عباد ص ٣٥، ٤٤. ابن اخي تبوك: مناقب علي ابن أبي طالب ص ٤٣٥. الحاكم: المستدرک ٣/١٤٢-١٤٣. الخطيب: تاريخ بغداد ٣/١٧١. ابن المغازلي: المناقب ص ١٥٦-١٧٥. الخوارزمي: المناقب ص ٥٩-٦٥. سبط ابن الجوزي: =

٥٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الإمام علي عليه السلام ولكنه لما لم يصح، لذا لم يعلم فضل أحدهما لأن الاعمال لا تبني على فضل الانسان إذا لم يعلم المغيب من حالة، فإذا فقدنا الدلالة وجب التوقف^(١).

ومن المتوقفين أيضاً أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري، كان حسن العبارة غزير المادة، وله تصانيف في اصول الفقه منها - المعتمد^(٢) - وهو كتاب كبير، واصبح هذا الكتاب مع كتاب المستصفي للغزالي^(٣) مصدراً لفخر الدين الرازي^(٤) في تأليفه لكتاب المحصول^(٥) وتوفي سنة ٤٣٦ هـ^(٦).

= تذكرة ص ٣٨-٣٩. محب الدين: الرياض النظرة ٢/ ٢١١-٢١٢. الجويني: فرائد السمطين ١/ ٢٠٩-٢١٥، ٣٢٢. ابن تيمية: منهاج السنة ٣/ ١٣. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٣٥١-٣٥٤. وقال في نهاية حديثه عنه: «وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة منهم أبو بكر ابن مردويه، والحافظ أبو طاهر محمد بن احمد بن حمدان، فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي، ورأيت فيه مجلداً في جمع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب التاريخ، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سنداً و متنناً للقاضي أبي بكر الباقلاني المتكلم. وبالجملة ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر، وإن كثرت طرقه والله أعلم». البداية والنهاية ٧/ ٣٥٤.

(١) القاضي: المغني ٢٠/ ٢٠-١١٩-١٢٠.

(٢) طبع بجزئين في دمشق ١٩٦٤.

(٣) كتاب في علم الاصول وقد طبع بجزأين في بيروت سنة ١٣٢٢.

(٤) أحد كبار المفسرين وصاحب مفاتيح الغيب ولد في سنة ٥٤٤ هـ وتوفي في سنة ٦٠٦ هـ. تنظر ترجمته: ابن خلكان: وفيات ٤/ ٢٤٨-٥٢. الذهبي: العبر ٣/ ١٤٢. السبكي: طبقات الشافعية ٥/ ٣٣-٤٠. ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/ ٥٥-٥٦.

(٥) كتاب في علم اصول الفقه. وقد طبع في جدة سنة ١٣٩٩ هـ. أنظر: صالحية: المعجم الشامل ٣/ ٢١.

(٦) الشرح ١/ ٩. الخطيب: تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠. الحاكم: الطبقتان الحادية عشرة والثانية عشرة =

اما القسم الخامس من معتزلة البصرة فهم الذاهبون لتفضيل الإمام علي عليه السلام
وسنشير إليهم فيما بعد^(١).

أما بالنسبة لمعتزلة بغداد فقد اجمعت على القول بأفضلية الإمام علي عليه السلام على
سائر الأمة بعد الرسول ﷺ. ومن أشهر رجالاتها:
أولاً: بشر بن المعتمر الهلالي^(٢) ت ٢١٠هـ:

يعد مؤسس مدرسة بغداد المعتزلية. كانت ولادته ونشأته في الكوفة، ثم
انتقل للبصرة لدراسة الاعتزال على يد رجالات معتزلة البصرة، ثم ذهب
لبغداد مؤسساً الاعتزال البغدادي، وقد تتلمذ على يديه كبار معتزلة بغداد
كأحمد بن أبي دواد الذي كان له الدور الأكبر في مسألة المحنة^(٣).

كان بشر أول من قال بالتفضيل ومنه سرى القول إلى معتزلة بغداد وبعض
من معتزلة البصرة^(٤).

=من كتاب سرح العيون، ص ٨٣٧. ابن خلكان: وفيات ٢٧١/٤. الصفدي: الوافي ٤/١٢٥.
اليافعي: مرآة ٤/٥٧.

(١) الشرح ١/٧-٨. وانظر رؤية الزيدية القائلين بأفضلية الإمام علي عليه السلام أيضاً: الجاحظ: استحقاق
الإمامة ص ١٨٤. الملطي: التنبيه ص ٣٤. صاحب بن عباد: نصره ص ٨٤-١٢٩.

(٢) أنظر ترجمته: البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٧٢-٧٣. الملطي: التنبيه ص ٣٨. القاضي: فضل
الاعتزال ص ٢٦٥-٢٦٦. البغدادي: الفرق ص ٩٤-٩٦. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة
ص ٥٢-٥٤. المقرئ: الخطط ٢/٣٤٦، ابن حجر: لسان الميزان ٢/٣٣. الداودي: طبقات
المفسرين ١/١١٧.

(٣) أنظر تفاصيل المحنة: الراوي: ثورة العقل ص ٢٠٣-٢٣٨.

(٤) الشرح ٣/٢٨٨-٢٨٩.

يقول الناشئ الأكبر: «قال بشر بن المعتمر ومن قال بقوله: كان علي أفضل بعد النبي (صلعم) وكان أبو بكر يليه في الفضل، إلا أن قريشاً كانت أميل إلى أبي بكر منها إلى علي لأنّ علياً كان قد وتر منها وقتلها في غزوات النبي (صلعم)، فكره اصحاب محمد أن يولّوا علياً فتختلف الكلمة، فولوا أبا بكر وكان دونه في الفضل غير أن تخلفه عنه لم يكن يقعد به عن أن يكون مضطرباً بالإمامة. قالوا: وكان أبو بكر في تلك الحال اصحح للإمامة على هذه العلة»^(١).

وأضاف: «واحتجوا في ذلك أن علياً كان أفضل الناس بعد النبي (صلعم) بأن قالوا: إنا وجدنا الفضل في الدين إنما ينال بالعلم والعمل، فلما اعتبرنا علم اصحاب النبي (صلعم) وعلمهم على ما تناهت به الاخبار إلينا عنهم وجدنا علياً أرجحهم علماً وافضلهم عملاً، وذلك إنا إذا قلنا: من كان اقدم المسلمين إسلاماً؟ قالوا: علي، وقال قوم: أبو بكر، وقال قوم: زيد، وقال قوم: خباب. فقلنا لا أقل من أن نجعل علياً واحداً من هؤلاء، فلا نقضي له بأنه اقدمهم إسلاماً، ولا عليه بأن إسلامه متأخر عنهم، وإن كانت الاخبار في أن علياً كان اقدمهم إسلاماً أشهر وأكثر.

وإذا قلنا من كان أعظم اصحاب رسول الله (صلعم) جهاداً وأقتلهم للأكفاء واشدهم بذلاً لمهجته في الحرب؟ فالقائلون: علياً والزبير وعمر وأبو دجاجة والبراء بن مالك، غير أنهم قد اجمعوا أن لعلي من الأكفاء والأقران ما ليس لأحد منهم. فقلنا: لا أقل من أن نجعله رجلاً من هؤلاء ولا يحتسب بما له من الفضل عليهم وإذا قلنا من كان أعلم اصحاب رسول الله (صلعم)؟ قال

(١) الناشئ الأكبر: مسائل الإمامة ص ٥٦.

قوم: معاذ بن جبل وعمر وعبد الله بن مسعود وعلي. غير انهم اجمعوا ان علياً يُسأل ولا يسأل، فقلنا: لا أقل من أن نجعله كأحدهم في العلم، ولا يحتسب بما جاء من الاخبار في فضله عليهم. وإذا قلنا: من كان ازهدهم في الدنيا؟ قال قوم: أبو ذر أو عمر وسلمان أو أبو الدرداء أو علي، غير انهم اجمعوا: ان علياً ملك رقاب العرب والعجم وبيوت الاموال، فكان إذا أتى المال قسمه في الناس، ولا يدخر شيئاً منه، ثم يكنس بيت المال، ويرشه، ويقول: يا صفراء، ويا بيضاء^(١) غري غري^(٢). وكان يقول إذا قسم الاموال بين الناس^(٣):

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جانٍ يده إلى فيه

فقلنا: لا أقل من أن يكون علي كأحدهم، قالوا: فلما رأينا علياً شارك كل ذي فضل من اصحاب رسول الله (صلعم)، وبان هو بفضائل لم يشركه فيها علمنا انه أفضل الناس بعد النبي (صلعم). فوجب علينا أن نفضله على سائر أصحاب النبي (صلعم)^(٤).

(١) الصفراء (الذهب) أي الدنانير، والبيضاء (الفضة) أي الدراهم.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/٥٣. الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٤٨٠. البلوي: ألف باء ١/٢٢٣. الثعالبي: التمثيل والمحاضرة ص ٣٠. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٣١٤-٣١٥. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١١٠.

(٣) أنشده عمرو بن عدي الذي كان يخرج مع خدم خاله الملك جذيمة الابرش، لاجتناء الكمأة، فكان الآخرون إذا وجدوا كمأة جيدة اكلوها، أما هو فلا، وحين يعود يردد هذا البيت. أنظر: ابن قتيبة: عيون الاخبار ١/٥٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٣١٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١١٤. الميداني: مجمع الامثال ٢/٣٩٧. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٣١٤.

(٤) الناشئ الأكبر: مسائل الإمامة ص ٥٦-٥٧. وانظر الجاحظ: رسالة استحقاق الإمامة ص ١٧٩-

٦٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ويؤكد بشر أن الإمام علياً عليه السلام أشجع وأسخى الصحابة لذلك استحق التفضيل^(١).

وكان بشر بن المعتمر قد ألف كتاباً في الرد على أبي بكر الاصم، حيث يخطئ الأخير الإمام علياً عليه السلام، ولا يرى له امامة أصلاً^(٢).

ثانياً: أبو موسى عيسى بن صبيح ت ٢٢٦ هـ^(٣).

أخذ الاعتزال عن استاذه بشر بن المعتمر، حتى أن آراءه تحاكي آراء استاذه، وتولى رئاسة معتزلة بغداد بعد وفاته، وقد تخرج على يديه الجيل التالي من كبار معتزلة بغداد كجعفر بن حرب^(٤) وجعفر بن مبشر، وقد انتشر الاعتزال البغدادي في ايامه بكثرة، وكان أبو موسى يتميز بالورع والزهد حتى سمي -الناسك- وعرف «براهب المعتزلة» وكان على نسق معتزلة بغداد في القول بأفضلية الإمام علي عليه السلام^(٥).

ثالثاً: جعفر بن مبشر بن احمد بن محمد الثقفي ت ٢٣٤ هـ^(٦)

(١) الشرح ٢٨٨/٣-٢٨٩.

(٢) الراوي: ثورة العقل ص ١٠٦.

(٣) أنظر ترجمته: الخياط: الانتصار ص ٥٣-٥٦، ٥٩، ٧٣-٧٤. البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٧٤.

الملطي: التنبيه ص ٣٨. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٧٧-٢٧٩. البغدادي: الفرق ص ١٠٠-

١٠١. الشهرستاني: الملل ١/٨٨-٨٩. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة: ص ٧٠-٧١. المقرئ:

الخطط ٢/٣٤٦. ابن حجر: لسان الميزان ٤/٣٩٨.

(٤) أنظر ترجمته: البغدادي: الفرق ص ١٠١-١٠٢. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧٣-٧٦. ابن

حجر: لسان الميزان ٢/١١٣.

(٥) الشرح ٧/١.

(٦) أنظر: الخياط: الانتصار ص ٦٣-٤، ٦٧، ٨، ٧٣، ٧٤. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٨٣=.

كان تلميذ أبي موسى مع زميله جعفر بن حرب حتى عرفا بالجعفرين، وكان يرتزق ببيع القصب لذلك عرف بالقصبي، عاش عيشة زهد كأكثر معتزلة بغداد، وكان من القائلين بأفضلية الإمام علي عليه السلام ^(١).

رابعاً: أبو جعفر الاسكافي ^(٢) ت ٢٤٠ هـ:

هو محمد بن عبد الله، عدّه القاضي في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة، درس على يد جعفر بن حرب حتى بلغ مبلغاً من العلم في الاعتزال، وكان من أشهر معتزلة بغداد في الميل إلى تفضيل الإمام علي عليه السلام حيث «يبالغ في ذلك، وكان علوي الرأي، محققاً منصفاً، قليل العصبية» ^(٣).

هذه الرؤية جاءت في كتابه «نقض العثمانية» ^(٤) الذي وضعه رداً على كتاب «العثمانية» للجاحظ، وفيه أثبت الاسكافي أفضلية الإمام علي عليه السلام حيث كان «من المتحقيقين بموالاته علي عليه السلام، والمبالغين في تفضيله، وإن كان القول

= البغدادي: الفرق ص ١٠١-١٠٢. الخطيب: تاريخ بغداد ٧/ ١٦٢. ابن المرتضى: طبقات

المعتزلة ص ٧٦-٧٧. ابن حجر: لسان الميزان ٢/ ١٢١.

(١) الشرح ٧/ ١. وانظر الملطي: التنبيه ص ٣٤.

(٢) أنظر ترجمته: الملطي: التنبيه ص ٣٤٢. الخياط: الانتصار ص ١٩، ٦٨، ٧٤، ٧٦، ١٠٣.

البغدادي الفرق ص ١٠٢-١٠٣. السمعاني: الانساب ١/ ٢٣٤-٢٣٥. ابن الاثير: اللباب

٤٥/ ١. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧٨. المقرئ: الخطط ٢/ ٣٤٦. ابن حجر: لسان

الميزان ٥/ ٢٢١. الراوي: ثورة العقل ص ١٥٥-١٦٧. محمد السيد أبو جعفر الاسكافي: ص ٧

وما بعدها.

(٣) الشرح ١٧/ ١٣٢-١٣٣.

(٤) ورد هذا الكتاب في شرح نهج البلاغة، وقد نشر ملحق بكتاب العثمانية للجاحظ حيث أخذه

المحقق من الشرح. أنظر الجاحظ: العثمانية ص ٢٨١-٣٤٢. وقارن الشرح ٣/ ٢١٥-٢٩٥.

٦٢ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

بالتفضيل عاماً شائعاً في البغداديين من اصحابنا كافة، إلا أن أبا جعفر كان أشدهم في ذلك قولاً وأخلصهم فيه اعتقاداً»^(١).

والمقصود بالأفضل عند الاسكافي «أكرمهم عند الله، وأكثرهم ثواباً وأرفعهم في دار الجزاء منزلة»^(٢).

والطريقة التي استخدمها الاسكافي في التوصل للأفضل هي الموازنة في الاعمال بين الإمام علي عليه السلام وغيره من الصحابة وقد وضع كتاباً باسم المعيار والموازنة^(٣).

قال القاضي: «فإن شيخنا أبو عبد الله (الاسكافي) فإنه يقطع على أن علياً عليه السلام أفضل لأخبار يقطع بصحتها، ثم يذكر مع ذلك موازنة الاعمال، ويبين أن لفضائل امير المؤمنين مزية»^(٤).

ومن جملة الامور التي استدل بها الاسكافي على أفضلية الإمام علي عليه السلام^(٥):

أولاً: حديث الطائر حيث أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم طائر مشوي فقال ﷺ: اللهم ائتني بأحب الخلق إليك ليأكل معي هذا الطائر. فجاء الإمام علي عليه السلام.

وقد استدل الاسكافي على صحة هذا الحديث بطريقتين:

الأول: ان هذه الاخبار كانت مشهورة في الصحابة، ولم يختلفوا في قبولها

(١) الشرح ٦٣/٤.

(٢) الشرح ١٢٠/١١.

(٣) القاضي: المغني ١١٢/٢/٢٠. أبو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة ٩٨/١. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٤.

(٤) القاضي: المغني ١٢٠/٢/٢٠.

(٥) القاضي: المغني ١٢٢/٢/٢٠.

مع وقوع الكلام في التفضيل ولم يقع من احدهم الرد والنكير، ولم يجروه مجرى أخبار الآحاد.

الثاني: ان الإمام علياً عليه السلام أنشد أهل الشورى هذا الخبر مع سائر الفضائل فأقروا به. فدل على صحة الخبر.

ثم اوضح دلالته على أن الإمام علياً عليه السلام أفضل «لأن المحبة إذا اضيفت إلى الله تعالى لم يحتل إلا الفضل في باب الدين فهو مخالفة للمحبة التي تضاف إلى من يجوز خلاف ذلك عليه»^(١).

ثانياً: حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).

قال الاسكافي: «وثبته مثل ثبوت الخبر المتقدم بل اولى، وقد ثبت أنه عليه السلام جمع الناس لإظهار هذا الأمر، فلا بد من أن يفيد فائدة تليق بالحال، ولا بد من

(١) القاضي: المغني ٢٠/٢/١٢٢-١٢٥.

(٢) اخرجه: احمد: المسند ٥/٣٤٧، ٣٦٦. الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ٢٢٠. البلاذري: انساب ١٠٨/٢-١١٢. ابن ماجه: الصحيح ١/٢٦. الترمذي: صحيح ١٢/١٦٥. النسائي: خصائص ص ٦٤. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٣١١. الملطي: التنبيه ص ٢٥. الحاكم: المستدرک ٣/١٠٩، ١١٦، ١١٨، ١١٩. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١٠٩٩. ابن المغازلي: مناقب علي بن أبي طالب ص ١٦-٢٧. البلوي: ألف باء ١/٢٢٣. الخوارزمي: المناقب ص ٧٤-٧٩. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٣١٣. النووي: تهذيب الاسماء ١/١/٣٤٧. محب الدين: الرياض ٢/٢٢٢-٢٢٥. ابن تيمية: منهاج السنة ٣/١٣. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٤-٣٤٥. ابن حجر: الاصابة ٢/٥٠٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٩٦. وقد استعرض عبد الحسين الأميني هذا الحديث ومصادره التاريخية والادبية وآثاره في كتاب أسماه الغدير في أحد عشر جزءاً.

أن يعرف بها، ما لم يكن معروفاً من قبل، وقد ثبت إنه لا يجوز أن يراد به الإمامة على ما قاله بعضهم. وثبت انه لن يرد به استحقاق الولاء على ما روي من ان منافرة وقعت بين علي وزيد بن حارثة في ذلك... فكيف يحمل عليه وقد قال له عمر: اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن. وفي بعض الاخبار هنالك اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة. حتى روي عن جماعة من الأنصار كأبي ايوب وغيرهم أنهم عند ذلك سلموا عليه وقالوا له: يا مولانا، وبطل أن يراد بذلك النص والموالاتة، لأن ذلك كان معروفاً للأمير المؤمنين من قبل، فيجب حمله على أن المراد به أنه يليه في الفضل وأفضلهم عنده، لأن ذلك ما يجوز أن يجمع له الناس لما فيه من التشريف العظيم الذي يبين به من غيره.^(١)

ثالثاً:- قوله عليه السلام لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(٢) قال الاسكافي: «أما أريد به في باب الإمامة، وقد علمنا

(١) القاضي: المغني ٢٠/٢/١٢٥-١٢٦.

(٢) أخرجه: ابن حنبل: المسند ١/٤، ١٧٣/٣٦٨. رسائل الجاحظ السياسية ص ٢٢٠، ٢٣٤-٢٣٩. البخاري: الصحيح ٥/٩٠. البلاذري: انساب ٢/٩٦. ابن ماجه: صحيح ١/٢٥-٢٧. الترمذي: صحيح ١٢/١٧١، ١٧٥. النسائي: خصائص ص ٤٨-٥٠. البيهقي: المحاسن والمساوي ص ٤٤. ابن عبدربه: العقد الفريد ٤/٣١١. الملطي: التنبيه ص ٢٥. الطبراني: المعجم الكبير ١٢/٧٨. الحاكم: المستدرک ٣/١١٧، ١٤٤. ابن حزم: الفصل ٤/١٥٩، ٢٢٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١٠٩٧-١٠٩٨. المغازلي: مناقب ص ٢٧-٣٧. سبط ابن الجوزي: تذكره ص ١٨-٢٠، ٢٣. النووي: تهذيب الاسماء ١/١/٣٤٦. الخوارزمي: المناقب ص ١٩، ٥٩. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٧٣. الرياض ٢/٢١٤-٢١٦. الجويني: فرائد السمطين ص ١١٦، ١٢٢، ١٢٦، ٣١٧، ٣٢٩. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٣٥، ٣٣٩-٣٤٢. الهيتمي: مجمع الزوائد ٩/١٢٠. ابن حجر: الإصابة ٢/٥٠٩. تهذيب التهذيب ٧/٣٣٧ =

خلافه أو في باب أنه خلفه على قومه على ما روي في غزاة تبوك عند كلام المنافقين وأنه أراد أن يزيل الشبهة في أن يبين إنه خلفه على أمر هو أعظم أثراً من إخراجهم معه في الجهاد، أو يراد بذلك في باب المؤازرة والمعاونة على ما كلف وحمل، أو يراد بذلك أن يليه في الفضل وإذا بطل باب الإمامة وجب في ما عداه أن يكون الكل مراداً بالكلام إذ كان يحتمله، لأن جميع ذلك يدخل تحت المنازل»^(١).

رابعاً: -حديث المؤاخاة: آخى الرسول بين الصحابة بعد الهجرة وقال لعلي: أنت أخي^(٢).

هذا الدليل عدّه القاضي من أقوى الأدلة التي استدلل بها القائلون بأفضلية الإمام علي^(عليه السلام)، ومنهم الاسكافي^(٣).

خامساً: ما ورد في القرآن الكريم من آيات تشمل الإمام علياً كقوله تعالى:

=لسان الميزان ٢/٣٢٥. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص١٦٨. الهيثمي: الصواعق ص١١٨-١١٩. تجدر الإشارة إلى أن هناك حديثاً مشابهاً مضمونه «أبو بكر مني بمنزلة هارون من موسى» ولقد اعتبره الذهبي موضوعاً. أنظر ميزان الاعتدال ٣/١٢٢.

(١) القاضي المغني ٢٠/٢/١٢٦.

(٢) الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص٢٢٠. الترمذي: صحيح ١٢/١٧٠. ابن حبيب: المحبر ص٧٠. الحاكم: المستدرک: ٣/١٥-١٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١٠٩٨-١٠٩٩. ابن المغازلي: مناقب ص٣٧-٣٩. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٣١٢. النووي: تهذيب الاسماء ١/١/٣٤٨. محب الدين: الرياض ٢/٢٢٠. الجويني: فرائد السمطين ص١١٦-١٢١. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٣٦. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص١٦٦، ١٧٠، المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧. الهيثمي: الصواعق ص١٢٠.

(٣) القاضي المغني ٢٠/٢/١٢٦-١٢٧.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

وآية المباحلة^(٢)، وقوله تعالى:

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٣).

أشار ابن أبي الحديد إنه وقع بيده كتاب للاسكافي يذكر فيه عقيدته في التفضيل إذ يقول: «ثم وقع بيدي بعد ذلك كتاب لشيخنا أبي جعفر الاسكافي ذكر فيه ان مذهب بشر بن المعتمر، وابي موسى، وجعفر بن مبشر، وسائر قدماء

(١) سورة الاحزاب ٣٣. وانظر: الترمذي: صحيح ٢٠٠/١٢. النسائي: خصائص ص ٤٩. الطبري: جامع البيان ٢٢/٥-٨. البيهقي: المحاسن ص ٨٧. الحاكم: المستدرک ٣/١٥٨-١٦٠. الواحدي: أسباب النزول ص ٢٣٩-٢٤٠. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٠. ابن المغازلي: المناقب ص ٣٠١-٣٠٧. الخوارزمي: المناقب ص ٢٣، ٧٣. الزمخشري: الكشاف ١/٣٦٩. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٧، ٢٣٣. ابن تيمية: منهاج السنة ٢/١٢١.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. سورة آل عمران (٦١). الترمذي: صحيح ١١/١٢٦، ١٧٣. الطبري: جامع ٤/٢٩٩-٣٠١. البيهقي: المحاسن ص ٤٢. الحاكم: المستدرک ٣/١٦٣. الواحدي: أسباب النزول ص ٦٧-٦٨. ابن المغازلي: المناقب ص ٢٦٣. الزمخشري: الكشاف ١/٣٦٨-٣٦٩. النووي: تهذيب ١/١/٣٤٧. محب الدين: الرياض ٢/٢٤٨. ابن كثير: البداية ٧/٣٤٠. ابن حجر: الاصابة ٢/٥٠٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٩. الهيثمي: الصواعق ص ١١٣، ١٤٣، ١٥٥.

(٣) سورة الانسان آية (٨). الواحدي: أسباب النزول ص ٢٩٦. الزمخشري: ربيع الابرار ٢/١٤٧-١٤٨. الكشاف ٤/٦٧٠. الخوارزمي: المناقب ص ١٩٢. محب الدين: الرياض ٢/٢٧٤، ٣٠٢.

البغداديين أن أفضل المسلمين علي بن أبي طالب، ثم ابنه الحسن، ثم ابنه الحسين، ثم حمزة بن عبد المطلب ثم جعفر بن أبي طالب، ثم أبو بكر بن أبي قحافة، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان»^(١).

سادساً: أبو الحسين الخياط^(٢) ت ٣٠٠ هـ

هو عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط، تولى زعامة معتزلة بغداد، وكان قد تصدى لأحد الخارجين على الاعتزال ألا وهو ابن الراوندي^(٣)، فألف ضده كتاب الانتصار.

كان الخياط ممن يقول بتفضيل الإمام علي عليه السلام إذ قال: «الاقتصاد في التشيع حق، وهو ديننا، وهو وضع علي بن أبي طالب حيث وضعه الله»^(٤).

ولما سئل عن أفضل الصحابة قال: «امير المؤمنين علي بن أبي طالب، لأن الخصال التي فضل الناس بها متفرقة في الناس وهي مجتمعة فيه، وعد الفضائل فليل: فما منع الناس من العقد له بالإمامة؟ فقال: هذا باب لا علم لي به إلا بما

(١) الشرح ١١٩/١١.

(٢) أنظر ترجمته: القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٩٦-٢٩٧. البغدادي: الفرق ص ١٠٧-١٠٨. الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ٩٧-٩٨. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٥-٨٨. ابن حجر: لسان الميزان ٤/ ٨-٩.

(٣) أبو الحسين احمد بن يحيى اسحق الراوندي، عدّ من الطبقة الثامنة للمعتزلة ثم خرج عليهم وألف كتاب فضيحة المعتزلة رد به على كتاب فضيلة المعتزلة للجاحظ، فرد عليه الخياط بكتاب الانتصار. الخياط: الانتصار ص ١١، ٧٨، ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٩٢. الخوانساري: روضات الجنات ١/ ١٩٣-١٩٥.

(٤) الانتصار: ص ١١٢.

فعل الناس وتسليمه الأمر على ما امضاه عليه الصحابة لأنني لما وجدت الناس قد عملوا ولم أراه أنكر ذلك ولا خالف علمت صحة ما فعلوا»^(١).

يمكن القول ان جواب الخياط يثير الاستغراب، إذ إن ما توصل إليه من أفضلية الإمام علي عليه السلام على سائر الأمة لم يتأت له إلا بعد استقراء لمصادر الصدر الأول للأسلام، ومن خلال هذا الاستقراء قطع الخياط بلا نقاش بأفضلية الإمام علي عليه السلام، ولكن العجب كيف لم يجد جوابا عن سبب عدم عقد الإمامة للإمام علي عليه السلام. والحال ان المصادر واحدة فمن خلالها يتم إثبات أفضلية الإمام علي عليه السلام وأيضا يجد فيها الجواب على سبب عدم عقد الإمامة له؟! والأشد غرابة قوله إن الامام لم ينكر ولم يخالف؟! إذ كيف يخفى ذلك على مثل الخياط!!

وعقب باحث معاصر على موقف الخياط هذا قائلاً: (وفي ظل هذا التفسير يسقط الخياط كل الدعوات المتطرفة التي حاول اصحابها خلق ثغرة مذهبية ضيقة في صفوف المسلمين أو إحداث الانشقاق داخل المجتمع العربي الاسلامي تحت ستار من الشعارات المحرّضة.. وبهذا التفسير أيضاً يثبت أبو الحسين عقلائية الاتجاه الثوري وحيويته الذي يتجه بحركته الواعية إلى ما هو موجود وإلى ما ينبغي أن يكون بدراية نقدية تلتقط وتبوّب، تحلّل وتركّب وتستخلص نتائج تجربتها الفكرية داخل التاريخ وفي عمق حركته، لتتنفي فيما بعد كل الاتجاهات المذهبية والعنصرية المريضة، التي لم تستطع أن تنفذ إلى الحياة الاجتماعية فعاشت متطفلة على محيطها)^(٢).

(١) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٦.

(٢) الراوي: ثورة العقل ص ١٨٠-١٨١.

ويلاحظ ان الباحث أعلاه قد ذهب بعيدا فالسائل كان وجيهاً في سؤاله!! إذ مادام الإمام علي هو أفضل الصحابة بنظر الخياط فلماذا لم يعقدوا له الإمامة!! وقد يكون السائل من المعتزلة اصحاب الخياط الذي اشاد به الباحث. ولم يتضح من سؤال السائل وجواب الخياط ما هول له هذا الباحث!!؟

سابعا: أبو القاسم الكعبي ت ٣١٩ هـ (١):

عبد الله بن احمد بن محمود البلخي، ولد في بلخ ثم انتقل إلى بغداد ودرس على يد الخياط حتى أصبح من المتحمسين لآراء معتزلة بغداد والمدافعين عنها وكان له دور في إسلام كثير من أهل خراسان.

يرى الكعبي ان مسألة وجوب نصب الإمام عقلية وليست سمعية أي حتى لو لم ينص على نصب إمام فإنه يجب على المسلمين أن ينصّبوا إماما لأن مصلحة المسلمين الدينية تقتضي ذلك (٢).

اما في التفضيل فيذهب إلى أن الإمام علياً عليه السلام (لو نازع عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسل سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنه مالك الأمر وصاحب الخلافة إذا طلبها،

(١) أنظر ترجمته: الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص ٢٧١. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٩٧. البغدادي: الفرق ص ١٠٨-١١٠. الخطيب: تاريخ بغداد ٣٨٤/٩، ابن الجوزي: المنتظم ٢٣٨/٦، ابن خلكان: وفيات الاعيان ٤٥/٣. الذهبي: العبر ٤/٢، ابن كثير: البداية ١١/١٦٤، المقرئ: الخطط ٣٤٨/٢، ابن حجر: لسان الميزان ٢٥٥/٣-٢٥٦. ابن قطلوبغا: تاج التراجم ص ٣١. القرشي: الجواهر المضية ١/٢٧١، المشهداني: فلسفة أبو القاسم الكعبي: رسالة دكتوراه غير منشورة.

(٢) القاضي: شرح الاصول الخمسة ص ٧٥٨-٧٥٩.

٧٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من اغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله ﷺ، لأنه قد ثبت عنه في الاخبار الصحيحة انه قال: علي مع الحق، والحق مع علي يدور حيثما دار^(١)، وقال غير مرة: حربك حربي، وسلمك سلمتي^(٢) (٣).

ان القول بالتفضيل لدى معتزلة بغداد نجده قد سرى فيما بعد إلى متأخري معتزلة البصرة فممن قال بالتفضيل منهم:

أولاً: أبو علي الجبائي (٢٣٥-٣٠٣هـ) (٤)

(١) أخرجه الترمذي: صحيح ١٦٦/١٢. الحاكم: المستدرک ٣/١١٩، ١٢٤، ١٣٥. ابن الطيب: المعتمد ٢/٩٤٥-٩٤٦. الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٣٢١. الخوارزمي: المناقب ص ٥٦-٥٧. الزمخشري: ربيع الأبرار ١/٨٢٨. الجويني: فرائد السمطين ١/١٧٧. الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٣٦/٧.

(٢) ابن حنبل: المسند ٢/٤٤٢. الطبراني: المعجم الكبير ٣/٤٠. الحاكم: المستدرک ٣/١٦١. الخطيب: تاريخ بغداد ٧/١٣٧. ابن المغازلي: مناقب ص ٦٣-٦٤. الخوارزمي: المناقب ص ٧٦-٩١. محب الدين: الرياض النظرة ٢/٢٤٩. ابن تيمية: منهاج السنة ٢/٢٣١. ابن كثير: البداية والنهاية ٨/٣٦. ابن حجر: الصواعق ص ١٤٢.

(٣) الشرح: ٢/٢٩٦-٢٩٧.

(٤) أنظر ترجمته: المطي: التنبيه ص ٣٩-٤٠. ابن النديم: الفهرست ص ٦ (تراجم ملحقة بآخر الكتاب). الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص ٢٠٨-٢٠٩. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٨٧-٢٩٦. البغدادي: الفرق ص ١١٠-١١١. الشهرستاني: الملل والنحل ١/٩٨-١٠٨. السمعاني: الانساب ٣/١٨٧. ابن الاثير: اللباب: ١/٢٠٨. ابن خلكان: وفيات ٤/٢٦٧-٢٦٩. الصفدي: الوافي ٤/٧٤-٧٥. ابن كثير: البداية ١١/١٢٥. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٩٤-٩٦. المقرئ: الخطط ٢/٣٤٨. ابن حجر: لسان الميزان ٥/٢٧١.

محمد بن عبد الوهاب ولد في جبا^(١)، ثم رحل إلى البصرة والتقى بأبي يعقوب الشحام^(٢) الذي انتهت إليه رئاسة معتزلة البصرة، وبعد وفاة الشحام ترأس الجبائي معتزلة البصرة وبغداد، وقد عرف بغزارة إنتاجه العلمي سواء في التفسير أو الفقه أو الكلام، وقد عدّه القاضي في الطبقة الثامنة من طبقات المعتزلة.

كان في البدء متوقفاً في تحديد الأفضل وهذا يتضح مما جاء به القاضي^(٣)، وإن (كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به، وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته، وقال في كثير من تصانيفه: إن صح خبر الطائر فعلي أفضل، ثم أن قاضي القضاة رحمه الله ذكر في شرح المقالات^(٤) لأبي القاسم البلخي، إن أبا علي رحمه الله ما مات حتى قال بتفضيل علي عليه السلام وقال: إنه نقل ذلك عنه سماعاً ولم يوجد في شيء من مصنفاته وقال أيضاً: إن أبا علي رحمه الله يوم مات استدنى ابنه أبا هاشم إليه، وكان قد ضعف عن رفع الصوت، فألقى إليه أشياء من جملتها القول بتفضيل علي عليه السلام^(٥).

(١) تقع جنوبي خوزستان. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٩٧/٢.

(٢) يوسف بن عبد الله أحد معتزلة البصرة، توفي سنة ٢٦٧هـ، أنظر الملطي: التنبيه ص ٣٩. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٨٠-٢٨١. البغدادي: الفرق ص ١٠٧. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧١-٧٢.

(٣) المغني ٢٠/٢، ١١٤، ١١٧-٨، ١٢٥، ١٣٣.

(٤) ألفه سنة ٢٧٩هـ، وطرح فيه وجهة نظر الاعتزال، أنظر ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٩، حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/١٧٨٢.

(٥) الشرح: ١/٧-٨.

٧٢ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وقال القاضي: إن البعض لجهلهم بأبي علي الجبائي يرمونه بالنصب (وكيف وقد نقض كتاب عبّاد^(١) في تفضيل أبي بكر ولم ينقض كتاب الاسكافي المسمى المعيار والموازنة، في تفضيل علي على أبي بكر)^(٢).

ثانياً: الشيخ المرشد أبو عبد الله الحسين بن علي البصري^(٣) ت ٣٦٧هـ:

من فقهاء ومتكلمي مدرسة معتزلة البصرة وهو من تلامذة أبي هاشم الجبائي، وعده القاضي في الطبقة العاشرة من طبقات المعتزلة، وكان يميل إلى الإمام علي عليه السلام ميلاً عظيماً، وصنف كتاب التفضيل وأحسن فيه غاية الاحسان^(٤). قال ابن أبي الحديد: كان متحققاً بتفضيله ومبالغاً في ذلك، وصنف فيه كتاباً مفرداً^(٥).

ولما سُئِلَ: أتجد في النصوص ما يدل على تفضيل علي عليه السلام، بمعنى كثرة الثواب لا بمعنى كثرة مناقبه، فإن ذلك أمر مفروغ منه؟ فذكر حديث الطائر

(١) عبّاد بن سليمان من تلامذة هشام الفوطي، وله كتاب الابواب الذي نقضه أبو هاشم الجبائي وكتاب تفضيل أبي بكر وردّ عليه الجبائي أيضاً. المطي: التنبيه والرد ص ٣٩. ابن النديم: الفهرست ص ٢٤٧، ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧٧-٧٨، ٨٤، ١٠١. ابن حجر: لسان الميزان ٣/٢٢٩-٢٣٠.

(٢) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٤.

(٣) أنظر ترجمته: ابن النديم: الفهرست ص ٢٤٨. القاضي: فضل الاعتزال ص ٣٢٥-٣٢٨. أبو حيان: الامتاع والمؤانسة ١/١٤٠. ابن الجوزي: المنتظم ٧/١٠١. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١٠٥-١٠٧. ابن حجر: لسان الميزان ٢/٣٠٣. اللكنوي: الفوائد البهية ص ٦٧.

الداوودي: طبقات المفسرين ١/١٥٩.

(٤) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١٠٧.

(٥) الشرح: ١/٨.

المشوي، إذ ان المحبة من الله إرادة الثواب، فقيل له: قد سبقك الشيخ أبو علي رحمه الله تعالى إلى هذا فهل تجد غير ذلك؟ فقال: نعم! قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُوصًا﴾^(١).

فإذا كان أصل المحبة لمن ثبت كثبوت البنيان المرصوص فكل من زاد ثباته زادت المحبة له، ومعلوم أن علياً عليه السلام ما فرّ في زحف قط، وفرّ غيره في غير موطن^(٢).

ثالثاً: قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني^(٣) ت ٤١٥ هـ:

«وهو الذي فتق علم الكلام، وتكلم في دقيقه وجليله، وإليه انتهت رئاسة المعتزلة وصار المعتمد على كتبه ومسائله»^(٤).

ومن خلال ما جاء في كتاب المغني يتضح انه كان متوقفاً^(٥) ويقول مانكديم تلميذ القاضي (وقد كان قاضي القضاة يتوقف في الأفضل من هؤلاء

(١) سورة الصف آية ٤.

(٢) الشرح: ٣/٢٦٤.

(٣) أنظر ترجمته: الجشمي: الطبقتان الحادية عشرة والثانية عشرة من كتاب سرح العيون ص ٣٦٥-

٣٧٥. الذهبي: العبر ٢/٢٢٩. اليافعي: مرآة الجنان ٣/٢٩. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة

ص ١١٢-١١٣. ابن حجر: لسان الميزان ٣/٣٨٦-٣٨٧. الداودي: طبقات المفسرين

١/٢٦٢-٢٦٣. بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/٣٨٠-٤٨٤. عثمان: قاضي القضاة عبد الجبار

ابن أحمد الهمداني ص ١١، وما بعدها. الراوي: القاضي عبد الجبار ص ٢٨-٦٠، البطاط: قاضي

القضاة ص ١٢-١٧٦.

(٤) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١١٢-١١٣.

(٥) المغني: ٢/٢٠-١١٢-١٤٤.

٧٤ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الاربعة كالشيخين إلى أن شرح هذا الكتاب (شرح الاصول الخمسة) فقطع على أن أفضل الصحابة امير المؤمنين علي عليه السلام^(١).

وقال ابن أبي الحديد: (ذكر ابن متويه في كتاب الكفاية^(٢) في علم الكلام إنه كان من المتوقفين بين علي عليه السلام وابي بكر ثم قطع على تفضيل علي عليه السلام بكامل المنزلة)^(٣).

رابعاً: ابن متويه:

هو أبو محمد الحسن بن احمد بن متويه^(٤) ت ٤٦٩ هـ من معتزلة البصرة، تتلمذ على يد القاضي عبد الجبار وله عدة مؤلفات في الكلام، أكد في كتابه الكفاية على تفضيل الإمام علي عليه السلام (واحتج لذلك وأطال في الاحتجاج)^(٥).

خامساً: ابن أبي الحديد

يؤكد ابن أبي الحديد ان اعتقاده كاعتقاد سائر معتزلة بغداد في إثبات أفضلية الإمام علي عليه السلام ويقول: (وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل؟ وهل المراد به الأكثر ثواباً أم الأجمع لمزايا الفضل والخصال الحميدة؟ ويينا أنه عليه السلام أفضل على التفسيرين معا)^(٦).

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٧٦٧.

(٢) من الكتب المفقودة حيث لم يشر إليه حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٤٩٦- ١٥٠٢. ولا صالحه: المعجم الشامل ٥/ ٢٤.

(٣) الشرح: ٨/ ١.

(٤) أنظر ترجمته: الجشمي: الطبقتان ص ٣٨٩. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١١٩، صبحي: في علم الكلام ١/ ٢٧٢.

(٥) الشرح: ٨/ ١.

(٦) الشرح: ٩/ ١.

والملاحظ ان ابن أبي الحديد افتتح شرحه لنهج البلاغة بالحديث عن القول في التفضيل^(١)، وأخذ يؤكد على هذه المسألة في ثنايا كتابه كلما سنحت الفرصة محاولاً إثبات صحة ما يذهب إليه معتزلة بغداد في القول بالتفضيل وقد كان هذا الإجماع من معتزلة بغداد وكثير من معتزلة البصرة مثار إعجابه وسروره فعد ذلك أعدل المذاهب^(٢) حيث يقول: (فأعجبني هذا المذهب وسررت به بأن ذهب الكثير من شيوخوا إليه، ونظمته في الأرجوزة التي شرحت بها عقيدة المعتزلة فقلت^(٣)):

وخيّر خلق الله بعد المصطفى	وخيّر خلق الله بعد المصطفى
أعظمهم يومَ الفخارِ شرفاً	بعلُ البتولِ المرتضى علي
ثم عتيقٌ بعدهم لا ينكرُ	وابناه ثم حمزةٌ وجعفرُ
فاروقٌ دينِ الله ذاكَ القسورُ	المخلصُ الصديقُ ثم عمرُ
هذا هو الحقُّ بغيرِ مين	وبعدَهُ عثمانُ ذو النورينِ

وأكد ابن أبي الحديد ان القول بتفضيل الإمام علي عليه السلام كان معروفا لدى البعض من كبار الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمّار بن ياسر والمقداد^(٤) وأبو ذر الغفاري وسلمان المحمدي وجابر بن عبد الله الانصاري^(٥) وأبي بن

(١) الشرح: ١/٧-٩.

(٢) الشرح: ٢/٢٩٧.

(٣) الشرح: ١١/١٢٠.

(٤) هو المقداد بن عمرو الكندي، هاجر متخفياً بعد الهجرة ونال حظوة لدى الرسول ﷺ، توفي سنة

٣٣هـ. الطبري: المنتخب ص ٥٠٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٤٨٠-١٤٨٢.

(٥) لم يشهد بدرًا لأنه صغير وشهد سائر المشاهد واشترك في صفين مع الإمام علي عليه السلام، توفي سنة

٧٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

كعب^(١) وحذيفة بن اليمان^(٢) وبريده بن الحصيب الاسلامي^(٣) وأبو ايوب
الانصاري^(٤) وسهل بن حنيف^(٥) وعثمان بن حنيف^(٦) وأبو الهيثم بن
التيهان^(٧)

٧٤هـ. الطبري: المنتخب ص ٥٢٦. الكشي: رجال ص ٤٢-٤٥. ابن عبد البر: الاستيعاب
٢٢٠/١.

(١) انصاري شهد العقبة الثانية وهو من قراء الصحابة مات في خلافة عمر أو عثمان بن سعد: الطبقات
٣٤٠/٢-٣٤١. مسلم: الصحيح ١٦/١٩. الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ١٢. ابن النديم:
الفهرست ص ٤٠-٤١. ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٦٥-٦٧. الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/٣٢.
(٢) كان يسمى صاحب سر المنافقين، وهو أحد الأنصار مات سنة ٣٦هـ. الطبري: المنتخب
ص ٥٧٣. الكشي: رجال ص ٣٧-٣٨. الحاكم: المستدرک ٣/٤٢٧-٤٢٨. ابن عبد البر:
الاستيعاب ١/٣٣٤-٣٣٥.

(٣) انصاري شهد الحديبية وبيعة الرضوان مات أيام يزيد بن معاوية بمرو، ابن عبد البر: الاستيعاب
١٨٥-١٨٦/١.

(٤) خالد بن يزيد انصاري شهد سائر مشاهد الرسول ﷺ وصفين والنهروان مع الإمام علي عليه السلام
ومات على حدود بيزنطة أيام معاوية. الطبري: المنتخب ص ٥١٥. البيهقي: المحاسن والمساوي
ص ١٣٦-١٣٧. الحاكم: المستدرک ٣/٥١٨-٥٢٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٦٦-١٦٧.
(٥) انصاري من الأوس شهد مشاهد الرسول ﷺ واستخلفه الإمام علي عليه السلام على المدينة أيام خلافته توفي
سنة ٣٨هـ بالكوفة. رسائل الجاحظ السياسية: ص ٢٤٠. الطبري: المنتخب ص ٥١٢. الحاكم:
المستدرک ٣/٤٦١-٤٦٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/١٦٢-١٦٣.

(٦) أخو سهل بن حنيف تولى مهمة مسح السواد للخليفة عمر بن الخطاب وتولى البصرة للإمام
علي عليه السلام. الطبري: المنتخب: ص ٥٣٥. الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ١٥٦. ابن عبد
البر: الاستيعاب ٣/١٠٣٣.

(٧) مالك بن التيهان انصاري من الأوس أحد النقباء ليلة العقبة وممن شهد بدرًا وشهد صفين
مع الإمام علي عليه السلام وقتل فيها، الحاكم: المستدرک ٣/٣٢٣-٣٢٤. ابن عبد البر: الاستيعاب

..... وخزيمة بن ثابت^(١) وأبو الطفيل عامر بن
 وائلة^(٢) والعباس بن عبد المطلب وبنوه وبنو هاشم كافة، وبنو المطلب كافة بل
 حتى الزبير بن العوام كان أولاً من القائلين بالترفضيل ثم رجع عنه، وكان من
 الأسرة الأموية من يقول بالترفضيل مثل خالد بن سعيد بن العاص^(٣) وعمر بن
 عبد العزيز^(٤).

أمّا من التابعين فمن قال بأفضلية الإمام علي عليه السلام ذكر ابن أبي الحديد منهم،
 أويسا القرني^(٥). وزيد بن صوحان^(٦).....

١٧٧٣/٤. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٤٦٢-٤٦٣.

(١) انصاري عرف بذي الشهادتين شهد مشاهد الرسول ﷺ وقتل بصفين مع الإمام علي عليه السلام، الشرح:
 ١٠٨/١-١٠٩. الطبري: المنتخب ص ٥١١، ٥٧٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٤٤٨، ابن
 الجوزي: صفة الصفوة ١/٧٠٢.

(٢) أسلم يوم أحد وكان آخر من بقي من الصحابة ممن رأى النبي ﷺ شهد مشاهد الإمام علي عليه السلام،
 توفي سنة ١٠٠هـ: ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٦٩٦-١٦٩٧.

(٣) أسلم منذ بواكير الدعوة الإسلامية وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وولاه الرسول ﷺ اليمن،
 وكان ممن دعا لبيعة الإمام علي عليه السلام، الشرح: ٦/٣١-٣٣. رسائل الجاحظ السياسية: ص ٢٥٢-
 ٢٥٣. الحاكم: المستدرک ٣/٢٧٧-٢٨٠.

(٤) الشرح: ٢٠/٢٢٢-٢٢٥.

(٥) أويس بن عامر، تابعي شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام ويرجح البعض انه قتل فيها. ابن سعد:
 الطبقات ٧/١٣٢. مسلم: الصحيح: ١٦/٩٤. الطبري: المنتخب ص ٦٢٧-٦٢٨. الحاكم:
 المستدرک ٣/٤٥٥-٤٦١. أبو نعيم: حلية الاولياء ٢/٧٩-٨٧.

(٦) أسلم على عهد النبي ﷺ وشارك مع الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل وقتل فيها، الكشي: رجال
 ص ٦٣-٦٤. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨/٤٣٩-٤٤٠. ابن عبد البر: الاستيعاب
 ٢/٥٥٧-٥٥٥.

٧٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

..... وأخاه صعصعة بن صوحان^(١) وجندب الخير^(٢) وعبيدة
السلmani^(٣) وغيرهم^(٤).

وأضاف ابن أبي الحديد: (ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا
لمن قال بتفضيله ولم تكن مقالة الإمامية ... على هذا النحو من الاشتهار فكان
القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة، وجميع ما ورد من الآثار والأخبار في
فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنة^(٥)، فهؤلاء هم المعنيون به دون غيرهم،
ولذلك قال أصحابنا المعتزلة في كتبهم وتصانيفهم: نحن الشيعة حقاً، فهذا
القول هو اقرب إلى السلامة وأشبه بالحق من القولين المقتسمين طرفي الافراط
والتفريط إن شاء الله)^(٦).

ان المعتزلة بقولها بالتفضيل لا على اساس النص كما تعتقد الإمامية وإنما

(١) كان من سادات عبد القيس معروفاً بالفضل والدين والبلاغة، ويعد من أصحاب الإمام
علي عليه السلام حيث شارك معه في صفين، ثم نفاه المغيرة إلى البحرين في خلافة معاوية. الكشي: رجال
ص ٦٤-٦٥. ابن عبد البر: الاستيعاب ٧١٧/٢. ابن حجر: الاصابة ٢/٢٠٠. المرصفي: رغبة
الآمل ٧/١٣٨.

(٢) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي له صحبة، أخذ عنه الحسن البصري وابن سيرين، ابن عبد
البر: الاستيعاب ٢/٢٥٦-٢٥٧، ابن حجر: الاصابة ١/٢٤٨-٢٤٩.

(٣) عبيدة بن عمرو السلmani أسلم أيام النبي ﷺ وعد من أصحاب ابن مسعود الفقهاء، ومن
أصحاب الإمام علي عليه السلام ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١٠٢٣.

(٤) الشرح: ٢٠/٢٢٦.

(٥) أنظر مثلاً: سبط بن الجوزي: تذكرة ص ٥٤.

(٦) الشرح: ٢٠/٢٢٦، وانظر الملطي: التنبيه ص ٣٥.

على أساس أفضلية الإمام ذاته لكثرة فضائله ومناقبه^(١)، ومع القول بأفضلية الامام لكن المعتزلة تحكم بصحة خلافة المفصول، فكل من سبق الإمام علياً عليه السلام بالخلافة فخلافته صحيحة بلحاظ موقف الإمام علي عليه السلام، فلو نازع الإمام علي عليه السلام لحكم بتفسيق المنازع له ما لم يتب فإذا ثبتت توبته يحكم المعتزلة له بالجنة، وإذا لم تثبت يحكمون له بالنار^(٢).

وفي الفصول التالية نستعرض رؤية معتزلة بغداد في تفضيل الإمام علي عليه السلام بإسهاب.

(١) الشرح: ١/١٥٧، ٩/٣٠٥، ٣٠٧، ١٠/٢٥٤. إن الإمامية بقولها بأفضلية الإمام علي عليه السلام تعتمد على النص مضافاً إلى فضائل الإمام علي عليه السلام التي فاق بها الآخرين، اما المعتزلة فتنفي النص وتعتمد على الفضائل فقط. أنظر: العلامة الحلي: الألفين في إمامة أمير المؤمنين ص ١١ وما بعدها. كشف المراد ص ٧ وما بعدها.

(٢) الشرح: ١/١٥٧، ٢/٢٩٦-٢٩٧، ٩/٣٢٨، ١٠/٢٥٥، ٢٠/٢٢١-٢٢٢.

الفصل الأول

عراقية النسب

الفصل الأول عراقة النسب

كان أمير المؤمنين عليه السلام في مصاص الشرف ومعدنه ومعانيه لا يشك عدو ولا صديق انه أشرف خلق الله نسبا بعد ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١). فهو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ^(٢)، ينتمي إلى قبيلة قريش ^(٣) اصرح القبائل العربية، والتي نزل القرآن بلهجتها ^(٤)، وهو من أعرق بطونها وأشرفها- بني هاشم- ^(٥).

(١) ابن أبي الحديد: الشرح ٥١ / ١.

(٢) لا يكاد يخلو مصدر من مصادرنا الاولية أيا كان نوعها من إشارة إلى سيرة الإمام علي عليه السلام إلا ما ندر، لذا لا نجد مسوغاً للإشارة لمصادر ترجمته، ومن إراد فعلية بهذا الكتاب الذي حاولنا الأمام قدر الامكان بعدد من مصادر ترجمته.

(٣) عن قبيلة قريش أنظر: الجميلي: قبيلة قريش ص ٥ وما بعدها.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ١٠٤١. هاشم يحيى الملاح: الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٣٠٤.

(٥) ان اعداد رسالة جامعية اكااديمية حول قبيلة بني هاشم سيعطي صورة اوضح ليس على نطاق مكة فحسب بل مجمل الجزيرة العربية، والعالم القديم يومذاك، لذا يلفت الباحث نظر الباحثين الكرام لدراسات كهذه.

ولهاشم^(١) بن عبد مناف تاريخ معروف وحافل بالأجداد، كان اسمه أولاً عمراً، ولقب بالقمر لجماله، ولما أصابت قريش ضائقة اقتصادية أخذ يهشم لهم الخبز ثريداً، فلقب بهاشم وغلب هذا اللقب عليه ومن أشهر أعماله (الايلاف)، حيث كان هاشم كثير السفر والتجارة، ففي الشتاء يتجه إلى اليمن وفي الصيف إلى بلاد الشام، وشاركه في تجارته زعماء القبائل العربية، وأخذ عهوداً من ملوك الأطراف، فكانت تجارته تدر الربح الوفير، بعد أن تمكن بوساطة هذه العهود من حماية تجارته من مخاطر الطريق، لذلك ازدهرت تجارة قريش حتى قال فيه الحارث بن حنش السلمي^(٢):

إن اخي هاشماً
ليس أخا واحداً
الآخذ الايلاف و
القائم للقاعد

ولهذا فسر البعض قوله تعالى:

﴿وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٣).

أي ان تجارتهم أصبحت آمنة من مخاوف الطريق^(٤).

(١) عقد ابن أبي الحديد فصلاً أوضح فيه أفضلية بني هاشم قبل الإسلام وبعده، مبرزاً أهم الانجازات التي تحققت على يد رجالهم. شرح نهج البلاغة ١٥/١٩٨-٢٩٥. وانظر: الجاحظ: رسالة فضل هاشم على عبد شمس ضمن رسائل الجاحظ السياسية ص ٤٠٧-٦٠. وكذلك رسالة الاوطان والبلدان ص ١٠٦-١١٠.

(٢) هو أخو هاشم وعبد شمس والمطلب أبناء عبد مناف من أمهم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح ابن ذكوان بن سليم. ينظر: ابن حبيب: المنطق ص ٤٣. البلاذري: أنساب الأشراف ١/٥٩.

(٣) سورة قريش، آية ٤، أنظر الزمخشري: الكشاف ٤/٨٠١.

(٤) الشرح ٥/١٩٩-٢٠٣. وانظر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق السندوي ص ٦٨-٧١=.

وتولى هاشم الرئاسة والسقاية والرفادة^(١) بعد أبيه من دون إخوته، فازدادت مكانة مكة في زمانه حيث كانت موردا لجموع الحجاج من ارجاء الجزيرة العربية، لذا دعا هاشم أهل مكة إلى ضرورة الاهتمام بموسم الحج من حيث توفير الامن والطعام والشراب، والظرف اللازم لتأدية مناسك الحج فكان لذلك أثره في ازدهار مكانة مكة في داخل الجزيرة العربية وخارجها^(٢).

ان توفير الطعام في بيئة فقيرة يعد من اكبر الفضائل التي يمدح صاحبها، وبسببها ينال الاحترام، والمؤاكلة تعد جواراً عند العرب، فإطعام قريش لقبائل العرب يعني إنها تنال احترام القبائل العربية لها وعقداً للجوار من هذه القبائل لذا أصبحت قريش آمنة عند سيرها في اراضيها^(٣).

ومن مآثر هاشم بن عبد مناف انه خلفه في الزعامة ولدٌ يحمل سيماه ألا وهو عبد المطلب، واسمه شيبه الحمد، وسيد الوادي بلا مدافع، أجمل الناس جمالا، وأظهرهم جودا، وأكملهم كمالاً، وهو صاحب الفيل، والطير الأبايل، وصاحب زمزم، وساقى الحجيج وقد أعطاه الله في زمانه وأجرى على يديه، وأظهر من كرامته ما لا يعرف إلا لنبيّ مرسل، وهذا ما نجده في كلامه لأبرهة وتوعدّه إياه برب الكعبة وفعلاً تحقق وعيده بقتل أصحاب الفيل بالطير الأبايل والحجارة السجيل حتى تُركوا كالعصف المأكول^(٤).

=الطبري: تاريخ ٢/ ٢٥١-٢٥٢. أبو هلال العسكري: الاوائل ص ٢١-٢٢.

(١) الرفادة: توفير الطعام للحجيج، وأول من أوجده قصي. أنظر الطبري: تاريخ ٢/ ٢٦٠.

(٢) الشرح ١٥/ ٢٠٩-٢١٣. وانظر اليعقوبي: تاريخ ١/ ٢١٢-٢١٤. الطبري: تاريخ ٢/ ٢٥٢-٢٥٤.

(٣) الملاح: الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٣٨٢.

(٤) إشارة لما جاء في سورة الفيل.

وهذا من أعجب البراهين وأسنى الكرامات وقد يكون ذلك ارهاصاً للنبوة وتأسياً لما اراده الله من الكرامة وليجعل بهاء عبد المطلب متقدماً وإشارة لنبوة النبي ﷺ حتى يكون أشهر في الآفاق وأجل في صدور الفراعنة والجبابرة والأكاسرة، وأن يقهر المعاند ويكشف غباوة الجاهل^(١).

يقول الجاحظ: (ولو عزلنا ما أكرمه الله به من النبوة حتى نقتصر على اخلاقه ومذاهبه وشيمه، لما وفي به بشر ولا عدّ له شيء، ولو شئنا أن نذكر ما أعطى الله به عبد المطلب من تفجر العيون وينابيع الماء من تحت كل كل بعيره^(٢)، واخفافه بالأرض القسي، وبما أعطى من المساهمة وعند المقارعة من الأمور العجيبة)^(٣). إن أشهر ما وقع في عهد عبد المطلب هو ما عرف بحملة الفيل^(٤)، تلك الحملة التي قادها أبرهة الحبشي في محاولة منه لهدم الكعبة وصرف العرب عن الحج إليها، ومن ثمّ دفعهم إلى التوجه نحو كنيسة بناها في اليمن اسمها

(١) الشرح ١٥/٢٠٠-٢٠١. وانظر الجاحظ: رسالة في فضل بني هاشم على بني عبد شمس، ص ٤١١-٤١٢. أبو الفرج: الاغانى ١/١٥، الشهرستاني: الملل والنحل ٣/٢٢٣-٢٢٤. وأوضح السيوطي أن عبد المطلب كانت لديه دلائل على ان محمداً نبي مرسل: الخصائص الكبرى ١/٢٠١-٢٠٤.

(٢) إشارة لقصة زمزم ومنافرة قريش له. الشرح ١٥/٢١٥-٢١٧، ٢٢٨، ٢٢٩. وانظر ابن اسحق: السير والمغازي ص ٢٥، ابن هشام: السيرة ١/١٥٢-١٥٣. الأزرقى: اخبار مكة ٢/٤٢-٤٨. ابن حبيب: المنقح ص ٤١٣-٤١٦. اليعقوبي: التاريخ ١/٢١٦-٢٢٠.

(٣) الشرح ١٥/٢٠١-٢٠٢. وانظر الجاحظ: رسالة في فضل بني هاشم على بني عبد شمس، ص ٤١٢.

(٤) أنظر: خالد العسلي: عام الفيل صورة من الصراع العربي الحبشي، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، بغداد، ٢٠٠٢، ١٩٨٢، ص ١٧١-١٩٢.

(القليس) في محاولة منه لنشر النصرانية.

وقد أفادت المصادر ان مكانة عبد المطلب ازدادت لدى العرب بعد هذه الحملة، وفي ذلك دلالة على أن ما قام به عبد المطلب له أثر في فشل حملة أبرهة، فلا يصح أن يقال إن عبد المطلب دعا قريشا للذهاب إلى قمم الجبال حتى لا تصيهم معرة الجيش، وإنه اكتفى بالمطالبة بإبله التي أخذها جيش أبرهة، أما عن مصير الكعبة فاكتفى عبد المطلب بالقول: أنا رب الأبل، وللبيت رب يحميه (١).

إن موقفا سلبيا كهذا لا يمكن أن يصدر من زعيم مكة إزاء الكعبة التي هي عماد حياة مكة على مختلف الأصعدة، فمكة ما وجدت ولا قامت فيها الحياة إلاّ ببناء الكعبة المشرفة، ومكانة مكة السياسية والاقتصادية والدينية كلها متعلقة بالكعبة، إذا فهل يمكن أن نتصور أن عبد المطلب يترك أمر الكعبة كهذه برؤية (إن للبيت رباً يحميه). وإذا كان كذلك فلماذا اعظمت العرب عبد المطلب بعد هذه الحملة؟!؟

والأصح هو ما أشار إليه اليعقوبي (٢) بقوله: (لما قدم أبرهة ملك الحبشة صاحب الفيل مكة ليهدم الكعبة، فتهاربت قريش في رؤوس الجبال، فقال عبد المطلب: لو اجتمعنا فدفعنا هذا الجيش عن بيت الله. فقالت قريش: لا بد لنا به. فأقام عبد المطلب في الحرم وقال: لا أبرح من حرم الله ولا أعوذ بغير الله فأخذ أصحاب أبرهة إبلاً لعبد المطلب وصار عبد المطلب إلى أبرهة فلما استاذن عليه،

(١) أنظر تفاصيل ذلك: الأزرقى: اخبار مكة ١/ ١٤١-٧، ٢/ ٤٢-٤٩. الطبري: تاريخ ٢/ ١٣٠-

قيل له: قد أتاك سيد العرب وعظيم قريش وشريف الناس. فلما دخل عليه أعظمه أبرهة وجلَّ في قلبه لما رأى من جماله وكماله ونبله. فقال لترجمانه: قل له: سل ما بدا لك. فقال: إبلًا لي اخذها اصحابك فقال: لقد رأيتك فأجللتك وأعظمتك وقد تراني حيث تهدم مكرمتك وشرفك فلم تسألني الانصراف، وتكلمني في إبلك، فقال عبد المطلب: أنا ربُّ هذا الإبل، ولهذا البيت الذي زعمت تريد هدمه ربُّ يمنعك منه، فردَّ الإبل وداخله ذعر لكلام عبد المطلب.

فلما انصرف جمع ولده ومن معه ثم جاء إلى باب الكعبة فتعلق به وقال:

لا همَّ أنَّ المرءَ يمنعُ	رَحْلَهُ فامنعُ رحالكُ
لا يغلبَنَّ صليبيهم	ومحالمهم عَدُواً محالكُ
ولئنْ فعَلتَ فإنَّه	أمرُّتَمُّ بهِ فعالكُ
إنْ كُنْتَ تاركهم وقيلتنا	فأمرُّ ما بدالكُ

وأقام بموضعه فلما كان من غد بعث ابنه عبد الله ليأتيه بالخبر، ودنا وقد اجتمعت إليه من قريش جماعة ليقاتلوا معه، إن أمكنهم ذلك، فأتى عبد الله على فرس شقراء يركض، وقد جردت ركبته، فقال عبد المطلب: قد جاءكم عبد الله بشيرا ونذيرا والله ما رأيت ركبته قط قبل هذا اليوم فأخبرهم ما صنع الله بأصحاب الفيل).

إن هذا النص يوضح لنا الواجب الذي كان على عبد المطلب أن يضطلع به لمواجهة أكبر خطر يواجهه مدينة مكة، ويتمثل ذلك بـ:

أولاً: ثبات عبد المطلب بعد هروب قريش في الجبال حينما أدركت أنه لا طاقة لها بحرب أبرهة فيما كان هو يدعوها للوقوف بوجهه.

ثانياً: مقابلته لأبرهة، تلك المقابلة التي كان لها أكبر الأثر في نفس أبرهة حيث يشير النص إلى أن أبرهة (داخلة زعر لكلام عبد المطلب). وهذا بالتأكيد يوضح لنا حسن استخدام عبد المطلب للحرب النفسية.

ثالثاً: استخدام عبد المطلب لعبارة: (ان للبيت رباً يحميه). لا تعني تركه أمر البيت وإنما تلقي ضوءاً على إيمان عبد المطلب وتوكله على الله سبحانه وتعالى وكأنه يطبق قوله تعالى:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (١).

فالملاحظ ان عبد المطلب بعد توكله على الله قام بالعمل الفعلي حيث جمع أولاده ومن معه ثم ساروا نحو الكعبة مرابطين عازمين على الدفاع عنها.

رابعاً: وضع عبد المطلب ما يسمى (بقوة الاستطلاع) لمعرفة اخبار العدو متمثلة بولده عبد الله، واختياره لعبد الله قد يعطينا انطباعاً عن كون هذا الابن شخصية مهيأة لمواقف كهذه وهذا لا يعني ان عبد الله كان لوحده بل ربما كان قائدا لقوة الاستطلاع.

خامساً: بعد أن علم الله صدق عزيمة عبد المطلب، أنزل نصره وأهلك أعداءه وكان عبد المطلب قد أوفد ولده عبد الله، الذي عندما عاد إليه قال عنه: قد جاءكم عبد الله بشيراً أو نذيراً. وفي هذا دلالة على ان عبد المطلب:

كان لديه اعتقاد بتدخل العناية الإلهية.

كان مدركاً لنوايا أبرهة ولذا فسر عودة عبد الله بهذا الشكل بأنه يريد انذارهم من تحرك أبرهة نحو الكعبة.

٩٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ونتيجة لهذا أصبح عبد المطلب سيد قريش، حيث أعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحداً وسقاه زمزم، وحكّمته قريش في اموالها، وأطعم في المحل حتى اطعم الطير والوحوش في الجبال. ورفض عبادة الاصنام^(١)، حتى عدّه ابن أبي الحديد من المتأهّين البعيدين عن القبائح^(٢).

وقد سنّ عبد المطلب سنناً نزل القرآن بأكثرها، وأثبتتها السنة الشريفة، كالوفاء بالنذر^(٣)، وجعل الدية مئة من الإبل^(٤)، وحرمة زواج المحارم^(٥)، وأن لا تؤتى البيوت من ظهورها^(٦)، وقطع يد السارق^(٧)، والنهي عن قتل

(١) اليعقوبي: التاريخ ٩/٢.

(٢) الشرح ١٢٠/١.

(٣) ورد في الشريعة الاسلامية قوله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾. سورة الانسان، آية ٧.

(٤) دية الفرد المسلم في الشريعة الاسلامية مائة من الابل أو الف رأس من الغنم أو ألف مثقال من الذهب.

(٥) قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَاتِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. سورة النساء، آية ٢٣.

(٦) قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الرِّبَّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الرِّبَّ مِنَ النَّفْيِ وَأَنْتُمْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأْتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. سورة البقرة، آية ١٨٩.

(٧) قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. سورة المائدة، آية ٣٨.

المؤودة^(١)، والمباهلة^(٢)، وتحريم الخمر^(٣)، والزنا وفرض الحد عليها^(٤)، والقرعة، ولا يطوف بالبيت عريان^(٥)، واستضافة الضيف^(٦)، وألا ينفقوا إذا حجوا إلا من طيب أموالهم^(٧)، وتعظيم الأشهر الحرم^(٨)، ونفي ذوات الرايات^(٩).

ولذا عظّمته قريش وكانت تسمّيه ابراهيم الثاني وقالوا فيه: (ان كنت

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾. سورة التكوير، آية ٩.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. سورة آل عمران، آية ٦١.

(٣) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. سورة المائدة، آية ٩٠.

(٤) قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سورة النور، آية ٢.

(٥) كان مما اوصى به الرسول ﷺ الإمام علي عليه السلام ليقراه على الناس في الحج (ألا يطوف في البيت عريان) البخاري: الصحيح ١٢٣/٦-١٢٤. الطبري: تاريخ ١٢٣/٣، ابن كثير: البداية والنهاية ٣٥٨/٧. القسطلاني: إرشاد الساري ٢٠٩/٣-٢١٠.

(٦) قال ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...) مسلم: الصحيح ٢٠/٢. الترمذي: صحيح ١٤٥/٨.

(٧) وهذا أمر طبيعي في الشريعة الاسلامية.

(٨) قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾. سورة التوبة، آية ٣٦.

(٩) اليعقوبي: التاريخ ١٠-٩/٢.

لعظيم البركة، لميمون الطائر مذ كنت^(١). ولقد عظمت قریش موته فغسل بالماء والسدر، ولُفَّ في حلّتين من حلل اليمن قيمة الواحدة ألف مثقال ذهباً، وحمل على ايدي الرجال اياماً اعظماً وإكراماً له من تغييبه تحت التراب^(٢).

وقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال:

(ان الله يبعث جدّي عبد المطلب أمة واحدة في هيئة الأنبياء وزى الملوك)^(٣).

وقد خلف عبد المطلب في الزعامة ولده أبو طالب الذي كان سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع فقره، ولذا قال الإمام علي عليه السلام:

(أبي ساد فقيراً وما ساد فقير قبله)^(٤).

وكان عبد المطلب قد أوصى إليه من بين أولاده العشرة، ومن ضمن وصاياهم المهمة أوصى إليه بمهمة كفالة الرسول ﷺ حيث كان عليه السلام وقتها في الثامنة من عمره الشريف. فكان أبو طالب خير كافل^(٥)، والملاحظ أن أبا طالب كان أخاً لعبد الله والد الرسول من أبيه وأمه^(٦)، ونتيجة لمكانة أبي طالب فقد عرف

(١) اليعقوبي: التاريخ ١٠/٢.

(٢) اليعقوبي: التاريخ ١٢/٢.

(٣) الشرح ٦٨/١٤. وانظر: اليعقوبي: التاريخ ١٣/٢. ابن حجر: الاصابة ١١٧/٤-١١٨.

(٤) الشرح ٢٩/١، ٧٠/١٤. وانظر: اليعقوبي: التاريخ ١٣/٢. إن الامام يقصد بفقره هنا ان وضعه المادي لا يتناسب مع مكانته الاجتماعية.

(٥) الشرح ٢٩/١. وانظر: اليعقوبي: التاريخ ١٣/٢. الطبري: التاريخ ٢/٢٧٧. أبو نعيم: دلائل

النوبة ص ١٢٣. سبط بن الجوزي: تذكرة ص ٦، ٨. ابن حجر: الاصابة ٤/١١٥.

(٦) الشرح ١٤/١، وانظر: الطبري: التاريخ ٢/٢٧٧.

بالشيخ أو شيخ البطحاء^(١).

لذا كان الإمام علي عليه السلام يدعي التقدم على الكل، والشرف على الكل بابن عمه وبنفسه وبأبيه أبي طالب (فإنه من قرأ علوم السير عرف ان الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً)^(٢).

والملاحظ ان عبد المطلب كأنما كان ينظر من وراء الغيب لما سيجري على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا فهذه الكفالة لا تقتصر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم زمن الصبا، بل استمرت حتى بلغ صلى الله عليه وآله وسلم الخمسين من عمره الشريف، وما انتهت كفالة أبي طالب إلا بنهاية عمره، يقول ابن أبي الحديد: (أبو طالب هو الذي كفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحماه وحاطه كبيراً، ومنعه من مشركي قريش ولقي لأجله عنتاً عظيماً، وقاسى بلاءً شديداً وصبر على نصره والقيام بأمره وجاء في الخبر إنه لما توفي أبو طالب أوحى إليه عليه السلام، وقيل له: اخرج منها فقد مات ناصرك)^(٣).

إذن فخلق بأبي طالب الذي درج في حجر والده، أن يكون المثل الأعلى في نشأته من حيث الطموح إلى رفيعات المراتب، والتأهب لمستوى فوق مستوى قومه، وأن يخلف أباه في جميع مزاياه في حكمته وتوحده، ومنابدته لخرافات عصره^(٤). وكان أبو طالب أول من سنّ القسامة قبل الإسلام^(٥)، ولما جاء الإسلام

(١) الشرح ٢٩/١، ١٣/٢٢٧. وانظر الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٨٩، ابن الاثير: اسد الغابة ٤١٤/٣.

(٢) الشرح ١٤٢/١.

(٣) الشرح ٢٩/١.

(٤) العاملي: شيخ الابطح ص ٨.

(٥) الشرح ٢١٩/١٥.

أثبتها^(١) والقسامة كلمة مشتقة من القسم وهو اليمين، حيث لما قتل عمرو ابن علقمة بن المطلب بن عبد مناف، واتهم خداش بن عبد الله بن أبي قيس العامري بقتله، طلب أبو طالب أن يحلف منهم خمسون رجلاً بأن لا علم لهم بقاتل القتيل، ويقال إنهم حلفوا بأجمعهم ما عدا حويطب بن عبد العزى، فهلكوا بأجمعهم قبل أن يدور الحول^(٢).

إن ذلك الدور الذي أداه أبو طالب في حمايته للرسول ﷺ ونصرته إياه، ممّا مكّنه ﷺ من القيام بالدعوة للإسلام عشر سنوات، كان ولا زال مثار نقاش بين الباحثين، فهل كان ذلك الدفاع عن الرسول ﷺ دليل إيمان من أبي طالب؟ أم انه كان بدافع العصبية القبلية؟.

عقد ابن أبي الحديد فصلاً عن الآراء التي قيلت في ذلك، فأوضح أن الإمامية وأكثر الزيدية، وبعضاً من شيوخ المعتزلة كالكعبي والإسكافي يرون إنه ما مات إلا مسلماً، فيما يرى أهل الحديث والعمامة من معتزلة البصرة بأنه مات على دين قومه^(٣).

وقبل أن يصدر ابن أبي الحديد حكمه في هذه المسألة استعرض أدلة الطرفين، فذكر أولاً أدلة القائلين ببقائه على دين قومه. وهي:

أولاً: إن رسول الله ﷺ قال له عند موته: (قل يا عم كلمة أشهد لك بها

(١) النسائي: سنن ٦/٤-٥. الطحاوي: شرح معاني الآثار ٣/١٩٧-٢٠٣.

(٢) مصعب الزبيري: نسب قريش ص ٤٢٤-٥. ابن حبيب: المحبر ص ٣٣٥-٣٣٧. المنقذ ص ١٤٠-١٤٢. النسائي: سنن ٦/٣-٤. أبو هلال العسكري: الاوائل ص ٣٦-٣٧. ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٦٨. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٥.

(٣) الشرح ١٤/٦٥-٦٦.

غداً عند الله تعالى. فقال: لولا أن تقول العرب أن أبا طالب جزع عند الموت لأقررت بها عينك^(١).

ثانياً: روي إن أبا طالب قال عند موته: أنا على دين الأشياخ، أو أنا على دين عبد المطلب^(٢).

ثالثاً: إن قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ...﴾^(٣).

نزلت في أبي طالب لأن الرسول ﷺ استغفر له بعد موته^(٤).

رابعاً: إن قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥). نزلت في أبي طالب^(٦).

(١) الشرح: ٦٦/١٤. وانظر الطبري: جامع البيان ٩٢/٢٠. الثعالبي: الجواهر الحسان ١٦٠/٢.

ابن كثير: البداية والنهاية ١٢٤/٣.

(٢) الشرح ٦٦/١٤، وانظر ابن هشام: السيرة ٢٦٤/١. ابن سعد: الطبقات ١٢٢/١. الطبري:

تاريخ ٣٢٥/٢. الواحدي: أسباب النزول ص ١٧٧، ٢١٨. ابن كثير: البداية والنهاية ١٢٤/٣.

(٣) سورة التوبة، الآيات ١١٣-١١٤.

(٤) الشرح: ٦٦/١٤. وانظر: ابن سعد: الطبقات ١٢٢/١. البخاري: الصحيح ١٣٢-١٣٣.

الطبري: جامع البيان ٤١/١١. الواحدي: أسباب النزول ص ١٧٦-١٧٨. القرطبي: الجامع

لأحكام القرآن ٢٧٢/٨. ابن كثير: البداية والنهاية ١٢٤/٣.

(٥) سورة القصص، آية (٥٦).

(٦) الشرح: ٦٦/١٤، وانظر ابن سعد: الطبقات ١٢٣/١. الطبري: تاريخ ٣٢٥/٢. وايضا جامع

البيان ٩١/٢٠. الواحدي: أسباب النزول ص ٢٢٨. الثعالبي: الجواهر الحسان ١٦٠/٢، =

خامساً: إن الإمام علياً عليه السلام جاء للرسول ﷺ بعد وفاة أبي طالب فقال: إن عمك الضال قد قضي فما الذي تأمرني فيه؟^(١)

سادساً: لم ينقل عن أبي طالب انه رآه أحد يصلي، والصلاة هي المفرقة بين المسلم والمشرك^(٢).

سابعاً: ان الإمام علياً و جعفرأ لم يأخذا من تركته^(٣).

ثامناً: قول النبي ﷺ: (إن الله قد وعدني بتخفيف عذابه، لما صنع في حقي وإنه في ضحضاح من نار)^(٤).

تاسعاً: قيل للرسول ﷺ: لو استغفرت لأبيك وأمك! فقال: لو استغفرت لهما لاستغفرت لأبي طالب فإنه صنع إلي ما لم يصنعنا، وإن عبد الله و آمنة وأبا طالب جمرات من جمرات جهنم)^(٥).

=٣/١٧٩-١٨٠. القرطبي: الجامع ١٧/٢٩٩. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/١٢٤. السيوطي: الخصائص ١/٢١٧.

(١) الشرح: ١٤/٦٦، وانظر ابن سعد: الطبقات ١/١٢٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/١٢٥.

(٢) الشرح ١٤/٦٦. وهذا الدليل إن ثبت فهو صحيح لأن الرسول ﷺ قال: بين الكفر والايان ترك الصلاة ولكن أنظر تعليقنا فيما بعد على هذا الدليل. مسلم: الصحيح ٢/٧٠-٧١. الترمذي: صحيح ١٠/٨٩. ابن ماجة: صحيح ١/١٧٧.

(٣) الشرح: ١٤/٦٦. وانظر: ابن سعد: الطبقات ١/١٢٤. ابن قتيبة: المعارف ص ٢٠٣. وانظر رد ابن معد: الحجة على الذاهب ص ١٦٢-١٦٨.

(٤) الشرح: ١٤/٦٦. ابن سعد: الطبقات ١/١٢٤. مسلم: الصحيح ٣/٨٤-٨٥. الطبري: جامع البيان ٢٠/٩٣. الملطي: التنبيه ص ١٦٢. ابن معد: الحجة ص ٨٧-١٠٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/١٢٥. السيوطي: الخصائص الكبرى ١/٢١٥.

(٥) الشرح: ١٤/٦٦.

بعد طرحه لهذه الأدلة، لم يبد ابن أبي الحديد إلا تعليقاً واحداً حول الدليل السادس القائل بأنه لم ينقل عن أبي طالب صلاة، حيث قال عنه: (فأما الصلاة وكونه لم ينقل عنه انه صلى، فيجوز أن يكون لأن الصلاة لم تكن بعد قد فرضت، وإنما كانت نفلا غير واجب فمن شاء صلى ومن شاء ترك ولم تفرض إلا بالمدينة)^(١).

ثم استعرض أدلة القائلين بإسلامه^(٢):

أولاً: عن الإمام علي^(عليه السلام): قال لي جبرائيل: إن الله مشفعك في ستّة، بطن حملتك آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك، عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك، أبي طالب، وبيت آوك، عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية، قيل: يا رسول الله: وما كان فعله؟ قال: كان سخياً يطعم الطعام ويجود بالنوال، وثدي أرضعتك، حليلة بنت أبي ذؤيب)^(٣).

ثانياً: قول الرسول^(صلى الله عليه وآله وسلم): نقلنا من الاصلاب الطاهرة إلى الارحام

(١) الشرح: ٨٣/١٤. وانظر ابن هشام: السيرة ١/٢٥٩-٢٦١. دحلان: اسنى المطالب ص ٢٧.
 (٢) وضعت قديماً مجموعة من الكتب تناقش مسألة صحة إيمان أبي طالب وقد أوردها بحر العلوم عند تحقيقه لكتاب الحجة على الذاهب إلى كفر أبي طالب ص ١٧-٢٦، لكن هذه الكتب فقدت ولم يصل إلينا إلا ثلاثة كتب وهي كتاب أبي نعيم علي بن حمزة البصري اللغوي ت ٣٧٥ هـ والذي لا زال مخطوطاً في إحدى مكتبات سامراء. ن. م ص ٢٧. وكتاب الشيخ المفيد وكتاب ابن معد وقد طبعا واستخدمناهما.

(٣) الشرح: ٦٧/١٤، وانظر: اليعقوبي: التاريخ ٢/٣٠، ابن معد: الحجة ص ٤٨-٥٠، ٥٥، محب الدين: ذخائر العقبى ص ٩، ومؤلفات السيوطي: الدرر المنيفة ص ٦. مسالك الحنفا ص ١٤. التعظيم والمنة ص ٢٥، الخصائص الكبرى ١/٢١٦. الحلبي: السيرة الحلبية ١/٣٨٢. دحلان: اسنى المطالب ص ٢٤. مع اننا نتحفظ على هذا الحديث.

الزكية) (١). فوجب بهذا أن يكون أبؤه كلهم منزهين عن الشرك، لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين (٢). والظاهر ان هذا الدليل قد تعرض للنقد حيث أن القرآن أشار إلى أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان مشركاً: فقالوا: هذا لا يقدح في مذهبنا لأن المذكور في القرآن عمّ إبراهيم (آزر) أما أبوه (تارح) فكان مسلماً، وقد سمى القرآن العمّ أبا كما في قوله تعالى:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾ (٣).

ثم عدّ فيهم إسماعيل عليه السلام وليس من آبائه ولكنه عمّه (٤).

وقد احتجوا بإسلام الآباء بما رواه الامام الصادق عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله إنه قال: إن الله يبعث عبد المطلب يوم القيامة وعليه سيما الأنبياء وبهاء الملوك (٥).
ثالثاً: سأل العباس النبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله: ما ترجوا لأبي طالب؟ فقال: أرجو له كل الخير من الله عز وجل (٦).

رابعاً: كتب أبان بن محمود (٧) للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: جعلت

(١) أخرجه السيوطي: الدرر المنيفة ص ٩. السبل الجلية ص ١١. مسالك الحنفا: ص ١٨.

(٢) الشرح: ٦٧/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ٥٦-٥٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٣٣.

(٤) الشرح: ٦٧/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ٥٨-٥٩.

(٥) الشرح: ٦٨/١٤، وانظر اليعقوبي: التاريخ ١٣/٢. ابن معد: الحجة ص ٥٦.

(٦) الشرح: ٦٨/١٤، وانظر ابن سعد: الطبقات ١/١٢٤-١٢٥. المفيد: إيمان أبو طالب ص ٧٦. ابن

معد: الحجة ص ٧١-٧٢. سبط ابن الجوزي: تذكره ص ٨. السيوطي: الخصائص الكبرى ١/٢١٥.

(٧) لم أعر على ترجمته.

فذاك! إنِّي قد شككت في إسلام أبي طالب! فكتب إليه: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين...) (١) إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار (٢).

خامساً: سئل محمد بن علي الباقر عليه السلام عما يقوله الناس: إن أبا طالب في ضحضاح من نار! فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه. ثم قال: ألم تعلموا ان أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحجَّ عن عبد الله وابي طالب في حياته ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم (٣).

سادساً: إن أبا بكر جاء بأبيه أبي قحافة إلى النبي صلى الله عليه وآله عام الفتح يقوده، وهو شيخ كبير أعمى، فقال صلى الله عليه وآله: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه! فقال: أردت يا رسول الله ان يأجره الله! أما والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام عمك أبي طالب مني بإسلام أبي ألتمس بذلك قرة عينك فقال صلى الله عليه وآله: صدقت (٤).

سابعاً: سئل الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن إسلام أبي طالب فقال: واعجبا! إن الله تعالى نهى رسوله صلى الله عليه وآله أن يقر مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات في الإسلام ولم تنزل تحت أبي طالب حتى مات (٥).

ثامناً: يروي بعض الزيدية إن أبا طالب حدث عن النبي صلى الله عليه وآله قائلاً: حدثني محمد ابن أخي أن ربّه بعثه بصلّة الرحم، وأن يعبدّه وحده لا يعبد معه غيره،

(١) سورة النساء آية ١١٥.

(٢) الشرح: ٦٨/١٤، وانظر ابن معد: الحجّة ص ٧٦-٧٧، ٨٢.

(٣) الشرح: ٦٨/١٤، وانظر ابن معد: الحجّة ص ٨٤-٨٥.

(٤) الشرح: ٦٨/١٤، وانظر ابن معد: الحجّة ص ١١٥-١١٦-١١٩.

(٥) الشرح: ٦٩/١٤، وانظر ابن معد: الحجّة ص ١٢٣-١٢٤.

١٠٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ومحمد عندي الصادق الأمين^(١).

تاسعاً: ان معنى قوله عليه السلام: أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة^(٢)، إن كافل اليتيم هو أبو طالب لأنه كفل الرسول عليه السلام^(٣).

عاشراً: إن ما يروى من أن علياً أو جعفرأ لم يأخذنا من تركة أبي طالب شيئاً حديث موضوع حيث ان مذهب أهل البيت عليه السلام بخلاف ذلك، فإن المسلم عندهم يرث الكافر ولا يرث الكافر المسلم^(٤). ولو كان أعلى درجة منه في النسب، ولذا فسروا قوله عليه السلام: لا توارث بين أهل ملتين^(٥). قالوا: نقول بموجبه لأن التوارث تفاعل ولا تفاعل عندنا في ميراثها واللفظ يستدعي الطرفين، كالتضارب لا يكون إلا من اثنين^(٦).

حادي عشر: إن حب الرسول عليه السلام لعمه أبي طالب معلوم مشهور وإذا كان كافراً فكيف يجوز له أن يحبّه لقوله تعالى^(٧):

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

(١) الشرح: ٦٩/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ١٣٣-١٣٧، ابن حجر: الاصابة ٤/١١٦. زيني

دحلان: اسنى المطالب ص ٦.

(٢) اخرج ابن حنبل: المسند ٥/٣٣٣.

(٣) الشرح: ٦٩/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ١٤٢-١٤٣.

(٤) روى الترمذي: قال رسول الله ﷺ: لا يرث المسلم كافر ولا الكافر المسلم، الترمذي: صحيح

٨/٢٥٧. ابن ماجه: صحيح ٢/١١٥. ابن حزم: الفصل ٣/٢٧٦.

(٥) اخرج الترمذي: صحيح ٨/٢٥٩. ابن ماجه: صحيح ٢/١١٦.

(٦) الشرح: ٦٩/١٤. وانظر ابن معد: الحجة ص ١٦٢-١٦٤.

(٧) سورة المجادلة، آية ٢٢.

وَرَسُولُهُ ﴿١﴾.

ثاني عشر: استفاض عنه عليه السلام قوله لعقيل: أنا أحبك حيين: حباً لك، وحباً لحبّ أبي طالب فإنه كان يحبك) (٢).

ثالث عشر: ان الخطبة التي ألقاها أبو طالب لما خطب خديجة (٣) للرسول عليه السلام تدل على توحيده وهي: (الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محبوباً، وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برأً وفضلاً وحزماً وعقلاً ورأياً ونبلاً وإن كان في المال قل، فإننا المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أصبتم من الصداق فعلي وله والله بعد نبأ شائع وخطب جليل) (٤).

قالوا: أفتراه يعلم نبأ الشائع وخطبه الجليل ثم يعانده ويكذبه وهو من أولى الألباب فهذا غير سائغ في العقول (٥).

(١) الشرح: ١٤/٦٩-٧٠، وانظر ابن معد: الحجة ص ١٦٢-١٦٤.

(٢) الشرح: ١٤/٧٠، وانظر: الحاكم: المستدرک ٣/١٦٧. ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٥٠٩. ابن معد:

الحجة ص ١٧٩. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٢٣٢. سبط ابن الجوزي: تذكره ص ١٢. الهيثمي:

مجمع الزوائد ٩/٢٧٣. ابن عنبه: عمدة الطالب ص ٣١. العامري: بهجة المحافل ١/٣٢٧.

(٣) عن سيرة السيدة خديجة. أنظر: حسين علي الشراهاني: حياة السيدة خديجة بنت خويلد من المهد إلى اللحد ص ٤٥ وما بعدها.

(٤) الشرح: ١٤/٧٠، وانظر: ابوهلال العسكري: الاوائل ص ٩١. ابن المغازلي: مناقب ص ٣٣٣-

٤. الزنجشيري: ربيع الابرار ٤/٢٩٩-٣٠٠. ابن معد: الحجة ص ١٨٢-١٨٦. سبط ابن

الجوزي: تذكرة ص ٣٠٢. دحلان: اسنى المطالب ص ٨، ٦٠، ٦١.

(٥) الشرح: ١٤/٧٠، وانظر: ابن معد: الحجة ص ١٨٥-١٨٦.

١٠٢ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

رابع عشر: روى الامام الصادق عليه السلام ان الرسول صلى الله عليه وآله قال: إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر فأتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسرَّ الإيمان وأظهر الشرك، فأتاه الله أجره مرتين^(١).

خامس عشر: إن جبرائيل عليه السلام قال للرسول صلى الله عليه وآله في الليلة التي مات بها أبو طالب: أخرج منها فقد مات ناصرك^(٢).

سادس عشر: أما حديث الضحاح من النار^(٣)، فهو يروى عن شخص واحد وهو المغيرة بن شعبة المعروف ببغضه لبني هاشم وخاصة الإمام علي عليه السلام وقصته وفسقه غير خافٍ على أحد^(٤).

سابع عشر: روي بأسانيد مختلفة عن العباس وابي بكر: أن أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وهناك خبر مشهور: إن أبا طالب عند الموت قال كلاماً خفياً، فأصغى إليه العباس ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله: يا ابن أخي والله لقد قالها عمك، ولكن ضعف عن أن يبلغك صوته^(٥).

ثامن عشر: قال الإمام علي عليه السلام: ما مات أبو طالب حتى أعطى الرسول صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا^(٦).

(١) الشرح: ٧٠ / ١٤.

(٢) الشرح: ٧٠ / ١٤، ٢٩، ٧٠. وانظر المفيد: إيمان أبي طالب ص ٧٤. ابن معد: الحجة ص ٢٦٠.

(٣) الشرح: ٧٠ / ١٤. وانظر: ابن معد: الحجة ص ٧٧-١٠٣.

(٤) أنظر تفاصيل ذلك في الشرح ١٢ / ٢٢٧-٢٤٦، أبو الفرج: الاغانى ١٦ / ١٠٣-١٠٠. الحاكم: المستدرک ٣ / ٥٠٧-٥٠٨.

(٥) الشرح: ٧١ / ١٤، وانظر ابن هشام: السيرة: ٢ / ٥٨-٥٩، ابن معد: الحجة ص ١٠٦-١٠٨، تاريخ أبو الفداء ١ / ١٢٠، ابن كثير: البداية والنهاية ٣ / ١٢٣، وما بعدها.

(٦) الشرح: ٧١ / ١٤، وانظر: ابن معد: الحجة ص ١٠٨-١٠٩.

تاسع عشر: ان أشعار أبي طالب تدل على أنه كان مسلماً، حيث لا فرق بين الكلام المنظوم والمنثور إذا تضمننا إقراراً بالإسلام، ألا ترى أن يهوديا لو توسط جماعة من المسلمين وأنشد شعراً قد ارتجله ونظمه يتضمن الإقرار بنبوة محمد ﷺ لكنا نحكم بإسلامه، كما لو قال: أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ (١) ومن هذه الاشعار (٢):

وظلمُ نبيٍّ جاءَ يدعو إلى الهدى أمرُ أتى من عندِ ذي العرشِ قيمِ

ومن شعره لما كتبت قريش صحيفة المقاطعة:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً رسولاً كموسى خطَّ في أولِ الكتُبِ

ومنها (٣):

فلسنا وبيتِ اللهِ نُسلمُ أحمداً لعزاء من غضِ الزمانِ ولا كربِ

وقال (٤):

يرى الناسُ برهانا عليه وهيبه وما جاهلٌ في قومِه مثلُ عالمِ
نبيُّ أتاهُ الوحيُّ من عندِ ربه ومن قالَ لا: يُقرعُ بها سنُّ نادِمِ

(١) الشرح: ٧١/١٤، وانظر: ابن معد الحجة ص ١٨٦-٣٢٤.

(٢) من قصيدة في سبعة ابيات: الشرح: ٧١/١٤-٧٢، وانظر ديوان أبي طالب، ط بحر العلوم ص ٢٩-٣١. ابن معد: الحجة ص ١٨٩.

(٣) الشرح: ٧٢/١٤-٧٣، وانظر ديوان أبي طالب، ط حسن آل ياسين ص ٥٠. ابن هشام: السيرة ٣٣٧/١-٣٣٩. ابن معد: الحجة ص ١٩٢-١٩٣. السهيلي: الروض الانف ١/٢٢٠. ابن كثير:

البداية والنهاية ٣/٨٧، البغدادي: خزائن الأدب ١/٢٦١. دحلان: اسنى المطالب ص ٧، ١٨١٧.

(٤) من قصيدة في ثمانية ابيات. الشرح: ٧٣/١٤. وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٥٠،

١١٩. ابن معد: الحجة ص ٢٠١.

١٠٤ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وقال من قصيدة لما غضب لعثمان بن مظعون الجمحي لما عذبتة قريش ^(١):

أَوْ تَوَمَّنُوا بِكِتَابٍ مُنْزَلٍ عَجَبٍ عَلَى نَبِيِّ كَمُوسَى أَوْ كَنُذِيِّ النُّونِ

وروي أن أبا جهل أراد أن يرضخ رأس الرسول صلى الله عليه وآله وهو ساجد بحجر

فلصق الحجر بكفه ولم يستطع فعل شيء فقال أبو طالب ^(٢):

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ فِي أَمْرِكُمْ عَجَائِبَ فِي الْحَجْرِ الْمَلْصِقِ
بَكَفِ الَّذِي قَامَ مِنْ حِينِهِ إِلَى الصَّابِرِ الصَّادِقِ الْمُتَّقِي
فَأَثَبَتْهُ اللَّهُ فِي كَفِّهِ عَلَى رَغْمِهِ الْخَائِفِ الْأَحْمَقِ

وقال المأمون إن أبا طالب أسلم بقوله ^(٣):

نَصَرْتُ الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِيكِ بَبِيضٍ تَلَالِئاً كَلَمَعِ الْبُرُوقِ
أَذْبُ وَأَحْمِي رَسُولَ الْإِلَهِ حَمَايَةَ حَامٍ عَلَيْهِ شَفِيقِ

ولما ذهب عمرو بن العاص إلى الحبشة ليحرض النجاشي على تسليم

مهاجري الحبشة، كتب أبو طالب قصيدة إلى النجاشي يطلب منه إكرام جعفر

والمهاجرين، ومنها ^(٤):

(١) من قصيدة في سبعة أبيات: الشرح: ٧٣/١٤-٧٤، وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٣٠٧. ابن معد: الحجة ص ٢٢٢.

(٢) الشرح: ٧٤/١٤، وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ١٥٦. ابن معد: الحجة ص ٢٢٤.

(٣) الشرح: ٧٤/١٤، وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٦٦-٦٧. ابن معد: الحجة ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٤) الشرح: ٧٥/١٤، وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ١٤٥. ابن هشام: السيرة ١/٣٥٧.

ابن معد: الحجة ص ٢٣٩. ابن كثير: البداية ٣/٧٧.

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر وعمرو وأعداء النبي الأقارب!

وقال في تحريض ولديه علي وجعفر على نصرته النبي ﷺ (١):

إن علياً وجعفرًا ثقتي عند ملء الزمان والنوبِ
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسبٍ

ومن شعره يخاطب به أخاه حمزة ويدعوه لنصرة النبي ﷺ (٢):

فصبراً أبا يعلى على دين أحمدٍ وكن مظهرًا للدين وفقت صابرا
وحطّ من أتى بالحق من عند ربّه بصدقٍ وعزمٍ لا تكن حمز كافرا
فكن لرسول الله في الله ناصرا فكن لرسول الله في الله ناصرا
وبادٍ قريشاً بالذي قد أثبتّه جهارا وقل ما كان أحمد ساحرا

وله قصيدة يمدح فيها النبي ﷺ منها:

انت النبي محمدٌ
لمسودين أكارمٍ
قرم أعز مسودٌ
طابوا وطاب المولدُ

(١) الشرح: ٧٦/١٤، وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٦٣-٦٤. أبو هلال العسكري:

الاوائل ص ٧٥. المفيد: إيمان أبو طالب ص ٨٢-٨٣، ابن معد: الحجة ص ٢٤٩-٢٥١. جعفر

نقدي: زهرة الادباء ص ٦.

(٢) الشرح: ٧٦/١٤-٧٧. وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ١٥٣. المفيد: إيمان أبو طالب:

ص ٨٠. ابن معد: الحجة ص ٢٧٧. الحلبي: السيرة الحلبية: ١/٢٨٦. جعفر نقدي: زهرة

الادباء ص ٦.

ومنها^(١):

ما زلت تنطق بالصواب وأنت طفل امرؤ

ومن شعره أيضاً^(٢):

لقد أكرم الله النبي محمداً فإكرم خلق الله في الناس أحمد

وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا أحمد

وقوله^(٣):

يا شاهد الله عليّ فاشهد إنّي على دين النبي احمد

من ضل في الدين فإني مهتد

ومن شعره قصيدته اللامية التي أورد ابن هشام^(٤) منها - اربعة وتسعين

بيتاً - ذكر ابن أبي الحديد سبعة عشر منها فقط، ومنها^(٥):

(١) الشرح: ٧٧/١٤. ابن معد: الحجة ص ٢٨١-٢٨٢.

(٢) الشرح ٧٨/١٤. وانظر: أبو نعيم: دلائل النبوة ١/١١. ابن معد: الحجة ص ٢٨٤. ابن

كثير: البداية والنهاية ١/٢٢٦، ٢/٣٢٥. ابن حجر: الاصابة ٤/١١٥. القسطلاني: المواهب

١/٥١٨. دحلان: اسنى المطالب ص ١٨.

(٣) الشرح ٧٨/١٤. وانظر ابن معد: الحجة ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٤) السيرة النبوية ١/٢٩١-٢٩٩. وذكر بعضها المفيد: إيمان أبي طالب ص ٧٠-٧٢.

(٥) الشرح ٧٨/١٤-٧٩. وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٨٥-٩٤. حيث ذكرها في (١١٥)

بيت. الطبري: تاريخ ٢/٤٤٦، ٤/٢٢٢. الشهرستاني: الملل والنحل ٣/٢٢٦. ابن معد: الحجة

ص ٢٩٦-٣٠٠. ابن كثير: البداية والنهاية ٣/٥٣-٧٥. وقد ذكر ابن كثير منها (٩٢) بيتاً وقال:

هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات

السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها وقد أوردتها الأموي في مغازيه مطولة بزيادات آخر، =

أعوذ بربّ البيت من كل طاعن
ومنها كذبتهم وبيت الله نبزي محمد
علينا بسوء أو يلوح بباطل
ولما نطاعن دونه وناضل
لدينا، ولا يعبأ بقول الأباطل
ومنها ألم تعلموا ان ابننا لا مكذب

يرى القائلون بتوحيده أن هذه الاشعار جاءت مجيء التواتر، لأنه إن لم تكن أحادها متواترة فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك، وهو تصديق محمد ﷺ، ومجموعها متواترة، كما أن كل واحدة من قتلات علي عليه السلام الفرسان منقولة احاداً، ومجموعها متواتر، ولذا يفيدنا العلم الضروري بشجاعته، كذلك القول بسخاء حاتم، وحلم الاحنف، وذكاء إياس وغير ذلك (١).

عشرون: لما مات أبو طالب جاء الإمام علي عليه السلام فأعلم النبي ﷺ فتوجع ﷺ وجعاً عظيماً وحزن حزناً شديداً، ثم قال: امض فتولّ غسله، فإذا رفعته على سريره فأعلمني، ففعل، فاعترضه ﷺ وهو محمول على رؤوس الرجال. فقال ﷺ: وصلتك رحم يا عم، وجزيت خيراً: أما والله لأستغفرن لك، ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان (٢).

= والله أعلم. ٥٧/٣. وقال القسطلاني في إرشاد الساري: قصيدة جليلة بليغة من بحر الطويل، وعدة آياتها مائة وعشرة آيات ٢/٢٢٧. وذكر البغدادي منها في خزنة الأدب (٤٢) بيتاً مع شرحها ١/٢٥٢-٢٦١. دحلان: اسنى الطالب ص ١٨-١٩. السيرة الدحلانية ١/٩٤-٩٥. وقد شرحها جعفر نقدي في كتابه: زهرة الادباء في شرح لامية شيخ البطحاء ص ٧-٤١.

(١) الشرح ٧٨/١٤.

(٢) الشرح ١٤/٧٦ به السلام ي اللحد ص ٤٥ وما بعدها. وانظر ابن سعد: الطبقات ١/١٢٣. يعقوبي: التاريخ ٢/٣٠. المفيد: إبان أي طالب ص ٧٥. الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/١٩٦. ابن معد: الحجة ص ٢٦٤-٢٦٥. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٨-٩. ابن كثير: البداية والنهاية =

١٠٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

قال القائلون بتوحيده: والمسلم لا يجوز أن يتولى غسل الكافر، ولا يجوز للنبي ﷺ أن يرق لكافر، ولا يدعو له بخير، ولا الاستغفار والشفاعة، وكان سبب تولية الإمام علي - عليه السلام - غسله، لأن طالباً وعقياً لم يكونا قد أسلما، أما جعفر فكان بالحبشة، وأما بخصوص صلاة الجنائز فإنها لم تشرع بعد ولذا لم يصل النبي لا على أبي طالب ولا خديجة، إنما كان تشيع ودعاء^(١).

إحدى وعشرون: إن رسول الله ﷺ استغفر لأبي طالب بعد معركة بدر لما ذكر عبيدة بن الحارث^(٢) شعر أبي طالب^(٣):

كذبتهم وبيت الله نخلي محمداً
ونصره حتى نصرع حوله
ولما نطاعن دونه وناضل
ونذهل عن أبناءنا والحلائل

اثنتان وعشرون: روي أن اعربياً أنشد النبي ﷺ شعراً لما حل به من جذب، فدعا النبي ﷺ واستسقى، فاستجاب الله له، ثم قال ﷺ لله در أبي طالب: لو كان حياً لقرت عينه. من ينشدنا قوله فأنشد علي قصيدته التي منها:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
فهم عنده في نعمة وفواضل
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يطيف به الهلاك من آل هاشم

= ٣/١٢٥. ابن حجر: الاصابة ٤/١١٦. الحلبي: السيرة الحلبية ١/٣٧٣.

(١) الشرح ١٤/٧٦. وانظر ابن معد: الحجة ص ٢٦٦-٢٦٧. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٠٤. الشبلنجي: نور الابصار ص ١٣.

(٢) استشهد في معركة بدر. أنظر ترجمته، ابن الاثير: اسد الغابة ٣/٣٥٦-٣٥٧. ابن حجر: الاصابة ٢/٥٤٩.

(٣) الشرح ٣/٢٥٨-١٤/٩٠. وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٨٨. الواقدي: المغازي ١/٦٩-٧٠. ابن هشام: السيرة ١/٢٩٤، ٣/٢٢٤. ابن معد: الحجة ص ٣٠٠-٣٠٢.

ورسول الله ﷺ قائم يستغفر لأبي طالب على المنبر^(١).

ثالث وعشرون: أما سبب عدم إظهار أبي طالب لإسلامه، فلائنه لو أظهره لم يتهيأ له نصره الرسول ﷺ، فيكون بذلك كأحد المسلمين نحو أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما، وإنما تمكن من نصرته، والدفاع عنه بالثبات ظاهراً على دين قريش، وإن أبطن الإسلام^(٢).

هذه الأدلة لم يبد ابن أبي الحديد عليها تعليقاً ما عدا الدليل الثاني وهو قول النبي ﷺ:

«نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية».

فوجب بهذا أن يكون آباؤه كلهم منزهين عن الشرك لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين».

قال ابن أبي الحديد: هذا الاحتجاج عندي ضعيف لأن المراد من قوله: نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية». وهو تنزيه آبائه وأجداده وأمهاته عن السفاح لا غير، لأنّ العرب كان يعيب بعضها البعض باختلاط المياه، واشتباة الأنساب، ونكاح الشبهة. وردّ ابن أبي الحديد على قولهم: لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين. قال: إنّه لا منافاة بين طهارة الأصلاب وعبادة الأصنام، فلو أراد ﷺ مازعموه لذكر العقائد بدل الأصلاب والأرحام. كذلك

(١) الشرح ١٤/٨٠-٨١. أنظر: ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٨٩، ٩٦. ابن هشام: السيرة ١/٣٠٠. اليعقوبي: التاريخ ٢/٢٢. ابن معد: الحجة ص ٣٠٥-١١. الشهرستاني: الملل ٣/٢٢٥-٢٢٦. ابن حجر: الاصابة ٤/١١٥. السيوطي: الخصائص الكبرى ١/٢١٤. الديار بكرى: تاريخ الخميس ١/٣٥٤. دحلان: اسنى المطالب ص ١٤، ١٨.

(٢) الشرح ١٤/٨١-٨٢. ابن معد: الحجة ص ٣٤٠-٣٤٢.

١١٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ردّ على قولهم: إن أبا إبراهيم كان مسلماً، وإن المشرك عمّه. قال: إن هذه الآية لا تفيدهم، فإن أبا طالب هو عمّ النبي ﷺ، ولذلك فهذه الآية ليست لهم بحجة في إسلام أبي طالب (١).

موقف ابن أبي الحديد:

لقد بنى ابن أبي الحديد حكمه في أبي طالب على امرين:

الأول: إنّه قد روي في إسلامه أخبار، وروي في موته على دين قومه أخبار أخرى، لذا تعارضت الأدلة فتعارض الجرح والتعديل ويمكن أن يقول أصحاب الحديث: إذا تعارض الجرح والتعديل، فالترجيح عند أصحاب الأصول لجانب الجرح، لأنّ الجرح قد اطلع على زيادة لم يطلع عليها المعدل.

أجاب ابن أبي الحديد: إن هذا يكون في اصول الفقه في طعن مفصل في مقابلة تعديل مجمل، فعلى سبيل المثال يروي شعبة (٢) حديثاً عن شخص ما هو عنده ثقة، ويكفي توثيقه إنه بالنسبة إليه مستور الحال ظاهره العدالة، ولكن الدارقطني (٣) يطعن فيه كأن يقول: كان مدلساً (٤) أو يرتكب الذنب الفلاني

(١) الشرح ١٤/٦٧-٦٨.

(٢) شعبة بن الحجاج الأزدي بالولاء من أئمة رجال الحديث ٨٢-١٦٠، أنظر أبو نعيم: حلية الاولياء ٧/١٤٤-٢٠٩، الخطيب: تاريخ بغداد ٩/٢٥٥-٢١٦.

(٣) علي بن عمر بن احمد الدارقطني الشافعي (٣٠٦-٣٨٥هـ) من ائمة الحديث وأول من صنف في القراءات، الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/٣٤-٤٠. السبكي: طبقات الشافعية ٢/٣١٠-٣١٢. الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/٢٨١. السمعاني: الانساب ٥/٢٧٣-٢٧٥. مظفر شاکر محمود الحياتي: الامام الدارقطني ص ٣٨-١٣٠.

(٤) التدليس: اسقاط الراوي من اسناد الحديث بحيث يكون السقط من الاسناد خفياً. التهانوي: =

فيكون طعنه فيه مفصلاً في مقابلة تعديل مجمل.

أما هنا فالروايتان متعارضتان تفصيلاً لا إجمالاً فهؤلاء يقولون: إنه تلفظ بكلمتي الشهادة عند الموت والآخرين يرون إنه قال عند الموت أنا على دين الأشياخ.

وقال: أما من يقول بإسلامه فيقول ان روايتنا أرجح لأننا نروي حكماً إيجابياً ونشهد على إثبات، وخصوصاً يشهدون على النفي.

قال: ولا شهادة على النفي، وذلك ان الشهادة في الجانبين معاً، إنما هي على إثبات ولكنه إثبات متضاد^(١).

الثاني: ما ورد في رسالة محمد ذي النفس الزكية^(٢) حيث يقول: (ويقف في صدري رسالة النفس الزكية إلى المنصور وقوله فيها: (فأنا ابن خير الأختيار وأنا ابن شر الأشرار وأنا ابن سيّد أهل الجنّة وأنا ابن سيّد أهل النار). فإن هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر، وهو ابنه وغير متهم عليه، وعهده قريب من عهد النبي ﷺ، ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً^(٣).

إن هذين الأمرين جعلاً ابن أبي الحديد يتوقف في اصدار حكم في أبي طالب حيث يقول: (فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيتين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقف فأنا في أمره من المتوقفين)^(٤).

=كشاف اصطلاحات العلوم ٢/ ٤٨١.

(١) الشرح: ٨٣/١٤.

(٢) سنترجمه لاحقاً.

(٣) الشرح: ٨٢/١٤.

(٤) الشرح: ٨٢/١٤. وقد ردّ يوسف البحراني ت ١١٨٦ هـ على توقف ابن أبي الحديد هذا في =

١١٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

والآن لنقف عند الأدلة التي ذكرها ابن أبي الحديد في مسألة إيمان أبي طالب، أو بقاءه على دين قومه، تلك الأدلة التي وقف منها ابن أبي الحديد موقفا سلبيا فلم يبد رأيا فيها، فلنقف عندها ولنناقشها لنرى مدى مطابقتها للواقع، ولنبدأ أولا بأدلة القائلين ببقاءه على دين قومه:

الدليل الأول والثاني: اللذان ينصان على ان النبي ﷺ، طلب من أبي طالب أن يشهد الشهادتين عند موته، فكان ردُّ أبي طالب: انه على دين عبد المطلب.

والسؤال هنا: ما هو دين عبد المطلب؟ المعروف ان المعتقد الأول لأهل مكة هو دين الحنيفية الذي هو بقايا دين ابراهيم الخليل عليه السلام ثم جاء عمرو بن لحي بفكرة الاصنام^(١) والتي وإن انتشرت في مكة إلا أنه بقي اناس لا يقرون بها عرفوا بالأحناف^(٢).

اما إذا نظرنا إلى عبد المطلب فنجد أن الأحداث الهامة في مكة قد ارتبطت

= كتاب أسماه (سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد) حيث قال يوسف البحراني في ترجمته لنفسه في كتابه لؤلؤة البحرين في ذكر مؤلفاته ما نصّه (ومنها كتاب سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد) والرد عليه في شرحه لكتاب نهج البلاغة الذي رام فيه أن يشرحه على رأي المعتزلة واصولهم ومذاهبهم وقواعدهم، وذكرت في أوله مقدمة شافية في الإمامة تصلح أن تكون كتابا مستقلا ثم نقلت من كلامه في الشرح المذكور ما يتعلق بالإمامة وأحوال الخلفاء والصحابة وما يناسب ذلك ويدخل تحته ويبيّن ما فيه من الخلل والمفاسد الظاهرة لكل طالب وقاصد، خرج منه مجلد ومن المجلد الثاني ما يقرب من ثلث مجلد، وعاق الاشتغال بكتاب الحدائق عن إتمامه، لؤلؤة البحرين ص ٤٤٦-٤٤٧، احمد الربيعي: العذيق النضيد ص ٨٠.

(١) الأزرقى: اخبار مكة ١/١١٧، أبو هلال العسكري: الاوائل ص ٤٨. الشهرستاني: الملل

٢١٧/٣. السيوطي: السبل الجلية ص ١٣.

(٢) أنظر الألويسي: بلوغ الارب ٢/١٩٤، ٦١٩٤-٢٤٤٤-٢٨٦.

بأيامه، كحفر زمزم، والذي يلاحظ أنه تمّ بوحى^(١) وحملة أبرهة التي أشار لها القرآن الكريم، حيث كان لعبد المطلب الدور الرائد في إفشالها، وموقفه فيها دليل على توحيده وإلا فما معنى قوله لأبرهة: [إن للبيت رباً يحميه] وفيه إشارة لإيمان عميق برب هذا البيت وإنه لمؤمن بعدم قدرة أيّ كان على هدمه، ولقد كان لكلامه أثر في إدخال الرعب في قلب أبرهة، ومن ثمّ فشل الحملة، ولو لم يكن عبد المطلب على هذه الدرجة من التوحيد لما أسمته العرب (ابراهيم الثاني) ولما أعظمت موته حتى بقي على رؤوس الرجال اياما.

ويروى أنه كان يؤمن بالمعاد فكان من وصاياه: (انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة)، فلما هلك أحد الظلمة ولم تكن قد اصابته عقوبة قال: والله إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته.^(٢)

ومن الأدلة على توحيد عبد المطلب، إشادة الرسول ﷺ به في موقف من اصعب المواقف التي مرت به ﷺ وذلك يوم حنين الذي اعجب المسلمون فيه بكثرتهم ولكنهم ما لبثوا أن انهزموا تاركين الرسول ﷺ في عدد قليل ممن ثبت معه، فنزل ﷺ إلى ساحة المعركة يقاتل ويهتف^(٣):

(١) اليعقوبي: التاريخ ١/٢١٦.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل بهامش الفصل ٣/٢٢٤-٢٢٥، السيوطي: الدرر المنيفة ص ١٤. مسالك الخنفا ص ٣٧.

(٣) الواقدي: المغازي ١/٢٨٠. ابن حنبل: المسند ٤/٢٨٩، ٣٠٤. الطبري: تاريخ ٣/٧٦. جامع البيان ١٠/١٠٣. المطي: التنبيه ص ١٥٢. ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ٢٣٤. ابن تيمية: منهاج السنة ٤/١٧٧.

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

إنه لأمر يثير الاستغراب في موقف يدعو النبي فيه المشركين لعبادة الله سبحانه وتعالى ونبد الوثنية إلى أن وصل به الحال إلى استخدام القوة، وفي مثل هذا الموضع الذي يجدر بالنبي ﷺ فيه أن يذكر أناسا على خط التوحيد، أما إنه يذكر مشركاً ويفتخر به في موضع يقاتل به الشرك والمشركين، إن هذا لشيء عجاب!!.

والظاهر أن النبي ﷺ إنما بقوله هذا يعيد إلى الأذهان ذكرى عبد المطلب ومواقفه النبيلة وكأنه يقول لهم: أنا ابن ذلك الانسان الذي اسميته ابراهيم الثاني؟ الذي أوجد لكم زمزم والذي رد أبرهة عن البيت الحرام؟ فإذا كان عبد المطلب بتلك المكانة التي تعرفونها عنه فأنا ابنه:

(أنا النبي لا كذب).

وينسحب الكلام حول أبوي النبي ﷺ، حيث يرى القائلون ببقاء أبي طالب على دين قومه أن أبوي النبي ﷺ (جمرة من جمرات جهنم) وقد اثبت السيوطي إيمان أبوي النبي ﷺ في أكثر من كتاب من كتبه ومنها: مسالك الحنفا في والدي المصطفى^(١)، والدرج المنيفة في الآباء الشريفة^(٢)، والمقامة السندسية في النسبة المصطفوية^(٣)، والتعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في اللجنة^(٤)، ونشر

(١) ص ٢ وما بعدها.

(٢) ص ٢ وما بعدها.

(٣) ص ٢ وما بعدها.

(٤) ص ٢ وما بعدها.

العلمين في إحياء الابوين^(١)، والسبل الجليلة في الآباء العلية^(٢).

تجدد الاشارة إلى أن قصة فداء عبد الله بذلك الاسلوب الذي أشارت به الكاهنة فأصبح فداؤه مائة بغير^(٣)، وهذا ما اثبتته الإسلام فيما بعد فيه دلالة على أن مسألة تدخل الكهان والاصنام لا صحة لها، إذ كيف يثبت الإسلام حكما أقرته الاصنام والكهان، وهو الذي جاء للقضاء عليها.

إذا ماذا كان يقصد أبو طالب بقوله: (إني على دين عبد المطلب). فهل يريد التعمية على المشركين الذين يعتقدون ان عبد المطلب على دينهم؟ أم إن أبا طالب أراد تأكيد إيمانه بأنه كإيمان عبد المطلب! كما يقول الشاعر^(٤):

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب

الدليل الثالث: الذي يشير لنزول الآية القرآنية

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٥).

روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: (لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه الرسول ﷺ فوجد عنده أبا جهل و عبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة فقال: أي عم! قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال

(١) ص ٢ وما بعدها.

(٢) ص ٢ وما بعدها.

(٣) الأزرقى: اخبار مكة ٤٨-٤٩. الطبري: تاريخ ٢/٢٤٠-٢٤٤. السيوطي: الوسائل ص ٥٥-٥٦.

(٤) للشاعر النابغة الذبياني: ديوانه ص ١٥. ابن خلكان: وفيات ٣/٢٥٧.

(٥) التوبة: ١١٣.

١١٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

أبو جهل و عبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانها بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما تكلم به: على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول: لا إله إلا الله فقال ﷺ: والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزل قوله تعالى

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ...﴾^(١).

والآن لنطرح الحثيات الآتية:

أولاً: المعروف ان الرسول ﷺ وعلى مدى عشر سنوات كان يدعو إلى التوحيد تحت مرأى وحماية أبي طالب، فأين كان ﷺ عن أبي طالب؟ ولماذا لم يدعه إلى التوحيد الا في هذه الساعة الأخيرة من حياته؟ حيث لم نقرأ في الروايات أنه دعاه إلا ما كان في يوم الإنذار في بدء الدعوة الاسلامية والذي أيد فيه أبو طالب النبي، ودعاه للقيام بأمره وتعهد بحمايته^(٢).

ثانياً: ان قول النبي ﷺ: لاستغفرن لك ما لم أنه عنك. فيه دلالة أن فكرة النهي عن الاستغفار للمشركين كانت ماثلة لديه ﷺ، إذاً كان الأجدر بالنبي ﷺ أن يطلب أولاً الإذن من الله سبحانه وتعالى على الاستغفار، قبل المبادرة إلى فعل يشك ﷺ بأن الله لا يرخص به.

ثالثاً: أما الآية أعلاه فهي الآية (١١٤) من سورة التوبة والمعروف ان هذه السورة نزلت في المدينة في السنة التاسعة للهجرة^(٣) أي بعد وفاة أبي طالب

(١) الصحيح ٦/١٣٢-١٣٣. وانظر مسلم: الصحيح ١/٢١٤.

(٢) أنظر موقف أبي طالب يوم الإنذار. الشرح: ١٣/١٩٩، ٢١١. يعقوبي: التاريخ ٢/٢٣-٢٤. الطبري: جامع البيان ١٩/١٢٢.

(٣) أنظر: الزمخشري: الكشاف ٢/٢٤١، القرطبي: الجامع ٨/٦١.

بأثنتي عشرة سنة فما هو السر في تأخرها إن كانت نزلت في حق أبي طالب؟! .
رابعاً: حتى لو قلنا إنها نزلت في أبي طالب بعد كل هذه السنين ولكن ألا تستوقفنا تلك الآيات الكثيرة التي نزلت قبلها، والتي تدعو النبي والمؤمنين لعدم الاستغفار للمشركين، ولا المودة لهم ولا اتخاذهم اولياء^(١)، أفما كان بهذه الآيات دليل للنبي ﷺ أن لا يستغفر لأبي طالب حتى ينتظر كل تلك المدة وهو يستغفر له؟
خامساً: إن هناك مناسبات أخرى لنزول الآية قد تكون أكثر مصداقاً لسبب نزولها ومنها:

قال الإمام علي^(عليه السلام): سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ قال: أولم يستغفر ابراهيم؟ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنزلت الآية^(٢).

قال ابن عباس: كانوا يستغفرون لأبائهم حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم، ولم ينهوا عن الاستغفار للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾.

(١) كقوله تعالى:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾. سورة المجادلة، آية ٢٢، نزلت قبل سورة التوبة بسبع سور. السيوطي: الاتقان ١/١٧. بالاضافة إلى الآية ٢٨ من سورة آل عمران والآيات ١٣٩، ١٤٤ من سورة النساء وغيرها.

(٢) الترمذي: صحيح ١١/٢٤٩-٢٥٢. الطبري: جامع البيان ١١/٤٣. دحلان: اسنى المطالب

أي أن استغفاره كان ما دام أبوه حياً (١).

عن قتادة: (ذكرنا رجالاً من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا نبي الله إن من ابائنا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم ويفك العاني ويوفي بالذمم أفلا نستغفر لهم؟ فنزل قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ (٢).

سادساً: إن الاداة (ما) الواردة في الآية تفيد النفي وليس النهي أي إن الآية تفيد نفي استغفار الرسول ﷺ للمشركين، أي إن النبي ﷺ لم يستغفر للمشركين، فإذا كان النبي ﷺ قد استغفر لأبي طالب فهذه الآية تؤكد إن أبا طالب ليس مشركاً لأنه لو كان مشركاً لما كان النبي ﷺ سيستغفر له.

سابعاً: إن من احتج على الاستغفار للمشركين لم يحتج بفعل النبي ﷺ بل بفعل إبراهيم عليه السلام ولو كانوا يعرفون أن أبا طالب مشرك وأن النبي ﷺ يستغفر له، لكان الأولى أن يحتجوا بفعل النبي ﷺ لا بفعل إبراهيم عليه السلام (٣).

ثامناً: إن مصدر الرواية مطعون فيه، فالراوي هو سعيد بن المسيب وهو المعروف بموقفه السلبي تجاه الإمام علي عليه السلام حيث ذكره ابن أبي الحديد في جملة من اتخذ موقفاً سلبياً من الإمام علي عليه السلام (٤).

تاسعاً: المعروف إن النبي ﷺ قال لعقيل الذي أسلم قبل فتح مكة: احبك

(١) دحلان: اسنى المطالب ص ١٨، ٤٥.

(٢) الطبري: جامع البيان ٣١/١١.

(٣) الطبري: جامع البيان ٣١/١١.

(٤) الشرح: ٤/١٠١-١٠٢. مع إن سعيد بن المسيب موثق عند علماء الجرح والتعديل، ابن حجر:

تقريب التهذيب ١/٣٠٥-٣٠٦، تهذيب التهذيب ٤/٨٤-٨٥.

حين: حبا لك وحبا لحب أبي طالب لك^(١) والمعروف أن الآيات الكثيرة التي نزلت قبل فتح مكة تؤكد على عدم المودة للمشركين.

الدليل الرابع: نزول الآية.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).
في أبي طالب^(٣)

أولاً: ان نسبة الهداية إلى الله سبحانه وتعالى لا تقتصر على هذه الآية وإنما هناك آيات كثيرة تشير إلى ذلك فعلى سبيل المثال قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤).

وقوله تعالى:

﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾^(٥).

و:

﴿اتَّبِعُوا مَن تَهْتَدُوا مَن أَضَلَّ اللَّهُ﴾^(٦).

و:

(١) (الشرح: ٧٠/١٤، وانظر الحاكم: المستدرک ٣/٦٦٧، ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٥٠٩.

ولكن لماذا يجب أبو طالب عقيلاً أكثر من باقي ولده؟ أم أنها وضعت لتؤكد كفر أبي طالب، وأنه يجب عقيلاً لأنه بقي على الكفر مثله!

(٢) سورة القصص ٥٦.

(٣) أنظر تحليل الخنيزي: أبو طالب ص ٣١١، ٣٦١-٣٧٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٧٢.

(٥) سورة النحل، آية ٣٧.

(٦) سورة النساء، آية ٨٨.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾^(١).

وغيرها.

غير أن هذه الهداية والضلال لا تأتي بالقوة ولكن الله سبحانه وتعالى أوضح للانسان الطريق الصحيح ومنحه الحرية لاختيار ما يشاء:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢).

فإذا ما اختار طريق الهداية فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يضلّه، ولكن عدله سبحانه وتعالى يأبى ذلك، وإذا ما اختار طريق الضلال فالله قادر على هدايته ولكنه تعالى لا يستخدم الجبر في ذلك، أي إن فحوى الآيات أن إيمان الانسان وضلاله ليس خارجا عن قدرة الله سبحانه وتعالى.

إذن فهناك آيات كثيرة نزلت بهذا المعنى فلا يوجد داع لتخصيص هذه الآية دون غيرها في أبي طالب.

ثانيا: إن قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(٣)

هذا الخطاب لا يعني أنه موجه للنبي ﷺ فقط، بل هو موجه لكل من سار في طريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ثم ان لفظه (إنك) التي تفيد المفرد قد تفيد الجمع، فالقرآن أحيانا يستخدم المفرد ويريد الجمع، وأحيانا يستخدم

(١) سورة الكهف، آية ١٧.

(٢) سورة الانسان، آية ٣.

(٣) سورة القصص: آية ٥٦.

الجمع ويريد المفرد، وهذا موجود في اللغة العربية. (١)

ثالثاً: ان روايات نزول هذه الآية في أبي طالب كلها مروية عن اشخاص لم يشهدوا زمان أبي طالب أو معاينته حال الوفاة وهم:

رواية مصدرها- أبو هريرة- وهو صحابي من أهل البحرين جاء إلى المدينة وأسلم في السنة السابعة للهجرة في فتح خيبر، أي بعد وفاة أبي طالب بعشر سنين ولم تشر الرواية لمصدر أبي هريرة (٢).

رواية عن أبي سهل السري بن سهل، عن عبد القدوس، عن أبي صالح، عن ابن عباس، والمعروف أن أبا سهل ضعيف الحديث، بل مجهول العين والحال. (٣) اما عبد القدوس بن حبيب الكلاعي من أهل الشام فلم يكن ابن المبارك يفصح بقوله كذاب إلا لعبد القدوس هذا، وقال الفلاس: اجمعوا على ترك حديثه، وقال النسائي: ليس بثقة (٤).

(١) وقد ورد هذا الاسلوب كثيراً في القرآن الكريم كقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ سورة آل عمران، آية ١٨١، نزلت في حي بن اخطب.

القرطبي: الجامع ٤ / ٢٩٤. وقوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾

سورة البقرة، آية ٢٠٤، نزلت في الأحنس بن شريق. الواحدي: أسباب النزول: ص ٣٩.

وقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سورة النور، آية ٣٣. نزلت في غلام حويطب

ابن عبد العزى. الواحدي: أسباب النزول ص ٢١٩.

(٢) أنظر الرواية لدى السيوطي: الدر المنثور ٥ / ١٣٣.

(٣) الذهبي: ميزان الاعتدال ٤ / ٥٣٥.

(٤) أبو زرعة: الضعفاء ٣ / ٨١٥. الذهبي: ميزان الاعتدال ٢ / ٦٤٢. ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٣ / ٥٦١.

١٢٢الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ومصدر الرواية ابن عباس الذي كان يوم وفاة أبي طالب رضيماً! (١) فمن الذي أخبره بالرواية (٢)؟ هل أبوه الذي أكد أن أبا طالب قال كلمة التوحيد في آخر لحظات حياته!!

رواية عن أبي سهل السري الكذاب المار الذكر، عن عبد القدوس الكذاب أيضاً إلى أن تنتهي إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب والمعروف ان ابن عمر كان عمره وقتذاك سبع سنوات (٣) ولا يتصور أنه حضر وفاة أبي طالب فمن الذي أخبره بذلك؟ (٤).

فهذه الروايات برواتها الضعفاء والكذابين يمكن القول أنها وُضعت ونسبت إلى الصحابة.

الدليل الخامس: قول الإمام علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان عمك الضال قد قضي! فما الذي تأمرني فيه؟

أولاً: هل هذا الكلام الصادر من الإمام علي عليه السلام بحق أبيه يتناسب مع خلق الامام الذي هو من خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!!

ثانياً: إذا كان الإمام علي عليه السلام ناقماً علي أبيه، فأين كان عنه؟ فهل سمعنا أو قرأنا أنه عليه السلام ناقش أباه يوماً على الضلالة؟ وينسحب الأمر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث لم نقرأ انه دعا عمه أبا طالب إلا في اللحظات الأخيرة من حياته وهو أمر غير

(١) الطبري: المنتخب ص ٥٢٤. ابن حزم: جمهرة ص ١٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٩٣٣. ابن الاثير: اسد الغابة ٣/ ١٩٣.

(٢) أنظر الرواية لدى السيوطي: الدر المنثور ٥/ ١٣٣.

(٣) ابن الاثير: اسد الغابة ٣/ ٢٢٧-٢٣١.

(٤) أنظر الرواية لدى السيوطي: الدر المنثور ٥/ ١٣٣.

مستبعد، لأن تلقين الميت بالشهادتين من السنة المباركة.

ثالثاً: أليس من اغرب الغرائب أن يموت شيخ البطحاء، وهو الذي كان السند والعمود لدعوة النبي ﷺ لعشر سنوات والنبي محمد ﷺ بعيد عنه، ثم يموت ولا أحد بجواره، لدرجة أن الإمام علياً عليه السلام يختار في أمره فيأتي إلى النبي ﷺ يطلب الإذن فيه، فيقول له ﷺ: إذهب فواره، فأين أبناء عبد المطلب العشرة؟ أين بقية بني هاشم؟ أين زعماء قريش؟ أي موت أبو طالب هكذا وضع وكأنه من عامة الناس!؟

رابعاً: ان سند الرواية مطعون فيه وهو: عن سفيان بن عيينة عن أبي اسحاق، عن ناجية بن كعب، قال: قال علي عليه السلام: ان عمك...

اما سفيان بن عيينة فمع انه يوصف بأنه حافظ فقيه، إمام حجة، وثقة، وقد اجتمعت الأمة على الاحتجاج به، لكنه كان يدلس عن الثقات، وقد تغير حفظه واختلط في سنة ١٩٧ هـ^(١).

أبو اسحق السبيعي: هو عمرو بن عبد الله الهمداني، يشار إلى أنه كان عابدا ثقة وقد ولد أيام الخليفة عثمان ورأى الإمام علياً وأسامه، ولكنه في عهد معاوية كان يتقاضى منه ثلاثمائة دينار في الشهر، وهذا يوجب التوقف في امره؟ والتساؤل عن سر ذلك؟ ويشار إلى انه اختلط في آخر حياته، واخذ ينسى وتغير حفظه، ويقال أيضاً إنه افسد حديث أهل الكوفة^(٢).

أما ناجية بن كعب، فقد توقف ابن حيان في توثيقه ولم يحدث عنه إلا أبو

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ١٧٠-١٧١. ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٣١٢.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٢٧٠. ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٧٣.

اسحق السالف الذكر^(١).

الدليل السادس: لم ينقل عن أبي طالب أنه صلى:

أولاً: إذا كان أبو طالب لم يعلن إسلامه قولاً، أتجده يعلن صلاته فعلاً، فإن كان قد تستر على القول بالفعل اولى بالتستر!

ثانياً: ان الصلاة يومذاك لم تكن واجبة^(٢)، بل نافلة فمن شاء صلى، ومن شاء ترك لأن المسلمين كانوا تحت انظار المشركين.

ثالثاً: هل نقل عن جميع ممن أسلم في مكة انه صلى!

الدليل السابع: عدم أخذ الإمام علي عليه السلام وجعفر من تركة أبي طالب^(٣).

أولاً: ما هي هذه التركة التي تركها أبو طالب؟ أو ليس أبو طالب هو ذاك الفقير الذي ساد مكة وما ساد فقير قبله! أو ليس أبا طالب هو الذي ترك النبي ﷺ والعباس يأخذان ولديه عليا وجعفر حتى يخففا عنه أثقال المعيشة لأنه كان فقيراً؟ مع اننا نتحفظ على أخذ العباس جعفرًا وقد تكون الرواية وضعت للطعن في تربية الإمام علي عليه السلام في بيت النبي ﷺ^(٤).

ثانياً: ولنفترض انه كانت لديه تركة، فأى شيء يبقى منها في ذلك الزمن الصعب؟ فما الذي بقي من اموال خديجة وهي من كبار اغنياء مكة، حتى

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/٢٣٩.

(٢) الشرح: ٨٣/١٤. وانظر: ابن زبالة: منتخب ص ٤٨، حيث ذكر ان خديجة توفيت قبل فرض الصلاة.

(٣) أنظر تحليل الخنيزي: أبو طالب ص ٣٧٦-٣٧٧.

(٤) وقد ناقشنا الرواية تفصيلاً في بحثنا الموسوم (فضائل الإمام علي عليه السلام المنسوبة لغيره... الولادة في الكعبة).

اصبحت في أيام حصار الشعب تجلس على حصير ولا تجد لها طعاماً، حيث انفقت اموالها في خدمة الدعوة الاسلامية^(١)، فإذا كان هكذا يؤول حال خديجة فما ظنك بأبي طالب؟!؟

الدليل الثامن: رواية الضحضاح^(٢) في النار.

فحوى هذه الرواية ان العباس بن عبد المطلب سأل النبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال ﷺ: هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل، وفي رواية: وجدته في غمرات النار فأخرجته إلى ضحضاح. وفي رواية: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه.

يمكن مناقشة النص أعلاه في الحثيات الآتية^(٣).

أولاً: المعروف في العقيدة الاسلامية ان من يموت مشركاً فإن له نار جهنم خالداً فيها ابداً، فهو ممن لا يغفر له يقول تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٤).

ثانياً: ان الشفاعة في العقيدة الاسلامية منحصره باهل التوحيد فقط، اما من لم يكن بموحد (فما تنفعهم شفاعاة الشافعين)^(٥).

قال ﷺ: قيل لي: سل فإن كل نبي قد سأل، فأخرت مسألتني إلى يوم القيامة،

(١) أنظر الشرهاوي: السيدة خديجة ص ٨١-٨٧.

(٢) الضحضاح: الماء القريب القعر، الرازي: مختار الصحاح ص ٣٧٧.

(٣) أنظر تحليل الخنيزي: أبو طالب ص ٣٧٧-٤٠٣.

(٤) سورة النساء، آية ٤٨.

(٥) سورة: المدثر، آية ٤٨.

١٢٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

فهي لكم ولن شهد أن لا إله إلا الله (١) وقال عليه السلام: شفاعتي لمن شهد لا إله إلا الله مخلصاً وأن محمداً رسول الله يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه (٢).

ثالثاً: أما مسألة التخفيف في العذاب فقد أنكره القرآن الكريم في أكثر من آية، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ (٣).

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٤).

وقال تعالى:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٥).

وقال تعالى:

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٦).

(١) ابن حنبل: المسند ٢/٤٤٤. المنذري: تهذيب الترغيب والترهيب ٤/٥١٩. وهناك ما يماثله في

مسلم: الصحيح ٣/٧٤. الترمذي: صحيح ٢/٢٩٥.

(٢) ابن حنبل: المسند ٢/٣٠٧، ٥١٨.

(٣) سورة فاطر، آية ٣٦.

(٤) سورة النحل، آية ٨٥.

(٥) سورة البقرة، آية ١٦٢، سورة آل عمران، آية ٨٨.

(٦) سورة مريم، آية ٨٦-٨٧.

والعهد هنا شهادة لا إله إلا الله والقيام بحقها^(١).

رابعاً: ان الرواية مطعون في سندها فمن رواها:

سفيان الثوري الذي وإن كان ثبتا حجة متفقا عليه، وله نقد وذوق ولكنه كان يدلّس عن الضعفاء ويكتب عن الكذابين^(٢).

عبد الملك بن عمير اللخمي: يوصف بأنه من أوعية العلم، تولى قضاء الكوفة بعد الشعبي ويقول ابن حجر انه فقيه ثقة ولكنه تغير حفظه، وربما دلّس ومات وله من العمر مائة وثلاث سنين، وقال الذهبي ولكنه طال عمره وساء حفظه وقال ابن أبي حاتم: (ليس بحافظ تغير حفظه). وقال احمد: ضعيف، يغلط. وقال ابن معين: مخلط، وقال ابن خراش: كان شعبه لا يرضاه. وذكر الكوسج عن احمد: انه ضعف جدا ولكن العجلي وثّقه، وقال النسائي: لا بأس به، وقال الذهبي: الرجل من نظراء أبي اسحق السبيعي وسعيد المقري لما وقعوا في هرم الشيخوخة، نقص حفظهم وساءت اذهانهم ولم يختلطوا^(٣).

عبد الله بن يوسف التنيسي: اختلف علماء الجرح والتعديل فيه، ففي الوقت الذي قال فيه الذهبي: انه (الثقة شيخ البخاري) فقد ضعّفه ابن عدي وأورده في الضعفاء، وشك يحيى بن بكر في سماعه من الامام مالك، وكان التنيسي من

(١) القرطبي: الجامع ١١/١٥٤. تفسير البيضاوي ٢/٤٠. تفسير ابن كثير ٣/١٣٨.

(٢) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/٢/٢٢٥، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/١٦٩. ابن حجر: تقريب التهذيب ١/٣١١.

(٣) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢/٢/٣٦٠-٣٦١، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٦٦٠-٦٦١، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/٥٢١.

أهل الشام^(١).

الليث بن سعد: كان أحد الأعلام والأئمة الأثبات وحجة بلا نزاع عند الذهبي، ولكن ابن معين أشار إلى أنه كان يتساهل في الشيوخ والسماع^(٢).
يزيد بن عبد الله الهادي: هو من ثقات التابعين وعلمائهم عند الذهبي، ولكن أبا عبد الله بن الحذاء أوردته في باب من ذكر بجرح من رجال الموطاء وكان يروي عن كل أحد^(٣).

عبد العزيز بن محمد بن عبيده الداوردي: قال الذهبي: صدوق من علماء أهل المدينة، ولكن غيره أقوى منه. وقال أحمد بن حنبل: إذا حدث من حفظه ليس هو بشيء وإذا حدث من كتابه فنعم، وإذا حدث من حفظه جاء ببواطيل، وفي الوقت الذي وثقه ابن المديني فقد قال فيه ابن أبي حاتم: لا يحتج به، وقال: أبو زرعة: سيئ الحفظ، فيما ارتقى به معن بن عيسى: يصلح الداوردي أن يكون أمير المؤمنين^(٤).

أما بالنسبة إلى أدلة القائلين بإسلامه فقد توقفنا عند الأدلة الآتية:

الدليل الثالث: هذا الدليل يأتي في مقابلة الدليل الثامن لدى القائلين

ببقاء أبي طالب على دين قومه، ففي كلا الدليلين نجد العباس يسأل النبي صلى الله عليه وآله

(١) ابن عدي: الكامل في الضعفاء ٥ / ٣٤١-٣٤٢، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢ / ٥٢٨.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال ٣ / ٤٢٣.

(٣) الذهبي: ميزان الاعتدال ٤ / ٤٣٠.

(٤) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢ / ٢ / ٣٩٥-٣٩٦، أبو زرعة: الكامل في الضعفاء ٢ / ٤٢٥.

الذهبي: ميزان الاعتدال ٢ / ٦٣٣-٦٣٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦ / ٣٥٣-٣٥٥. تقريب

التهذيب ١ / ٥١٢.

عن مصير أبي طالب الذي يختلف عند الطرفين فهو في ضحضاح من نار عند القائلين ببقائه على دين قومه، اما عند القائلين بإيمانه فالرسول يرجو له كل الخير، والظاهر انه وضع في مقابل حديث الضحضاح، وإلا فما معنى سؤال العباس عن أبي طالب فإنه إن صح يورث شكا في إيمان أبي طالب.

الدليل الرابع: قول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: (إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار) الملاحظ أن المقصود هو من قامت لديه البيئنة على إيمان أبي طالب ومع ذلك انكره لمآرب أخرى كأن يكون البغض للإمام علي عليه السلام وإلا فلا يؤخذ هذا النص على ظاهره في حالة صحته.

الدليل الخامس: لم أجد ما يؤيد أن الإمام عليا عليه السلام أوصى بالحج عن عبد الله وأبي طالب.

الدليل السادس: قول أبي بكر للرسول صلى الله عليه وآله: لأننا كنت أشد فرحا بإسلام عمك أبي طالب مني بإسلام أبي، التمس بذلك قرعة عينك.

إذا كان إسلام أبي طالب في بدء الدعوة الاسلامية فلا معنى لفرح الرسول صلى الله عليه وآله، أو أبي بكر لأن إسلامه كإسلام أي من المسلمين الاوائل، اما إذا كان إسلامه في لحظات الموت، ولذلك فرح الرسول صلى الله عليه وآله به تبعا لذلك فرح أبو بكر، فإن هذا ما لا يقوله القائلون بإسلام أبي طالب، فكيف يعتبرونه دليلا على إسلامه، بل إن النص أعلاه يفيد عدم إسلام أبي طالب، أي إن أبا بكر كان يتمنى إسلام أبي طالب ولو أسلم لكان أشد فرحا به من إسلام أبيه.

الدليل السابع عشر: حينما حضرت أبا طالب الوفاة تكلم بكلام خفي فأنصت له العباس، وقال للرسول صلى الله عليه وآله: يا ابن اخي والله لقد قالها عمك، ولكنه

ضعف أن يبلغك صوته.

إذا صحت هذه الرواية وهذا الموقف من العباس، فلماذا لم يسلم هو، ثم هذا يعني أن أبا طالب أسلم في اللحظات الأخيرة والقائلون بإسلامه يقولون: إنه أسلم منذ يوم الإنذار.

والأولى أن يقال في ذلك إن ما قاله أبو طالب في اللحظات الأخيرة لا يعني بدء إسلامه وإنما هو التشهد الذي يقوله المحتضر ساعة الاحتضار كما تؤكد السنة المشرفة.

الدليل التاسع عشر والثالث والعشرون: أن شعر أبي طالب دليل إيمانه:

إن من يقرأ شعر أبي طالب أو يسمعه يقطع بإيمانه!! إذا يا ترى ما هو موقف مشركي مكة من هذا الشعر، فهل كان أبو طالب يقوله بعيدا عن اسمع المشركين؟ نجد أن بعضه قاله بوجه المشركين وبمسمع منهم!

والملاحظ ان فترة المقاطعة قد تكون حدا فاصلا بين فترتين متميزتين من حياة أبي طالب بعد ظهور الإسلام ألا وهي فترة السر وهي الفترة السابقة للمقاطعة، ولكن حينما ادرك المشركون أن أبا طالب قد آمن بدعوة ابن أخيه لذا اصدروا بحقه أقسى العقوبات ألا وهي المقاطعة، حيث كان أبو طالب هو كبير المقاطعين والمحصورين، فدعا بني هاشم لنصرة النبي ﷺ وتأييده واستنكر موقف القريشيين هذا شعراً.

فهل ان شعر أبي طالب جاء بعد المقاطعة؟ خاصة إذا علمنا ان القائلين بإسلامه يقولون بأن أبا طالب كتم إسلامه بغية حماية النبي ﷺ؟ فكيف يتأتى ذلك مع شعره الصريح بإيمانه!!؟

اما بالنسبة إلى موقف ابن أبي الحديد السلمي وعدم اتخاذه قرارا واضحا معتمدا على دليلين: الأول: تعارض أدلة القائلين ببقائه على دين قومه مع أدلة القائلين بإسلامه.

والواقع إن عدد الأدلة التي ساقها لبيان بقاءه على دين قومه لا تتجاوز التسع أدلة بينما أورد ثلاثة وعشرين دليلا على إيمانه وفي هذا نجد موقفا خفيا لابن أبي الحديد!!؟

الثاني: ما ورد في رسالة محمد ذي النفس الزكية إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ، وقول «ذي النفس الزكية» فيها: (أنا ابن خير الاخير، وأنا ابن شر الأشرار)، (فإن هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر وهو ابنه وغير متهم عليه) وأضاف: وعهده قريب من عهد النبي ﷺ ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً.

نظرة في رسالة محمد ذو النفس الزكية:

هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، من كبار رجالات أهل البيت خلقا وعلما حتى سمي بذئ النفس الزكية لزهده ونسكه، وحينها لاحت علامات ضعف وانحلال الدولة الأموية، أخذ رجالات البيت الهاشمي بعقد الاجتماعات ومداولة الرأي، وقد عقد في الأبواء اجتماعان، كان الأول سنة ١٢٦هـ اما الثاني سنة ١٢٩هـ لبيعة ذي النفس الزكية، فلم تتم فيها البيعة لأن الدعوة العباسية كانت قد أتت أكلها، وسرعان ما قامت الدولة العباسية، فاخفى محمد ولم يبائع لأبي العباس السفاح ١٣٢-١٣٦، وقد إراد الأخير أن يقدم صورة لخلافة هاشمية، فلم يتعرض لأبناء عمه العلويين، ولكنه

١٣٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

لما جاء أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨)، لم يقتنع إلا ببيعة محمد، متخذاً جملة من الاجراءات التي اضطرت محمدا للخروج في المدينة، وهنا أشارت المصادر إلى أن الخليفة وجدها فرصة للاعلان عن الرؤية العباسية في نظرية الخلافة، فكانت ثلاث رسائل تبودلت بدأها المنصور، وأجاب محمد عن الاولى ثم اعاد الخليفة الجواب، فيما لم تشر المصادر لرسالة جوابية ثانية من محمد لتكون أربع رسائل وكان من جملة ما ورد في رسالة محمد عبارة (أنا ابن خير الاخير، وأنا ابن شر الاشرار)^(١).

هنا لنطرح عدة حيثيات حول ذلك:

أولاً: ان هذه الرسائل^(٢) إنما كتبت لإثبات من هو الأحق بمنصب الخلافة، إذن يجدر بمحمد أن يبحث عن أدلة تؤيد أحقيته، فهل يعقل أن نجد محمدا يسجل على نفسه وبقلمه عند خصمه هذا الدليل الذي يعد طعنا فيه وليس له؟ كيف يجوز لعاقل ان يظن صدور مثل هذا القول من محمد وهو في

(١) البلاذري: انساب الاشراف ٢/١٣٥-٧٥. مؤلف مجهول: اخبار العباس وولده ص ٣٨٥-٣٨٦، ٣٨٨-٣٨٩. الطبري: تاريخ ٧/٥١٧-٦٠٩. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ١٥٧-٢٠٠، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ص ٢٣٠-٢٥٠. القالي: ذيل الامالي ص ١٢٠. ابن عنبه: عمدة الطالب ص ١٠٣-١٠٥.

(٢) أنظر هذه الرسائل في البلاذري: انساب الاشراف ٢/٩٥-١٠٢. المبرد: الكامل في اللغة والادب ٤/١١٣-١٢٠. الطبري: تاريخ ٧/٥٦٥-٥٧١. ابن عدي: العقد الفريد ٥/٧٩-٨٥. الازدي: تاريخ الموصل ١٨٢-١٨٧. مؤلف مجهول: العيون والحدائق ص ٢٤٠-٢٤١. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٢٢١-٢٢٤. القلقشندي: صبح الاعشى ١/٢٣١-٢٣٥. صفوة: جمهرة رسائل العرب ٣/٨٤-٩٦. وانظر تحليل هذه الرسائل، فاروق عمر: العباسيون الاوائل ١/١١٨-١٣٤.

وقت مملوء حماسا وافتخاراً؟ وإذا كان محمد ابن شر الاشرار فأبي فخر يبقى له؟! (١).

ثانيا: لو قبلنا بصحة ذلك جدلا فهل هناك من يقول إن أبا طالب شر الاشرار؟ فهل هو شر من أبي لهب الذي صرح القرآن به، وأبي جهل فرعون هذه الأمة، والوليد بن المغيرة الذي توعده القرآن بسقر!!؟ (٢).

ثالثا: ولو تنزلنا بعد وقلنا بصدور ذلك من ذي النفس الزكية فما هو الدليل على أن قصد محمد بشر الاشرار هو أبو طالب فقد يكون قصده جده لأمه، عبد العزى، فأم محمد هي هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى، وكان عبد العزى من مشيخة قريش ومشركيهم (٣) وقد يقصد جده زمعة بن الأسود (٤)، أحد المناوئين للنبي ﷺ.

رابعا: يرى ابن أبي الحديد انه لا يمكن القول بافتعال ذلك على محمد لأن عهده قريب من عهد النبي ﷺ فلم يطل الزمان حتى يكون الخبر مفتعلا.

ان المتتبع لما ورد في شرح ابن أبي الحديد يكاد يقطع بأن ابن أبي الحديد لا يقتنع نفسه بهذا الدليل - حيث أكد في مناسبات عدة على أن مسألة الوضع في الحديث قد بدأت في عهد معاوية، حتى أن الأخير وضع اشخاصا لهذا

(١) العاملي: شيخ الاطبح ص ٨١. الخنيزي: أبو طالب ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) العاملي: شيخ الاطبح ص ٨١.

(٣) ابن عنبه: عمدة الطالب ص ١٠٣. العاملي: شيخ الاطبح ص ٨٢. الخنيزي: أبو طالب ص ٢٩٦-٢٩٨.

(٤) من ألد أعداء النبي ﷺ وقتل في معركة بدر. أنظر: الطبري: تاريخ ٣٧٠/٢، ٤٣٧، ٤٥٨،

١٣٤الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الغرض (١)، مع أن الإمام علياً يرى أن الوضع في الحديث قد بدأ في عصر النبي ﷺ ولذا نجده ﷺ يتوعد أولئك ويقول: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار (٢).

فإذا كان الوضع قد افتعل على النبي ﷺ في زمانه، فمن باب أولى أن نجده في العصور اللاحقة، ولا داعي للافاضة في هذه المسألة فهي من المسلمات.

خامساً: بدأ المنصور بإرسال رسالة مزوجة بالترغيب والترهيب إلى محمد، وكأنه إراد استثارته حتى إذا جاءت رسالة محمد الجوابية، نجد الخليفة وكأنه يريد ان يوضح نظرية العباسيين في الخلافة، محاولاً ابطال النظرية العلوية، إلا اننا بعد ذلك لا نجد رسالة لمحمد للإجابة على النظرية التي طرحها الخليفة؟ فهل هذا يعني اقتناع محمد بما جاء به المنصور؟ أو رأى أن الاجابة لا تجدي نفعاً؟ أم أن هناك رسالة ولكن يدا خفية أخفتها؟!.

سادساً: ان محمداً قد قتل وتشتت أصحابه بين القتل والسجن والتشريد، فلم يكن لدينا مصدرٌ عن هذه الرسائل إلا بلاط الخليفة العباسي!!؟.

سابعاً: ولنأت الآن إلى مصدر هذه الرسائل ورواتها:

مصدرها لدى البلاذري: هو ابن حرب. وقد أورد الذهبي شخصيتين بهذا الاسم، قال بحق الأول: مجهول، أما الآخر فهو: واه (٣).

(١) الشرح: ٤/٦٣-٧٣، ١١/٣٨-٥٠.

(٢) الشرح: ١١/٣٨. واخرج حديث النبي الترمذي: صحيح ١٢/١٦٧. ابن ماجه: صحيح ١٣١٢/١.

(٣) الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/٥١٣.

مصدرها لدى الطبري:

قال الطبري: قال عمر بن شبة: حدثني محمد بن يحيى قال: نسخت هذه الرسائل من محمد بن بشير وكان بشير يصححها وحدثنيها أبو عبد الرحمن من كتاب أهل العراق والحكم بن صدقة بن نزار، وسمعت ابن أبي حرب يصححها، ويزعم ان رسالة محمد لما وردت على أبي جعفر قال أبو ايوب: دعني أجبه عليها، فقال: أبو جعفر: لا بل أنا اجيبه، إذا تقارنا على الاحساب فدعني وإياه.

بدءاً يتضح ان هناك شكوكا في الرسائل ولذا نجد محمد بن بشر يصححها، ولا ندرى ماذا يقصد بالتصحيح؟ ويذكر لفظة (ويزعم) وهي من الفاظ الشك والتمريض.

اما بالنسبة إلى الرواة، فابن أبي الحرب، لم نجد شخصا بهذا الاسم، وقد يكون ابن حرب الذي ذكره البلاذري ولا حظنا القول فيه.

الحكم بن صدقة بن نزار: لم أجد في كتب التاريخ أو الجرح والتعديل شخصا بهذا الاسم حيث اطلعت على كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، وميزان الاعتدال للذهبي، وتقريب التهذيب وتهذيب التهذيب لابن حجر وغيرها.

أبو عبد الرحمن: ذكر الذهبي سبعة اشخاص بهذه الكنية وقد طعن فيهم كلهم. (١)

محمد بن بشر: ذكر الذهبي ستة اشخاص بهذا الاسم ولم يسلم أحد من تجريحه. (٢)

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/٥٤٦-٥٤٧.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٤٩١-٤٩٢.

١٣٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

محمد بن يحيى: قال فيه محمد ابن أبي حاتم: شيخ، وقال السليمانى: حديثه منكر، وقال النسائى: ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما خالف وقال عمر بن شبه: كان كاتباً وابوه كاتباً وجداه كاتبين، وكان عمه كاتباً بينما عدّه ابن حزم مجهولاً، أما الدارقطني وابن حجر فقالا فيه ثقة ^(١).

مصدرها لدى ابن عبد ربه في العقد الفريد: قال: حدث عبد العزيز بن عبد الله البصري عن عثمان بن سعيد بن سعد المدني ^(٢).

فبالنسبة إلى عبد العزيز بن عبد الله البصري فقد قال فيه الذهبي (تكلم فيه ابن عدي وقال: هو القرشي البصري، ثم ساق له احاديث تستنكر، وقال: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات) ^(٣).

في حين عجزت كتب الجرح والتعديل أن تجد لها مكاناً تضع فيه عثمان بن سعيد بن سعد المدني، حيث لم أجد له ذكراً في كتاب الجرح والتعديل لأبي حاتم ولا الكامل في الضعفاء لابن عدي ولا ميزان الاعتدال للذهبي، ولا تقريب التهذيب وتهذيب التهذيب لابن حجر. إذن فهو من مجاهيل الرواة، إن لم يكن مختلقاً.

والآن لنطرح سؤالاً: لماذا قام أبو طالب بنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

إن أي دارس للدعوة الاسلامية في مكة المكرمة يجد أن أبا طالب كان

(١) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/٤/١٢٣، الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/٦٢، ابن حجر:

تقريب التهذيب ٢/٢١٨، تهذيب التهذيب ٩/٥١٧-٥١٨.

(٢) العقد الفريد ٥/٧٤.

(٣) ابن عدي: الكامل في الضعفاء ٦/٥١١-٥١٢، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٦٣٠.

عماد هذه الدعوة^(١)، الذي ما إن زال حتى بان الضعف فيها، فأعطى الأعداء الفرصة لمحاولة الاجهاز عليها.

فبدءاً نجد أبا طالب يحتضن الدعوة منذ يوم الإنذار^(٢)، ونجده يجيب النبي ﷺ قائلاً لأبي لهب: (والله لننصرنه ثم لنعيننه. يا ابن اخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح)^(٣).

وهنا أخذ النبي يباشر دعوته بإسناد عمه، الذي بدوره أسند ولديه عليا وجعفرًا ودعاهما لنصرة النبي ﷺ وخصص عليا للمنام في فراش الرسول ﷺ إذا ما أحس بوجود خطر عليه يوماً ما^(٤). ثم أخذ أبو طالب على عاتقه الرد

(١) يقول ابن كثير: (وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاباة والمحاجة والممانعة عن الرسول ﷺ والدفع عنه وعن أصحابه، وما قال فيه من المادح والثناء، وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطالبية التي لا تداني ولا تسامى، ولا يمكن عربياً مقاربتها ولا معارضتها، وهو في ذلك كله يعلم ان رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) صادق بار راشد ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه، وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري... كان أبو طالب يصد الناس عن أذية الرسول (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ونفس ومال. ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة والحجة القاطعة البالغة الدافعة التي يجب الإيمان بها، والتسليم لها، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه). البداية والنهاية ١٢٦/٣. اقرأ وتعجب!!

(٢) حينما نزل قوله تعالى: [وانذر عشيرتك الأقرين]. سورة الشعراء، آية ٢١٤.

(٣) اليعقوبي: ٢٤/٢.

(٤) الشرح: ١٣/٢٠٠، ١٤/٥٣، ٦٤، ٧٥-٧٦. أبو نعيم: دلائل النبوة ١/٢٢٧.

١٣٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

بيد من حديد لكل من تسول له نفسه إيذاء النبي ﷺ بالقول أو الفعل كما فعل مع ابن الزبير^(١)، ومع أبي جهل^(٢).

ولما لم تجد قريش من وسيلة لإيقاف النبي ﷺ عن مواصلة دعوته لجأت إلى عمه أبي طالب تقدم الاقتراحات لتسوية الخلافات، وما كان من أبي طالب سوى القيام بدور ذكي وكأنه دور الوسيط فيبعث للنبي ﷺ ويعرض عليه اقتراح قومه، وحينما يرفض النبي ﷺ نجد أبا طالب يعلن تجديده لعهدده بحماية النبي ﷺ ودعوته إياه لمواصلة منهجه في الدعوة إلى التوحيد^(٣).

ولما شعر المشركون بأن أبا طالب وكأنه شريك للنبي ﷺ في دعوته قرروا أن تكون العقوبة شاملة لأبي طالب فكانت مقاطعة قريش لبني هاشم جميعا عدا أبي لهب^(٤).

وفي الواقع إن المقاطعة إنما كانت سلاحا موجها ضد أبي طالب لإرغامه على ترك حماية النبي ﷺ، وأما مقاطعة بني هاشم فلعلمهم بأنهم تبع لأبي طالب، فإذا ما تم ثني أبي طالب عن عزمه فهنا ينتهي دور بني هاشم بصورة طبيعية مما يسهل عليهم الإجهاز على النبي ﷺ.

ولكننا نجد أبا طالب يهب داعيا بني هاشم لنصرة النبي ﷺ وتأييده ولما

(١) أنظر القرطبي: الجامع ٦/٢٦١.

(٢) الشرح: ١٤/٧٢، وانظر ابن معد: الحجة ص ٢٢٤.

(٣) الشرح: ١٤/٥٣-٥٥، ٧٤. أنظر: الطبري: تاريخ ٢/٣٢٣-٢٣٧. الحاكم: المستدرک ٣/٦٦٧.

الواحدي: أسباب النزول ص ١٤٩. ٢٤٦-٢٤٧. النويري: نهاية الارب ١٦/١٩٩-٢٠٢.

(٤) الشرح: ١٤/٥٨-٦١. وانظر اليعقوبي: التاريخ ٢/٢٦-٢٧. الطبري: تاريخ ٢/٣٣٥،

رأى استجابتهم سره ذلك وأعلن ذلك شعراً^(١)، ولم يكتف بذلك بل أعلن استنكاره على قريش فعلهم هذا نظماً ونثراً واعتبره مثلبة لقريش.^(٢)

وعلى مدى ثلاث سنوات عانى أبو طالب الأمرين من أثر الحصار حتى إذا علم النبي ﷺ بأن صحيفة المشركين قد اكلتها الأرضة إلا ما كان من (باسمك اللهم) جاء ﷺ وأخبر عمه، الذي سرعان ما ذهب إلى أندية قريش مخبراً إياهم بما أخبره به النبي ﷺ وهو على ثقة من كلام النبي ﷺ^(٣). وبذلك أعلن أبو طالب فشل مقاطعتهم وخرج بنو هاشم من الحصار الذي كان تجربه قاسية ومثلاً من امثلة التضحية والإباء.

وما هي إلا أيام حتى كان أبو طالب يعيش في آخر أيامه، فدعا قريشا وأوصاهم ومن جملة وصاياه اوصاهم بالنبي ﷺ خيراً^(٤).

إن الملاحظ على ذلك امران:

الأول: إن كان أبو طالب على دين عبد المطلب الذي هو كما يرى البعض دين الوثنية، إذا أليس الأجدر به أن يثار لأبيه صاحب المكانة الكبرى لدى

(١) الشرح: ١٤/٥٦-٦٤. وانظر: الطبري: تاريخ ٢/٣٢٧-٣٢٨.

(٢) الشرح: ١٤/٧٢-٧٣، ٧٩. وانظر: ديوان أبي طالب، ط بحر العلوم ص ١٧.

(٣) اليعقوبي: التاريخ ٢/٢٧. أبو نعيم: دلائل النبوة ص ٢٢٨-٢٢٩. النويري: نهاية الارب ١٦/٢٥٩.

ابن كثير: البداية والنهاية ٣/٩٧. السيوطي: الخصائص الكبرى ١/٣٧٥. الحلبي: السيرة الحلبية

١/٣٧٣-٣٧٤. دحلان: اسنى المطالب ص ١٥-١٦. الشبلنجي: نور الابصار ص ١٢.

(٤) سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٨. السهيلي: الروض الانف ١/٢٥٩. السيوطي: الخصائص

الكبرى ١/٢١٥. الديار بكرى: تاريخ الخميس ١/٣٠٠-٣٠١. الحلبي: السيرة الحلبية

١/٣٨٣. دحلان: اسنى المطالب ص ٧-٨، ٦٢-٦٣.

١٤٠الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

قريش خاصة والعرب عامة؟ كيف يتسنى لأبي طالب أن يحمي ابن أخيه حول أمر هو أول المدانين عليه؟ فالنبي ﷺ كان يسفّه احلام المشركين ويطعن في عقولهم علنا وصراحة ويتوعدهم بالهلاك في الدنيا والجحيم في الآخرة، فهل كان هذا الوعيد الذي يشمل المشركين لا يشمل أبا طالب إن كان مشركاً؟ وهل يشمل عبد المطلب أم لا؟.

المعروف ان العصبية للأبَاء والأجداد أشد من العصبية للأبناء:

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (١).

إذا فحرّي بأبي طالب إن كان مشركاً أن يثار لعقيدته وعقيدة أبيه التي سفهها النبي ﷺ.

الثاني: كان أبو طالب مع بدء الدعوة الاسلامية في قمة مجده فهو شيخ الأبطح، وإليه المرجع في الأحكام ليس لدى قريش فحسب بل عند العرب عامة حيث عدّ من الحكام وكان قد استنبط بعض الاحكام. وعندما بدأت الدعوة الاسلامية نجد العباس لا يتخذ بشأنها قراراً قائلاً: (نتظر رأي الشيخ) حيث أن أبا طالب قد حاز مجد أبيه السياسي والاجتماعي.

إذا أليس الأجدد بأبي طالب أن يحافظ على هذا المجد ويقف أمام أي محاولة للطعن فيه؟ أم انه وجد في دعوة النبي ﷺ مجداً أعظم من ذلك المجد؟ فيا ترى ما هو المجد الذي جعل أبا طالب يمضي السنين العشر الأواخر من حياته في صراع مع قريش لفسح المجال للرسول ﷺ لنشر دعوته!!؟.

بعد هذا التحليل يأتي التساؤل حول السر في توقف ابن أبي الحديد في أمر

(١) سورة الزخرف آية ٢٣.

إسلام أبي طالب، فمن خلال تحليلات أخرى لابن أبي الحديد يتضح أن مسألة توفقه قد تكون مجرد مسألة توفيقية لا اعتقادية ومن هذه التحليلات:

أولاً: أشار ابن أبي الحديد أن أحد الطالبين في زمانه ولم يشر إلى اسمه وضع كتابا حول إسلام أبي طالب، وقدمه إليه، ليكتب عليه بخطه إما شعرا أو نثرا وليشهد بصحة ذلك بوثاقة الأدلة عليه. ومن خلال بحثنا قد تبين لنا ان هذا الطالب هو - شمس الدين فخار بن معد الموسوي^(١) أحد شيوخ ابن أبي الحديد وقد وصل كتابه هذا إلينا باسم (الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب) وقد اعتمده ابن أبي الحديد كثيرا في إيراد أدلة القائلين بإسلام أبي طالب إلا أنه لم يشر لذلك.^(٢)

قال ابن أبي الحديد: (فتخرجت أن أحكم بذلك حكما قاطعا لما عندي من التوقف فيه، ولم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب فيني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة، وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة فكتبت على ظهر المجلد:

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصا وقاما
فذاك بمكة اوى وحاما وهذا بيثرب جس الحاما
تكفل عبد مناف بأمر واودى فكان علي تماما

(١) هو النسابة السيد شمس الدين أبو علي فخار بن معد بن فخار بن معد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الامام موسى الكاظم عليه السلام. توفي سنة ٦٠٣ هـ وله مؤلفات عدة أنظر ترجمته: البحراني: اللؤلؤة ص ٢٨٠، الخوانساري: روضات الجنات ٥/ ٢٣، الامين: اعيان الشيعة ٤٢/ ٢٦٢-٢٦٣. الأميني: الغدير ٧/ ٤٠١.

(٢) وقد اعتمده في مواضع أخرى أشار له مثل ١/ ٤١، ٤/ ١٢، ١٤/ ٨٣، ١٥/ ٢٣.

فقل في ثبير مضى بعد ما قضي ما قضاه وابقى شهما
 فله ذا فاتحا للهدى والله ذا للمعالي ختما
 وما ضر مجد أبي طالب جهول لغا أو بصير تعامى
 كما لا يضر إياه الصباح من ظن ضوء النهار الظلاما

قال ابن أبي الحديد بعد ذلك: (فوفيته حقه من التعظيم والإجلال ولم أجزم بأمر عندي فيه وقفة)^(١)، ولكن لتساءل عن قول ابن أبي الحديد أعلاه: وما ضر مجد أبي طالب.... فاننا لم نقرأ أو نسمع أن أحدا طعن في أبي طالب في شيء غير إسلامه، اذن فكل من طعن في ذلك عند ابن أبي الحديد هو (جهول لغا أو بصير تعامى) وهذا لا يضر مجد أبي طالب ولكن ماذا نقول لابن أبي الحديد إذا كان هو في صف اولئك أم إن هناك امراً خفياً!!!.

ثانياً: في حديثه عن أديان العرب قبل الإسلام قسم ابن أبي الحديد العرب على قسمين، المعطلة: وهم عباد الاصنام والكواكب، وأدخل معهم اليهود لقولهم بالتجسيم، والنصارى لقولهم بالتثليث. اما القسم الثاني: غير المعطلة: أي المتأهلون وهم اصحاب الورع والتخرج عن القبائح وعدّ منهم عبد المطلب وولديه أبا طالب وعبد الله.^(٢)

ثالثاً: عدّ ابن أبي الحديد أبوة أبي طالب من فضائل الإمام علي عليه السلام، إذ يقول: (وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء وشيخ قريش ورئيس

(١) الشرح: ٨٣/١٤-٨٤.

(٢) الشرح: ١/١٢٠.

مكة) (١).

وقال أيضاً: (إن علياً عليه السلام كان يدعى التقدم على الكل، والشرف على الكل، والنعمة على الكل، بابن عمه عليه السلام وبأنفسه وبأبيه أبي طالب، فإنه من قرأ علوم السير عرف أن الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً). (٢)

والظاهر أن هذا الرأي قد واجه نقداً فعقب ابن أبي الحديد قائلاً: (وليس لقائل ان يقول: كيف يقال هذا في دين تكفل الله تعالى بإظهاره سواء كان أبو طالب موجوداً أو معدوماً! لأننا نقول: فينبغي على هذا أن لا يمدح رسول الله عليه السلام ولا يقال: إنه هدى الناس من الضلالة، وأنقذهم من الجهالة، وأن له الحق على المسلمين، وإنه لولاه لما عبد الله تعالى على الارض وألا يمدح أبا بكر، ولا يقال: ان له أثراً في الإسلام وإن عبد الرحمن وسعدا وطلحة وعثمان وغيرهم من الأولين في الذين اتبعوا رسول الله عليه السلام لا تبعاه لهم، وإن له يداً غير محدودة في الانفاق واشتراء المعذنين، وإعتاقهم، وإنه لولاه لاستمرت الردة بعد الوفاة، وظهرت دعوة مسيلمة وطليحة، وإنه لولا عمر لما كانت الفتوح، ولا جهزت الجيوش، ولا قوي أمر الدين بعد ضعفه، ولا انتشرت الدعوة بعد خمولها).

وأضاف: (فإن قلت في كل ذلك: إن هؤلاء يحمدون ويثنى عليهم، لأن الله تعالى أجرى هذه الامور على ايديهم ووقفهم لها، والفاعل بذلك بالحقيقة هو الله تعالى، وهؤلاء آلة مستعملة ووسائط تجري الافعال على ايديها فحمدهم والثناء عليهم، والاعتراف لهم إنما هو باعتبار ذلك قيل: لكم في شأن أبي طالب

(١) الشرح: ٢٩/١.

(٢) الشرح: ١٤٢/١.

مثله). (١)

رابعاً: في شرحه لوصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن بضرورة السير على سنة السلف الصالح، أشار ابن أبي الحديد ان الإمامية وكثيراً من المعتزلة يرون أن أبا طالب من السلف الصالح. (٢)

خامساً: عدّ ابن أبي الحديد أبي طالب من أباة الضيم في قوله عند نصره النبي ﷺ: (٣)

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً
ولما نطاعن دونه وناضل
ونصره حتى نصرع حوله
ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وقد قيّض الله تعالى للإمام علي عليه السلام أمماً تعد من شواخص نساء التاريخ وهي السيدة فاطمة بنت اسد بن هاشم (٤) الزوجة الوحيدة لأبي طالب فأنجبت له أولاده الأربعة عقيلاً وجعفرأً وعلياً وام هانئ. وهي أول هاشمية تلد لهاشمي، أسلمت بعد عشرة من المسلمين فكانت الحادية عشرة، وهي أول امرأة بايعت الرسول ﷺ من النساء.

كان ﷺ يكرمها ويعظمها ويدعوها (أمي) لأنها هي التي احتضنته صغيراً منذ كان في السادسة من عمره حيث توفت أمه آمنة بنت وهب، فأوصى عبد

(١) الشرح: ١/١٤٢.

(٢) الشرح: ١٦/٧١.

(٣) الشرح: ٣/٢٥٨-٢٥٩.

(٤) أنظر ترجمتها: ابن سعد: الطبقات ٨/٢٢٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٨٩١. ابن المغازلي:

مناقب ص ٦، ٧٧. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٥٤. ابن الاثير: اسد الغابة ٥/٥١٧. سبط

ابن الجوزي: تذكرة ص ٩-١٠. ابن حجر: الاصابة ٤/٣٨٠.

المطلب برعايته ﷺ لأبي طالب.

وقد هاجرت فاطمة إلى المدينة، ولما حضرتها الوفاة أوصت إلى النبي ﷺ فقبل وصيتها وصلى عليها، ونزل في لحدها، واضطجع معها فيه، بعد أن ألبسها قميصه، فقال له أصحابه: إنا ما رأيناك صنعت يا رسول الله بأحد ما صنعت بها. فقال: إنه لم يكن أحد أبر بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها ليهون عليها ضغطة القبر. (١)

تجدر الإشارة إلى أنها من الموحدين قبل الإسلام ولم يؤثر عنها أنها سجدت لصنم. (٢) حتى تشير الروايات أنها اتخذت من الكعبة مكانا لولادة ابنها الأصغر عليا (٣) كما سنرى في الفصل القادم.

يخلص ابن أبي الحديد (٤) في شأن نسب الامام للقول: (فأباؤه آباء رسول الله وأمهاته أمهات رسول الله وهو منوط بلحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب، وأمهها واحدة فكان منها سيدها الناس هذا الأول وهذا التالي، وهذا المنذر وهذا الهادي) (٥).

(١) (الشرح: ١٣/١-١٤. وانظر: الصاحب بن عباد: عنوان المعارف ص ٤٣. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٤-٥. الحاكم: المستدرک ٣/١١٧.

(٢) (الشبلنجي: نور الابصار ص ٧٦.

(٣) أنظر تفاصيل ذلك في كتابنا (فضائل الإمام علي عليه السلام المنسوبة لغيره.. الحلقة الاولى.. الولادة في الكعبة، الصفحات جميعها).

(٤) (الشرح: ٣٠/١.

(٥) (إشارة لقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ سورة الرعد، آية ٧، حيث يشار إلى نزولها في النبي ﷺ باعتباره المنذر، والإمام علي عليه السلام الهادي. أنظر الطبري: جامع البيان ١٣/١٠٨. الحاكم: المستدرک

١٤٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ومن كان يفتخر به الامام عليه السلام عمه (حمزة) (١) الذي أسلم مع بواكير الدعوة الاسلامية، وكان لنصرتة للرسول ﷺ مدعاة لارتياح أبي طالب الذي مدحه بشعره. وقد تميز حمزة بالشجاعة حتى عُرف بأسد الله وأسد رسول الله، لذلك نجده مع الإمام علي عليه السلام وعبيدة بن الحارث أول من يتقدم لحرب المشركين في أول مناجزة عسكرية.

وكان ممن ثبت يوم أحد حيث استشهد، وترك مقتله أثراً سلبياً في نفس النبي ﷺ (٢).

وكان الامام عليه السلام يفتخر به ويقول (٣):

محمد النبي اخي وصهري . وحمزة سيد الشهداء عمي .

ويرى ابن أبي الحديد (٤) انه لو كان حمزة حياً لما بايع علياً عليه السلام بل كان يدعو إلى نفسه لأنه كان جباراً، قوي النفس، شديد الشكيمة ذاهباً بنفسه، شجاعاً بهمه، وهو العم والأعلى سناً، وآثاره في الجهاد معروفة.

٣ / ١٤٠ . ابن كثير: البداية والنهاية ٧ / ٣٥٨-٣٥٩.

(١) أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ١ / ٣٦٩-٣٧٥ . ابن الاثير: اسد الغابة ٢ / ٤٦-٥٠ . ابن حجر: الاصابة ١ / ٣٥٣-٣٥٤ .

(٢) لا زالت سيرة -حمزة بن عبد المطلب- موضع اهمال من قبل الباحثين، حيث انه يمثل نموذجاً للفروسية عند العرب.

(٣) الشرح ٤ / ١٢٢ . وانظر: ابن المغازلي: مناقب ص ٤٠٤ . ابن طلحة: مطالب السئول ص ٣٠ .

الطبرسي: الاحتجاج ١ / ١١٢ . المازندراني: مناقب آل أبي طالب ٢ / ١٩ . سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٧ . الهيثمي: الصواعق المحرقة ص ١٣٠ .

(٤) الشرح ١١ / ١١٥ .

والظاهر ان ابن أبي الحديد أراد أن يعرف وجهة نظر الإمامية في هذه المسألة، فتوجه إلى شيخه النقيب أبو جعفر^(١) الإمامي المذهب. فكان رأي النقيب؛ أن هناك من الأدلة التي تثبت أن حمزة لو كان حياً لتابع علياً ولبايعه، ومن هذه الأدلة:

إن حمزة عليه السلام كان صاحب دين متين، وتصديق خالص للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.
إن حمزة لو عاش لرأى من أحوال الإمام علي عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما يدفعه لتابعته وبيعته.

أين خلق حمزة السبعي، من خلق الإمام علي عليه السلام الممزوج من خلق حمزة السبعي. وخلق علي الروحاني، فاتصفت نفس علي بالخلقتين معاً.

أين هيولانية^(٢) نفس الحمزة، وخلوها من العلوم من نفس علي القدسية التي ادركت بالفطرة لا بالقوة التعليمية ما لم تدركه نفوس مدققي الفلاسفة الالهيين! فلو أن حمزة عليه السلام كان قد بقي حياً ورأى من علي ما رأى غيره لكان أتبع من ظله وأطوع له من أبي ذر والمقداد.

أما كون حمزة العم والأعلى سناً، فكذلك كان العباس، وقد بذل خدماته لعلي، ثم أن الأعمام ما زالت تخدم ابن الاخ، كما فعل أبو طالب وحمزة والعباس في موقفهم من ابن اخيهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكما خدم اولاد علي العباسي ابن اخيهم

(١) لمزيد من التفاصيل عنه أنظر: مصطفى جواد: أبو جعفر النقيب ص ٨ وما بعدها.

(٢) هي القوة في الانسان وهي في النفس بمنزلة القوة الناطرة في العين. أنظر: الخوارزمي: مفاتيح

العلوم ص ٨١. بنسي: مذهب الذرة ص ٤١-٤٦. صليبا: المعجم الفلسفي ٢/ ٥٣٦-٥٣٧.

أبا العباس السفاح. (١)

ويرى ابن أبي الحديد ان لقب «سيد الشهداء» الذي اطلق على حمزة عليه السلام يقصد منه الشهداء في حياة النبي صلى الله عليه وآله ولا يشمل علياً عليه السلام لأن علياً أفضل من حمزة وسيده، بل هو سيد كل الناس، وهذه المسألة لاخلاف فيها بين المعتزلة (٢).

ومن كان يفتخر به الإمام علي عليه السلام ويعد من فضائله أخوه جعفر بن أبي طالب (٣) حيث يقول فيه مفتخراً (٤):

وجعفر الذي يضحى ويمسي يطير مع الملائكة ابن امي

الذي أسلم منذ بواكير الدعوة الاسلامية، واستجاب لأمر والده في نصره النبي صلى الله عليه وآله مع أخيه علي عليه السلام (٥)، ثم اختاره الرسول صلى الله عليه وآله سفيراً إلى الحبشة حيث

(١) الشرح ١١٥/١١-١١٦.

(٢) الشرح ١٥/١٩٣. وإلى هذا الرأي يذهب أيضاً الحسن البصري. الشرح ٤/٩٦.

(٣) أنظر ترجمته: الطبري: المنتخب ص ٤٩٤-٤٩٥. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٣-١٠.

الحاكم: المستدرک ٣/٢٣٠-٢٣٥. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٥١١. ابن الاثير: اسد الغابة

١/٢٨٦. ابن حجر: الاصابة ١/٢٣٧-٢٣٨.

(٤) ابن المغازلي: مناقب ص ٤٠٤، الطبرسي: الاحتجاج ١/١١٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة

ص ١٠٧. ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٣٠. الجويني: فرائد السمطين ص ٤٢٧. الهيثمي:

الصواعق ص ١٣٠.

(٥) كان للإمام أخوة اخرين أكبرهم طالب، الذي لا يعرف عنه شيء سوى انه هلك في الجاهلية،

ولعله شخصية اسطورية، مأخوذة من كنية أبي طالب ليس إلا، والثاني عقيل الذي أسلم متأخراً

وكان البعض يروي ان النبي صلى الله عليه وآله يحب حبين حب أحب أبي طالب له وحب له. ويعد عقيل ممن

عرف بعلم الانساب عند العرب. وقد أسيء فهم موقفه من الإمام علي ومعاوله - كما سنلاحظ -

ويشار إلى أن أولاده صرعوا كلهم مع الحسين عليه السلام في كربلاء. وكان للإمام أخت تدعى أم هانيء

تزعم مهاجري الحبشة، فكانت أول هجرة في الإسلام، حيث بقي هناك حتى السنة السابعة للهجرة^(١).

تجدد الاشارة إلى أن اختيار (جعفر) لهذه المهمة من بين سائر المسلمين فيه دلالة على مكانته المتميزة لدى الرسول ﷺ وقدرته على ما أسند إليه من مهام فكان أول سفير في الإسلام^(٢).

وبعد عودته في أيام فتح خيبر سنة ٧هـ، قال ﷺ: لا أدري بأيهما أشد فرحاً بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟^(٣) ثم قال له: أشبهت خلقي وخلقهم^(٤).

ثم سير الرسول ﷺ جيشاً لحرب الروم البيزنطيين، رتب له ثلاثة من القادة، اختلف في الأول هل هو جعفر أم زيد بن حارثة، وأضاف لهما عبد الله ابن رواحة.^(٥)

أشاد الرسول بشجاعتهما، قائلاً: لو أن أبا طالب اولد كل الناس لولدوا شجعاناً وكان لها ولد يدعى هبيرة كان من المساندين للإمام أيام خلافته. أنظر: الزمخشري: ربيع الابرار ١/ ٨٦٩. ابن حجر: الاصابة ٢/ ٤٩٤، ٤/ ٥٠٣.

(١) عن الهجرة إلى الحبشة. أنظر: الطبري: تاريخ ٢/ ٣٢٨-٣٣٢.

(٢) لا زالت سفارة جعفر إلى الحبشة بحاجة إلى مزيد من الدراسة لإلقاء الضوء على أسباب بقائهم لخمس عشرة سنة وما النتائج التي اسفرت عن بقائهم؟

(٣) ابن الاثير: اسد الغابة ١/ ٢٨٧. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٢١٨، ٢٢٤. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/ ٢٧١-٢٧٢. ابن عنبه: عمدة الطالب ص ٣٥.

(٤) الشرح ١/ ٢٩. وانظر اليعقوبي: التاريخ ٢/ ١٠٦. أبو الفرج: مقاتل ص ١٠. الحاكم: المستدرک ٣/ ٢٣٣.

(٥) عن تفاصيل غزوة مؤته أنظر: الشرح ١٥/ ٦١-٧٣. الواقدي: المغازي ٢/ ٧٥٥-٧٦٧. ابن هشام: سيرة ابن هشام ٣/ ٣٧٣-٣٨٩.

١٥٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وقد استنتج ابن أبي الحديد من خلال شعر حسان بن ثابت، وكعب بن مالك أن جعفرأ هو الأول^(١)، حيث جاء في قصيدة حسان^(٢):

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا جميعاً واسياف المنية تخطر

أما قصيدة كعب بن مالك الانصاري^(٣):

نام العيون ودمع عينك يهمل سحاً كما وكف الرباب المسبل
وجدأ على النفر الذين تتابعوا قتلى بمؤتة اسندوا لم ينقلوا
ساروا امام المسلمين كأنهم طود يقودهم الهزير المشبل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام اولهم ونعم الأول

تجدر الإشارة أن هناك من الأدلة ما تفيد قيادة جعفر للجيش منها:

إن زيدا مولى فلا يعقل ان النبي صلى الله عليه وآله يقدم مولى على جعفر الهاشمي، إذ لم يعهد من النبي فعل كهذا.

إن المكانة التي تميز بها جعفر تجعله هو المقدم من حيث كونه هاشمياً كما ذكرنا. وأول سفير في الإسلام واتصافه بخلق الرسول صلى الله عليه وآله، وشجاعته المعروفة.

(١) الشرح ١٥/٦٢-٦٤، ١٠/٢٤٩. وانظر: يعقوبي: التاريخ ٢/٥٥. الطبرسي: اعلام الورى ص١٠٢.

(٢) الشرح ١٥/٦٢-٦٣. وانظرها في الديوان ٩٩-١٠٠. ابن هشام: سيرة ابن هشام ٤/٣٨٤-٣٨٥.

(٣) الشرح ١٥/٦٣-٦٤. وانظرها في الديوان ٢٦٠-٢٦٣. ابن هشام: السيرة ٤/٣٨٥-٣٨٦. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص٨-٩.

إن الملاحظ لأحداث معركة مؤتة، لا يجد هناك من صدى إلا لجعفر، فهو الذي قطعت يده في ساحة المعركة، حيث عوضه الله بجناحين يطير بهما في الجنة، لذا عرف بجعفر الطيار^(١). وحينما تستعرض الروايات أحداث المعركة لا تفيض في الحديث إلا عن موقفه.

نجد أن أصدقاء موقف جعفر ماثلة لدى الرسول ﷺ^(٢) والشعراء، بل كان الأجدر بشعراء الأنصار مدح صاحبهم عبدالله بن رواحة، ولكنهم اشادوا بموقف جعفر.

وإشادة حسان وكعب دليل على تقدمه كما اوضح ابن أبي الحديد.

(١) الشرح ١٥/١٨٢. وانظر: الطبري: المنتخب ص ٤٩٤-٤٩٥. الشريف الرضي: نهج البلاغة

٣٨٦. الحاكم: المستدرک ٣/٢٣١-٢٣٢. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٢٢٦-٢٢٨.

(٢) اليعقوبي: التاريخ ٢/٥٥-٥٦. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٢٢٦-٢٢٨. الهيثمي: مجمع

الزوائد ٩/٣٢٧-٣٧٣.

الفصل الثاني

نشأة الإمام علي

عليه السلام

في بيت الرسالة

الفصل الثاني

نشأة الإمام علي عليه السلام في بيت الرسالة

ولد الإمام علي عليه السلام داخل الكعبة المشرفة، وكرم الله وجهه عن الخضوع والسجود للأصنام، فكأنما كان ميلاده إيذاناً بعهد جديد للكعبة والعبادة فيها. (١)
هذه الفضيلة التي انفرد بها الإمام علي عليه السلام، حيث الكعبة (٢) بيت الله الحرام، اقدس بيت في الوجود، وقد جعله الله سبحانه وتعالى قبلة للموحدين في آخر الزمان رغم وجوده منذ القدم.

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يضع منهاجه في الأرض عن طريق خليفة يتخذه:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣).

فأوجد سبحانه وتعالى الإنسان الذي أدخله في تجربة طويلة، حيث تكفلت

(١) العقاد: عبقرية الإمام علي ص ٤٣.

(٢) الكعبة لغة: كعبت الشيء أي ربعته، والكعبة: البيت المربع، وسمي البيت الحرام بالكعبة لتكعبيه اي تربيعة، والعرب تسمى المكان المرتفع كعبة. ابن منظور: لسان العرب ٢/٢١٣.

(٣) سورة البقرة، آية ٣٠.

السماء برسم المنهج، الدستور، النظام، عن طريق ما عرف بسلسلة الأنبياء، فكان هناك (١٢٤) ألف نبي، كل أرسل إلى قومه:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١).

أما طريقة الحياة فكان على الإنسان أن يدخل في صراع مع الطبيعة، وكان لذلك الصراع أثره في حصول الإنسان على المعرفة حيث اكتشف الزراعة، ثم الصناعة، ثم التجارة، ثم العلاقات الدولية. وما كان ذلك ليتم إلا بعد زمن وصراع طويل مع الطبيعة.

وما إن حل القرن السابع الميلادي، وكان البشرية قد وصلت إلى درجة من التكامل في التعامل مع الطبيعة، وتعامل الإنسان مع الإنسان أينما كان لذا وصل الإنسان إلى الدرجة التي تؤهله ليكون خليفة الله في الأرض، فالمعروف أن الأنبياء السابقين كانوا أنبياء قوميين ما عدا أولي العزم، وكل أرسل إلى قومه (أنظر سورة الأعراف ٥٩، ٦٥، ٧٣). والكتب السماوية، كانت متباينة، وخاضعة لعنصر الزمن، ومختصة بقوم دون قوم، فما تلبث أن تنسخ لأنها لم تعد ملائمة لتطور الإنسان.

فأرادت السماء هنا أن تضع منهاجا واحداً، حيث لا أنبياء متعددون بعد الآن ولا كتباً متعددة، ولا اديان متعددة، فالدين الذي سيسود هو الدين الاسلامي:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢).

والنبي الوحيد الذي سيكون للبشرية اجمع هو النبي محمد ﷺ:

(١) سورة الاسراء، آية ١٥.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٩.

﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(١).

والدستور الذي ينظم حياة البشرية جمعاء هو القرآن حيث أن أحكامه ستتناسب طردياً مع كل متغيرات الزمان والمكان والكل ستتوجه نحو قبلة واحدة هي الكعبة المشرفة، التي أصبحت قبلة للموحدين، فهي اليوم القبلة الوحيدة التي تحظى بقبول السماء، قال تعالى:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٢).

وقد كانت هذه القبلة موضعاً لولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فكانت هذه الفضيلة مما انفرد به^(٣)، حتى عرف باسم (وليد الكعبة).

وقد تصور ابن أبي الحديد ان رواية ولادته في الكعبة هي رواية امامية والواقع إن مسألة ولادته هي اجماع المسلمين^(٤).

وأقدم من أشار إليها الشاعر - السيد الحميري ت ١٧٣ هـ^(٥) - في قصيدة

(١) سورة الاحزاب، آية ٤٠.

(٢) سورة البقرة، آية ١٤٤.

(٣) هناك روايات لولادة حكيم بن حزام في الكعبة، لكنها روايات مراسيل. أنظر ابن بكار: جمهرة نسب قريش ص ٣٥٣. ابن حبيب: المحبر ص ١٧٦. تنظر دراستنا عن ولادة حكيم في كتابنا: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام المنسوبة لغيره ص ٢٤٣-٢٨٤.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/١٤. ولمزيد من التفاصيل ينظر تأليفنا: فضائل امير المؤمنين عليه السلام المنسوبة لغيره، الولادة في الكعبة ص ١٤٩-٢٣٨.

(٥) هو اسماعيل بن محمد بن يزيد المعروف بالسيد الحميري، كان شاعراً ظريفاً وله ديوان شعر مطبوع. أنظر ترجمته. ابن المعتز: طبقات الشعراء ص ٣٢-٣٦. أبو الفرج: الاغانى: ٧/٢٤٨-

له إذ قال^(١):

ولدته في حرم الاله وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها وبدا مع القمر المنير الاسعد
ما لف في خرق القوابل مثله الا ابن آمنة النبي محمد

وممن ذكرها المسعودي المعتزلي ت ٣٤٦هـ^(٢) والصدوق ت ٣٨١هـ^(٣)،
وقال الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥هـ «تواترت الاخبار أن فاطمة بنت اسد
ولدت امير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة»^(٤).
وقال الشريف الرضي ت ٤٠٦هـ: «لم نعلم مولوداً في الكعبة غيره»^(٥).
واشار لها المفيد ت ٤١٣هـ^(٦)، والشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ^(٧)، والطوسي
ت ٤٦٠هـ^(٨)، وابن المغازلي ت ٤٨٣هـ^(٩).....

= ٩٧. الطوسي: الفهرست ص ١٠٨. الكشي: رجال ص ٢٤٢-٢٤٥. الخوانساري: روضات

الجنات ١٠٣/١-١١١.

(١) ديوانه ص ١٥٥.

(٢) مروج الذهب ٢/٣٥٨. وينظر الكتاب المنسوب له: إثبات الوصية ص ٣٣.

(٣) الامالي ص ١١٦. علل الشرائع ١/١٣٥. معاني الاخبار ص ٦٢.

(٤) المستدرک علی الصحيحين ٣/٥٥٠.

(٥) خصائص الأئمة، ط مجمع البحوث الإسلامية ص ٣٩.

(٦) الإرشاد ص ٧. المقنعة ص ٤٦١. مسار الشيعة ص ٥٩.

(٧) القصيدة المذهبية ص ١١٩.

(٨) الامالي: ط دار الثقافة ص ٧٠٦. مصباح التهجد ص ٨٠٥.

(٩) مناقب علي بن أبي طالب ص ٧.

..... والفتال ت ٥٠٨ هـ (١) والطبرسي ت ٥٤٨ هـ (٢)، وعماد الدين الطبرسي ت بعد ٥٥٣ هـ (٣) والمازندراني ت ٥٨٨ هـ (٤).

ونوّه بها ابن طلحة الشافعي ت ٦٥٢ هـ (٥)، وسبط ابن الجوزي الشافعي ت ٦٥٤ هـ (٦)، والكنجي الشافعي ت ٦٥٨ هـ، الذي قال «ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه إكراماً له بذلك، وإجلالاً لمحلّه من التعظيم» (٧).

وقال الحسن بن محمد الهادي إلى الحق أحد أئمة الزيدية في اليمن (٨):

وكان في البيت العتيق مولده وامه إذ دخلت لا تقصده

وأشار لها الاربلي ت ٦٩٣ هـ (٩) والعلامة الحلي ت ٧٢٦ هـ (١٠) والجويني ت ٧٣٠ هـ (١١)، وأكدها الذهبي ت ٧٤٨ هـ في تلخيصه للمستدرک (١٢)،

(١) روضة الواعظين ١/٧٦.

(٢) اعلام الوری ص ١٥٣.

(٣) بشارة المصطفى: ص ٧-٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٢/٢٢-٢٣.

(٥) مطالب السؤل ص ٢٩.

(٦) تذكرة خواص الأمة ص ١٠.

(٧) كفاية الطالب ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٨) الأميني: الغدير ٥/٦٥٣. وعن الحسن بن محمد أنظر: الغدير ٥/٦٥٣-٦٦٠.

(٩) كشف الغمة ١/٦٠-٦١.

(١٠) كشف اليقين: ص ١٧.

(١١) فرائد السمطين ١/٤٢٥-٤٢٦.

(١٢) تلخيص المستدرک ٣/٥٥٠.

١٦٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وأشار لها الشاعر السيد عبد العزيز بن محمد السريحي الأوالي^(١) في حدود
٧٥٠هـ إذ قال^(٢):

من كان في حرم الرحمن مولده وحاطه الله من باس وعدوان
وذكرها أيضاً في شعره أبو الحسن علاء الدين الشيخ علي بن الحسين من
رجال القرن الثامن الهجري إذ قال^(٣):

م هل ترى في العالمين باسهم بشراً سواه بيت مكة يولد
أفي ليلة جبريل جاء بها مع الملاً المقدس حوله يتعبد
فلقد سما مجداً كما علا شرفاً به دون البقاع المسجد

وذكرها من المتأخرين ابن عنبة ت ٨٢٨هـ^(٤)، والديلمي ت ٨٤١هـ^(٥)،
وابن الصباغ المالكي ت ٨٥٥هـ^(٦)، والصفوري الشافعي ت ٨٩٤هـ^(٧)،
والسكتواري ت ١٠٠٧هـ^(٨)، وعلي القاري الحنفي ت ١٠١٤هـ^(٩)، والحلبي
الشافعي ت ١٠٤٤هـ^(١٠).....

(١) نسبة إلى اوال جزيرة في البحرين. الحموي: معجم البلدان ١/ ٢٧٤.

(٢) الأميني: الغدير ٦/ ٣٤. وعن الشاعر أنظر الغدير ٦/ ٣٣-٣٤، ٥٨.

(٣) الأميني: الغدير ٦/ ٥٠٨. وعن الشاعر أنظر: الغدير ٦/ ٥٠٣-٥٥٦.

(٤) عمدة الطالب ص ٥٨-٥٩.

(٥) إرشاد القلوب ٢/ ٢١١.

(٦) الفصول المهمة ص ١٣.

(٧) نزهة المجالس ٢/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٨) محاضرة الاوائل ص ١٢٠.

(٩) شرح الشفا ١/ ١٥١. نقلاً عن الأميني: الغدير ص ٦/ ٣٧.

(١٠) السيرة الحلبية ١/ ١٥٤، ٣/ ٤٠٥.

.....والدهلوي الحنفي ت ١١٧٦هـ^(١)، والشاعر العمري ت ١٢٧٨ هـ

بقوله:

أنت العلي الذي فوق العلي رفعا بيطن مكة عند البيت إذ وضعا

وقال الآلوسي ت بعد ١٢٧٠هـ في شرحه البيت أعلاه: «وفي كون الامير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا... وأحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه في موضع هو قبلة للمؤمنين. سبحانه من يضع الاشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين»^(٢). ونوّه بها الشبلنجي^(٣)، والشنقيطي ت ١٣٦٣هـ^(٤)، والفيروزآبادي^(٥).

مضت فترة على ولادة أمير المؤمنين عليه السلام لينتقل من بيت الله إلى بيت رسول الله ﷺ، إذ من الفضائل التي لم يحظ بها سواه عليه السلام هو شرف تربيته في بيت النبي ﷺ، منذ كان عمره ست سنوات، حيث تروي الروايات أن قريشاً أصابتها أزمة اقتصادية فاقترح الرسول ﷺ على عمه العباس التخفيف عن أبي طالب، فقال أبو طالب إن تركتها لي عقيلاً أفعلاً ما شئتما، فاختر العباس جعفرأ طالب واختار الرسول ﷺ علياً^(٦) وقال:

(١) ديوانه ص ٩٧.

(٢) سرح الخريدة الغيبية بشرح القصيدة العينية ص ١٥، ٧٥.

(٣) نور الابصار ص ٣٦.

(٤) كفاية الطالب ص ٣٧.

(٥) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١/ ١٧٦.

(٦) ان عدم ورود (طالب) بن أبي طالب في هذه الحادثة فيها دلالة على أنه لا وجود له، وأن أبا طالب

كنية أو اسماً لأبي طالب. وقد أشار لذلك الحاكم: المستدرک ٣/ ١١٦.

«قد اخترت من اختاره الله لي»^(١).

فكان عليه السلام يسدي لعلي عليه السلام من الاحسان والشفقة وحسن التربية حتى بعث عليه السلام^(٢)، لذا كان علي عليه السلام يقول:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيسَةِ، وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُؤَسِّنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّنِي عَرَفَهُ، وَكَانَ يَمْضَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ»^(٣).

وكلامه هذا يؤكد بأنه تربي في بيت النبي ﷺ وعمره أقل من ست سنوات على خلاف ما ذهب إليه ابن أبي الحديد.

إن ولادته عليه السلام في الكعبة وتربيته في بيت الرسالة تعني إنه كاد أن يولد مسلماً، بل ولد مسلماً على التحقيق إذا نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح، لأنه فتح عينه على الإسلام، ولم يعرف عبادة الاصنام^(٤). حيث يقول عليه السلام:

«إني ولدت على الفطرة»^(٥).

(١) الشرح ١/ ١٥. وانظر: البلاذري: انساب الاشراف ٢/ ٩٠. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ١٥. الحاكم: المستدرک ٣/ ٦٦٧. الخوارزمي: المناقب ص ١٧. مع اننا نتحفظ على هذه الرواية لأنها وضعت للطعن في تربية الامام في بيت الرسالة!! وقد ناقشنا ذلك في بحثنا: الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة البصرة ص ٨٧.

(٢) الشرح ١/ ١٥.

(٣) الشرح ١٣/ ١٩٧.

(٤) العقاد: عبقرية الامام ص ٤٣.

(٥) الشرح ٤/ ٥٤.

هنا نتساءل: إن كل مولود يولد على الفطرة، يقول ﷺ:

«كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه»^(١).

فماذا يقصد الامام بذلك؟

هنا ابن أبي الحديد يطرح عدة آراء في تفسير الفطرة:

أولاً: إن الامام عليه السلام لم يولد في الجاهلية، حيث كانت ولادته قبل البعثة بعشر سنوات، وهذه السنوات العشر يعدها ابن أبي الحديد مقدمة للإسلام وارهافات للنبوة، حيث يقول: «وقد جاء في الاخبار الصحيحة إنه عليه السلام مكث قبل الرسالة سنين عشرًا يسمع الصوت ويرى الضوء، ولا يخاطبه أحد وكان ذلك ارهافات لرسالته عليه السلام، فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته عليه السلام؛ فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولي لتربيته، مولود في أيام كأيام النبوة، وليس بمولود في جاهلية محضة». وهذا هو وجه المقارنة بمعنى ولادته عليه السلام على الفطرة، وولادة غيره من الصحابة، حيث أكد ابن أبي الحديد أن هذه السنة لها أثر في حياة النبي ﷺ وذلك:

ان السنة التي ولد فيها الإمام علي عليه السلام هي السنة التي بدء فيها برسالة الرسول ﷺ، حيث سمع الهتاف من الاحجار والاشجار، وكشف عن بصره، فشاهد انواراً، واشخاصاً، ولم يخاطب فيها بشيء.

في هذه السنة ابتدأ النبي ﷺ بالتبتل، والانقطاع والعزلة في غار حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة، ونزل عليه الوحي.

(١) أخرجه: مسلم: الصحيح ١٦/٢٠٧. ٢٤٠. البيهقي: سنن ٦/٢٠٢. الترمذي: صحيح

١٣٤-١٣١/٤، الفصل ٣/١٦٨، ابن حزم: ٣٠٤-٣٠٣/٨

١٦٤ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وكان ﷺ يتيمن بتلك السنة، وبولادة علي عليه السلام فيها، ويسمّيها سنة الخير والبركة؛ وقال لاهله ليلة ولادته، وقد شاهد فيها ما شاهد من الكرامات والقدرة الإلهية، ولم يكن من قبل شاهد ذلك: «لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به ابواباً كثيرة من النعمة والرحمة». وقد أكد ابن أبي الحديد صحة ذلك بقوله: وكان كما قال صلوات الله عليه، فإنه عليه السلام كان ناصره والمحمي عنه، وكاشف الغم عن وجهه، وبسيفه ثبت دين الإسلام، ورست دعائمه وتمهدت قواعده (١).

ثانياً: معنى ولادته على الفطرة أي الفطرة التي لم تتغير، ولم تحل، وذلك ان معنى قوله ﷺ:

«كل مولود يولد على الفطرة».

إن كل مولود فإن الله تعالى قد هيأه بالعقل الذي خلقه فيه، وبصحة الحواس، والمشاعر لأن يعلم التوحيد والعدل، ولم يجعل فيه مانعاً يمنعه من ذلك، ولكن التربية والعقيدة في الوالدين، والالف لاعتقادهما، وحسن الظن فيهما، يصده عما فطر عليه، وأمير المؤمنين عليه السلام دون غيره، ولد على الفطرة التي لم تحل، ولم يصد عن مقتضاها مانع، لا من جانب الأبوين، ولا من جهة غيرهما، وغيره ولد على الفطرة، ولكنه حال عن مقتضاها، وزال عن موجبها (٢).

ثالثاً: إنه أراد بالفطرة -العصمة- وإنه منذ ولد لم يواقع قبيحاً، ولا كان كافراً طرفه عين، ولا مخطئاً ولا غالطاً في شيء يتعلق بالوالدين وقال ابن أبي

(١) الشرح ٤/١١٤-١١٥.

(٢) الشرح ٤/١١٥. وانظر عن أثر الاسرة في تنشئة الابناء: كاظم، التنشئة الاجتماعية ص ١٤٩-

الحديد «وهذا تفسير الإمامية»^(١). ولكنه لم يعلق عليه لا سلباً ولا إيجاباً.
وما إن بزغ نور الإسلام حتى كان الإمام علي عليه السلام في مقدمة معتقيه، حيث
يقول:

«وسبقت إلى الإيمان»^(٢).

ولكن كيف يتفق هذا مع ان هناك من يقول بأسبقية أبي بكر أو زيد!!؟^(٣)
أشار ابن أبي الحديد إن أكثر أهل الحديث يرون أن الإمام علياً عليه السلام هو
أول من أسلم، حيث استعرض روايات - ابن عبد البر - الذي أورد إحدى
وعشرين رواية تفيد أسبقية الإمام علي عليه السلام، ويقول في نهايتها «إنه
لا شك عندنا أن علياً أولهما إسلاماً»^(٤). لذا يقول ابن أبي الحديد: «ان شيوخنا
المتكلمين لا يكادون يختلفون في أن أول الناس إسلاماً علي بن أبي طالب عليه السلام»
إلا من عساه خالف في ذلك من أوائل البصريين، فأما الذي تقررت المقالة عليه
الآن فهو القول بأنه سبق الناس إلى الإيمان، لا نكاد نجد اليوم في تصانيفهم
وعند متكلميهم والمحققين منهم خلافاً في ذلك»^(٥).

وأضاف: «إن أمير المؤمنين عليه السلام ما زال يدعي ذلك لنفسه، ويفتخر به، ويجعله

(١) الشرح ٤/١١٥-١١٦.

(٢) الشرح ٤/٥٤.

(٣) أنظر الاختلافات: الشرح ١٣/٢١٥ وما بعدها. الجاحظ: العثمانية ص ٣ وما بعدها. الاسكافي:
تقص العثمانية ص ٢٨٢ وما بعدها.

(٤) الشرح ٤/١١٦-١٢٢. وانظر: ابن قتيبة: المعارف ص ١٦٨-١٦٩. ابن عبد البر: الاستيعاب
١٠٩٠-١٠٩٦/٣.

(٥) الشرح ٤/١٢٢. وانظر القاضي: المغني ٢٠/٢-١٣٨-١٤١.

١٦٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

في أفضليته على غيره، ويصرح بذلك. وقد قال غير مرة: «أنا الصديق الأكبر، والفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلاته»^(١). وكان عليه السلام يقول^(٢):

سبقتكم إلى الإسلام طرا غلاما ما بلغت اوان حلمي

وخلص للقول: «والاخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جداً، لا يتسع هذا الكتاب لذكرها، فلتطلب من مظانها ومن تأمل كتب السير والتواريخ عرف من ذلك ما قلناه»^(٣).

ثم أشار إلى أن هذا يطابق قوله عليه السلام:

«لقد عبدتُ الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين».

وقوله:

«كنت أسمع الصوت، وأبصرُ الضوءَ سنينَ سبعا».

والرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ صامت، ما أذن له في الإنذار والتبليغ؛ وذلك لأنه إذا كان عمره يوم اظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة، وتسليمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه وعمره ست سنوات، فقد صح انه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم

(١) الشرح ٤/١٢٢. وانظر: الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٩. ابن قتيبة: المعارف ص ١٦٩. أبو هلال العسكري: الاوائل ص ١٠٧-١١٠.

(٢) الشرح ٤/١٢٢. وانظر: ابن المغازلي: مناقب ص ٤٠٤. المازندراني: مناقب ٢/١٩. الحموي: معجم الادباء ٤٨/١٤. ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٣٠. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٨. الجويني: فرائد السمطين ص ٤٢٧. الهيثمي: الصواعق ص ١٣١. الحلبي: السيرة الحلبية ١/٢٩٤.

(٣) الشرح ٤/١٢٣.

سبع سنين، وابن ست تصح منه العبادة إذا كان ذا تمييز، على ان عبادة مثله هي التعظيم والاجلال، وخشوع القلب، واستخذاء الجوارح إذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه وتعالى، وآياته الباهرة، ومثل هذا يوجد عند الصبيان (١). وقد لاحظنا من خلال كلام الإمام أن عمره عليه السلام أقل من ست سنوات لما تربى في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ويرى أكثر المعتزلة أن عمر الإمام علي عليه السلام يوم أسلم كان ثلاث عشرة سنة (٢)، وقد سبق ذلك ارهاصات، حيث كان يسمع رنة الشيطان (٣)، وإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال له: لولا أي خاتم الانبياء لكنت شريكاً في النبوة، فإن لا تكن نبياً، فإنك وصي نبي ووارثه بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء (٤).

ولما كان رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً فقد أصبح الإمام علي عليه السلام وزيراً وذلك يوم الإنذار بعد نزول قوله تعالى:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٥).

فدعا صلى الله عليه وآله وسلم بني هاشم وأبلغهم وطلب منهم مؤازرته، فلم يؤازروه، إلا علي عليه السلام (٦).

(١) شرح نهج البلاغة ١/ ١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ١/ ١٤.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٠٩.

(٤) شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢١٠.

(٥) سورة الشعراء ٢١٤.

(٦) (الشرح ١٣/ ٢١٠-٢١٢، ٢٤٤-٢٤٥. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٠٣. الطبري: تاريخ

١٦٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

واستدل ابن أبي الحديد «على أنه وزير رسول الله ﷺ من نص الكتاب والسنة، قول الله تعالى:

﴿وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي *
وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾^(١).

وقال النبي ﷺ في الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الإسلام:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

فأثبت له جميع مراتب هارون من موسى، فإذا هو وزير رسول الله ﷺ وشاد أزره، ولولا أنه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره»^(٢).

وأكد الإمام عليه السلام على سبقه حتى في الهجرة إذ يقول:

«وسبقت إلى الإيمان والهجرة»^(٣).

ولكن المعروف أن الامام لم يكن أول من هاجر بل سبقه الكثيرون لأنه بات في فراش الرسول ﷺ كما هو معلوم.

ويفسر ابن أبي الحديد كلام الإمام علي أعلاه بأنه عليه السلام لم يقل سبقت كل الناس، وإنما سبق المهاجرين، إذ أن سيل الهجرة استمر حتى قبيل فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة^(٤).

وأضاف: «إن اللام في الهجرة يجوز أن لا تكون للمعهود السابق، بل

(١) سورة طه، الآيات ٢٩-٣١.

(٢) الشرح ١٣/٢١١.

(٣) الشرح ٤/٥٤.

(٤) الشرح ٤/١٢٥.

تكون للجنس، وأمير المؤمنين عليه السلام سبق أبا بكر وغيره إلى الهجرة التي قبل هجرة المدينة، فإن النبي صلى الله عليه وآله هاجر من مكة مراراً يطوف على احياء العرب، ويتقل من ارض قوم إلى غيرها، وكان علي عليه السلام معه دون غيره»^(١).

لقد كان الإمام علي عليه السلام ذا صلة وثيقة بالنبي صلى الله عليه وآله حيث إنهما ذوا أصل واحد «فآبأوه آباء رسول الله، وأمهاته أمهات رسول الله، وهو منوط لحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم، إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وابي طالب، وأمهما واحدة، فكان منهما سيذا الناس؛ هذا الأول وهذا التالي، وهذا المنذر وهذا الهادي»^(٢).

ومما يؤكد هذه الانطلاقة المشتركة نحو الهدف الواحد المنشود ما رواه الزمخشري - أحد معتزلة البصرة - في حق الإمام علي عليه السلام والزمخشري حسبما يصفه ابن أبي الحديد: «مذهبه في الاعتزال ونصرة اصحابنا معلوم، وكذلك في انحرافه عن الشيعة، وتسخيفه لمقاتلهم - إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«لما أسري بي، أخذني جبريل، فأقعدني على درنوك من درانيك الجنة، ثم ناولني سفرجلة، فبينما أنا أقلبها انفلقت، فخرجت منها جارية لم أر أحسن منها، فسلمت، فقلت: من أنت؟ قالت: أنا الراضية المرضية، خلقتني الجبار من ثلاثة اصناف؛ أعلاي من عنبر، وأوسطي من كافور، وأسفلي من مسك. ثم عجنني بماء الحيوان. وقال لي: كوني كذا، فكنت. خلقتني لأخيك، وابن عمك

(١) الشرح ٤/١٢٥-١٢٦.

(٢) الشرح ١/٣٠.

علي بن أبي طالب»^(١).

ولذا كان الإمام علي عليه السلام بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم «شعاع من شمس، وغصن من غرسه، وقوة من قوى نفسه، ومنسوب إليه نسبة الغد إلى يومه واليوم إلى أمسه، فما هما إلا سابق ولاحق، وقائد وسائق، وساك وناطق، ومجل ومصل، سيفا لمحة البارق، وأنارا سدنة الغاسق، صلى الله عليهما ما استخلب خبير وتناوح حراء وثبير»^(٢)»^(٣).

وكان الإمام يفتخر بهذه العلاقة ويقول^(٤):

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي

هذه القرابة القرية بينهما سببها «كونه في حجره، ثم حامى عنه ونصره عند اظهار الدعوة دون غيره من بني هاشم، ثم ما كان بينهما من المصاهرة التي أفضت إلى النسل الأطهر دون غيره من الاصهار»^(٥).

بل وصل الأمر أن شبه ابن أبي الحديد ومعاصريه سياسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والظرف الذي عاشه بسياسة الامام والظرف الذي عاش فيه، إذ يقول: «وإذا تأملت احواله في خلافته كلها وجدتها هي مختصرة من أحوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته،

(١) الشرح ٩/ ٢٨٠-٢٨١. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ١/ ٢٨٦. الخوارزمي: المناقب ص ٢١٠. الجويني: فرائد السمطين ١/ ٤٨.

(٢) جبلان قرب مكة. أنظر الحموي: معجم البلدان ٢/ ٧٢-٧٧، ٤٧-٢٣٣، ٢٣٤.

(٣) الشرح ١/ ٣.

(٤) الشرح ٤/ ١٢٢. وانظر ابن المغازي: مناقب ص ٤٠٤. ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٣٠.

(٥) الشرح ١٣/ ١٩٨. سنتناول في حلقة من حلقات تأليفنا (فضائل الإمام علي عليه السلام المنسوبة لغيره)

فضيلة مصاهرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنرى مدى صحة مصاهرة الآخرين له.

كأنها نسخة مستنسخة منها، في حربه وسلمه، وسيرته وأخلاقه، وكثرة شكايته من المنافقين من أصحابه والمخالفين لأمره، وإذا اردت ان تعلم ذلك علماً واضحاً، فاقراً سورة براءة ففيها الجمل الغفير من المعنى الذي أشرنا إليه»^(١).

ولما كان الإمام علي - عليه السلام - ابن عم الرسول ﷺ في النسب وأخاه ولحمه ودمه، وفضائله مشتقة من فضائل الرسول ﷺ، وهو قبس من نوره، وثانيه على الحقيقة ولا ثالث لهما، لذا نجد سيرته - عليه السلام - جارية نفس مجرى سيرة الرسول ﷺ^(٢).

وحينما شرح كلام الإمام علي عليه السلام في اقسام أصحابه، قال ابن أبي الحديد: «إن حاله كانت مناسبة لحال النبي ﷺ، ومن تذكر احوالهما وسيرتهما، وما جرى لهما إلى أن قبضا، علم تحقيق ذلك»^(٣).

ولذا نجده عليه السلام يقول لأصحابه: «والله ما أسمعكم الرسول شيئاً، إلا وها أنا ذا اليوم مسمعكموه، وما أسمعكم اليوم بدون أسمعكم بالأمس، ولا شقت لكم الابصار ولا جعلت لهم الافئدة في ذلك الزمان، إلا وقد اعطيتم مثلها في هذا الزمان، ووالله ما بصرتم بعدهم شيئاً جهلوه، ولا أصفيتم به وحرموه، ولقد نزلت بكم البلية جائلاً حطامها...»^(٤).

ولقد علق ابن أبي الحديد على كلام الإمام علي عليه السلام قائلاً: «... المخاطبون وإن كانوا نوعاً واحداً متساوياً، إلا أن المخاطب مختلف الحال، وذلك لأنك

(١) الشرح ٢٢٩/٦.

(٢) الشرح ١٩٠/٦.

(٣) الشرح ١٤٧/١٦.

(٤) الشرح ٣٨٧/٦.

١٧٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وإن كنت ابن عمه في النسب وأخاه ولحمه ودمه، وفضائلك مشتقة من فضائله، وأنت قبس من نوره، وثانيه على الحقيقة، ولا ثالث لكما؛ إلا أنك لم ترزق القبول الذي رزقه، ولا انفعلت نفوس الناس لك حسب انفعالها له، وتلك خاصية النبوة التي امتاز بها عنك»^(١).

هذه الرؤية في توافق السيرتين أكدها أيضاً شيخ ابن أبي الحديد وهو أبو جعفر النقيب ثم قال: «أنظر إلى أخلاقهما وخصائصهما، هذا شجاع وهذا شجاع، هذا فصيح وهذا فصيح، هذا سخي جواد وهذا سخي جواد، وهذا عالم بالشرائع والأمور الإلهية، وهذا عالم بالفقه والشريعة والأمور الإلهية الدقيقة الغامضة، وهذا زاهد في الدنيا غير أنهم ولا مستكثر منها، وهذا زاهد في الدنيا تارك لها غير متمتع بلذاتها، وهذا مذيّب نفسه في الصلاة والعبادة، وهذا مثله. وهذا غير محب إليه شيء من الأمور العاجلة إلا النساء وهذا مثله. وهذا ابن عبد المطلب بن هاشم، وهذا في قعدده، أبواهما أخوان لأب واحد دون غيرهما من بني عبد المطلب، وربى محمد ﷺ في حجر والد هذا أبي طالب، فكان جارياً عنده مجرى أحد أولاده. ثم لما شب ﷺ، وكبر استخلصه من أبي طالب وهو غلام، فربى في حجره مكافأة لصنيع أبي طالب به، فامتزج الخلقان، وتمثلت السجيتان، وإذا كان القرين بالقرين، فما ظنك بالتربية والتثقيف الدهر الطويل!»^(٢).

وأردف قائلاً: «فواجب أن تكون أخلاق محمد ﷺ كأخلاق أبي طالب، وتكون أخلاق علي عليه السلام كأخلاق أبي طالب أبيه، ومحمد عليه السلام مربيه، وأن يكون

(١) الشرح ٦/٣٩٠.

(٢) الشرح ١٠/٢٢١.

الكل شيمة واحدة، وسوساً واحداً، وطينة مشتركة ونفساً غير منقسمة ولا متجزئة، وألا يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرق ولا فضل، لولا ان الله تعالى اختص محمداً ﷺ برسالته، واصطفاه لوحيه، لما يعلمه من مصالح البرية في ذلك، ومن ان اللطف به اكمل، والنعف بمكانه أتم وأعم، فامتاز رسول الله ﷺ بذلك عن سواه، وبقي ما عدا الرسالة على أمر الاتحاد، وإلى هذا المعنى أشار ﷺ: «اخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع»^(١). وقال له أيضاً «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» فأبان نفسه منه بالنبوة، وأثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركا بينهما^(٢).

هذه العلاقة الوثيقة بين النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام نجدتها تتمثل أيضاً في الأيام الأخيرة من عمر النبي ﷺ حيث كان الإمام علي عليه السلام إلى جواره حيث لم يرسله ضمن سرية أسامة بن زيد إلى الشام، ثم هو الذي تولى غسله ﷺ وكفنه ودفنه.

إذ لما مرض ﷺ دعا أسامة بن زيد بن حارثة، وقال له: سر إلى مقتل ابيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش. وكان ضمن الجيش وجوه المهاجرين^(٣) ولكن اختلف في أبي بكر هل موجود ضمنه أولاً؟ فقد أشار

(١) اخرجه: أبو نعيم: حلية الاولياء ١/٦٥-٦٦. ابن طلحة الشافعي: مطالب السؤول ص ٣٤.

الكنجي: كفاية الطالب ص ١٣٩. محب الدين: الرياض النظرة ٢/٢٩٢.

(٢) الشرح ١٠/٢٢٢.

(٣) الشرح ١/١٥٩. وانظر: البخاري: الصحيح ٦/٣٩-٤٠. الطبري: تاريخ ٣/١٨٤.

١٧٤الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

موسى بن عقبة^(١) والواقدي^(٢) والطبري^(٣) لعدم وجوده في الجيش بينما ذكره اليعقوبي^(٤) وأبو هلال العسكري^(٥)، والجوهري^(٦) ضمن الجيش الخارج للشام^(٧)، فيما لم يذكر أي مصدر أن الإمام علياً عليه السلام كان ضمن الجيش وهذا فيه دلالة على مدى اختصاصه بالرسول ﷺ.

وقد أكد هذه الحقيقة الإمام علي عليه السلام بقوله مخاطباً الرسول ﷺ بعد وفاته «وفاضت بين نحري وصدري نفسك»^(٨).

ولكن روي عن السيدة عائشة أنها قالت: «توفي رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم بين سحري ونحري»^(٩). لذا حاول ابن أبي الحديد التوفيق بين الروایتين بقوله «الله أعلم بحقيقة هذا الحال، ولا يبعد عندي أن يصدق الخبران معاً، بأن يكون رسول الله ﷺ وقت الوفاة مستنداً إلى علي وعائشة جميعاً، فقد

(١) الشرح ١٧/١٨٣.

(٢) المغازي ٣/١١١٨-١١٢٠.

(٣) تاريخ ٣/١٨٤.

(٤) التاريخ ٢/١٠٣.

(٥) الاوائل ص ٣٣٧.

(٦) الشرح ١/١٥٩، ٦/١٧، ٥٢/١٨٣.

(٧) أنظر تفاصيل حملة أسامة وآراء المعتزلة فيها. الشرح ١/١٥٩-٦٢، ١٧/١٧٥-١٩٤. القاضي:

المغني ٢٠/١-٣٤٣-٣٤٩.

(٨) الشرح ١٠/٢٦٥. وانظر ابن سعد: الطبقات ٢/٢٦٢-٢٦٣. البيهقي: المحاسن ص ٢٩٨.

الزخشري: ربيع الابرار ٤/١٩٧.

(٩) الشرح ١٠/٢٦٧. وانظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٢٦١-٢٦٢. سبط ابن الجوزي:

تذكرة ص ٤٣.

وقع الاتفاق على أنه مات وهو حاضر لموته، وهو الذي كان يقلبه بعد موته، وهو الذي كان يعلله ليالي مرضه، فيجوز أن يكون مستنداً إلى زوجه وابن عمه، ومثل هذا لا يبعد وقوعه في زماننا هذا، فكيف في ذلك الزمان الذي كان النساء فيه والرجال مختلطين، لا يستتر البعض عن البعض، فإن قلت: فكيف تعمل بأية الحجاب، وما صح من استتار ازواج الرسول ﷺ عن الناس بعد نزولها؟ قلت قد وقع اتفاق المحدثين كلهم على ان العباس كان ملازماً للرسول ﷺ أيام مرضه في بيت عائشة، وهذا لا ينكره أحد، فعلى القاعدة التي كان العباس ملازمه ﷺ كان علي عليه السلام ملازمه، وذلك يكون بأحد أمرين: إما بأن نساءه لا يستترن من العباس وعلي لكونها أهل الرجل وجزء منه. أو لعل النساء كن يجتمرن بأخمرتهن، ويخالطن الرجال فلا يرون وجههن، وما كانت عائشة وحدها في البيت عند موته، بل كان نساءه كلهن في البيت، وكانت ابنته فاطمة عند رأسه ﷺ» (١).

ان الذي يلاحظ على الروایتين أعلاه:

١. تعدد رواة القائلين بأن النبي ﷺ مات بين سحر الامام وصدرة واقتصار القائلين على عائشة عليها وعلى ابن اختها عروة بن الزبير المعروف بعدائه للودود للإمام علي عليه السلام.
٢. ان الذي يستقرىء الروايات التي تتحدث عن الأيام الأخيرة للنبي ﷺ ليشهد الدور الكبير للإمام والزهاء دون سواهما.
٣. إن الملاحظ ان رواية السيدة عائشة لم تأت لتوضح أن النبي ﷺ مات

بين سحرها ونحرها، وإنما لتنفى الوصية عن الإمام عليه السلام. وكأنها وضعت لهذا الغرض.

٤. فهل وضعت الرواية من قبل عروة بن الزبير باعتباره من ضمن اللجنة التي وضعها معاوية لاختلاق فضائل مقابل فضائل الإمام علي عليه السلام؟!؟

ومن خلال استعراضه لأحداث وفاة الرسول ﷺ ومراسيم تجهيزه ودفنه لاحظ ابن أبي الحديد ان الإمام علياً عليه السلام كان المتصدي لكل لذلك، إذ يقول: «من تأمل هذه الاخبار، علم أن علياً عليه السلام كان الاصل والجملة والتفصيل في أمر الرسول ﷺ وجهازه، ألا ترى أن أوس بن خويّ (١) لا يخاطب أحداً من الجماعة غيره، ولا يسأل غيره في حضور الغسل والنزول في القبر! ثم أنظر إلى كرم علي عليه السلام وسجاجة اخلاقه وطهارة شيمته، كيف يضمن بمثل هذه المقامات الشريفة عن أوس؛ وهو رجل غريب من الأنصار، فعرف له حقه وأطلبه بما طلبه! فكم بين هذه السجية الشريفة، وبين قول من قال: لو استقبلت من امري ما استدبرت ما غسل الرسول ﷺ إلا نساؤه، ولو كان في ذلك المقام غيره من أولي الطباع الخشنة وأرباب الفظاظة والغلظة، وقد سأل أوس ذلك لزجر وانتهر ورجع خائباً» (٢).

وبعد وفاته ﷺ كان الإمام علي عليه السلام شديد الورع في ما يرويه عن النبي ﷺ

(١) هو ممن شهد سائر مشاهد النبي ﷺ، وطلب الأنصار من الإمام علي عليه السلام ان يشاركوا في دفن النبي ﷺ فسمح لأحدهم فنزل أوس بن خويّ: أنظر: ابن الاثير: اسد الغابة ١/ ١٤٤-١٤٥. ابن حجر: الاصابة ١/ ٨٤.

(٢) الشرح ١٣/ ٤٠-٤١. يقصد بالقائل (لو استقبلت من امري ما استدبرت...) السيدة عائشة. أما صاحب الطباع الخشنة فيقصد الخليفة عمر.

حيث بلغ من تعظيمه له، وإجلاله لقدره واحترام حديثه، ألا يرويه إلا بألفاظه، لا بمعانيه، ولا بأمر يقتضي فيه إلباساً وتعمية، ولو كان مضطراً إلى ذلك ترجيحاً للجانب الذي على جانب مصلحته في خاص نفسه^(١).

ولقد أثار ذلك التساؤل لدى ابن أبي الحديد فتوجه نحو شيخه أبي جعفر قائلاً: قد وقفت على كلام الصحابة وخطبهم فلم أر فيها من يعظم رسول الله ﷺ تعظيم هذا الرجل، ولا يدعو كدعائه، فإننا قد وقفنا من نهج البلاغة ومن غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل، تدل على جلال عظيم، وتبجيل شديد منه لرسول الله ﷺ.

فأجاب أبو جعفر: ان علياً عليه السلام كان قوي الإيمان برسول الله ﷺ والتصديق له، ثابت اليقين، قاطعاً بالأمر، متحققاً له، وكان مع ذلك يجب رسول الله ﷺ لنسبته منه، وتربيته له، واختصاصه به من دون أصحابه، وبعد فشرفه له لأنها نفس واحدة في جسمين: الأب واحد، والدار واحدة؛ والأخلاق متشابهة فإذا عظّمه فقد عظّم نفسه وإذا دعا إليه فقد دعا إلى نفسه، ولقد كان يود أن تطبق دعوة الإسلام مشارق الارض ومغاربها، لأن جمال ذلك لاحق به، وعائد عليه، فكيف لا يعظّمه ويبجله ويجهده في إعلاء كلمته^(٢).

ونتيجة لكل ذلك أصبح الإمام علي عليه السلام وريثاً للرسول ﷺ في كل شيء، حتى فيما كانت العرب تعتقده من ثارات حيث «إن كل دم أراقه رسول الله ﷺ بسيف علي عليه السلام وبسيف غيره، فإن العرب بعد وفاته ﷺ عصبت تلك الدماء بعلي ابن أبي طالب عليه السلام وحده، لأنه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعهم وستهم

(١) الشرح ٦/١٣٢.

(٢) الشرح ٧/١٧٤-١٧٥.

١٧٨الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وعاداتهم أن يعصب به تلك الدماء إلا بعلي وحده، وهذه عادة العرب إذا قتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل، فإن مات أو تعذرت عليها مطالبتة، طالبت به أمثل الناس من أهله... ومن نظر في أيام العرب ووقائعها ومقاتلتها عرف ما ذكرناه»^(١).

ومما امتاز به الإمام علي عليه السلام على سائر الأمة، وعُدَّ من فضائله؛ زواجه من فاطمة بنت النبي محمد ﷺ^(٢)، حيث كان عليه السلام يفتخر بذلك قائلاً:
«ومنا خير نساء العالمين»^(٣).

قال ابن أبي الحديد: «يعني فاطمة عليها السلام، نص رسول الله ﷺ على ذلك، لا خلاف فيه. وقد تواتر الخبر عنه عليه السلام انه قال: فاطمة سيدة نساء العالمين»^(٤)، إما بهذا اللفظ بعينه، أو لفظ يؤدي هذا المعنى. روي أنه قال وقد رآها تبكي عند

(١) الشرح ١٣/٣٠٠-٣٠١.

(٢) روي ان عمر بن الخطاب أو سعد بن أبي وقاص قال: لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة أحب إلي من حمر النعم: زواجه بفاطمة، وسكناه في المسجد، واعطاءه الراية يوم خيبر. الترمذي: الصحيح ١٢/١٧١-١٧٢. الحاكم: المستدرک ٣/١٣٥، ١١٧، ١٢٦. الخوارزمي: المناقب ص ٢٣٨. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٢٨. الذهبي: تلخيص المستدرک ٣/١٣٥. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٤١-٣٤٣. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١٢٠. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٥.

(٣) الشرح ١٥/١٨٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات ٢/٢٤٨. النسائي: خصائص ص ١١٤-١٢٠. البيهقي: المحاسن ص ٨٠-٨٢. الطحاوي: مشكل الآثار ١/٥٠. الحاكم: المستدرک ٣/١٧١-١٧٢، ١٧٤. أبو نعيم: حلية الاولياء ٢/٤٠، ٤٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٨٩٣-١٨٩٥. النووي: تهذيب الاسماء ١/١٥٨، ٣٤٤. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٣٦، ٤٩-٥٠. ابن تيمية: منهاج السنة ٢/١٦٩. المتقي الهندي: كنز العمال ١٣/٩٣-٩٥. الهيثمي: الصواعق ص ١١٨-١٨٩.

موته: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة^(١). وروي انه قال: سادات نساء العالمين أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران^(٢)»^(٣).

وناقش ابن أبي الحديد أيهما شرف بالآخر الإمام علي أم فاطمة؟ تساءل ابن أبي الحديد أولاً: ما المقصود بالأفضل؟

ان أريد بالأفضل الأجمع للمناقب التي تتفاضل بها الناس، نحو العلم والشجاعة ونحو ذلك، فعلي أفضل.

وإن أريد بالأفضل: الأرفع منزلة عند الله، فالذي استقر عليه رأي المتأخرين من اصحابنا، أن علياً أرفع المسلمين كافة عند الله تعالى بعد رسول الله ﷺ من الذكور والاناث، وفاطمة امرأة من المسلمين، وإن كانت سيدة نساء العالمين ويدل على ذلك انه قد ثبت إنه أحب الخلق إلى الله تعالى بحديث الطائر، وفاطمة من الخلق، وأحب الخلق إليه سبحانه أعظم ثواباً يوم القيامة على ما فسره المحققون من أهل الكلام.

وإن أريد بالأفضل الأشرف نسباً، ففاطمة أفضل لأن أباهما سيد ولد آدم من الأولين والآخرين، فليس في آباء علي عليه السلام مثله ولا مقارنة.

(١) ابن سعد: الطبقات ٢/٢٤٨. النسائي: خصائص ص ١١٨-٢٠. الطحاوي: مشكل الآثار ٤٩/١. أبو نعيم: حلية الاولياء ٢/٤٠.

(٢) ابن زبالة: منتخب من كتاب ازواج النبي ﷺ ص ٤٩. الترمذي: الصحيح ١٣/٢٥٥. الطحاوي: مشكل الآثار ١/٥٠. الحاكم: المستدرک ٣/١٧٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٨٩٥-١٨٩٦. الحافظ العراقي: طرح الشريب ١/١٤٩-١٥٠.

(٣) الشرح ١٥/١٩٧. وانظر أيضاً الشرح ١/٣٠، ١٠/٢٦٥-٢٦٦.

١٨٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وان أريد بالأفضل: من كان رسول الله ﷺ أشد عليه حنواً، وأمس به رحماً، ففاطمة أفضل، لأنها إبتته، وكان شديد الحب لها، والحنو عليها جداً، وهي اقرب إليه نسباً من ابن العم، لا شبهة في ذلك. (١)

ثانياً: تساءل ابن أبي الحديد هل علي شرف فاطمة أم فاطمة شرفت به؟ فأجاب: «إن علياً عليه السلام كانت أسباب شرفه وتميزه على الناس متنوعة، فمنها ما هو متعلق بفاطمة عليها السلام، ومنها ما هو متعلق بأبيها صلوات الله عليه، ومنها ما هو مستقل بنفسه. فأما الذي هو مستقل بنفسه، فنحو شجاعته، وعفته، وحلمه وقناعته، وسجاجة اخلاقه، وسماحة نفسه، وأما الذي هو متعلق برسول الله ﷺ فنحو علمه، ودينه، وزهده، وعبادته، وسبقه إلى الإسلام، وإخباره بالغيوب. واما الذي يتعلق بفاطمة عليها السلام فنكاحه لها، حتى صار بينه وبين رسول الله ﷺ الصهر المضاف إلى النسب والسبب، وحتى ان ذريته منها صارت ذرية لرسول الله ﷺ، وأجزاء من ذاته عليه السلام؛ وذلك لأن الولد إنما يكون من مني الرجل ودم المرأة، وهما جزءان من ذاتي الاب والام، ثم هكذا أبدأ في ولد الولد ومن بعده من البطون دائماً. فهذا هو القول في شرف علي عليه السلام بفاطمة فأما شرفها به، فإنها وإن كانت ابنة سيد العالمين إلا أن كونها زوجة علي أفادها نوعاً من شرف آخر زائداً على ذلك الشرف الأول؛ ألا ترى أن أباه لو زوجها أبا هريرة أو أنس بن مالك لم يكن حالها في العظمة والجلالة كحالها الآن، كذلك لو كان بنوها وذريتها من أبي هريرة وأنس بن مالك، لم يكن حالهم في أنفسهم كحالهم الآن» (٢).

(١) الشرح ١٦/١٩-٢٠.

(٢) الشرح ١٦/٢٠-٢١.

لذا لم يتزوج الإمام علي عليه السلام على فاطمة طيلة حياتها الشريفة شأنه شأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعدم زواجه في حياة خديجة عليها السلام، إلا أن هناك رواية تفيد أن الإمام علياً عليه السلام أراد أن يتزوج على فاطمة حيث خطب جويرية بنت أبي جهل.

ففي استعراض ابن أبي الحديد لما جاء به -أبو جعفر الاسكافي- قال الأخير إن أبا هريرة روى الحديث «الذي معناه أن علياً عليه السلام خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسخطه، فخطب على المنبر، وقال لاها الله! لا تجتمع ابنة ولي الله وابنة عدو الله أبي جهل! إن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها، فان كان علي يريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي، وليفعل ما يريد». أو كلاماً هذا معناه، والحديث مشهور من رواية الكرايسي^(١)»^(٢).

وأضاف ابن أبي الحديد: «هذا الحديث أيضاً مخرج في صحيحي مسلم والبخاري عن المسور بن مخرمة الزهري، وقد ذكره المرتضى في كتابه المسمى تنزيه الانبياء والائمة، وذكر انه رواية حسين الكرايسي، وأنه مشهور بالانحراف عن أهل البيت عليه السلام، وعداوتهم والمناسبة لهم فلا تقبل روايته»^(٣).

ثم قال: «وعندي أن هذا الخبر لو صح لم يكن على امير المؤمنين فيه غضاظة، ولا قدح، لأن الأمة مجمعة على أنه لو نكح ابنة أبي جهل، مضافاً إلى نكاح فاطمة عليها السلام لجاز، لأنه داخل تحت عموم الآية المبيحة للنساء الأربع؛

(١) هو أبو علي الحسين بن علي بن يزيد المهلب الكرايسي، كان من المجبرة، وعارفاً بالحديث والفقه، وله كتاب المدلسين في الحديث، وكتاب الإمامة وفي الأخير غمز على علي عليه السلام. أنظر ابن النديم:

الفهرست ص ٢٥٦. الخطيب: تاريخ بغداد ٦٦/٨. ابن حجر: لسان الميزان ٣٠٣-٣٠٥.

(٢) الشرح ٦٤/٤.

(٣) الشرح ٦٤-٦٥/٤.

فابنة أبي جهل المشار إليها كانت مسلمة، لأن هذه القصة، كانت بعد فتح مكة، وإسلام أهلها طوعاً وكرهاً، ورواة الخبر متوافقون على ذلك، فلم يبق إلا أنه إن كان هذا الخبر صحيحاً فإن رسول الله صلى الله عليه وآله، لما رأى فاطمة عليها السلام قد غارت وادركها ما يدرك النساء، عاتب علياً عليه السلام عتاب الأهل، وكما يستثبت الوالد رأي الولد ويستعطفه إلى رضا أهله وصلح زوجته، ولعل الواقع كان بعض هذا الكلام فحرف وزيد فيه»^(١).

وأضاف: «لو تأملت أحوال النبي صلى الله عليه وآله مع زوجاته، وما كان يجري بينه وبينهن من الغضب تارة، والصلح أخرى، والسخط تارة والرضا أخرى، حتى بلغ الأمر إلى الطلاق مرة، وإلى الإيلاء مرة، وإلى الهجر مرة والقطيعة مرة، وتدبرت ما ورد في الروايات الصحيحة مما كن يلقينه عليه السلام به، ويسمعه إياه، لعلمت ان الذي عاب الحسدة والشائئون علياً عليه السلام به بالنسبة إلى تلك الأحوال قطرة من البحر المحيط، ولو لم يكن إلا قصة مارية، وما جرى بين رسول الله صلى الله عليه وآله، وبين تينك الإمراتين من الأحوال والأقوال، حتى أنزل فيها قرآن يتلى في المحاريب، ويكتب في المصاحف، وقيل لهما ما لا يقال للاسكندر ملك الدنيا لو كان حياً، منابذاً لرسول الله صلى الله عليه وآله :

﴿وَأِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾^(٢).

ثم أردف ذلك بالوعد والتخويف:

(١) الشرح ٤/٦٥-٦٦.

(٢) سورة التحريم، آية ٤.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ﴾ (١).

الآيات بتمامها. ثم ضرب لهما مثلاً امرأة نوح وامرأة لوط اللتين خانتا بعليهما، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وتما الآيات معلوم، فهل ما روي في الخبر من تعصب فاطمة عليها السلام على علي عليه السلام وغيرها من تعريض بني المغيرة له بنكاح عقيلتهم، إذا قيس إلى هذه الأحوال وغيرها مما كان يجري الا كنسبة التأفيف إلى حرب البسوس! ولكن صاحب الهوى والعصية لا علاج له» (٢).

والآن لنستعرض الروايات التاريخية التي أشارت لخطبة الامام جويرية، وآراء بعض الباحثين فيها، ثم نحاول أن ندلي برأي في ذلك.

أولاً: ابن سعد ت ٢٣٠هـ: قال في ترجمة جويرية بلا سند (وجويرية هذه هي التي خطبها علي بن أبي طالب، فجاء بنو المغيرة إلى رسول الله ﷺ يستأمرونه في ذلك، فلم يأذن لهم أن يزوجه وقال: إنما فاطمة بضعة مني يسوؤني ما ساءها) (٣).

ثانياً: الزبيري ت ٢٣٦هـ: قال بلا سند: «خطب علي بن أبي طالب جويرية بنت أبي جهل فشق ذلك على فاطمة، فأرسل إليها عتاب (بن أسيد): أنا أريحك منها. فتزوجها» (٤).

وقال أيضاً: «وكان علي بن أبي طالب قد خطب جويرية بنت أبي جهل قبل

(١) سورة التحريم، آية ٥. راجع التفاصيل عند تفسير الطبري والزمخشري والقرطبي والسيوطي في تفسير سورة التحريم، آية ٤، ٥.

(٢) الشرح ٤/٦٦-٦٧.

(٣) الطبقات ٨/٢٦٢.

(٤) نسب قريش ص ١٨٧.

١٨٤ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

عتاب، وهم بنكاحها، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: إني لأكره أن تجمع بين بنت ولي الله وبين بنت عدو الله، فتركها علي وتزوجها عتاب»^(١).

ثالثاً: ابن بكار ٢٥٦هـ: أورد رواية مرسلة إلى ابن عباس تحكي محاورة بين ابن عباس والخليفة عمر بشأن الإمام. فقال ابن عباس: يا امير المؤمنين إن صاحبنا ما قد علمت إنه ما غير ولا بدل، ولا سخط رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام صحبته له. فقطع علي الكلام فقال: ولا في ابنة أبي جهل لما أراد أن يخطبها على فاطمة! قلت: قال الله تعالى:

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^(٢).

وصاحبنا لم يعزم على سخط رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الخواطر التي لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه وربما كان من الفقيه في دين الله، العالم العامل بأمر الله»^(٣).

رابعاً: البخاري ٢٥٦هـ: عن المسور بن مخرمة قال: إن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسمعت حين تشهد يقول: أما بعد، فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني، وإني أكره أن يسوؤها. والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد، فترك علي

(١) نسب قريش ص ٣١٢.

(٢) سورة طه، آية ١١٥.

(٣) الموقفيات ص ٦١٩. وردت كذلك في الشرح ١٢/٥٠ - ٥١.

الخطبة وزاد محمد بن عمرو بن حلحلة عن ابن شهاب عن علي عن مسور سمعت النبي ﷺ ذكر صهراً له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن قال: فصدقني ووعدني فوفى لي»^(١).

وقال أيضاً عن المسور «إن رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني»^(٢).

خامساً: مسلم ت ٢٦٣ هـ: أورد أربع روايات:

عن المسور: «انه سمع رسول الله ﷺ على المنبر، وهو يقول: ان بني هشام ابن المغيرة إستاذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب. فلا آذن، ثم لا آذن. ثم لا آذن إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي، وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني يريني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها»^(٣).

«عن المسور قال: قال رسول الله ﷺ:

إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها»^(٤).

«عن ابن شهاب: ان علي بن الحسين حدثه انهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية (بعد) مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه لقيه المسور بن مخرمة فقال له: هل لك لي من حاجة تأمرني بها؟ قال: فقلت له: لا، قال له: هل أنت معطي سيف رسول الله ﷺ، فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه. وأيم

(١) الصحيح ٥ / ٩٥-٩٦. وأوردها الصبان: اسعاف الراغبين ص ٨٥-٨٦.

(٢) الصحيح ٥ / ١٠٥. وأوردها المتقي الهندي: كنز العمال ١٣ / ٩٣.

(٣) الصحيح ١٦ / ٢. وذكرها: الترمذي: الصحيح ١٣ / ٢٤٦-٧. النسائي: خصائص ص ١٢٠.

(٤) الصحيح ١٦ / ٢-٣.

الله لئن أعطيتنيه لا يخلص إليه أبداً، حتى تبلغ نفسي ان علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذ محتلم، فقال: إن فاطمة مني وأنا اتخوف أن تفتن في دينها. قال: ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن قال: حدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي، وإني لست أحرّم حلالاً، ولا أحلّ حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله في مكان واحد أبداً»^(١).

عن المسور: «إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ فلما سمعت بذلك فاطمة، أتت النبي ﷺ فقالت له: إن قومك يتحدثون إنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكحاً ابنة أبي جهل. قال المسور: فقام النبي ﷺ فسمعته حين تشهد ثم قال: أما بعد، فإني أنكحت أبا العاص ابن الربيع، فحدثني فصدقني، وإن فاطمة بنت محمد مضغة مني، وإنما أكره أن يفتنوها والله لا تجتمع بنت رسول الله، وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً. فترك علي الخطبة»^(٢).

سادساً: الترمذي ٢٧٩ هـ: ذكر روايتين الأولى سبق وأوردها مسلم، اما الثانية: عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير: «ان علياً ذكر بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ان فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها. قال أبو عيسى (الترمذي) هذا حديث حسن صحيح هكذا قال ايوب

(١) الصحيح ١٦/٣-٤.

(٢) الصحيح ١٦/٤، وذكرها ابن الاثير: اسد الغابة ٥/١٩٤. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٤٧-

٨. المتقي الهندي: كنز العمال ١٣/٩١-٩٢.

عن ابن أبي مليكة عن ابن الزبير، وقال غير واحد عن ابن أبي مليكة عن المسور ابن مخرمة. ويحتمل أن يكون ابن أبي مليكة روى عنها جميعاً^(١).

سابعاً: الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥هـ: ذكر أربع روايات:

عن المسور: «إنه بعث إليه حسن بن حسن يُخطب إبنته. فقال له: قل له فليلقاني في العتمة. قال: فلقية: فحمد الله المسور وأثنى عليه ثم قال: وأما بعد وأيم الله، ما من نسب ولا سبب ولا صهر أحب إلي من نسبكم وسببكم وصهركم. ولكن رسول الله ﷺ. قال: فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها، ويسخطني ما يسخطها. وإن الانساب يوم القيمة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري. وعندك ابنتها. ولو زوجتك لقبضها ذلك. فانطلق عاذراً له»^(٢)

عن سويد بن غفلة: «خطب علي ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام، فاستشار النبي ﷺ. فقال: أعن حسبها تسألني؟ قال علي: قد أعلم ما حسبها. ولكن أتامرني بها، فقال: لا! فاطمة مضغة مني، ولا أحسب إلا وأنها تحزن أو تجزع، فقال علي: لا آتي شيئاً تكرهه»^(٣).

عن أبي حنظلة رجل من أهل مكة: «إن علياً خطب ابنة أبي جهل فقال له أهلها: لا تزوجك علي ابنة رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إنما فاطمة مضغة مني فمن آذاها فقد آذاني»^(٤).

الرواية أعلاه التي أشار لها الترمذي.

(١) الصحيح ١٣/٢٤٧-٢٤٨. وذكرها الحاكم: المستدرك ٣/١٧٣.

(٢) المستدرك ٣/١٧٢. وذكرها محب الدين: ذخائر العقبى ص ٤٨.

(٣) المستدرك ٣/١٧٣.

(٤) المستدرك ٣/١٧٣.

ثامناً: الشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ: طرح رؤية مغايرة لما جاءت به هذه الروايات حيث عدها موضوعة قائلاً: «هذا خبر باطل موضوع غير معروف ولا ثابت عند أهل النقل، وإنما ذكره الكرابيسي طاعنا به على أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله، ومعرضاً بذكره لبعض ما يذكره شيعته من الاخبار في اعدائه وهيهات أن يشبه الحق الباطل ولو لم يكن في ضعفه إلا رواية الكرابيسي له، واعتماده عليه وهو من العداوة لأهل البيت عليه السلام، والمناسبة لهم، والازراء على فضائلهم ومآثرهم على ما هو مشهور لكفى»^(١).

وأضاف: «على أن هذا الخبر قد تضمن ما يشهد ببطلانه، ويقضي على كذبة، من حيث ادعى فيه أن النبي ذم هذا الفعل، وخطب بإنكاره على المنابر. ومعلوم ان أمير المؤمنين عليه السلام لو كان فعل ذلك على ما حكى لما كان فاعلاً لمحظور في الشريعة لأن نكاح الأربع حلال على لسان نبينا محمد ﷺ، والمباح لا ينكره الرسول ﷺ، ويصرح بذمه، وبأنه متأذبه؛ وقد رفعه الله عن هذه المنزلة، وأعلاه من كل منقصة ومذمة، ولو كان عليه السلام نافرأ من الجمع بين بنته وبين غيرها بالطباع التي تنفر من الحسن والقيح، لما جاز أن ينكره بلسانه، ثم ما جاز أن يبالغ في الانكار، ويعلن به على المنابر، وفوق رؤوس الأشهاد، ولو بلغ ايلامه لقلبه كل مبلغ فالذي اختص به عليه السلام من الحلم والكظم ووصفه الله بأنه من جميل الاخلاق، وكريم الأدب، ينافي ذلك ويجيله، ويمنع من إضافته إليه، وتصديقه عليه وأكثر ما يفعله مثله عليه السلام في هذا الأمر، إذا ثقل على قلبه، أن يعاتب علياً عليه السلام سراً، ويتكلم في العدول عنه خفياً على وجه جميل وبقول لطيف»^(٢).

(١) تنزيه الانبياء ص ١٩٠.

(٢) تنزيه الانبياء ص ١٩٠.

ثم ضرب المرتضى مثلاً بالمؤمن لما زوج إبنته من أبي جعفر محمد بن علي الجواد فأخذها معه إلى المدينة، ثم تزوج عليها فكتبت شاكية لأبيها، فأجابها المؤمن «إنا ما أنكحناه لنحظر عليه ما أباحه الله له». ولذا يرى المرتضى ان «المؤمن اولى بالامتعاض من غيره إبنته، وحاله أجمل للمنع من هذا الباب والانكار له»^(١).

وأكد المرتضى أن الطعن في هذا الخبر على النبي ﷺ هو أعظم من الطعن على الإمام علي عليه السلام لذا وصف واضع هذا الطعن بأنه «لا يبالي أن يشفي غيظه بما لا يرجع على أصوله بالقدح والهدم»^(٢).

ثم قال «على أنه لا خلاف بين أهل النقل أن الله تعالى هو الذي اختار امير المؤمنين عليه السلام لنكاح سيدة النساء صلوات الله وسلامه عليها، وأن النبي ﷺ ردّ عنها جلة أصحابه وقد خطبوها، وقال ﷺ: إني لم ازوج فاطمة علياً عليها السلام حتى زوجها الله في سمائه، ونحن نعلم أن الله سبحانه لا يختار لها من بين الخلائق من غيرها ويؤذيها، فإن ذلك من أول دليل على كذب الراوي لهذا الخبر»^(٣).

وقدم دليلاً آخر على وضع الخبر «وبعد؛ فان الشيء إنما يحمل على نظائره، ويلحق بأمثاله، وقد علم كل من سمع الاخبار إنه لم يعهد امير المؤمنين عليه السلام خلافاً على الرسول، ولا كان قط بحيث يكره، على اختلاف الأحوال، وتقلب الازمان وطول الصحبة، ولا عاتبه عليه السلام على شيء من افعاله، مع أن أحداً من أصحابه لم يخل من عتاب على هفوة ونكبير لأجل زلة فكيف خرق بهذا الفعل

(١) تنزيه الانبياء ص ١٩٠.

(٢) تنزيه الانبياء ص ١٩٠ - ١٩١.

(٣) تنزيه الانبياء ص ١٩١.

١٩٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

عادته وفارق سجيته وسنته لولا تخرص الأعداء وتعديهم»^(١).

وختم كلامه بآخر دليل «فأين كان اعداؤه عليه السلام... من هذه الفرصة المنتهزة، وكيف لم يجعلوها عنواناً لما يتخرصونه من العيوب والفروق، وكيف تحملوا الكذب، وعدلوا عن الحق، وفي علمنا بأن أحداً من الأعداء متقدماً لم يذكر ذلك، دليل على أنه باطل موضوع»^(٢).

تاسعاً: ابن حزم ت ٤٥٦هـ: قال في اشارته لبني مخزوم «وولد أيضاً أبو جهل الحنفاء، أراد علي أن يتزوجها؛ فكره ذلك رسول الله ﷺ فتزوجها عتاب بن أسيد»^(٣).

والظاهر ان ابن حزم قد وهم لأن ابن سعد ذكر ان الحنفاء وهي بنت ثانية لأبي جهل غير جويرية تزوجها سهيل بن عمرو ثم أسامة بن زيد^(٤).

عاشراً: ابن حجر ت ٨٥٢هـ: أورد ترجمتين لابنة أبي جهل:

الاولى تحت اسم «جميلة بنت أبي جهل بن هشام ابن المغيرة المخزومية. روت عن النبي ﷺ، روى عنها زوجها، اخرج حديثها ابن منده من طريق سماك بن حرب عن عبدالله بن عمره عن زوج بنت أبي جهل، واسمها جميلة. قالت: مر بنا النبي ﷺ فاستسقى فسقيناها. وقال: خير القرون قرني ثم الذين يلونهم... وقيل إنها هي التي خطبها علي. والمحفوظ إنها جويرة»^(٥).

(١) تنزيه الانبياء ص ١٩١.

(٢) تنزيه الانبياء ص ١٩١.

(٣) جمهرة انساب العرب ص ١٤٥.

(٤) الطبقات ٨ / ٢٦٢.

(٥) الاصابة ٤ / ٢٦٢-٢٦٣.

الثانية: جويرية بنت أبي جهل التي خطبها علي بن أبي طالب فقال رسول الله ﷺ: لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً. فترك علي الخطبة ... وقصتها في الصحيحين من حديث المسور بن مخرمة من غير ان تسمى»^(١).

حادي عشر: إن الروايات أعلاه وظفها المستشرق -اميل در منغم - للطنع في شخص الإمام علي عليه السلام إذ يقول: «ولكن محمداً مع امتداحه قدم علي في الإسلام ارضاء لابنته، كان قليل الالتفات إليه، وكان صهرا النبي الأميين عثمان الكريم وابي العاص أكثر مداراة للنبي من علي، وكان علي يألم من عدم عمل النبي على سعادة ابنته، ومن عدّ النبي له غير قوام بجليل الاعمال، فالنبي كان يفوض إليه ضرب الرقاب، وكان يتجنب تسليم قيادة له، وقد إراد علي يوماً ان يتزوج علي فاطمة فغضب النبي واحتج على ذلك، جهرا من فوق المنبر، وهذا لأن علياً كان غير لبق في ميله للزواج من ابنة أبي جهل وجمعه تحت سقف واحد بنت رسول الله وبنت أشد اعدائه ومما آلم منه علي عدم إذن النبي له في الزواج من أخرى مع فاطمة كما صنع مع صهره الآخرين»^(٢).

ثاني عشر: بنت الشاطيء: استفادت من هذه الروايات لتصوغ لنا هذه الحادثة بأسلوب أدبي اضفت عليه شيئاً من خيالها. فقالت: «لكنه (الإمام علي عليه السلام) كاد يأتي - غير متعمد - شيئاً تكرهه فاطمة أشد الكره، وتألّم منه أفدح الألم.. وأي شيء أبغض إلى زوجة كالزهراء من أن يأتيها زوجها وابن عمها بضرة؟ لقد همّ علي بالزواج على فاطمة، وفي حسبانها إنه إنما يجري على مألوف

(١) الاصابة ٤/ ٢٦٥.

(٢) حياة محمد ص ١٩٩.

عادة قومه في الجمع بين زوجتين وأكثر، ويفعل ما أباحه له الإسلام من تعدد الزوجات، دون أن يخطر بباله أن هذا ما تنكره بنت نبي الإسلام! لكن الأمر جرى على غير ما قدر علي.. فما كاد يهيم بالزواج ... حتى راعه أن يرى أبا الزهراء يقبل على المسجد مغضباً، ويخطب في الناس منكرًا على ابن أبي طالب أن يتزوج على فاطمة»^(١).

ثم تساءلت: «ولكن كيف والاسلام يبيح تعدد الزوجات، والنبي ﷺ كان يجمع في بيته يومئذ بين زوجات ثلاث أو أربع، فيهن عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب الذي أعز الله به الإسلام؟ كيف يجرم النبي ما احله الله، وينكر على ابن عمه ما لم ينكره على نفسه؟ ليكن هذا الزواج مؤذياً لفاطمة، افلم تتعرض لمثله بنتا أبي بكر وعمر؟ وهل يأبى النبي أن يجوز على إبنته ما يجوز على كل مسلمة ... وهل استثنى الإسلام من تعدد الزوجات بنات نبيه الذي بلغ رسالته؟ ياله من موقف بالغ الدقة والصعوبة والخرج، فالنبي يعلم حق علي في الزواج ولو على فاطمة.. ومحمد في أبوته الرحيمة وبشريته السوية، يؤذيه أن ترؤع أحب بناته بضره، ويشفق عليها من تجربة قاسية كهذه، يعلم انه لا قبل لها باحتما لها.. ألا ليت علياً قد صبر على واحدة أسوة بابن عمه حين اكتفى بخديجة زوجة، مدى ربع قرن من الزمان! اذن لأعفى الاب النبي من الحرج، وأغناه من ذلك الموقف الشائك الصعب ... وإني لأتمثله -صلى الله عليه [وآله] وسلم- يرنو إلى إبنته الغالية وهي تترقب المحنة في خوف وقهر، فتكاد لفرط أساها وقلقها، تذوب من ضعف وكمد، ويود بكل ما استطاع ان يدفع عنها ما تكره، وأن يحميها من الخوف الذي يقرح أجفانها ويروع امنها، ويؤرق لياليها، لكن الأمر يبدو

معقداً، فما كان لنبي أن يحرم ما أحل الله! وفي ظلمات الحيرة، يلوح شعاع من الضوء ينير السبيل: إن علياً ذكر بنت عمرو بن هشام المخزومي فهل يرضى الله أن يجمع بيت علي بين بنت رسول الله، وبنت عدو الله؟ فعمرو هذا هو أبو الحكم بن هشام أبو جهل، الذي لم ينس الرسول والمؤمنين ما اقترف من آثام في اضطهاد الدعوة الإسلامية...»^(١).

ثم أخذت تعدد مواقف أبي جهل من الدعوة الإسلامية، وأردفت قائلة: «أتكون بنت هذا الرجل ضرة لفاطمة بنت النبي؟ يأبى الرسول ذلك... ويأباه الإسلام! وانطلق - عليه السلام - إلى المسجد مغضبا حتى بلغ المنبر فخطب في صحبه: ان بني المغيرة استأذنونني... ثم ذكر - عليه السلام - صهره أبا العاص، وهو من بني عبد شمس، لا من بني عبد المطلب كعلي - فأثنى عليه في مصاهرته إياه أحسن الثناء... وقد ورد هذا الحديث في الكتب الستة الأمهات ولكن أحداً من الرواة لم يذكر لنا وقعه على المسلمين وصداه في المدينة. فهل ترى يعيننا أن نتصور مدينة الرسول، وقد باتت ليلتها ساهرة، تؤمن على قول النبي، وترى فيه مظهراً جميلاً من مظاهر بشريته التي طالما أصر على الاعتراف بها. وآية ناطقة بأبوته الرحيمة التي كانت مضرب الامثال، ودليلاً جديداً من أدلة حبه لبناته، هذا الحب الذي شاء الله أن يملا به قلب النبي المختار في بيئة وأدت بناتها؟ أو هل يقصر خيالنا عن متابعة علي وهو ينصرف من المسجد إثر سماعه خطبة صهره النبي عليه السلام، ويأخذ طريقه إلى بيته بطيء الخطو، مثقل القلب، يفكر فيما كان؟ أتراه حقاً قد أراد الزواج على فاطمة، من بنت عدو الإسلام؟.. كيف هان عليه جهاده

١٩٤ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الطويل الباسل في سبيل الدعوة المحمدية؟ بل كيف هان عليه أن يروع أمن الحبيبة بنت الحبيب، ويكسر قلبها بزواج كهذا لا يمكن أن يؤول إلا بالرغبة في متاع حسي مادي، لا يجده لديها»^(١).

ثم اوضحت بنت الشاطيء ان زواج النبي صلى الله عليه وآله المتعدد له مبرراته الخاصة، وظروفه وإلا فما باله - صلى الله عليه وآله - قد اكتفى بخديجة خمساً وعشرين سنة، فلم يتزوج عليها حتى ماتت وقد بلغ الخمسين. ثم أن الامام كان يشغله الجهاد في سبيل الدين الجديد، اذن «فلتكن بنت أبي جهل من حظ غيره، أما هو، فليس بالذي يحبط جهاده الباسل، فيستبدل بالنبي أبا جهل بن هشام صهراً.. وليس هو بالذي يؤذي نبيه وأباه وابن عمه، في أحب بناته إليه، ولن يكون أبو العاص ابن الربيع قبل إسلامه أبر منه بنت محمد، ابن عمه عبد الله بن عبد المطلب ولا ارعى في مصاهرته للنبي ذماما»^(٢).

ثم اختلقت - بنت الشاطيء - اعتذاراً من الإمام علي للزهراء - عليها السلام - فقالت: «واذ رأها تبكي، همس معتذرا: هبيني اخطأت في حقك يا فاطمة، فمثلك أهل للعفو والمغفرة، ومضت قطعة من الليل قبل أن تجيب: غفر الله لك يا ابن عم»^(٣).

وختمت كلامها بالسؤال: متى همَّ علي بالزواج على الزهراء؟

قالت: «صمت المؤرخون ورجال الحديث فلم يشيروا إلى موعد الخطبة على ما لذلك من أهمية وخطر، لكننا نظمنا إلى أنها كانت في الفترة الاولى من زواجها.

(١) بنات النبي ص ١٧٧-١٨١.

(٢) بنات النبي ص ١٨١.

(٣) بنات النبي ص ١٨١.

وهو اطمئنان لا يسنده دليل نقلي، وإنما يغرينا به فهمنا لطبيعة الموقف، وتقديرنا انه اقرب احتمالاً قبل أن يرزقا الولد، حين كانت فاطمة وعلي في مستهل حياتهما الزوجية، لم تألف بعد شدته وصرامته، ولم يروض هو نفسه على احتمال ما كانت لا تزال تجد من حزن لفقد امها، وشجو لفراق بيتها الأول! وهذا الاطمئنان نميل إلى توقيت الحادثة على وجه التقريب بالعام الثاني من الهجرة، قبل ان يأتيها العام الثالث بأولى الثمرات المباركة للزواج.. انقشعت السحابة التي ظللت افق الزهراء حيناً لا نحدد مداه، وعاد البيت اصفى جواً مما كان قبل أن يمتحن بتلك التجربة القاسية، ومضت الحياة تسير بالزوجين الكريمين على ما يرجوان من تعاون ومودة؛ فاطمة في الدار تقوم على خدمة زوجها ما وسعها وتتخلص شيئاً فشيئاً مما كان يعتادها من شجن وانقباض، وعلي إلى جانبها يبذل لها من الحب والرعاية ما يعينها على مشقة العيش الكادح في جو المدينة الذي لم تسعفها صحتها على أن تألفه بسرعة كما ألفه كثير من المهاجرين. ويحاول قدر ما أطاق أن يترفق بها ويروض نفسه على شيء من اللين واليسر. ثم شاء الله أن يقر عين الزهراء وعيون من يجوبنها فوضعت بكرها الحسن بن علي في السنة الثالثة من الهجرة^(١).

ثالث عشر: ورد -توفيق أبو علم- ما جاء عند بنت الشاطيء وأضاف «ليس علي هو الذي يؤذي نبيه وأباه وابن عمه في أحب بناته إليه والتي قال لها ﷺ: إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك»^(٢). وهي التي قال فيها أيضاً «إذا كان يوم القيمة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد

(١) بنات النبي ص ١٨٢-١٨٣.

(٢) اخرجه: الطبراني: المعجم الكبير ١١/٢١٠، الهيثمي: الصواعق ص ١٥٨. المتقي الهندي: كنز

العمال ١٣/٩٦. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٠٩. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٥.

١٩٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

إن الجليل جل جلاله يقول: نكسوا رؤوسكم وعضوا أبصاركم فإن هذه فاطمة بنت محمد ﷺ تريد أن تمر على الصراط». (١)

وعن أبي سعيد الخدري انه ﷺ مر في السماء السابعة. وقال: فرأيت فيها لمريم ولأم موسى ولآسية امرأة فرعون ولخديجة بنت خويلد قصورا من ياقوت، ولفاطمة بنت محمد سبعين قصرًا من مرجان احمر باللؤلؤ أبوابها وأسرتها من عود واحد (٢)». (٣)

وأضاف: «هذه هي الزهراء التي يحبها الرسول كما رأينا فيما سبق وتكرر انه لم يكن من المعقول ان يجمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله بيت واحد. وعن يحيى بن سعيد القطان قال: ذاكرت عبد الله بن داود الحرثي قول النبي ﷺ لا أذن إلا أن يحب علي بن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، قال ابن داود: حرم الله على علي ان ينكح على فاطمة طيلة حياتها لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٤).

فلما قال النبي ﷺ: لا أذن لم يكن محل لعلي أن ينكح على فاطمة إلا أن يأذن رسول الله. قال: وسمعت عمر بن داود يقول: لما قال الرسول: فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها حرم الله على علي أن ينكح على فاطمة، إذ أنه بنكاحه عليها يؤذي الرسول، والله تعالى يقول:

(١) اخرج الطبراني: المعجم ١/١٠٨. الحاكم: المستدرک ٣/١٦٦، ١٧٥. الهيثمي: الصواعق ص ١٨٨. المتقي الهندي: كنز العمال ١٣/٩٣، ٩١. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٦.

(٢) الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٦.

(٣) أهل البيت: ص ١٥٥-١٥٦.

(٤) سورة الحشر، آية ٧.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾^(١) «(٢)».

رابع عشر: الحسني: إذا رأينا - منعم، و بنت الشاطئ و توفيق أبو علم، وكذلك كحاله^(٣) اعتمدوا المنهج الحرفي (النقلي) في التعامل مع الروايات لذا أكدوا صحة الحادثة، فإن هاشم معروف الحسني قد انتهج نهج الشريف المرتضى، وابن أبي الحديد وهو النهج العقلي في التعامل مع النصوص لذلك حكم بعدم صحة الروايات. حيث جاء في معرض مناقشته للحادثة:

«وأما حديث زواجه (علي) من غيرها، فقد جاء في بعض المرويات انه كاد أن يأتي شيئاً تكرهه سيدة النساء، ولا تتمكن من التغاضي عن نتائجه ويشير إليه الرواة، إنه همّ أن يتزوج من جويرية... وإن أهلها استشاروا النبي ﷺ فأنكر عليهم، ولم يأذن لهم بذلك، وأضاف الرواة لهذه الاسطورة: إن الزهراء ذهبت إلى أبيها باكية تقول له: ان الناس يزعمون بانك لا تغضب لبناتك، وان رسول الله ﷺ قام من ساعته، وأقبل إلى المسجد مغضباً، وصعد المنبر، وقال على ملاً من المهاجرين والانصار: إلا وإن بني هشام... إلى غير ذلك مما جاء حول هذه الاسطورة التي تصور النبي وكأنه انسان تستبد به العاطفة إلى الخروج من المؤلف ومحابة إبنته على حساب حكم من احكام الله، وتصور الزهراء، وكأنها أقل حظاً من الدين والصبر من سائر النساء، وإن النبي يتخوف عليها أن تتعدى حدود ما أنزل الله لو تم هذا الأمر.

(١) سورة الاحزاب، آية ٥٣.

(٢) أهل البيت ص ١٥٥-١٥٦.

(٣) اعلام النساء ٤/ ١١٢.

«إن الذين وضعوا هذه الاسطورة أرادوا أن يسيئوا إلى النبي، لا إلى علي وحده، لأن النبي ﷺ كما جاء في الرواية، أراد أن يمنع علياً عليه السلام مما أباحه الله لجميع الناس، وما فعله هو وجميع المسلمين أو أكثرهم، ومع ذلك فهل يجوز على النبي أن يقف هذا الموقف المتصلب، ويحايي إبنته الزهراء في حكم من احكام الله، ومع العلم انه كان يقول لفاطمة: «اعلمي فلن أغني عنك من الله شيئاً»^(١).

وقال لمن جاء يستشفع في امرأة من الأنصار قد سرقت: والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها^(٢).

«هذا بالاضافة إلى أن قوله المزعوم: أخاف أن تفتن ابنتي عن دينها، هذا القول على تقديره، يعني إنها كغيرها من النساء اللواتي يخرجن عن المؤلف، ويتجاوزن احكام الله في مثل هذه الحالات، في حين إنه قال أكثر من مرة: «إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»^(٣)، وبلا شك فإنها لم تبلغ هذه المرتبة إلا لأن جميع اعمالها وتصرفاتها وأقوالها في حدود ما أراد الله. وإذا صح كما يزعم الراوي أن تفتن في دينها لأمر قد أباحه الله لعلي وغيره من سائر الناس،

(١) مسلم: الصحيح ٣/٨٠. الطبري: جامع البيان ١٩/١١٨-١٢٠. الهيثمي: الصواعق ص ١٥٥-٦.

(٢) البيهقي: المحاسن ص ٣٦٨. ابن تيمية: منهاج السنة ٣/١٧.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير ١/١٠٨. الحاكم: المستدرک ٣/١٦٧. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/٢٠٣. ابن حجر: الاصابة ٤/٣٧٨. المتقي الهندي: كنز العمال ١٣/٩٦. وقد اعتبر ابن تيمية هذا = الحديث موضوعاً بقوله «ما ورد هذا من النبي ﷺ ولا يعرف هذا من شيء من كتب الحديث المعروفة ولا الاسناد معروف عن النبي ﷺ لا صحيح ولا حسن» منهاج السنة ٢/١٧٠.

فكيف يربط النبي رضاها برضى الله وغضبها بغضبه. هذا بالإضافة إلى أنها أحد المعنيين بآية التطهير بلا شك في ذلك عند أحد من المسلمين، ومع ذلك فكيف تفتن في دينها وقد أذهب الله عنها الرجس وطهرها من الذنوب وجعلها السيدة الأولى لنساء العالمين.

«إن الذين رووا هذه الاسطورة ونسبوا إلى النبي هذا الموقف المتصلب، وتلك المقالة البعيدة عن منطقته قد رووا إلى جانبها أنه إذا كان يوم القيمة يجمع الله الأولين والآخرين على صعيد واحد، ثم ينادي منادي الجليل جل جلاله: نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم فإن فاطمة بنت محمد تريد أن تمر على الصراط. وإذا كانت بهذا المستوى فكيف تفتن عن دينها لأمر متاح ومألوف بين المسلمين، وفي بيت أبيها سيد المسلمين أكثر من أربع من النساء.

«على أن المتتبع لتاريخ علي عليه السلام في تلك الفترة من تاريخ الإسلام سواء كان منها في حياته مع الرسول ﷺ وهو إلى جانبه يجاهد في سبيل الدعوة، أو بعد زواجه من سيدة النساء، لا يتردد في أن جميع ما روي عنه في محاولة زواجه من ابنة أبي جهل، ومن اختياره لنفسه بعض الجوارى في إحدى غزواته الناجحة^(١) كما تحدث بذلك بعض المؤلفات في السيرة من موضوعات....

«والغريب في المقام إن أكثر المؤرخين يذهبون إلى أن خطبة علي عليه السلام لجويرية ... كانت في السنة الثانية التي تزوج بها من فاطمة الزهراء، وقبل ان يأتيتها العام الثالث بأولى الثمرات المباركة لزواجهما... ووجه الغرابة في ذلك إن أبا

(١) عندما ولّاه النبي ﷺ اليمن. أنظر الترمذي: الصحيح ١٢/١٦٤-١٧٢، ٥-٣. الحاكم:

٢٠٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

جهل وبني المغيرة كانوا في مكة، وأبو جهل كان من اقطاب المشركين، وألد أعداء الإسلام ومن أكثرهم تحريضاً وإساءة إلى النبي صلى الله عليه وآله وأتباعه... وقد قتل أبو جهل في بدر وظل بنوه على شركهم في مكة إلى السنة الثامنة حيث فتح مكة، فأسلموا، فكيف يجتمع هذا مع قول النبي في مطلع السنة الثالثة للهجرة، وقبل ولادة الحسن: إلا أن بني المغيرة قد استأذنوني أن يزوجوا ابنتهم عليا. وخلص للقول: «ومهما كان الحال فلو افترضنا ان عليا فكر في غير فاطمة من النساء، وان فاطمة لم تكن طيبة النفس بهذا التفكير، فذلك لا يوجب تجريحا، ولا يبيح لأحد أن ينال من قداستها شيئا»^(١).

خامس عشر: العقاد: قال بصددها «ولا نعلم نحن من شأن هذه الخطبة غير ما جاء في رواياتها المختلفة. ولكننا نعلم أن هذه الفتاة [جويرية] أسلمت وبايعت النبي وحفظت عنه، فلعلها قد خيف عليها الفتنة أن تتزوج بغير كفاء من المسلمين، وأهلها هم من هم في المكانة والحسب لا يرضيهم من هو دون علي بن أبي طالب من ذوي قرابتها. أو لعلها غضبة من غضبات علي على أنفة من أنفات فاطمة، أو لعلها نازعة من نوازع النفس البشرية لم يكن في الدين ما يأبأها، وإن أبأها العرف في حالة المودة والصفاء»^(٢).

سادس عشر: الشرهاوي: وآخر من علمنا انه كان له رأي في هذه الحادثة

زميلنا- حسين الشرهاوي- الذي قال بصددها:

«والرواية التي أوردناها تحمل ضعفها بين طياتها وهي متناقضة إلى درجة

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر ١/ ٩٢-٩٥.

(٢) فاطمة الزهراء ص ٤٤-٥٠.

كبيرة لا يمكن قبولها وهي تحمل إساءة إلى رسول الله ﷺ أولاً قبل الإمام علي وفاطمة الزهراء عليها السلام، ووجه اعتراض رسول الله ﷺ حبه لابنته فاطمة... ولو افترضنا جدلاً أن علياً عليه السلام قدم على هذه الخطبة بالفعل، فإنه لم يأت بشيء محرم في الشريعة لأن الإسلام أباح الزواج بأربع، فكيف يقف رسول الله ﷺ على المنبر وأمام كل المسلمين ويحرم شرع الله الذي أتى به من عند ربه، وذلك لمحبة لابنته فاطمة عليها السلام! وهو ينادي بالمساواة والعدالة وعدم التفضيل وكون فاطمة كأبي امرأة من نساء المسلمين من منطلق المساواة، ثم يصعد على المنبر ويعرض باحدى المسلمات وهي جويرية بنت أبي جهل، ويعيرها بأبي جهل، على الرغم من إسلامها فهل تحاسب بذنب أبيها».

«وقد روي ان عكرمة بن أبي جهل عندما أسلم هاجر إلى المدينة بعد فتح مكة فجعل عكرمة كلما مر بمجلس من مجالس الأنصار قالوا: هذا ابن أبي جهل وسبوا أبا جهل، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: لا تؤذوا الأحياء بسب الاموات^(١) فإذا كان هذا حال رسول الله ﷺ في مراعاة مشاعر المسلمين فكيف يصعد على المنبر امام المسلمين ويهجم على هذه المرأة المسلمة وينهي عن شرع الله، وحتى ان كان قد كره هذا الأمر بقلبه لمحبة فاطمة عليها السلام كما تذكر الرواية وبلغ به الغيظ والغضب! أليس هو الموصوف بكظم الغيظ، وعدم التسرع بالأحكام). وقد وصفه الله بجميل الاخلاق، وكريم الآداب فلماذا لم يعاتب علياً سرا وينهاه. دون أن يجرح مشاعره ومشاعر المسلمين»^(٢).

(١) أنظر: الزبيري: نسب قريش ص ٣١١. الزمخشري: ربيع الابرار ٢ / ٨٤١. السيوطي: مسالك

الحنفا ص ١٥. دحلان: اسنى المطالب ص ١٥.

(٢) السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام ص ١٣١-١٣٢.

والآن لنأتِ لمناقشة الحادثة في الحثيات الآتية:

أولاً: من هم بنو المغيرة؟

ثانياً: من هي ابنة أبي جهل؟

ثالثاً: مناقشة تناقضات الروايات؟

رابعاً: موقف النبي ﷺ؟

خامساً: موقف فاطمة عليها السلام؟

سادساً: موقف الإمام علي عليه السلام؟

سابعاً: من هو راوي الرواية؟

ثامناً: تحليلات بعض الباحثين؟

أولاً: من هم بنو المغيرة؟

هو المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. من الأسر التي اتخذت موقفاً سلبياً من الدعوة الإسلامية في مكة أو فيما بعد في المدينة، فقد قتل في بدر منهم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وأبو جهل وأخوه العاصي بن هشام، وأسر عثمان ابن عبد الله بن المغيرة ومعد بن هشام بن المغيرة، أما في الخندق فقد قتل نوفل ابن عبد الله بن المغيرة. (١)

ومن أشهر رجالاتهم الوليد بن المغيرة وهو أول من خلع حذائه عند الدخول

(١) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٤٤-١٤٥.

للكعبة إعظاما لها^(١)، وأول من بدأ بتهديمها لما أرادت قريش إعادة بنائها وكانت تخشى ذلك^(٢)، ولذلك عرف بعظيم قريش، وفيه نزل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٣).

والوليد هو الذي اتهم النبي ﷺ بالسحر لذا نزل فيه قوله تعالى

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَيْنَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٤).

وقد قتل ابنه أبو قيس يوم بدر مع المشركين فيما أسلم ابنه خالد بن الوليد قبيل فتح مكة.^(٥)

أما باقي بنو المغيرة فقد دخلوا في الإسلام يوم فتح مكة ومن ضمنهم

(١) الأزرقى: اخبار مكة ١/ ١٧٤، البيهقي: المحاسن والمساوى ص ١٦٥، السيوطي: الوسائل ص ٣٢-٣٣.

(٢) الطبري: تاريخ ٢/ ٢٨٨-٩.

(٣) سورة الزخرف: ٣١، أنظر: الطبري: جامع البيان ٢٥/ ٩٥، القرطبي: الجامع ١٦/ ٨٣، ابن كثير: تفسيره ٧/ ٣٩٥.

(٤) سورة المدثر: ١١-٣٠. أنظر: الطبري: جامع البيان ٢٩/ ١٥٢-١٥٣، الواحدي: أسباب النزول ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٥) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٤٧.

٢٠٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الحارث بن هشام أخو أبي جهل الذي أصبح من الطلقاء ثم من المؤلفة قلوبهم ولذلك أعطاه النبي ﷺ من غنائم هوازن مائة بعير. (١) ويشار أنه هو الذي أشار على الخليفة عمر بن الخطاب بوضع ديوان العطاء. (٢)

ويأتي هنا التساؤل: مَنْ من بني المغيرة استأذن النبي ﷺ؟ هل هو الحارث ابن هشام عم جويرية؟ أم خالد بن الوليد؟ أم عكرمة بن أبي جهل؟.

ثانياً: من هي ابنة أبي جهل؟

إنها جويرية أو جويرة أو جميلة أو الحنفاء هكذا على اختلاف الروايات ابنة أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي المعروف قبل الإسلام بأبي الحكم (٣)، وكان لاتخاذ موقفاً سلبياً من النبي ﷺ والدعوة الإسلامية أن لقبه ﷺ بأبي جهل، وذلك لبعده عن استيعاب مفاهيم الإسلام ورفضه اتباعها، فالجاهلية هي حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدي الله. (٤)

وأبو جهل هو صاحب فكرة اغتيال النبي ﷺ ليلة الهجرة (٥) ثم كان (أس) البلاء على قريش يوم بدر حتى أوردتها المهالك، فكان أن قتل يوم بدر وقد لاقى

(١) ابن هشام: السيرة ٤/٤٩٣، ٤١٣، الطبري: تاريخ ٣/٩٠.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٣٦. الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ١٧. ذكر اسمه الوليد ابن هشام.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٨/٦٢. ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٤٥. ابن حجر: الاصابة ٤/٢٦٥، ٢٦٢.

(٤) عن معنى الجاهلية أنظر بحثنا الموسوم (الجاهلية فترة زمنية أم حالة نفسية؟). مجلة ابحاث البصرة، العدد ٣١، ٢٠٠٦. ص ٤٣٥.

(٥) الطبري: تاريخ ٢/٣٧٠-٢.

خبر مقتله سروراً لدى النبي ﷺ وأصحابه^(١). فيما بقيت أسرته حتى السنة الثامنة من الهجرة، حيث فتح مكة فكان ولده عكرمة بن أبي جهل من الدعاة لقتال المسلمين وعدم السماح لهم بالدخول لمكة، ولما فتحت مكة هرب إلى البحر، فلحقته زوجته بعد أن أخذت له الأمان من النبي ﷺ فعاد وأعلن إسلامه.^(٢)

ومن أسرة أبي جهل إبنته التي اختلف في اسمها أعلاه، وقد كان لها موقف لما دخل المسلمون مكة فلما أذن بلال وقال: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت جويرية: (قد لعمرى رفع لك ذكرك، أما الصلاة فسنصلي، والله ما نحب من قتل الاحبة أبداً، ولقد جاء إلى أبي الذي كان جاء إلى محمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه).^(٣)

إذن كانت من مسلمة الفتح، وافتتح مكة ختمت الهجرة، فلا هجرة بعد الفتح^(٤) هذا يعني إنه لا هجرة بعد ذلك للمدينة ألا لأغراض خاصة، فأين يا ترى كانت خطبة الامام لجويرية هل في مكة أم في المدينة؟ ثم لماذا لم تتحقق الخطبة أ لرفض النبي ﷺ^(٥)؟ أم رفض بني المغيرة أنفسهم^(٦)؟ أم لتدخل عتاب الذي

(١) الطبري: تاريخ ٢/٤٥٤-٦.

(٢) الطبري: تاريخ ٣/٤٤، ٤٨، ٥٧-٦٠، ٦٣. المنتخب ص ٥٠١-٢. ابن حجر: الاصابة ٧-٤١٦/٢.

(٣) الأزرقى: اخبار مكة ١/٢٧٤-٢٧٥.

(٤) حديث للنبي ﷺ اخرجه ابن حنبل: المسند ٣/٤٠١، ٢٢، ٥/١٨٧.

(٥) ابن سعد: الطبقات ٨/٢٦٢، الزبيري: نسب قريش ص ٣١٢، البخاري: الصحيح ٥/٩٥-٩٦.

(٦) الحاكم: المستدرک ٣/١٧٣.

٢٠٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

خطبها فتزوجها؟^(١)، ويأتي هنا التساؤل: أين كان عنها عتاب بن أسيد وهو أيضاً من مسلمة الفتح؟ الذي ولدت لعتاب ولده عبد الرحمن بن عتاب الذي كان ضمن أهل الجمل ضد الإمام علي عليه السلام فكان أن قتل في هذه المعركة^(٢). وبعد وفاة عتاب تزوجها أبان بن سعيد بن العاص بن أمية فلم تلد له شيئاً.^(٣)

وتشير الروايات أنها روت عن النبي ﷺ، وروى عنها زوجها: «عن عبد الله بن عميرة عن زوج بنت أبي جهل». فابن عميرة هنا لا يعلم زوج ابنة أبي جهل؟ ومن هي؟ والملاحظ ان كتب الصحاح لم تذكر اسمها.^(٤)

ثالثاً: تناقض صيغ الروايات

تشير بعضها ان بني المغيرة هم الذين استأذنوا النبي ﷺ في تزويج ابنتهم للإمام^(٥)، فيما تشير روايات أخرى أن الخبر كان شائعاً، وأن الناس قد تحدثوا به، فلما بلغ ذلك فاطمة عليها السلام ذهبت للنبي ﷺ وأخبرته^(٦) فيما تأتي رواية لدى الحاكم لتشير بأن الامام هو الذي طلب الإذن من النبي ﷺ فرفض^(٧)، وتذهب رواية أخرى لعلم النبي ﷺ بالأمر دون تحديد من الذي أخبره.^(٨) أما السبب

(١) الزبيري: نسب قريش ص ١٨٧.

(٢) الشرح: ١١/١٢٣-٤، الزبيري: نسب قريش ص ١٩٣، ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١١٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٨/٢٦٢.

(٤) ابن حجر: الاصابة ٤/٢٦٥.

(٥) ابن سعد: الطبقات ٨/٢٦٢. مسلم: الصحيح ١٦/٢. الترمذي: الصحيح ٣/٢٤٦-٧.

(٦) البخاري: الصحيح ٥/٩٥-٩٦. مسلم: الصحيح ١٦/٤.

(٧) المستدرک: ٣/١٧٣.

(٨) المستدرک: ٣/١٧٣.

في عدم تحقق الخطبة فهذا أيضاً موضع تناقض بين الروايات فأكثر الروايات تعزوه للنبي عليه السلام^(١)، فيما تأتي رواية لتشير إلى رفض بني المغيرة منذ البدء لأن ذلك يؤدي النبي عليه السلام برأيهم^(٢)، ولكن رواية الزبيري تشير إلى تدخل عتاب بن أسيد الذي حسم الموقف بخطبته جويرية^(٣)؟ ولكن أليس خطبة المؤمن على أخيه المؤمن حراماً^(٤)!!؟

رابعاً: موقف النبي عليه السلام؟

أشرنا إلى تناقض الروايات في من الذي أخبر النبي عليه السلام، بخطبة الإمام علي عليه السلام لجويرية.

فبعضها يشير بأن بني هشام بن المغيرة استأذنوا النبي عليه السلام، فهذا يعني أنه رفض ذلك، إذن لماذا يصعد النبي المنبر معلناً (ان بني هشام بن المغيرة استأذوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا إذن ثم لا إذن ثم لا إذن لهم)^(٥). فلماذا لا يرسل النبي للإمام علي عليه السلام ويدعوه لترك الخطبة؟ فما معنى هذا الموقف المتشدد من النبي عليه السلام حيال علي عليه السلام وأمام الناس؟ فهل يريد النبي أن يقول ان علياً أتى بأمر خطير؟ أم إن النبي عليه السلام أراد أن يسمع من تسوّل له نفسه ولو مستقبلاً تزويج علي كما فعل بنو المغيرة؟.

(١) ابن سعد: الطبقات ٨/٢٦٢. الزبيري: نسب قريش ص ٣١٢. البخاري: الصحيح ٥/٩٥-٩٦.

(٢) الحاكم: المستدرک: ٣/١٧٣.

(٣) الزبيري: نسب قريش ص ٣١٢.

(٤) أخرجه الطحاوي: شرح معاني الآثار ٣/٣-٤. ابن حزم: الفصل ٤/١٦.

(٥) مسلم: الصحيح ١٦/٢. الترمذي: ١٣/٢٤٦-٧.

٢٠٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ولكن رواية الحاكم تفيد أن الإمام علياً عليه السلام هو الذي طلب الموافقة من النبي منذ البدء ولكنه عليه السلام لم يوافق فقال علي عليه السلام: لا آتي شيئاً تكرهه (١)، إذا ما معنى صعود النبي المنبر واستنكاره، فهل هذا يعني إن علياً عاود الخطبة رغم نهي النبي عليه السلام له!! إن هذا لا يمكن صدوره عن الإمام علي عليه السلام.

فيما تأتي رواية أخرى تشير أن فاطمة هي التي أبلغت النبي عليه السلام: «فلما سمعت فاطمة أتت النبي عليه السلام فقالت: إن قومك يتحدثون إنك لا تغضب لبناتك» (٢).

إذن فالقوم يرون أن فعل الإمام علي عليه السلام غير صحيح، ولذلك أشيع بين الناس وأخذوا يتحدثون به، فبلغ مسامع فاطمة لذا أتت النبي عليه السلام لتخبره بمقالة الناس. فلماذا يا ترى هذا التصور لدى الناس؟ والمعروف أن العرب قبل الإسلام وفي ظل عصر الرسول عليه السلام كانوا يتزوجون لأكثر من واحدة، ولا نكاد نقرأ عن موقف متوتر حيال زواج ثانٍ، إذن لماذا يستنكر قوم النبي عليه السلام ذلك إلى درجة أنهم يقولون: إن النبي عليه السلام لا يغضب لبناته، فمن سبقه وقد غضب لبناته حتى يؤخذ على النبي عدم غضبه لبناته.

٣. إن الرسول عليه السلام بموقفه الاستنكاري هذا عرض بعلي عليه السلام، مقارنة إياه بموقف أحد أصهاره من بني عبد شمس، إذ يقول: (فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني فصدقني) وفي رواية أخرى: (حدثني فصدقني، ووعدني

(١) المستدرک: ١٧٣/٣.

(٢) البخاري: صحيح ٥/٩٥-٩٦. مسلم: الصحيح ١٦/٤.

فأوفى لي^(١). فمن هو أبو العاص هذا؟.

هو أبو العاص بن الربيع من بني عبد شمس وأمه هالة بنت خويلد، أي أخت السيدة خديجة عليها السلام تزوج قبل الإسلام زينب التي يرى البعض أنها من بنات النبي ﷺ، ورغم أن الروايات تشير لإسلامها في بدء الدعوة الإسلامية لكنها بقيت في مكة ثلاث عشرة سنة عند زوجها وهو مشرك، فما سر بقاءها: هل يرضاها؟ فهذا لا يجوز شرعاً؟ أم رغباً عنها؟ ومع ذلك فلم تشر الروايات لأي موقف سلبي لاحدهما حيال الآخر رغم تناقضهما في العقيدة، أليس هذا يثير الإستغراب؟! وقد بقيت حتى بعد الهجرة وأشترك زوجها أبو العاص في معركة بدر مشركاً، فكان أن وقع أسيراً بيد المسلمين فأرسلت زينب قلادة كانت أمها قد أهدتها لها ليلة زفافها، فرَّق النبي ﷺ لها وأعادها عليها وأطلق سراح زوجها بعد أن شرط عليه أن يبعث زينب له، ففعل، فهل يدل ذلك على فقر أبي العاص، ثم أين إسلام زينب وهي تتعاطف مع مشرك ضد أبيها النبي ﷺ؟! واستمر أبو العاص مشركاً، حتى السنة السادسة للهجرة حيث خرج في قافلة فاعترضها المسلمون وأخذوا ما فيها وفرَّ أبو العاص إلى المدينة حيث استجار بزینب فأجارته وأعاد عليه المسلمون كل ما أخذوه من أموال، فمضى إلى مكة وأعاد الأموال لأصحابها ثم جاء إلى المدينة فأعلن إسلامه، وتشير الروايات إن الرسول ﷺ أعاد إليه زينب بالعقد الأول، فهل هذا جائز في الشريعة الإسلامية؟! وبقيت معه سنتين حيث توفيت في السنة الثامنة من الهجرة، فيما عاش بعدها أبو العاص حتى توفي في عهد الخليفة أبي بكر^(٢).

(١) البخاري: صحيح ٩٦/٥. مسلم: الصحيح ١٦/٣-٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٨/٣٠-٣٦. الطبري: المنتخب ص ٤٩٩-٥٠١. ابن حزم: جمهرة انساب

٢١٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

إن ملاحظة سيرة أبي العاص ومقارنتها بسيرة الإمام علي عليه السلام لتقطع عقلا بأنه لا يمكن أن تكون هناك أدنى مقارنة عند عامة الناس، فكيف بالنبِيِّ ﷺ ولا داعي لبيان سيرة الإمام علي عليه السلام، فهي معروفة للخاص والعام كمعرفة البلد الحرام، أما أبو العاص فلا وجود له إلا في بطون الكتب، وقَلَّ من يعرفه حتى من المتخصصين وليس ذلك إلا لأنه شخص من عامة الناس.

والملاحظ ان الرواية تشير لقول النبي ﷺ: حدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي، والسؤال: متى حدثه؟ ومتى صدقه؟ أبعده ثلاث عشرة سنة والرسول في مكة يدعو للإسلام، فلم يؤمن به؟ أبعده تضيقه على زينب التي أسلمت وبقيت عنده؟ أبعده خروجه مع المشركين في بدر ثم وقوعه في الأسر؟ أبعده ست سنين من الهجرة؟ ولما رأى واقع الجزيرة العربية يتجه لصالح النبي ﷺ جاء معلناً إسلامه؟.

ثم إن القول المنسوب للنبي ﷺ: (فحدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي). هل هذا الكلام لا نجد له مصداقية لدى الإمام علي عليه السلام!!.

ثم لتساءل عن سر بقاء زينب لدى أبي العاص؟ والمعروف أن قريشا سعت لولدي أبي لهب لتطليق بنات النبي ﷺ وهما من بني هاشم وأبناء عمه؟ فلماذا لم تسع بالنسبة لأبي العاص؟ وإذا كانت قد سعت ورفض أبو العاص؟ فما هو سبب رفضه؟ هل اعتزاز بمصاهرته النبي ﷺ؟ إذا لماذا لم يقبل دعوته؟ أم اعتزاز بابنته؟ فهي قد دخلت الإسلام طاعنة في ما يعتنقه من الشرك؟ ثم ما

العرب ص ٧٧-٧٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ١٧٠١. ابن الاثير: اسد الغابة ٥/ ٢٣٦-٨،

ابن حجر: الاصابة ٤/ ١٢١-٣، ٣١٢-٣.

سر بقاءها: هل برضاها؟ فهذا لا يجوز شرعاً؟ أم رغماً عنها؟ فإذا كان كذلك فكيف يقول الرسول ﷺ إنه وعدني فأوفي لي؟ وإن شرط النبي ﷺ إرسال زينب مقابل إطلاق سراحه دليل على أن بقاءها عنده رغماً عنها.

ومع كل ذلك فإنه لم يثبت تاريخياً أن للنبي ﷺ بنات سوى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

إن السر في منع النبي ﷺ من زواج علي عليه السلام هو «إن فاطمة بضعة مني، وإنما أكره أن يفتنوها»^(١) نعم... إن فاطمة قطعة من رسول الله ﷺ بلا شك، ولكن ماذا يقصد ﷺ بفتنة فاطمة؟ هل يقصد إنه يصيبها ما يصيب النساء، وإن هذا سيدعوها للانحراف في التعامل مع زوجها ومع ضررتها؟.

إن مثل هذا التصور يقوله شخص غير مدرك لحقيقة النبي ﷺ وابنته فاطمة عليها السلام التي صرح القرآن الكريم بطهارتها من الرجس، فلا يمكن بحال من الأحوال أن تشعر بأي شيء يجرمه الإسلام، والمعروف أن غير المرأة محرمة في الإسلام،^(٢) ولهذا قطعاً ففاطمة سوف لن ينتابها من هذا شيء.

يخلص الرسول ﷺ للقول: (إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم).^(٣)

المعروف ان قول الرسول ﷺ وفعله وتقريره سنة واجبة الاتباع، فإذا ما حدث أن النبي ﷺ طلق ابنته لأن زوجها أراد الزواج عليها، فهذا يعني إنه

(١) مسلم: الصحيح ٤/١٦، ابن الاثير: اسد الغابة ٥/٤١٩.

(٢) قال الإمام علي عليه السلام: غير المرأة كفر وغيره الرجل إيمان. الشرح ١٨/٣١٢.

(٣) الترمذي: الصحيح: ١٣/٢٤٧.

٢١٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

تشريع ستسير عليه الأمة، فيصبح أحدنا إذا أراد شخص أن يتزوج على ابنته يطلب منه طلاقها مقتدياً بالنبي ﷺ.

ثم ما هو علاج الرسول ﷺ للمسألة؟ انه الطلاق، والمعروف أن الطلاق شرع كعلاج للفساد الأسري، وهو من أبغض الحلال عند الله تعالى.

فإذا صحَّ وطلّقت فاطمة عليها السلام أليس الذي سيواجهه النبي ﷺ هو مشكلة من سيتزوجها؟ إذ المعروف أن كثيراً من الصحابة خطبوا فردهم النبي ﷺ لأنه ينتظر أمر السماء، وقد جاء أمر السماء بتزويجها من علي عليه السلام. (١)

يقول اليعقوبي: «وقدم علي بن أبي طالب عليه السلام بفاطمة بنت رسول الله ﷺ وذلك قبل نكاحه إياها... ثم زوجها رسول الله ﷺ من علي عليه السلام بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوا من رسول الله ﷺ فلما زوجها علياً عليه السلام قالوا في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: ما أنا زوجته، ولكن الله زوجته» (٢).
فهل شرطت السماء على علي عليه السلام ألا يتزوج على فاطمة عليها السلام؟ وأنى للنبي أن يطلقها من علي والسماء هي التي زوجته!!

ثم يقول الرسول ﷺ: (وإيها والله لا تجتمع بنت رسول الله، وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً).

هل يعقل ان هذا التصور وهذا الكلام يصدر من أبي هذه الأمة؟ هل يعقل أن يصدر من رحمة الله:

(١) ابن سعد: الطبقات ١٩/٨.

(٢) التاريخ: ٣٥/٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٠٧. وانظر الهيثمي: الصواعق ص ١٢٢.

المتقي الهندي: كنز العمال ١٣/١٢، ٢٠٥، ٢٠١، ٩٧/٢٠١. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٦.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)؟

هل يعقل أن يصدر ممن وصفه القرآن:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

و:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣).

و:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤).

فهل هذه المواصفات القرآنية تنطبق على هذا الشخص، وهو يفرق بين
ابناء أمته!!؟ ويعلن بلسان العصبية بأن إبنته لا تجتمع مع ابنة عدو الله. أليس
هذا تشريعاً؟! وما هو ذنب جويرية المسلمة، إن كان أبوها كافراً؟ أليس في هذا
طعن لها وإيذاء!! والله سبحانه نهي عن إيذاء المؤمن.

إن الرسول ﷺ هو الذي جاء عن الله مشرعاً للمسلمين:

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾^(٥).

وهذه الآية عامة لجميع المسلمين فهي تضم عليا وغيره، فكيف يجرمها

(١) سورة الانبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ٣.

الرسول ﷺ على علي عليه السلام (وإنني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً).

قال ابن العربي: (وأذية النبي ﷺ لا تغفر، فإن قيل: فكيف منع النبي ﷺ علياً من النكاح ولا يقضي ذلك عقد النكاح، قلنا قد بين النبي ﷺ ذلك غاية البيان، فقال: إنه ليس في تحريم ما أحل الله إلا إذا أراد علي بن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم، فبين له أن ذلك ليس بحرام، وبين له أنه لا عليه أن يطلق علي فاطمة، فأما الزواج عليها فإنه يؤذيه، وما آذاه كان حراماً من جهة إذابته لا من جهة تحريم النكاح في الاصل... هذا الأمر يختص به النبي ﷺ وحده، فاذا غيره مأذون فيه مباح لا حرج على أحد أن يفعله).^(١)

والشيء الذي يلفت النظر هو سكوت القرآن الكريم إزاء هذه الحادثة لا تأييداً لموقف النبي ﷺ ولا نقداً له.

ولكن يا ترى لماذا لم يغضب النبي ﷺ لرقية أو أم كلثوم على اختلاف الروايات في زواج عثمان عليها، فيروى أن الرسول ﷺ في ساعة الدفن شرط أن لا يدخل القبر من قارف زوجته تلك الليلة فلم يدخل عثمان القبر^(٢)، ولهذا فصاحب الرواية جعل على لسان النبي ﷺ أن يحتج بأبي العاص مع إنه مشرك، ولم يحتج بعثمان لأن الأخير قد تزوج على رقية أو أم كلثوم.

المتبع لسيرة النبي ﷺ يجد لديه اهتماماً بفاطمة عليها السلام يفوق بكثير اهتمامه بباقي بناته، فزينب التي تزوجت من أبي العاص، والذي استمر على شركه

(١) صحيح الترمذي بشرح ابن العربي ١٣/٢٤٦-٢٤٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٨/٣٨. الطبري: المنتخب ص ٤٩٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٨٤١،

١٩٥٢. ابن حجر: الإصابة ٤/٣٠٤، ٤٨٩.

لإحدى وعشرين سنة، قضت معه أكثر من خمس عشرة سنة وحينما هاجرت إلى المدينة بقيت لأربع سنوات حتى أسلم أبو العاص فأعادها النبي ﷺ إليه. ولم يعرف لماذا لم تتزوج بعد عودتها للمدينة؟!!! ويقال إنَّها ولدت له ولدين (علي) وقد مات صغيراً، و(أمّامة) التي روي أنّها تزوجت من الإمام علي عليه السلام بعد فاطمة عليها السلام بدعوى الوصية المزعومة للزهراء وبعده تزوجت نوفل بن المغيرة ولم تلد لأي منها. (١)

أمّا رقية فقد تزوجت من ابن أبي لهب والذي طلقها حال بدء الدعوة الإسلامية فتزوجها عثمان الذي هاجر بها إلى الحبشة ثم عاد لمكة إثر حادثة الغرانيق الموضوعه طعنا في شخص النبي ﷺ؟!!!، وتوفيت في المدينة في السنة الثانية من الهجرة وقد ولدت لعثمان ولدا اسمه عبد الله مات صغيراً حيث نقره الديك. (٢)

أمّا بالنسبة إلى أم كلثوم فقد أشار الرواة لزواجها من الابن الثاني لأبي لهب، الذي اقتضى أثر أخيه فطلقها، ولكنّها لم تجد زوجاً فبقيت ثم غابت عن الرواة لخمس عشرة سنة حتى ماتت رقية فظهرت من جديد في الروايات حيث تزوجها الخليفة عثمان ولكنّها لم تطل معه حيث توفيت في السنة الثامنة من

(١) ابن سعد: الطبقات ٨/ ٣٠-٣٦. الطبري: المنتخب ص ٤٩٤، ٥٩٤-٥. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ١٨٥٣-٤. ابن الاثير: اسد الغابة ٥/ ٤٦٧-٨، ابن حجر: الاصابة ٤/ ٣١٢-٣.

(٢) ابن زبالة: منتخب ص ٤٢-٣. ابن سعد: الطبقات ٨/ ٣٦-٣٧. الطبري: المنتخب ص ٥٩٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ١٨٣٩-٤٣. ابن الاثير: اسد الغابة ٥/ ٤٥٦-٧. ابن حجر: الاصابة ٤/ ٣٠٤-٥.

الهجرة دون أن تلده ولدا. (١)

إن كتب السيرة والحديث لتخلو من الاشارة إلى فضائل بنات رسول الله ﷺ ما عدا فاطمة عليها السلام التي أفردت لها كتب الصحاح بابا في ذكر مناقبها. (٢) بالإضافة إلى أنه لم يكن للنبي ﷺ نسل من بناته إلا من فاطمة عليها السلام ولم يبق لبناته الآخر من الذكر إلا في بطون الكتب، في الوقت الذي أصبحت فيه فاطمة عليها السلام الوعاء الوحيد الذي ينتسب إليه الملايين ممن ينتسب إلى رسول الله ﷺ.

إن دراسة متمعنة لهذه البنات الأربع لتؤكد إنه لاصحة همن إلا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام والباقيات تم اختلاقهن لوضع فضيلة للآخرين مقابل فضيلة الإمام علي عليه السلام في مصاهرته للنبي ﷺ، وهذا ما سنتناوله تفصيلا في مشروعنا «فضائل الإمام علي عليه السلام تنسب لغيره... الحلقة الثالثة.. صهر النبي ﷺ»!!؟

(١) ابن زبالة: منتخب ص ٤٣. ابن سعد: الطبقات ٨/٣٧-٩. الطبري: المنتخب ص ٤٩٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٩٥٢-٣. ابن الاثير: اسد الغابة ٥/٦١٢-٣، ابن حجر: الاصابة ٤٨٩/٤-٤٩٠.

(٢) أنظر البخاري: الصحيح ٥/٩١-١٠٥، ٢. مسلم: الصحيح ١٦/٢-٧. الترمذي: الصحيح ١٣/٢٤٦-٢٥١. النسائي: خصائص ص ١١٦-١٢٢. الطحاوي: مشكل الآثار ١/٤٧-٥٢. الحاكم: المستدرک ٣/١٦٤-١٧٩. أبو نعيم: حلية الاولياء ٢/٣٩-٤٣. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٠٦-٣٢٢. الحافظ العراقي: طرح التثريب ١/١٤٩-١٥١. الهيثمي: الصواعق ص ١٨٨-٩، المتقي الهندي: كنز العمال ١٣/٩١-٧. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٠٤-١٧٣، ١٧٠-١٢١، الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٤-٤٧.

خامساً: موقف فاطمة عليها السلام:

تصور الرواية فاطمة عليها السلام وكأنتها المرأة الضعيفة القليلة الحنكة شأنها شأن سائر النساء، فتتفعل، وتستغل سلطة أبيها لتذهب إليه قائلة: (إن قومك يتحدثون إنك لا تغضب لبناتك).

إن المرأة الاصيلة هي التي تعالج مشاكلها مع زوجها وبدون تدخل أحد حتى أهلها، أمّا إذا لجأت لتدخل الآخرين فهذا دليل على عدم اصالتها، وهذا كما هو معروف لا ينطبق على فاطمة عليها السلام التي ارتقت لتكون سيدة نساء هذه الأمة،^(١) أو سيدة نساء الجنة^(٢)، أو سيدة نساء العالمين.^(٣)

إننا لم نقرأ في متون الكتب ولم نسمع أن الله سبحانه وتعالى يغضب لغضب امرأة، ويرضى لرضى امرأة سوى فاطمة عليها السلام.^(٤) فهل التي تتوصل إلى هذه الدرجات العلية تقف كهذا موقفاً!!

سادساً: موقف الإمام علي عليه السلام.

تتجاهله كافة الروايات ما عدا رواية للحاكم، بنو المغيرة يتجاهلونه ويذهبون للنبي صلى الله عليه وآله ليستأذنه في أن يزوجوا علياً ابنتهم، وفاطمة تتجاهله وتذهب للنبي صلى الله عليه وآله شاكية إياه، والنبي صلى الله عليه وآله بدوره يتجاهله ويقف مندداً به بدون

(١) مسلم: الصحيح ١٦/٦-٧. الحاكم: المستدرک ٣/١٧٠. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٠٩. الحافظ العراقي: طرح الشريب ١/١٤٩.

(٢) البخاري: الصحيح ٥/١٠٥، ٩١. الحاكم: المستدرک ٣/١٦٤، ١٦٨. ابن تيمية: منهاج السنة ١٢/٣.

(٣) ابن ماجه: صحيح سنن ١/٢٧١. الحاكم: المستدرک ٣/١٧٠.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير ١/١٠٨. الحاكم: المستدرک ٣/١٦٧. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/٢٠٣.

٢١٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ذكر اسمه (إن أراد ابن أبي طالب) ومعرضا به بأبي العاص بن الربيع، وكأن عليا عليه السلام شخص عادي لا ثقل له.

وكان الراوي يريد القول إن الرسول ﷺ تناسى من هو علي عليه السلام؟ وأين تربى؟ ومتى أسلم؟ ومن هو الذي بات في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة؟ ومن هو صاحب السيف في سائر غزوات الرسول ﷺ؟ وهو الذي لم يجد لفاطمة ندا سواه؟ والذي جاء التشريف من السماء بتزويجه إياها؟ وهو الذي حفظ نسل الرسول الأكرم ﷺ، فلا نسل له ﷺ إلا من الإمام علي عليه السلام و...و...و....

كل ذلك يريد الراوي أن يسدل الستار عليه، وقد روى ابن أبي الحديد أربعة وعشرين حديثا في أمهات كتب الحديث في فضل الإمام علي عليه السلام^(١).

والآن لتساءل: أحقا كان الإمام علي عليه السلام يرغب بالزواج في حياة السيدة فاطمة عليها السلام؟.

يمكن القول إن أكثر الرجال لديهم الرغبة بأن يتزوجوا ثانيا، ولكن يكون ذلك بدافع، وهذا الدافع يكمن في مسألتين:

الاولى: أن لا توفر الزوجة الاولى الاحتياجات اللازمة للزوج.

الثانية: أن يجد الزوج امرأة أسمى من زوجته.

فيا ترى هل كانت فاطمة عليها السلام مقصرة أو قاصرة عن تلبية متطلبات زوجها؟ أكان في نسبها بعض الطعن؟ أليست هي من أصرح العرب نسبا؟ ومن أشهر قبائل قريش (بنو هاشم)؟ وابنة سيد المخلوقات؟ أليست هي (فاطمة بضعة مني) و البضعة هي القطعة من اللحم، ففاطمة عليها السلام قطعة من رسول الله ﷺ عند

(١) الشرح: ٩/١٦٦-١٧٤.

علي عليه السلام روحًا ودمًا وعقلًا، أليست هي سيدة نساء العالمين؟ التي لم تحض أبدًا، فكانت في قمة الطهارة الروحية والجسدية؟ أليست هي التي ولدت لعلي عليه السلام القمرين، الحسن والحسين (عليهما السلام)، سيدي شباب أهل الجنة؟ أليست هي التي كانت تنهل من علوم أبيها إلى درجة ان أصبح لديها كتاب كبير سمي بمصحف فاطمة فيه الكثير مما أخذته عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأحكام الشرعية؟ لذا كانت في مكانة تؤهلها لتوازي مكانة علي عليه السلام العلمية. إلى غيرها من الفضائل التي أهلتها لأن تكون زوجة مثالية لعلي عليه السلام إذا فلماذا يبحث عن زوجة ثانية؟

ثم من هي هذه التي اختارها؟ فإذا ما قورنت بفاطمة عليها السلام هل هناك وجه مقارنة في النسب والإيمان والعلم؟ إنها ابنة أبي جهل المعروف بعدائه للرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام، وفاطمة عليها السلام بنت رسول الإسلام، وتلك عاشت مشركة حتى بعد الإسلام لإحدى وعشرين سنة، وحينما فتحت مكة وسمعت بلا لا يقول: (أشهد أن محمدًا رسول الله) قالت: «قد لعمرى رفع لك ذكرك أما الصلاة فسنصلي، ووالله ما نحب من قتل الأحبة ابدا، ولقد جاء أبي الذي كان جاء إلى محمد بالنبوة، فردها ولم يرد خلاف قومه»^(١)، أما فاطمة عليها السلام فهي التي فتحت عينها على الإسلام، ولم تعرف للشرك معنى بل يقال أن نطفتها من تفاحة من الجنة^(٢).

وتلك من الطلقاء، وفاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين، وتلك تزوجت عتابا بن أسيد أحد الطلقاء وفاطمة تزوجت من الإمام علي عليه السلام الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى.

(١) الأزرقى: اخبار مكة ١/ ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) الحاكم: المستدرک ٣/ ١٦٩. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٤٦. الشبلنجي: نور الابصار

٢٢٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وتلك ولدت عبد الرحمن بن عتاب الذي قاتل علياً يوم الجمل وقاتل،
وفاطمة ولدت الحسن والحسين (عليهما السلام) سيدي شباب أهل الجنة
وولدي رسول الله ﷺ، حيث لا يعرف له نسل إلا منها وتلك نهايتها مجهولة،
وفاطمة لما توفيت ندمتها الرجال قبل النساء.

سابعاً: مصدر الحادثة: أرجع الرواة مصدر الحادثة لخمسة اشخاص وهم:

المسور بن مخزومة، عبد الله بن الزبير، ابن عباس، سويد بن غفلة، أبو حنظلة.

أولاً: المسور بن مخزومة^(١): هو الذي ترجع إليه أكثر الروايات فمن هو؟

إنه المسور بكسر الميم وسكون السين، بن مخزومة بن نوفل الزهري، وأمه
عاتكة بنت عوف أخت الصحابي عبد الرحمن بن عوف.

ولد بمكة بعد الهجرة إلى المدينة بستين وفي عام ٨هـ فتحت مكة، ودخل
أهلها الإسلام، فكان عمره ست سنوات وفي ذي الحجة من هذه السنة (٨هـ)
قدم إلى المدينة وهو ابن ست سنوات ولا تعرف أسباب مقدمه ومع من؟
والظاهر انه قدم مع والده الذي أسلم يوم الفتح، فكان من الطلقاء ثم من
المؤلفة قلوبهم.^(٢)

روي المسور روايتين أيام وجوده في المدينة. الأولى: «مر بي يهودي والنبي ﷺ
يتوضأ وأنا خلفه، فرفع ثوبه فإذا خاتم النبوة في ظهره فقال لي اليهودي: أرفع
رداءه عن ظهره فذهبت افعل فنضح في وجهي كفاً من ماء».

(١) أنظر ترجمته: الطبري: المنتخب ٥٢٢، ٥٥٦-٧. ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢٩٧/١/٤.

ابن الاثير: اسد الغابة ٤/٣٦٥-٦. ابن حجر: الاصابة ٣/١٩٩-٤٢٠.

(٢) ابن هشام: السيرة ٤/١٩٣. الطبري: تاريخ ٣/٩٠. المنتخب ص ٥١٦. ابن حزم: جمهرة

انساب العرب ص ١٢٩.

الثانية: «أقبلت بحجر أحمله، ثقيل وعليّ إزار خفيف فانحل فلم أستطع أن اضع الحجر حتى بلغت به موضعه، فقال لي النبي ﷺ: إرجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة»^(١).

فالروايتان أعلاه تدلان على صغر سنه يوم جاء إلى المدينة!! ثم انه يتصور أن خاتم النبوة هو كاخواتم المعروفة ولأن هذا الخاتم لا يعرفه إلا اليهود لأن لديهم العلم الأول كما يزعمون لذا كان ذلك الشخص الذي أعلمه بالخاتم يهوديا، مع ان اليهود قد أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة منذ معركة الخندق سنة ٥ هـ!!؟

وتشير الروايات لملازمته الخليفة عمر بن الخطاب وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف يوم الشورى، فأقام بالمدينة حتى قتل الخليفة عثمان ثم سار إلى مكة حتى وفاة معاوية، فكره بيعة يزيد وأيد عبد الله بن الزبير في مكة، وبقي معه حتى حصار الحصين بن نمير، حيث أصابه حجر من حجارة المنجنيق فمات على أثره، فصلى عليه ابن الزبير ودفنه وأشار ابن سعد أن عبد الله بن الزبير ادعى الخلافة لنفسه بعد وفاة المسور، إذ كان سابقا يدعي أنها شورى بينه وبين المسور ومصعب بن عبد الرحمن.^(٢)

فإذا كان المسور بن مخزوم ابن ست سنوات فهل بالامكان أن يعي ما يحدث بتفاصيله؟ ومن الغرابة ان تلك الحادثة التي جعلت النبي ﷺ يغضب ويصعد المنبر ويندد بعلي، وبكل من تسول له نفسه تزويج علي عليه السلام، وجعلت المدينة تعج بأهلها والناس يتحدثون بل ويتتقدون النبي ﷺ لأنه لم يغضب لبناته!!؟

نعم.. تلك الحادثة لا يرويها إلا طفل في السادسة من عمره وهو قريب

(١) ابن حجر: الاصابة ٣/٤١٩.

(٢) الطبقات ٥/١٦٠.

٢٢٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

عهد بالإسلام، ولا تعرف أسباب مجيئه إلى المدينة في هذه السن؟ وقد أحجم المهاجرون والأنصار عن روايتها، فلا يعرف هل نسوها وتذكرها هذا الطفل الصغير أم أنهم رأوها غير ذات بال!!؟

والملاحظ أن المسور واجه نقدا من الإمام علي بن الحسين عليه السلام حيث تشير إحدى الروايات للقاء المسور بعلي بن الحسين عليه السلام بعد رجوع الأخير من الشام، فأراد المسور ان يقدم له المساعدة، التي تتمثل بأن يحتفظ بسيف الإمام الحسين عليه السلام خوفا من أن يؤخذ منه ولا أدري من الذي سيأخذه والإمام عليه السلام قد عاد من الشام حيث يزيد، فإذا لم يأخذه الأخير فمن يأخذه! هذا إن قلنا أن الإمام بقي لديه سيف والمعروف أن سيوف الإمام الحسين عليه السلام كلها قد أخذت في ساحة المعركة!!؟

ولما لم يجد المسور تجاوبا من الإمام علي بن الحسين عليه السلام انطلق فجأة بتلك الرواية، رواية خطبة الإمام لجويرية، ولا يعرف ما الرابط بين طلبه السيف وبين إيراد خطبة الامام لجويرية، وأورد قوله «وأنا يومئذ محتلم» فهل في هذا إشارة لشك الإمام عليه السلام في ما يقوله، فأكد المسور بقوله إنه يومها قد بلغ الحلم، قال ابن حجر: «وهذا يدل على أنه ولد قبل الهجرة، ولكنهم أطبقوا أنه ولد بعدها». (١)

ويلاحظ أيضاً ان الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنكر على المسور لأن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي جاء بتشريع تعدد الزوجات فقال المسور حاكيا عن النبي صلى الله عليه وآله: «وإني لست أحرم حلالا ولا أحلل حراماً».

ولكي يدعم موقفه رفض المسور تزويج ابنته من الحسن بن الحسن

(١) ابن حجر: الاصابة ٣/٤١٩.

بدعوى: (ما سبب ونسب وصهر أحب إلي من نسبكم وصهركم، ولكن رسول الله ﷺ قال: فاطمة بيضا بضعة مني يغضبني ما يغضبها، ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع إلا نسبي وسببي وصهري، وعندك إبنته، ولو زوجتك لقبضها ذلك).^(١)

فما الذي يريد المسور أن يقوله؟! هل إن ذرية الرسول ﷺ من البنات يكره الزواج عليها؟!.

ثانياً: عبد الله بن الزبير: هو الابن الأكبر للزبير بن العوام وقيل إنه أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة، ولد في السنة الأولى للهجرة فعمره يوم فتح مكة ثمان سنوات، ولم تذكر إلا رواية واحدة تنتهي إليه «عن اسماعيل بن علي عن ايوب عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير». وقد شك الترمذي في ذلك قائلاً: «هكذا قال ايوب عن ابن أبي مليكة عن ابن الزبير، وقال غير واحد عن ابن أبي مليكة عن المسور» ثم حاول الترمذي التوفيق فقال: «ويحتمل أن يكون ابن أبي مليكة روي عنهما جميعاً». ^(٢)

إن حادثة خطبة الإمام علي عليه السلام لجويرية لم يروها ابن أبي مليكة إلا عن المسور بن مخرمة، فإذا صحت روايته هذه عن ابن الزبير فيحتمل أن الأخير أخذها عن المسور، خاصة وأن المسور وابن الزبير اتخذوا من مكة مكاناً لرفض بيعة يزيد وأنها كانا يرشحان نفسيهما للخلافة، حتى قتل المسور في حصار مكة الأول على يد الحصين بن نمير.

(١) الحاكم: المستدرک ٣/ ١٧٢. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٤٨.

(٢) الترمذي: الصحيح ١٣/ ٢٤٧-٢٤٨.

ثالثاً: ابن عباس: رواية واحدة أوردها الزبير بن بكار مرسلة عن ابن عباس، ولا تعدو أن تكون ضمن تلك الروايات التي اصبغت طابعا خاصا على ابن عباس في مجادلاته ومناظراته مع الخليفين عمر وعثمان. (١)

رابعاً: سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي: مخضرم قيل ولد في عام الفيل وأسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يدخل المدينة إلا بعد دفن النبي صلى الله عليه وسلم سنة ١١ هـ. وعاش طويلا حتى مات سنة ٨٠ أو ٨١ أو ٨٢ وله أكثر من مائة وثلاثين سنة. (٢)

فإذا كانت خطبة الإمام علي عليه السلام لجويرية في السنة الثامنة من الهجرة فمن أين علم بذلك سويد وهو لم يدخل المدينة إلا بعد ثلاث سنوات، وإذا كان هناك شخص أخبره، فمن ذلك الشخص؟ على أنها الرواية الوحيدة التي تسند إلى سويد هذا، وقد يكون أخذها من المسور، ولكنه تغافل عن إسنادها إليه، بعد أن بلغ من العمر عتيا.

خامساً: أبو حنظلة: روى الحاكم رواية واحدة تعود لشخص يدعى أبو حنظلة قال عنه: إنه رجل من أهل مكة ولا يعرف عنه شيئا سوى هذه الكنية، وقد بخلت كتب الصحابة والتراجم، وعجزت أن تجد لها مكانا تضع فيه ترجمة لأبي حنظلة هذا!!!؟

(١) الشرح ٨/٩-٢١. ابن بكار: الموفقيات ص ٦٠٤-٦١٢.

(٢) أنظر ترجمته: الذهبي: تجريد أسماء الصحابة ١/٢٥٠. ابن حجر: الإصابة ٢/١١٨. تهذيب التهذيب ٤/٢٧٨-٩. وذكر الطبراني له حديثين يتضح منهما انه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم. المعجم الكبير

ثامناً: تحليلات بعض الباحثين:

وطبقاً للفهم الخاطئ لشخصيتي الإمام علي وفاطمة عليهما السلام ولعدم تطبيق مبدأ الجرح والتعديل والاعتماد على المنهج الحرفي النصي، لذا بنى البعض آراءهم حول تلك الحادثة فقد قالت بنت الشاطي: «انقضت السحابة التي ظللت أفق الزهراء عليهما السلام حيناً لا نحدد مداه، وعاد البيت أصفى جواً مما كان قبل أن يمتحن بتلك التجربة القاسية، ومضت الحياة تسير بالزوجين الكريمين على ما يرجوان من تعاون ومودة: فاطمة عليهما السلام في الدار تقوم على خدمة زوجها ما وسعها، وتتخلص شيئاً فشيئاً مما كان يعتادها من شجن وانقباض، وعليها السلام إلى جانبها يبذل لها من الحذب والرعاية ما يعينها على مشقة العيش الكادح في جو المدينة الذي لم تسعفها صحتها على أن تألفه بسرعة كما ألفه كثير من المهاجرين، ويحاول قدر ما اطاق ان يترفق بها ويروض نفسه على شيء من اللين واليسر»^(١).

ان هذه الرؤية لشجن الزهراء وانقباضها، وشدة الإمام علي عليه السلام وضرافته هي وليدة تلك الدراسات الاستشراقية^(٢) التي تناولت جانباً من السيرة النبوية، وشواخص الأمة، معتمدة على ما جاء في بعض الروايات الضعيفة، لتصوير وضع سلبي لبيت الرسالة والاعلام الأمة، فلننظر إلى ما جاء لدى (منغم) أحد المستشرقين: «وكان للنبي ابنة غير متزوجة وكانت في العشرين من عمرها اسمها فاطمة عليهما السلام، وقد توفيت ابنته رقية منذ زمن غير قليل، وكانت رقية متزوجة بعثمان

(١) بنت الشاطي: بنات النبي ص ١٨٢.

(٢) أنظر كلمة للعقاد في نقده للدراسات الاستشراقية. فاطمة الزهراء ص ٣٣-٣٧.

وكانت فاطمة عليها السلام نحيفة طويلة القامة مع الشحوب، وكانت فاطمة عابسة ودون رقية جمالاً ودون زينب ذكاء ولم تدر فاطمة عليها السلام حينما أخبرها أبوها من وراء الستار أن علي بن أبي طالب عليه السلام ذكر اسمها، وكانت من عادة البنت إذا وافقت على الزواج سكتت والا حركت الستر، فلما أخبرت فاطمة عليها السلام بذلك صمتت، فكان ذلك عن حياء أو حيرة، ما دامت قد قالت لأبيها ذات يوم إنه زوجها فقيراً، وكانت فاطمة عليها السلام تعد علياً دميماً محدوداً مع عظيم شجاعته، وما كان علي عليه السلام أكثر رغبة فيها من رغبتها فيه». (١)

وقال أيضاً: «وكان علي عليه السلام غير بهي الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترتين وانخفاض قصبه انفه وكبر بطنه وصلعه، وذلك كله. إلا أن علياً عليه السلام كان شجاعاً، تقياً، صادقاً، وفيماً، مخلصاً، صالحاً، مع توان وتردد... وكان علي عليه السلام ينهت فيستقي الماء لنخيل أحد اليهود في مقابل حفنة تمر، فكان إذا ما عاد بها قال لزوجته عابسا: كلي وأطعمي الاولاد... وكان علي يجرّد بعد كل منافرة، ويذهب لينام في المسجد وكان حموه يربته على كتفه ويعظه ويوفق بينه وبين فاطمة إلى حين ومما حدث أن رأى النبي ابنته في بيته ذات مرة، وهي تبكي من لكم علي عليه السلام لها». (٢)

وأضاف: «ولكن محمداً عليه السلام مع امتداحه قدم علي عليه السلام في الإسلام، إرضاء لابنته كان قليل الالتفات إليها، وكان صهرا النبي الأمويان عثمان الكريم وأبي العاص أكثر مداراة للنبي عليه السلام من علي عليه السلام، وكان علي يألّم من عدم عمل النبي عليه السلام على سعادة ابنته ومن عدّ النبي عليه السلام له غير قوام بجليل الاعمال، فالنبي

(١) حياة محمد ص ١٩٧.

(٢) حياة محمد ص ١٩٩.

كان يفوض إليه ضرب الرقاب، وكان يتجنب تسليم قيادة له، وقد أراد علي عليه السلام يوماً أن يتزوج على فاطمة عليها السلام، فغضب النبي واحتج على ذلك جهراً من فوق المنبر، وهذا لأن علياً كان غير لبق في ميله للزواج من ابنة أبي جهل، وجمعه تحت سقف واحد بنت رسول الله، وبنت أشد أعدائه، ومما ألم منه علي عدم إذن النبي له في الزواج من أخرى مع فاطمة كما صنع مع صهره الاخريين^(١).

إن النصوص أعلاه فيها من الجناية والتحامل على صاحب الرسالة وعلى ابن عمه وابنته مما يجعلنا نتوقف عندها قليلاً.

إن وصف السيدة فاطمة عليها السلام بالعبوس جاء من تصور البعض إنه السبب في تأخر زواجها حتى بلغت العشرين حسب رواية ولادتها قبل البعثة بخمس سنين بينما تقدم زواج اخواتها وهنّ دون العاشرة،^(٢) والأصح أن ولادتها في السنة الخامسة بعد البعثة، ورغم صغرها فقد تولت مسؤولية الاهتمام بأبيها بعد وفاة أمها خديجة عليها السلام^(٣)، أما بعد الهجرة فقد أصبحت محط أنظار الصحابة، قال ابن سعد: «إن أبا بكر خطب فاطمة من النبي ﷺ فقال له: يا أبا بكر انتظر بها القضاء. فذكر ذلك أبو بكر لعمر، فقال له عمر: ردك يا أبا بكر، ثم أن أبا بكر قال لعمر: أخطب فاطمة إلى النبي، فخطبها فقال له مثل ما قال لأبي بكر، انتظر بها القضاء»^(٤)، إلى أن جاء الأمر من السماء بتزويجها من علي عليه السلام كما مر.

والآن لنلقي نظرة على ما جاء في حديث النبي ﷺ بخصوص فاطمة عليها السلام

(١) حياة محمد ص ١٩٩.

(٢) للتفاصيل أنظر الشراوي: خديجة بنت خويلد ص ١١٣-١٣٢.

(٣) الشرح: ٦/٢٨٢. أنظر البخاري: الصحيح ٤/١٢٧. المتقي الهندي: كنز العمال ٢/٨٩-٩٠.

(٤) الطبقات: ٨/١٩. وانظر المتقي الهندي: كنز العمال ١٣/٩٧.

لنرى إلى أي مدى يصدق كلام منغم؟!.

قال عليه السلام: «فاطمة حوراء أنسية، كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها». (١)

وقال عليه السلام: «إبنتي فاطمة حوراء آدمية». (٢)

وقالت أم أنس بن مالك: «كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر، أو الشمس كفر غماما- إذا خرج من السحاب- بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشد الناس برسول الله ﷺ شبيهاً» (٣). ويكفي في الإشارة لجمالها لقبها بالزهراء.

أما وصفها بقلة الذكاء مقارنة بزینب فأی وجه للمقارنة بين الاثنتين إن صح وجود زینب بلا طعن في زینب؟ فهل ذكاء الأخيرة يكمن في بقاءها تحت مشرك يجارب أباه ويقع في الأسر مرتين، بينما فاطمة تسهر على راحة أبيها حتى سميت بأب أبيها (٤)، ولكن -منغم- لم ينظر لدعوة النبي ﷺ كدعوة سماوية بل تصور إنها مجرد مسألة دنيوية لطلب السلطة، لذلك نظر لبقاء زینب عند زوجها دليل ذكاء، وإنما لم تصدق بدعوة أبيها.

ولننظر ما جاءت به السنة فيما يخص ذكاء فاطمة عليها السلام:

عن السيدة عائشة: ما رأيت أحد أشبه سمياً ودلاً وهدياً وحديثاً برسول الله في قيامه وقعوده من فاطمة، وكانت إذا دخلت على رسول الله قام إليها

(١) الحاكم: المستدرک ٣/ ١٦٩. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٥/ ٨٧.

(٢) الهيثمي: الصواعق ص ١٥٨. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٧٢. المتقي الهندي: كنز العمال ٩٤/١٣.

(٣) الحاكم: المستدرک ٣/ ١٧٦.

(٤) الطبري: المنتخب ص ٤٩٩. لما كانت الام هي الاصل ولولاها لم يكن الولد، لذا لما كانت ذرية النبي ﷺ انحصرت بفاطمة فكانت السبب في ذلك الامتداد للنبي ﷺ لذلك سميت بأب أبيها.

فقبلها ورحب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه^(١).

اما وصف الإمام علي عليه السلام بالدمامة، فليته دلنا على مصدره، وهلا نظر في مصادرنا العربية الاسلامية وهي تصف الإمام بأنه حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر، وكان عنقه ابريق فضة^(٢)، ضحوك السن^(٣)، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم^(٤).

وكم ناقض - منغم - الحقيقة بوصفه الإمام علياً عليه السلام بالتردد والتواني، ويكفي أن نحيل القارئ إلى ما كتبناه في فصل خصائص الإمام وسجاياه.

أما عن تلك المنافرات بين الإمام علي عليه السلام وفاطمة والتي كان مصدرها تلك الرواية التي تفيد أن عليا أغضب فاطمة ثم خرج إلى المسجد، فجاءه الرسول صلى الله عليه وآله ووجده نائما وقد سقط التراب على جسمه، فقال له اجلس إنما أنت أبو تراب والواقع إن كنية أبي تراب هي من أحب كنى الإمام علي عليه السلام إليه لأن النبي صلى الله عليه وآله كناه بها حينما أرسله مع عمار كمقدمة لمعرفة اخبار العدو وبعدهما أرهقهم التعب ناموا فأدركهم النبي فأخذ يمسح التراب عن وجه الإمام ويقول له إنما أنت

(١) الترمذي: الصحيح ٢٤٩/١٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/٢٣٠-٣. الحاكم: المستدرک

١٦٧/٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٨٩٦. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٥٠-٥١.

=الحافظ العراقي: طرح الشريب ١/١٥٠. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٧١.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٢٣. محب الدين: الرياض النظرة: ٢/٢٠٥. الصفوري: نزهة

المجالس ٢/٢٤.

(٣) النووي: تهذيب الاسماء واللغات ١/١/٣٤٩.

(٤) البيهقي: المحاسن والمساوي ص ٤٦-٤٧. أبو نعيم: حلية الاولياء ١/٨٤.

٢٣٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

أبو تراب. (١)

إن من يقرأ سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ويستطلع تلك الاحاديث النبوية
الصادرة عمّن:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٢).

ليستبعد هذا التصوير لمعاملة الإمام علي عليه السلام للسيدة فاطمة عليها السلام.

قال عليه السلام لعلّي:

«أشبهت خلقتي وخلقتي، وأنت من شجرتي التي أنا منها». (٣)

وقال عليه السلام:

«علي خير أمتي، أعلمهم علما وأفضلهم حلما». (٤)

وقال عليه السلام لفاطمة:

«زوجتك أقدم أمتي سلما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما». (٥)

(١) ابن هشام: السيرة ٢/٢٣٦. ابن سعد: الطبقات ٢/١٠. البخاري: الصحيح ٥/٨٨-٨٩.

الحاكم: المستدرک ٣/١٥١-٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١١٨. ابن كثير: البداية والنهاية

٣/٢٤٧. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١٣٦. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٣. يوسف محمد عمرو:

أبو تراب ص ١٥-٣١.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣.

(٣) الخطيب: تاريخ بغداد ١١/١٧١.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير ١/١٩٤. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١٠٢. المتقي الهندي: كنز العمال

٦/١٥٣. ٣٩٢. ٣٩٨.

(٥) الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٨٩-٩٠. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٨٨. الرياض النظرة

٢/٢٤٠، ٢٥٥. الجويني: فرائد ١/٩٢. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١٠١، ١١٤. المتقي الهندي:

فهل يمكن تصور الإمام علي عليه السلام وهو يلکم فاطمة عليها السلام كما ادعى منغم وهو يسمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم لفاطمة:

«إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك».

وقوله صلى الله عليه وسلم:

«فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني».

كما مر.

ولقد ناقض منغم نفسه، فتارة يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم يمدح علياً إرضاء لابنته، وتارة يقول إن علياً كان يتألم من النبي لعدم اهتمامه بابنته والأغرب من ذلك إن النبي الذي كان لا ينطق عن الهوى، يمدح علياً إرضاء لابنته وكأن علياً عليه السلام لم يقدم للإسلام شيئاً، ويكفي هنا أن نذكر قول احمد بن حنبل حيث يقول (ما جاء لأحد من الصحابة من الفضائل بقدر ما جاء لعلي بن أبي طالب)^(١).

ولعدم الأمام بحوادث التاريخ وقعت بنت الشاطئ وتبعها أبو علم في الخطأ حينما أرخوا وقت هذه الحادثة في السنة الثانية من الهجرة، مع العلم أنه يفترض وقوعها إن صححت في السنة الثامنة بعد فتح مكة المكرمة لأن جويرية أسلمت في فتح مكة السنة الثامنة للهجرة.

وختاماً ما هو تفسير هذه الحادثة؟

هل هي مجرد فكرة طرحها الإمام علي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن النبي

كره ذلك، لذا عزف عنها الإمام كما صورتها إحدى روايات الحاكم^(١) بدون ذلك التهويل الذي صورته الروايات الأخرى؟

|| أم إنها فكرة بني المغيرة، ولا علاقة للإمام بذلك، وقد تكون تلك الفكرة من باب خلق إشكال بين النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام ولكنها لم تنجح؟

|| أم إن الرواية موضوعة لتكون مصداقاً لقوله ﷺ لفاطمة عليها السلام: فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني؟ كما أدلى بذلك ابن تيمية^(٢).

|| إن معرفة حقيقة النبي ﷺ بصفته نبيا مرسلا وإنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، والوحي لا يضاد الوحي.

معرفة طبيعة العلاقة التي تربط النبي ﷺ بالإمام علي عليه السلام من جهة والإمام علي بفاطمة عليها السلام من جهة أخرى وهي طبيعة ايجابية.

اقتصار مصدر الرواية على طفل في السادسة من عمره أو شخص لم يدخل المدينة إلا بعد وفاة النبي ﷺ أو شخص مجهول.

عدم استغلال خصوم الإمام علي عليه السلام هذه الحادثة للتشنيع به.

كل ذلك دليل على أن الحادثة قد بولغ فيها كثيرا إن لم نقل أنها موضوعة!!؟

(١) الحاكم: المستدرک ٣/ ١٧٣.

(٢) منهاج السنة: ٢/ ١٧٠.

أرض (١) فدك (٢) أرض لم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب فأصبحت خالصة للرسول ﷺ فأعطاها لفاطمة عليها السلام وبعد وفاته ﷺ أعادها الخليفة أبو بكر لتكون صدقة لجميع المسلمين مستندا إلى حديث رواه عن النبي ﷺ مفاده: إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة (٣).

هذه المسألة أولها ابن أبي الحديد أهمية حيث عقد فصولا ثلاثة لمناقشتها:

الفصل الأول (٤): مصدر حوادث مسألة فدك، إذ يقول: (فيما ورد من الاخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم، لا من كتب الشيعة ورجالاتهم، لانا مشرطون على أنفسنا ألا نحفل بذلك، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري (٥) في السقيفة

(١) لم يسهب الباحث في مناقشة هذا الموضوع لأنه من الموضوعات الممنوع مناقشتها مطلقاً في النظام البائد لذا اقتصرنا على خلاصة رأي ابن أبي الحديد.

(٢) قرية بالحجاز تبعد عن المدينة المنورة يومين، فتحت صلحا على ان يعطوا نصف ثمارها فاصبحت خالصة للرسول ﷺ. أنظر البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٢-٤٧. الحموي: معجم البلدان ٤/٢٣٨-٤٠.

(٣) أخرجه ابن سعد: الطبقات ٢/٣١٤-٥. البخاري: الصحيح ٥/٩١. البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٤. الطحاوي: شرح معاني الآثار ٣/٣٠٧. مشكل الآثار ١/٤٧. ابن حزم: الفصل ٤/١٥٥. ابن الطيب: المعتمد في اصول الفقه ٢/٦٤٦.

(٤) الشرح: ١٦/٢١٠-٢٣٧. س.

(٥) هو الشيخ المتقدم البارع أبو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري من رجالات القرن الرابع الهجري وله مؤلفات تاريخية اعتمدها أبو الفرج وابن أبي الحديد. أنظر: الشرح ٢/٤٤-٥٩. الاغانى: ٥/١٣٥-٩، ٨-١٤١، ١٥٣. وانظر ترجمته: الطوسي: الفهرست ص ٦١. المازندراني: معالم العلماء ص ٢٢. الخوانساري: روضات الجنات ٢/٤٨. الربيعي: العذيق النضيد ص ١٦٣-٤.

٢٣٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وفدك، وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الأدب، ثقة ورع، أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته).

وأضاف: (ونحن لا ننصر مذهبا بعينه، وإنما نذكر ما قيل، وإذا جرى بحث نظري قلنا ما يقوى في انفسنا عنه).

الفصل الثاني^(١): ناقش فيه هل إن النبي صلى الله عليه وآله يورث أم لا؟ موضحا ذلك من خلال ما جاء في كتاب المغني للقاضي حسب الرؤية الاعتزالية، وردَّ الشريف المرتضى في كتابه الشافي في الإمامة حسب الرؤية الإمامية، وقد وقف ابن أبي الحديد ناقدا ومحللا ومؤيدا هذا وذلك حسبما يراه أقرب للصحة برأيه.

الفصل الثالث^(٢): ناقش فيه هل إن فدك نحلة من الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة رضي الله عنها أم لا؟ وقد تناول هذا الفصل من خلال طرحه ما جاء لدى القاضي في كتابه المغني^(٣) وردَّ المرتضى في كتابه الشافي، ومعلقا ومناقشا لهذا أو ذاك وخلص للقول: «فأما أنا فالأخبار عندي متعارضة، يدل بعضها على أن دعوى الإرث متأخرة، ويدل بعضها على أنها متقدمة، وأنا في هذا الموضع متوقف»^(٤).

وأضاف: «وما ذكره المرتضى من أن الحال تقتضي أن تكون البداية بدعوى النحل فصحيح، وأما إخفاء القبر، وكتمان الموت، وعدم الصلاة وكل ما ذكره المرتضى فيه فهو الذي يظهر ويقوى عندي، لأن الروايات به أكثر وأصح من

(١) الشرح: ٢٣٧-٢٦٨.

(٢) الشرح: ٢٦٨-٢٨٦.

(٣) المغني: ٢٠/١/٣٣٢-٣٣٧.

(٤) الشرح: ١٦/٢٨٦.

غيرها، وكذلك القول في موجدتها وغضبها، فأما المنقول عن رجال أهل البيت فإنه يختلف فتارة وتارة، وعلى كل حال فميل أهل البيت إلى ما فيه نصره أبيهم وبيتهم» (١).

وأردف: «لقد كان التكرم ورعاية حق رسول الله ﷺ وحفظ عهده يقتضي أن تعوّض إبتته بشيء يرضيها، إن لم يستنزل المسلمون من فدك وتسلم إليها تطيباً لقلبها، وقد يسوّغ للإمام أن يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين، إذا رأى المصلحة فيه، وقد بعد العهد الآن بيننا وبينهم، ولا نعلم حقيقة ما كان وإلى الله ترجع الامور» (٢).

كانت فاطمة عليها السلام وحيدة يوم وفاة أبيها ﷺ لذلك كان ثقل فراقه عليه عظيماً عليها، فكانت تندبه قائلة: «يا أبتاه! جنة الخلد مثواه، يا أبتاه! عند ذي العرش مأواه! يا أبتاه! كان جبريل يغشاه! يا أبتاه لست بعد اليوم أراه!». ويشار إلى أنها «كانت تشوب هذه الندبة بنوع من التظلم والتألم لأمر يغلبها» (٣).

ويذكر إنها تحاملت نحو القبر الشريف، وألقت بنفسها عليه مغشياً عليها فلما أفاقت أخذت حفنة من تراب القبر، وأدنتها من عينيها اللتين قرحهما البكاء وراحت تشمها وتقول (٤):

ماذا على من شمّ تربة أحمدٍ
ألا يشمّ مدى الزمانِ غواليا

(١) الشرح: ٢٨٦/١٦.

(٢) الشرح: ٢٨٦/١٦.

(٣) الشرح: ٤٣/١٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/٢٣٨. الحاكم: المستدرک ٣/١٧٨، ٦١. ابن

الجوزي: صفة الصفوة ١/٢٢٧.

(٤) الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٦. العقاد: فاطمة الزهراء ص ٤٩.

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُذَنَ لِيَالِيَا

ولم تطل حياتها بعد النبي ﷺ إلا أشهراً حيث توفيت وهي في الثامنة عشرة من عمرها وكان لوفاتها ومن قبل وفاة النبي ﷺ وقع عظيم في نفس الإمام علي عليه السلام، لذا قال (١):

أرى علل الدنيا عليّ كثيرةً وصاحبها حتى المماتِ عليلٌ
لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فرقةً وكلُّ الذي دونَ الفراقِ قليلٌ
وإنَّ افتقادي فاطماً بعد أحمدٍ دليلٌ على أن لا يدومَ خليلٌ

ونختم كلامنا عن فاطمة الزهراء بكلمة للعقاد جديرة بالتأمل، إذ يقول: «إن في كل دين صورة للأئمة الكاملة المقدسة يتخشع بتقديسها المؤمنون، كأنها هي آية الله من ذكر وأنثى، فإذا تقدست في المسيحية صورة مريم العذراء، ففي الإسلام لا جرم أن تتقدس صورة فاطمة البتول. ولقد أخذت الزهراء مكانها الرفيع بين أعلام النساء في التاريخ واقترن اسمها بمئات الشهداء، وظل اسم المنتسبين إليها يقض مضاجع الحكام،... وكان لأكبر دولة إسلامية شرف الانتساب إليها، خلال ثلاثة قرون أو تزيد بل كان الانتساب إليها من أقوى الدعائم، ليس لأنها بنت نبي وزوجة إمام وأم لآلاف الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الضعفاء والمحرومين والمعذبين فحسب، بل لأنها رافقت دعوة أبيها منذ بدايتها، وتأصلت في نفسها حتى

(١) الشرح: ٢٨٨/١٦. وانظر المبرد: الكامل ٣٠/٤، ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/٢٤١. الحاكم:

المستدرک ٣/١٧٩. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣١٩. ابن كثير: البداية ٨/١١. الشبلنجي:

اصبحت وكأنها جزء من كيائها وطبيعتها تمدها بالثبات على الحق، والدفاع عن المظلومين مهما كان الثمن غالياً.. وظلت تكافح وتناضل إلى أن فارقت الدنيا تاركة صورة للأئمة الكاملة المقدسة يقدها مئات الملايين من البشر، وكأنها من أقدس آيات الله التي خلقها فيما خلق من بني الإنسان منذ بداية الخليفة وحتى نهايتها» (١)

الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام

ومن فضائل الإمام علي عليه السلام انه رزق بولدين كان لهما الأثر الأكبر في تاريخ الأمة الإسلامية من زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام وهما الحسن والحسين عليهما السلام اللذين قال فيهما رسول الله ﷺ: «إنهما سيدا شباب أهل الجنة» (٢)، لذا كان الإمام علي عليه السلام يفتخر بهما ويقول (٣):

وسبط أحمدٍ ولدايَ منها فأَيُّكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي

وكان رسول الله ﷺ يدعوها ولداه ويقول: «لكل بني أنثى عصبه

(١) أنظر العقاد: فاطمة الزهراء ص ٦٨. الحسيني: سيرة الأمة ١/١٣٧-١٣٨.

(٢) الشرح: ١/٣٠، ١٥/١٨٢. وانظر ابن ماجه: صحيح سنن ١/٢٦. البيهقي: المحاسن والمساوي ص ٧٨، ٩٣، ٨٠. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٣١٢. الطبراني: المعجم الكبير ٣/٣٥-٤١. الحاكم: المستدرک ٣/١٨٢. أبو نعيم: حلية الاولياء ٤/١٣٩-١٤٠. ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٣٩١. النووي: تهذيب الاسماء ١/١٦٠، ١٦٣. ابن الاثير: اسد الغابة ٢/٩، ١٨. ابن حجر: الاصابة ٢/٣٣٠. ابن حجر: لسان الميزان ٢/٣٤٣. الهيثمي: الصواعق ص ١٣٥-١٨٩. المتقي الهندي: كنز العمال ١٣/٩٣، ٩٧-٩٨، ١٠٠.

(٣) الشرح: ٤/١٢٢. وانظر الطبرسي: الاحتجاج ١/١١٢. المازندراني ٢/١٩. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٨. الهيثمي: الصواعق ص ١٣١.

٢٣٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

يتمون إليها، إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم»^(١)، وقال أيضاً «إن الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب»^(٢).

وقد ناقش ابن أبي الحديد مسألة: هل يجوز أن يقال ان الحسن والحسين عليهما السلام وولدهما أبناء رسول الله وذرية رسول الله ونسل رسول الله؟

قال «نعم، لأن الله تعالى ساهم (أبناءه) في قوله تعالى:

﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾^(٣).

وإنما عني الحسن والحسين عليهما السلام ولو أوصى لولد فلان بهال دخل فيه اولاد البنات وسمي الله تعالى عيسى ذرية ابراهيم في قوله:

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إلى أن قال:

﴿وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾^(٤).

ولم يختلف أهل اللغة في أن ولد البنات من نسل الرجل».

وفسر ابن أبي الحديد قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾^(٥).

(١) الحاكم: المستدرک ٣/ ١٧٩. الهيثمي: الصواعق ص ١٥٤. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٣٣.

(٢) (الجويني: فرائد ١/ ٣٢٤. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٢، ١٥٤. المتقي الهندي: كنز العمال

١٢/ ٢٠١. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٣٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٤) سورة الانعام، الآية: ٨٤، وبهذه الآية احتج يحيى بن معمر على الحجاج في إثبات بنوة الحسن

والحسين للنبي ﷺ. الحاكم: المستدرک ٣/ ١٨٠.

(٥) سورة الاحزاب، الآية: ٤٠.

بأن ذلك يعني به زيد بن حارثة لأن العرب كانت تقول (زيد بن محمد). على عادتهم في تبني العبيد، فأبطل الله تعالى ذلك، ونهى عن سنة الجاهلية وقال: «ان محمداً ﷺ ليس أباً لواحد من الرجال البالغين المعروفين بينكم ليعتزى إليه بالنبوة، وذلك لا ينفي كونه أباً للأطفال، الذين تطلق عليهم لفظة الرجال كأبراهيم والحسن والحسين^(١)».

وتسائل ابن أبي الحديد: هل أن ابن البنت ابن على الحقيقة أم المجاز؟ فقال: «لذاهب أن يذهب إلى أنه حقيقة أصلية لأن أصل الاطلاق الحقيقة، وقد يكون اللفظ مشتركاً بين مفهومين وهو في أحدهما أشهر، ولا يلزم من كونه أشهر في أحدهما، إلا يكون حقيقة في الآخر، ولذاهب أن يذهب إلى أنه حقيقة عرفية، وهي التي كثر استعمالها، وهي في الاكثر مجاز، حتى صارت حقيقة في العرف كالراوية للمزادة، والساء للمطر، ولذاهب أن يذهب إلى كونه مجازاً قد استعمله الشارع، فجاز إطلاقه في كل حال، واستعماله كسائر المجازات المستعملة».

«وما يدل على اختصاص ولد فاطمة دون بني هاشم كافة بالنبي ﷺ انه ما كان يحل له ﷺ أن ينكح بنات الحسن والحسين (عليهما السلام) ولا بنات ذريتهما، وإن بعدت وطال الزمان ويحل له نكاح بنات غيرهم من بني هاشم من الطالبين وغيرهم، وهذا يدل على مزيد من الأقربية وهي كونهم أولاده، لأنه ليس هناك من القربى غير هذا الوجه، لأنهم ليسوا أولاد أخيه ولا أولاد أخته، ولا هناك وجه يقتضي حرمتهم عليه، إلا كونه والداهم وكونهم أولاداً له. فان قلت: قد

قال الشاعر^(١):

بنونا بنو ابنائنا وبنائنا بنوهُنَّ رجالِ الاباعدِ

وقال حكيم العرب: أكثم بن صيفي^(٢) في البنات يذمهن: إتهن يلدن الأعداء ويورثن البعداء.

قلت: إنما قال الشاعر ما قاله على المفهوم الأشهر: وليس في قول أكثم ما يدل على نفي بنوتهم، وإنما ذكر أنهم يلدن الأعداء وقد يكون ولد الرجل لصلبه عدواً، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾^(٣).

ولا ينفي كونه عدواً كونه ابناً^(٤).

ولذلك جعل الإمام علي عليه السلام الولاية في التصرف بأمواله إلى الحسن والحسين عليهما السلام لشرفهما من الرسول ﷺ وقد عدّ ابن أبي الحديد ذلك (رمز وازراء بمن صرف الأمر عن أهل بيت رسول الله ﷺ مع وجود من يصلح للامر أي كان الأليق بالمسلمين والأولى أن يجعلوا الرئاسة بعده لأهله، قربة إلى رسول الله ﷺ وتكريها لحرمة وطاعة له وأنفة لقدره ﷺ أن تكون ورثته سوقة يليهم الأجانب ومن ليس من شجرته

(١) هذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته في كتب النحاة: أنظر مؤلف مجهول: اخبار العباس ص ١٣١. الجاحظ: الحيوان ٢/٢٠٦. البغدادي: خزنة الأدب ١/٢١٣.

(٢) أحد حكماء العرب قبل الإسلام وهو تميمي أدرك الإسلام، وحث قومه على الدخول فيه. الثعالبي: التمثيل والمحاضرة ص ٣٦. ابن نباتة: سرح العيون ص ١٤-١٦. ابن حجر: الاصابة

١/١١٠-٢. الألويسي: بلوغ الارب ١/٣٠٨، ٣/١٧٢-٣.

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٤.

(٤) الشرح: ١١/٢٧-٢٨، وانظر القرطبي: الجامع ٤/١٠٤.

وأصله. ألا ترى أن هيبة الرسالة والنبوة في صدور الناس أعظم إذا كان السلطان والحاكم في الخلق من بيت النبوة وليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال في نفوس الناس للنبوة إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة عليه السلام. (١)

وقد عقد ابن أبي الحديد فصلاً عن الإمام الحسن عليه السلام (٢) وقال في تحليله لصلح الحسن عليه السلام مع معاوية بأن السبب يكمن في فقدان الحسن للأنصار، فلا حيلة له ثم قال: «والذي خاضها (الغمرات) مع عدم الأنصار هو الحسين عليه السلام ولهذا عظم عند الناس قدره، فقدمه قوم كثير على الحسن عليه السلام». (٣)

وأكد ابن أبي الحديد أن مكانتها عند المعتزلة هي التساوي في الفضيلة، «أمّا الحسن عليه السلام فلوقوفه مع قوله تعالى:

﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا﴾ (٤).

وأمّا الحسين عليه السلام فلاعزاز الدين» (٥).

أمّا الحسين عليه السلام فقد اعتبره ابن أبي الحديد من أباة الضيم فقال (سيد أهل الإباء، الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف اختياراً له على الدنيا، أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عرض عليه الأمان واصحابه، فأنف من الذل وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان إن لم يقتله فاختار الموت على ذلك).

(١) الشرح: ١٤٩/١٥.

(٢) الشرح: ١٦/٩-٥٢.

(٣) الشرح: ١٦/٦٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٥) الشرح: ١٦/٦٥.

حتى كأن أبيات أبي تمام ما قيلت إلا في الحسين عليه السلام (١):
 وقد كان فوت الموت سهلاً فرده
 إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
 ونفس تعاف الضيم حتى كأنه
 هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
 فأثبت في مستنقع الموت رجلاً
 وقال لها: من تحت أخمصك الحشر
 تردى ثياب الموت حمراً فما أتى
 لها الليل إلا وهي من سندس خضر

وأشار ابن أبي الحديد لوصف رجل شارك في حرب الحسين عليه السلام مشيراً للجانب البطولي لدى الحسين عليه السلام وأصحابه فقال: «قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ويحك! اقتلتم ذرية رسول الله ﷺ! فقال: عضضت بالجنديل، إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة، أيديها في مقابض سيوفها، كالأسود الضارية، تحطم الفرسان يمينا وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول له حائل بينها، وبين الورود على حياض المنية، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففتنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين لا أم لك» (٢).

النص أعلاه وإن كان يمثل تبريراً لأولئك الذين قتلوا الحسين عليه السلام لكنه يشير إلى أنهم رفضوا السلامة المشوبة بالذل والاموال، وقبلوا الموت لأنهم رأوا عزهم فيه، وقد انتقد ابن أبي الحديد الجاحظ لتجاهله ما حدث بكر بلاء قائلاً: «هذا أيضاً تحامل من أبي عثمان (الجاحظ) هلاً ذكر قتلى الطفوف وهم عشرون سيداً من بيت واحد، قتلوا في ساعة واحدة، وهذا ما لم يقع مثله في الدنيا لا في

(١) الشرح: ٣/٢٤٩، وانظر ديوان أبي تمام ص ٣٢٩.

(٢) الشرح: ٣/٢٦٣.

العرب ولا في العجم، ولما قتل حذيفة بن بدر يوم الهبأة^(١) وقتل معه ثلاث أو أربعة من أهل بيته ضربت العرب بذلك الأمثال واستعظموه، فجاء يوم الطف (جرى الوادي فطم على القرى)^(٢) «(٣)».

وقد فسر ابن أبي الحديد موقف الجاحظ هذا بقوله: «لقد غلبت البصرة وطينتها على إصابة رأيه». ^(٤)

أهل البيت

لقد عرفت تلك الأسرة التي تكونت من علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بإسم (أهل البيت) ووصفوا بأنهم عترة رسول الله ﷺ أي أهله الأذنين ونسله ولا تشمل رهطه وإن بعدوا وعقب ابن أبي الحديد على قول أبي بكر يوم السقيفة: «نحن عترة رسول الله وبيضته التي فقئت عنه» انه على سبيل المجاز لأنهم بالنسبة إلى الأنصار عترة له لا في الحقيقة، كما يفاخر العدناني القحطاني بأنه ابن عم الرسول ﷺ وهو ليس ابن عمه حقيقة وإنما مجازاً إذا قورن بالقحطاني. ^(٥)

والعترة التي بينها الرسول ﷺ هي ما أشار إليها في قوله «إني تارك فيكم

(١) الهبأة ماء بأعلى أرض نجد كان فيه يوم الهبأة بين عبس وذبيان قتل فيه حذيفة بن بدر، أنظر. ابن حبيب: المحبر ص ٣٤٩. ابن رشيقي: العمدة ٢/٢٠٢-٣. الميداني: مجمع الامثال ١/٢٥٢، ١١٥/١١٩-١١٥. النويري: نهاية الارب ١٥/٣٦٠-٢.

(٢) أي جرى سيل الوادي فدفن القرى والقرى هي مجاري المياه الصغيرة، أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال ١/٣٢٢، الميداني: مجمع الامثال ١/١٥٩.

(٣) الشرح: ١٥/٢٥١.

(٤) الشرح: ١٥/٢٤٧.

(٥) الشرح: ٦/٣٧٥.

٢٤٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض». (١)

وبين في مقام آخر أهل بيته لما طرح عليهم كساء فنزل قوله تعالى:
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا﴾ (٢)، فقال الرسول صلى الله عليه وآله:

«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم».

وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. (٣)

وقد نعت الإمام العترة بأنها السبب (٤)، وأنها راية الحق (٥) قال ابن أبي الحديد (إن الإمام يشير هنا إلى نفسه وولديه، والأصل في الحقيقة نفسه (٦)، حيث وصف نفسه (دليلها مكث الكلام) أي بطيئة (٧) أمّا ولداه فهما تابعان له ونسبتها له كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة، وقد أشار

(١) الشرح: ١٣٣/٩، أخرجه الحاكم: المستدرک ١١٨/٣، ١٦٣. النووي: تهذيب الاسماء ١٥٩/١/١، ٣٤٧. الخوارزمي: المناقب ص ٩٣. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٢٢-٣. = الهيثمي: الصواعق ص ١٢٤، ١٤٧-٨.

(٢) سورة الاحزاب ٣٣.

(٣) الشرح: ١٦٩/٦، ٣٧٥-٦. وأخرجه الحاكم: المستدرک ١١٧/٣، ١٤٣، ١٥٨-٦٠. ابن تيمية: منهاج السنة ١٢١/٢.

(٤) الشرح: ١٣٣/٩.

(٥) الشرح: ٨٥/٧.

(٦) الشرح: ٣٧٦/٦.

(٧) الشرح: ٨٥/٧.

لذلك النبي ﷺ بقوله لهما: وأبوكما خير منكما^(١).

وعدَّ الإمام علي عليه السلام أهل البيت «أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم منزلة القرآن». إن تحت قوله عليه السلام: فأنزلوهم منزلة القرآن، سر عظيم، وذلك أنه أمر المكلفين بأن يجروا العترة في الإجلال والإعظام والإنقياد لها والطاعة لأوامرها مجرى القرآن.^(٢)

هذه الرؤية ألا تشعر بعصمة العترة؟ أشار ابن أبي الحديد لرؤية ابن متويه لعصمة الإمام علي عليه السلام وأنه لم يكن واجب العصمة حيث ان العصمة ليست شرطاً في الإمامة، عند المعتزلة، إلا أن «أدلة النصوص قد دلت على عصمته، والقطع على باطنه ومغيبه، وإن هذا امر اختص هو به دون غيره من الصحابة، والفرق ظاهر بين قولنا (زيد معصوم) وبين قولنا: (زيد واجب العصمة)، لأنه إمام ومن شروط الإمام أن يكون معصوماً» فالاعتبار الأول مذهب المعتزلة، والثاني مذهب الإمامية.^(٣)

ثم ان آل البيت عليهم السلام هم (ابواب الحكم) وهي الشرعيات والفتاوى وهم ضياء الأمور، أي العقليات والعقائد، وهذا المقام العظيم لا يستطيع أن يحسر أحد من المخلوقين على ادعائه إلا الإمام علي عليه السلام فلو ادعاه غيره لكذب وكذبه الناس.^(٤)

وقد قال عليه السلام:

(١) الشرح: ٣٧٦/٦، وانظر ابن عبدربه: العقد الفريد ٤/٣١٢. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١١٦.

(٢) الشرح: ٣٧٣/٦، ٣٧٦.

(٣) الشرح: ٣٧٦/٦-٧.

(٤) الشرح: ٢٨٩/٧.

(نحن مختلف الملائكة) (١).

ولذا دعا الإمام علي الناس إلى «ورودهم ورود الهيم العطاش»، أي الحرص على أخذ العلم والدين منهم (٢)، ووصف أمرهم بأنه «صعب مستعصب لا يحتمله إلا عبد امتحن قلبه للإيمان». «والمعنى أنهم صبروا على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها، ويجوز أن يكون وضع الامتحان موضع المعرفة لأنه تحققك الشيء إنما يكون باختياره ... ويجوز أن يكون المعنى: ضرب الله على قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى ... ويجوز أن يكون المعنى أنه أخلص قلوبهم للتقوى من قولهم: امتحن الذهب، إذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه ونفاه» (٣).

وفي شرحه لقوله عليه السلام: (لا يقاس بأل محمد من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا)، قال: «لا شبهة أن المنعم أعلى وأشرف من المنعم عليه، ولا ريب أن محمداً ﷺ وأهله الأذنين من بني هاشم، -لا سيما علياً عليه السلام- أنعموا على الخلق كافة بنعمة لا يقدر قدرها، وهي الدعاء إلى الإسلام، والهداية إليه، فمحمداً ﷺ وإن كان هدى الخلق بالدعوة التي قام بها بلسانه ويده، ونصرة الله تعالى له بملائكته وتأيدته، وهو السيد المتبوع والمصطفى المنتجب، الواجب الطاعة إلا أن لعلي عليه السلام من الهداية أيضاً وإن كان ثانياً لأول ومصلياً على أثر سابق ما لا يجحد ولو لم يكن إلا جهاده بالسيف أولاً وثانياً، وما كان بين الجهادين من نشر العلوم، وتفسير القرآن وإرشاد العرب إلى ما لم تكن له

(١) الشرح: ٢١٨/٧.

(٢) الشرح: ٣٧٣/٦، ٣٧٧.

(٣) الشرح: ١٠١/١٣، ١٠٥.

فأهمة، ولا متصورة، لكفى في وجوب حقه، وسبوغ نعمته عليه السلام، فإن قيل: ... فأبي نعمه له عليهم؟ قيل: نعمتان: الأولى منهما، الجهاد عنهم وهم قاعدون، فإن من أنصف علم أنه لولا سيف علي عليه السلام لا صطلم المشركون... وقد علمت آثاره في بدر وأحد والخندق وخيبر وحين، وإن الشرك فيها فغر فاه، فلو لا أن سدّه بسيفه لالتهم المسلمين كافة، والثانية: علومه التي لولاها لحكم بغير الصواب في كثير من الاحكام وقد اعترف عمر له بذلك، والخبر مشهور، لولا علي عليه السلام هلك عمر»^(١).

وأضاف: «ويمكن أن يخرج كلامه على وجه آخر، وذلك لأن العرب تفضل القبيلة التي منها الرئيس الأعظم، على سائر القبائل، وتفضل الأدنى منه نسبا، فالأدنى على سائر آحاد تلك القبيلة، فإن بني دارم يفتخرون بحاجب وإخوته، وبزرارة ابيهم على سائر بني تميم...^(٢) فكذلك لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رئيس الكل والمنعم على الكل جاز لواحد من بني هاشم ولا سيما مثل علي عليه السلام أن يقول هذه الكلمات»^(٣).

ومن مميزات أهل البيت صلى الله عليه وآله وسلم إن الصلة وصدقة التطوع والزكاة الواجبة محرمة عليهم وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام، وأما غيرهم فتحرم عليهم الزكاة الواجبة ولا تحرم صدقة التطوع ولا الصلة. وتساءل

(١) الشرح: ١/١٤٠-١.

(٢) عرف هذا البيت بالوفاء بأنهم حضان الملوك حيث تربي مالك بن المنذر بن ماء السماء لديهم. أنظر المبرد: الكامل ١/١٧٠. أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال ١/٢٦١. الفلقشندي: صبح

الاعشى ١/٣٧٩. الألويسي: بلوغ الارب ١/٣١١.

(٣) الشرح: ١/١٤١-٢.

ابن أبي الحديد: كيف يقال ان الصلة محرمة عليهم، وقد أخذ الحسن والحسين عليهما السلام الصلوات من معاوية؟ فأجاب: «كلا! لم يقبلا صلته ومعاذ الله أن يقبلاها! وإنما قبلا منه ما كان يدفعه إليهما من جملة حقها من بيت المال، فإن سهم ذوي القربى منصوص عليه في الكتاب العزيز ولهما غير سهم ذوي القربى سهم آخر للإسلام من الغنائم»^(١).

ولما أشار عليه السلام إلى اختصاص آل البيت بخصيصة بعد الموت بقوله (أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين ﷺ إنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبيلى من بلي منا وليس ببال). حمل ابن أبي الحديد هذا الكلام على وجهين. «الأول: أن يكون النبي ﷺ وعلي عليه السلام ومن يتلوها من أطايب العترة أحياء بأبدانهم التي كانت في الدنيا بأعيانها، قد رفعهم الله تعالى إلى ملكوت سماواته، وعلى هذا لو قدرنا أن محتفرا احتفر تلك الأجداث الطاهرة عقب دفنهم لم يجد الأبدان في الأرض، وقد روي في الخبر النبوي ﷺ مثل ذلك، وهو قوله «إن الأرض لم تسلط عليّ وإنما لا تأكل لي لحماً، ولا تشرب لي دماً»^(٢). نعم، يبقى الإشكال في قوله: (ويبيلى من بلي منا وليس ببال)، فإنه إن صح هذا التفسير في الكلام الأول وهو قوله: (يموت من مات منا وليس بميت). فليس يصح في القضية الثانية وهي حديث البلاء، لأنها تقتضي أن الأبدان تبلى وذاك الإنسان لم يبلى، فأحوج هذا الإشكال إلى تقدير فاعل محذوف، فيكون تقدير الكلام: يموت من مات حال موته وليس بميت فيها بعد ذلك من الأحوال والأوقات، ويبيلى كفن من بلي منا وليس هو ببال، فحذف المضاف كقوله:

(١) الشرح: ٢٤٩/١١. يقصد الخمس.

(٢) روى ما يشابهه ابن ماجه: صحيح ١/١٧٩، ٢٧٣. ابن كثير: نهاية البداية والنهاية ١/٢٧٨.

﴿وَأِلَى مَدِينٍ﴾^(١).

أي وإلى أهل مدين، ولما كان الكفن كالجُزء من الميت لاشتماله عليه عبر بأحدهما عن الآخر للمجاورة والاشتمال، كما عبروا عن المطر السماء وعن الخارج المخصوص بالغايط، وعن الخمر بالكأس، ويجوز أن يحذف الفاعل كقوله تعالى:

﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾^(٢).

و:

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾^(٣).

وقول حاتم: إذا حشرت. ^(٤)

الثاني: إن أكثر المتكلمين ذهبوا إلى أن للإنسان الحي الفعال أجزاء أصلية في هذه البنية المشاهدة وهي أقل ما يمكن أن تأتلف منه البنية التي معها يصح كون الحي حياً، وجعلوا الخطاب متوجها نحوها، والتكليف واردا عليها، وما عداها من الأجزاء فهي فاصلة ليست داخلية في حقيقة الانسان وإذا صح ذلك جاز أن ينتزع الله تلك الأجزاء الأصلية من أبدان الأنبياء والأوصياء فيرفعها

(١) سورة الاعراف، الآية: ٨٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٨٣.

(٤) قال حاتم:

إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدرُ

أماويُّ ما يُغني الشراء عن الفتى

٢٥٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

إليه بعد أن يخلق لها من الأجزاء الفاضلة عنها نظير ما كان لها في الدار الأولى، كما قاله من ذهب إلى قيامه الأنفس والأبدان معاً، فتنعم عنده وتلتذ بضروب اللذات الجسمانية ويكون هذا مخصوصاً بهذه الشجرة المباركة دون غيرها؛ ولا عجب فقد ورد في حق الشهداء نحو ذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾^(١).

«وعلى الوجه الأول لو أن محتفراً احتفراً أجدانهم لوجد الأبدان فيها، وإن لم يعلم أن أصول تلك النبت قد انتزعت منها ونقلت إلى الرفيق الأعلى، وهذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ما قدرناه أولاً من الحذف، لأن الجسد يبلى في القبر إلا قدر ما انتزع منه ونقل إلى محل القدس، وكذلك أيضاً يصدق على الجسد انه ميت، وإن كان أصل بنيتة لم يموت، وقد ورد في الخبر الصحيح (إن ارواح الشهداء من المؤمنين في حواصل طيور خضر تدور في أفناء الجنان، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش)^(٢) فإذا جاء هذا في الشهداء فما ظنك بموالي الشهداء وساداتهم؟»^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٤٥.

(٢) أخرجه مالك: الموطأ ١/٣٢٨. ابن حنبل: المسند ٦/٣٨٦..

(٣) لشرح: ٦/٣٧٧-٣٧٩.

الفصل الثالث

خصائص
الإمام علي عليه السلام
الخلقية
وسجاياه
النفسية

الفصل الثالث

خصائص الإمام علي الخلقية وسجاياه النفسية

إن الخصائص الخلقية، والسجايا النفسية التي امتاز بها الإمام علي عليه السلام على سائر الأمة جعلته أفضل شخصية بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإن فضائله عليه السلام ^(١) بلغت من العظم، والجلالة، والانتشار مبلغاً يسمح ^(٢) معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء ^(٣) لعبيد الله بن يحيى بن

(١) يروى عن الإمام احمد بن حنبل انه قال «ما جاء لأحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل ما جاء لعلي ابن أبي طالب عليه السلام». الحاكم: المستدرک ٣/ ١١٦. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٨. ووضع النسائي أحد اصحاب السنن والصحاح الستة كتاباً في فضائل الإمام أسماه «خصائص أمير المؤمنين». والكتاب مطبوع. وأفرد ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة وافية للإمام عليه السلام. هذه الترجمة نشرها محمد باقر المحمودي في كتاب مستقل. وخرج الفيروز آبادي فضائل الإمام من كتب الصحاح الستة، ونشرها في كتاب أسماه «فضائل الخمسة من الصحاح الستة» في ثلاثة أجزاء.

(٢) سمج: قبح. الرازي: مختار الصحاح ص ٣١٢.

(٣) محمد بن القاسم الهاشمي بالولاء، أديب مشهور بالكتابة والترسل، توفي سنة ٢٨٣. أنظر ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٣/ ١٧٠-١٧٩. الشابشتي: الديارات ص ٥٢-٦٠. الذهبي:

ميزان الاعتدال ٤/ ١٣. ابن حجر: لسان الميزان ٥/ ٣٤٤-٣٤٦.

خاقان^(١): «رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر؛ فأيقنت اني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الاخبار عنك إلى علم الناس بك»^(٢).

هذه المناقب التي بلغ من الشهرة والتفرد بها فرضت على اعدائه الاعتراف بها فأقروا له بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله^(٣)، رغم أن الأمويين اجتهدوا في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعاييب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيه بالحبس والقتل، ومنعوا من رواية الأحاديث المتضمنة لفضائله عليه السلام، حتى وصل الأمر بمنعهم التسمية باسمه -عليه السلام-، ولكن كل ذلك لم يزد إلا رفعة وسمواً، «وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه، وكلما كتم تزوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن

(١) هو وزير المتوكل والمعتمد (٢٠٩-٢٦٣هـ): الطبري التاريخ ٩/٢١٤، ٢٠٠، ١٨٥، ١٧١-٢٢٢، ٧، ٢٢٨، ٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٥٨، ٣٣٦، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٥٧-٨، ٤٧٤، ٥٠٧، ٥١٧، ٥٣٢. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٨١٦، ٥/٤٠٦، ١٢٢. الشابستي: الديارات ص ٨٢. الذهبي: دول الإسلام ١/١١٦.

(٢) الشرح ١/١٦. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٤/١٥٧.

(٣) أنظر وصف ضرار للامام علي إلى معاوية وبكاء الأخير. الشرح ١٨/٢٢٤. أنظر الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٤٨٠-٤٨١. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٧-٨. البلوي: الف باء ١/٢٢٢-٣. الزمخشري: ربيع الابرار ١/٩٧، ٨٣٥-٦. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٣١٥-٦. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١١٨-٩. محب الدين: الرياض ٢/٢٨١-٢. ابن الصباغ: الفصول المهمة ص ١١١.

حجبت عنه عين واحدة، أدركته عيون كثيرة»^(١).

كان عليه السلام في الخصائص الخلقية، والفضائل النفسانية-ابن جلاها وطلاع ثنائياها^(٢) - فكان - عليه السلام - من لطافة الأخلاق، وسجاجة الشيم على قاعدة عجيبة جميلة^(٣).

ففي- الشجاعة- فإنه أنسى فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، حيث لما سئل خلف الأحمر^(٤): أيهما أشجع عنبسة وبسطام أم علي بن أبي طالب؟ فقال: إنَّما يذكر عنبسة وبسطام مع البشر والناس، لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة، فقيل له: فعلى كل حال؛ قال: والله لو صاح في وجهها لماتا قبل أن يحمل عليهما.^(٥)

تجدد الإشارة إلى أن بسطاماً وعنبسة هما من مشاهير فرسان العرب قبل

(١) الشرح ١٦/١-١٧. وقد اعتبر المفيد ذلك من باب المعجزات الخارقة للعادة. الإرشاد ص ١١٦.

(٢) مأخوذ من بيت شعر قاله -سحيم بن وثيل الرياحي - وهو:

أنا ابنُ جَلا وطلَّاعِ الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

وابن جلا: جلا أي النهار. والمقصود: الأمر الواضح، وطلَّاعِ الثنايا: كناية عن السمو إلى معالي

الامور. والثنايا جمع ثنية وهي الطريق في الجبل. أنظر: الميداني: مجمع الامثال ٣١/١. ابن

منظور: لسان العرب ١٨/١٦٥. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٤/٣١٣.

(٣) الشرح ١١/٢٤٨.

(٤) أبو محرز بن حيان المعروف بالأحمر. ت نحو ١٨٠هـ. راوية وأديب وشاعر بصري وله ديوان

ومقدمة في النحو وهو معلم الاصمعي. أنظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢/٦٧٣-٤. ابن

النديم: الفهرست ص ٧٤. الحموي: معجم الادباء ١١/٦٦-٧٢. السيوطي: بغية الوعاة

ص ٢٤٢.

(٥) الشرح ١٦/١٤٦.

٢٥٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الإسلام وبعده، فالاول هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، سيد شيبان، ومن أشهر فرسان العرب قبل الإسلام، وبه يضرب المثل في الفداء فيقال: «اغلى فداء من بسطام بن قيس»^(١)، وكان قد ادرك الإسلام إلا أنه لم يعتنقه، وتوفي في حدود السنة العاشرة للهجرة.^(٢)

أما عنيسة بن سحيم الكلبي فهو من فرسان العرب المسلمين في الاندلس، تولى الاندلس للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وكان من الغزاة الشجعان والفاحين توفي سنة ١٠٧ هـ اثر جرح أصابه في حروبه في الاندلس.^(٣)

وقد يتصور البعض أن كلام خلف الأحمر فيه غلو، ولكننا لو تأملنا مقاماته في الحروب التي أصبحت مضرب الأمثال، حيث كان الشجاع الذي ما فرق قط، ولا ارتاع من كتيبة^(٤)، بل كان يقول بأنه «أنس بالموت كأنس الطفل بثدي أمه»^(٥). والمعروف عنه عليه السلام إنه ما بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة فاحتاجت الأولى إلى ثانية بل «كانت ضرباته وتراً»^(٦).

(١) أنظر الميداني ٦٦/٢.

(٢) ابن حبيب: المحبر ص ٢٥٠. المبرد: الكامل في اللغة والادب ١/١٠٩. ابن الاثير: الكامل في التاريخ ١/٢٢٤. مهدي عريبي الدخيلي: بسطام بن قيس ذي الجدين، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة.

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس ١/٣١٨، ٢/٥٠٧. ابن عذاري: البيان المغرب ٢/٢٧.

(٤) الشرح ١/٢٠.

(٥) الشرح ١/٢١٣، ٢١٥. وانظر الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٥٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٢٨.

(٦) الشرح ١/٥٠. قال ابن فارس في المجل: كانت ضربات علي عليه السلام في الحرب ابكاراً، ان اعتلى قد، وان اعترض قط. المجل ١/١٣٣.

ويشار إلى أن الإمام علياً عليه السلام دعا معاوية في صفين للبراز بدلاً من إرساله لأصحابه الذين جدلهم الإمام في ساحة المعركة، وكان قصده -عليه السلام- أن يستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، وحينما استشار معاوية وزيره عمر بن العاص لعله يجد عنده حيلة للتخلص من هذه المأزق لكن عمر بن العاص قال له: لقد أنصفك. فأدرك معاوية نوايا عمرو بن العاص فقال له: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم، كيف تأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق! (١) أراك طمعت في إمارة الشام بعدي! (٢).

وقد كانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، يشار إلى أن عبد الله ابن الزبير مازح معاوية قائلاً له: يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتك بك لفعلت، فقال معاوية: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر! واستغرب ابن الزبير من عدم إقرار معاوية بشجاعته وقدم الدليل على ذلك وهو: وما الذي تنكره من شجاعتني، وقد وقفت في الصف إزاء علي ابن أبي طالب عليه السلام، فقال معاوية: لا جرم! إنه قتلك وأباك ييسرى يديه، وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها. (٣)

وكان ذوو قتلاه يفتخرون بقتله إياهم، ويعتبرون ذلك شرفاً لهم، حيث قالت أخت عمرو بن عبد ود الذي قتله الإمام عليه السلام يوم الخندق (٤):

(١) اطرق: الرجل يرخي عينيه ينظر إلى الارض لا يتكلم. الرازي: مختار الصحاح ص ٣٩١.

(٢) الشرح ٢٠/١، ٢١٧/٥، وانظر المنقري: صفين ص ٢٥٧. ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص ٨٠.

(٣) الشرح ٢١/١.

(٤) بيضة البلد هو الشيء المفرد الذي لا نظير له، والمقصود هنا الإمام، وقد ورد البيت في بعض

المصادر:

لكن قاتله من لا يُعابُّ به وكان يُدعى قديماً بيضة البلد

لو كَانَ قَاتِلَ عَمْرٍو غَيْرِ قَاتِلِهِ بَكِيَّتُهُ أَبَدًا مَا دُمْتُ فِي الْأَبَدِ
لَكِنَّ قَاتِلَهُ مَنْ لَا نَظِيرَ لَهُ وَكَانَ يُدْعَى أَبُوهُ بِيضَةَ الْبَلَدِ

وقد وظف الإمام عليه السلام شجاعته في الجهاد في سبيل الله، حتى أصبح معروفاً لدى اعدائه وأوليائه أنه سيد المجاهدين^(١)، وكانت علائم شجاعته الواضحة في مبيته في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة في الوقت الذي أجمعت فيه قريش على ضرب الرسول ﷺ ضربة واحدة من قبل أربعين شخصاً ينتمون لأربعين قبيلة، فلم يعبأ عليه السلام بذلك، ولم يكتف بهذا الدور بل قام بإرجاع كل الودائع والأمانات التي كانت عند الرسول ﷺ لأهلها ثم هاجر علناً^(٢).

وإلى ذلك أشار - أبو جعفر الاسكافي - أحد معتزلة بغداد بأنه لما علم الرسول ﷺ بخطة قريش بقتله «دعا أوثق الناس عنده، وأمثلهم في نفسه، وأبذلهم في ذات الله لمهجته، وأسرعهم إجابة إلى طاعته، فقال له: إن قريشاً قد تحالفت على أن تبيتني هذه الليلة، فامض إلى فراشي، ونم في مضجعي، والتف في بردي الحضرمي ليروا أنني لم أخرج، وإني خارج إن شاء الله، فمنعه أولاً من التحرز واعمال الحيلة، وصدّه عن الاستظهار لنفسه بنوع من انواع المكاييد والجهات التي يحتاط بها الناس لنفوسهم، وألجأه أن يعرض نفسه لظلمات السيوف الشحيذة من أيدي أرباب الحق والغیظة، فأجاب إلى ذلك سامعاً

=أنظر: الحاكم: المستدرک ٦/٣. المفید: الإرشاد ص ٤٣. ابن منظور: لسان العرب ٨/ ٣٩٥.

(١) الشرح ١/ ٢٤.

(٢) عن موضوع مبيت الإمام عليه السلام في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة، راجع أياً من كتب السيرة النبوية والتاريخ العام.

مطيعاً طيبة بها نفسه، ونام على فراشه صابراً محتسباً، واقياً بها بمهجته، ينتظر القتل، ولا نعلم فوت بذل النفس درجة يلتمسها صابر، ولا يبلغها طالب؛ «والجود بالنفس أقصى غاية الجود»؛ ولولا أن رسول الله ﷺ علم أنه أهل لذلك، لما أهله، ولو كان عنده نقص في صبره، أو في شجاعته أو في مناصحته لابن عمه، واختير لذلك، لكان من اختاره ﷺ منقوصاً في رأيه، مضراً في اختياره، ولا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام، وكلهم مجمعون على أن الرسول ﷺ عمل الصواب وأحسن الاختيار»^(١).

كانت معركة بدر الكبرى (٢هـ) هي من أعظم غزوات الرسول ﷺ وأشدها نكايه بالمشركين، وقد قتل منهم سبعون رجلاً، قتل الإمام علي عليه السلام نصفهم بينما قتل المسلمون والملائكة النصف الآخر^(٢). قال ابن أبي الحديد يمدح الإمام علياً عليه السلام في موقفه يوم بدر^(٣):

رمى الله مِنْهُ يَوْمَ بَدْرٍ خِصْمَهُ	بذِي فَذْذٍ فِي آلِ بَدْرِ مِبَادِرِ
وَقَدْ جَاشَتْ الْأَرْضُ الْعَرِيضَةُ بِالْقَنَا	فَلَمْ يُلْفَ إِلَّا ضَامِرٌ فَوْقَ ضَامِرِ
فَلَوْ نَتَجَتْ أُمُّ السَّمَاءِ صَوَاعِقًا	لَمَا شَجَّ مِنْهَا سَارِحٌ رَأْسَ حَاسِرِ

(١) الشرح ٢٥٩/١٣. وانظر الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٢٢. وقد حاول البعض التنقص من فضيلة المبيت هذه، وتصدى للرد عليهم الاسكافي في كتابه أعلاه. أنظر: الشرح ٢٥٨/١٣-٢٦٤. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٢١-٣٢٦. الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ١٥٣-١٥٥. العثمانية ص ٤٤.

(٢) الشرح ٢٤/١، ١٠/١٨١-١٨٢. وانظر الواقدي: المغازي ١/١٤٧-١٥٢. البلاذري: انساب الاشراف ١/٢٩٦-٣٠٤.

(٣) ابن أبي الحديد: القصائد العلويات السبع ص ٣٢-٣٣.

فكانَ وكانوا كالقمامى ناهضُ	البغاثِ فصرى سِلوهُ في الاظافرِ
سرى نحوهم رسلاً فسارتُ قلوبهم	من الخوفِ وخداً نحوه في الحناجرِ
كأن ضبات المشرفية من كرى	فما يتبغي إلا مقر المحناجرِ
فلا تحسبنَّ الرعدَ رجسَ غمامه	ولكنه من بعضِ تلك الزماجرِ
ولا تحسبنَّ البرقَ ناراً فإنه	وميضُ أتى من ذي الفقارِ بفاقرِ
ولا تحسبنَّ المزنَ تهمي فإنها	أناملُهُ تهمي بأوظف هامرِ

أما موقفه عليه السلام يوم الخندق فقد أجاد في وصفه ابن أبي الحديد إذ قال: «فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود، فإنها أجل من أن يقال جليلة، وأعظم من أن يقال عظيمة، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائل: أيهما أعظم منزلة عند الله علي عليه السلام أم أبي بكر؟ فقال يا ابن أخي، والله لمبارزة علي عمرا يوم الخندق تعدل اعمال المهاجرين والانصار وطاعتهم كلها وتربى عليها فضلا عن أبي بكر وحده»^(١).

رؤية أبو الهذيل أعلاه سبق وأن أشار إليها الصحابي حذيفة بن اليمان حينما قال: «والذي نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أمة محمد في كفة ميزان منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من اعمال علي في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلهم». فاعتبر أحد السامعين هذا الكلام اسرافاً فأجابه حذيفة: «يا لكع، وكيف لا يحمل، وأين كان المسلمون يوم الخندق، وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه، فملكهم الهلع والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجموا فبرز إليه علي عليه السلام فقتله والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك

اليوم أعظم أجراً من أعمال أمة محمد ﷺ إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم الساعة»^(١).
وقد علق- أبو الخير مصدق بن خير النحوي^(٢) شيخ ابن أبي الحديد على قول عمرو بن عبد ود للإمام علي عليه السلام «لقد كان أبوك نديماً لي وصديقاً، فارجع فإني لا أحب أن أقتلك» فقال أبو الخير: «والله ما أمره بالرجوع إبقاءً عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد، وعلم أنه إن ناهضه قتله، فاستحيا أن يظهر الفشل، فأظهر الإبقاء والرعاء، وإنه لكاذب فيهما»^(٣).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول في أن قتلى الإمام في معارك الإسلام الأولى لا معنى للاطناب فيها لأنه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر^(٤).
تجدد الإشارة إلى أن خصوم الإمام عليه السلام قتلوا من شأن عمرو بن عبد ود العامري وأنكروا ما يقال من شجاعته، وقد ردَّ عليهم الاسكافي في كتابه نقض العثمانية بالأدلة التي تؤكد فروسية عمرو بن عبد ود قبل الإسلام وبعده^(٥).

(١) الشرح ١٩/٦٠-٦١. وانظر المفيد: الإرشاد ص ٤١. الطبرسي: اعلام الورى ص ١٩٣-٤.

وانظر المعنى نفسه على لسان الرسول ﷺ. الحاكم: المستدرک ٣/٣٤.

(٢) الاديب البارع ولد في قرية دوران إحدى قرى الصلح من سواد شرقي واسط سنة ٥٣٥هـ.

وتوفي في بغداد سنة ٦٠٥. وانظر ترجمته: الحموي: معجم الادباء ١٩/١٤٧-١٤٨: ابن الاثير:

الکامل ١٢/٢٨٢. القفطي: انباه الرواة ٣/٢٧٤-٥. أبي شامة: ذيل الروضتين ص ٦٦.

ابن الساعي: الجامع ٩/٢٧٣-٤. المنذري: التكملة ٣/٢٣٩-٢٤٠. السيوطي: بغية الوعاة

ص ٣٩١.

(٣) الشرح ١٩/٦١.

(٤) الشرح ١/٢٤.

(٥) الشرح ١٣/٢٨٧-٢٩٢. أنظر الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ١٦-٤. العثمانية ص ٥٩.

الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٣٥-٩.

وقد ثَمَّنَ ابن أبي الحديد موقف الامام يوم الخندق قائلاً^(١):

يا هازم الاحزاب لا يشنيه عن خوض الحمام مدجج ومدرع

إن جهاد الامام هذا اعتبره ابن أبي الحديد من نعم الإمام على الصحابة
«وإن من أنصف علم أنه لولا سيف علي عليه السلام لاصطم المشركون، من أشار إليه
وغيره من المسلمين (كذا)، وقد علمت آثاره في بدر وأحد والخندق وخيبر
وحنين، وان الشرك، فيها فغرفاه، فلولا سدّه بسيفه لالتهم المسلمين كافة»^(٢)،
ولذا يقول ابن أبي الحديد في شعره^(٣):

ألا إنّما الإسلام لولا حسامه كضرطة عنزٍ أو قلامه حافرٍ

ويقول أيضاً^(٤):

يا قاتِلَ الأبطالِ مجدِّكَ للعدا من غَرِبِ مَخْدِمِكَ المَهْنَدِ أقتلُ
بذبابِ سيفِكَ قرَّ قارعُ طوده بعد التآوُدِ واستقامَ الأميلُ
لولاكَ أصبحَ ثلْمَةٌ لا تُتقى أطرافها ونقيصَةٌ لا تُكْمَلُ
كم جحفِلٍ للجزءِ من أجزاءه يومَ النزالِ يقلُّ قولكَ جَحْفَلُ
أثوابُهُ الزردُ المضاعفُ نسجُهُ لكنَّهُ بالزاغبيَّةِ مَحْمَلُ
يُحيى المنيَّةَ منه طعنُ انجلِ برحِّ محاجرُهُ وضربُ أهذلُ
نَهْنَهُتُ سورَتَهُ بقلبٍ قلبٍ نَبَّتِ يحالفُهُ صقيلٌ مَصْقَلُ

(١) ابن أبي الحديد: القصائد السبع العلويات ص ٤٣.

(٢) الشرح ١/١٤١.

(٣) ابن أبي الحديد: القصائد السبع العلويات ص ٣٢.

(٤) (٣) القصائد السبع ص ٥٦-٥٥.

وكان عليه السلام يفتخر بشجاعته، ويوظف اسمه الأول-حيدرة- لإرهاب الخصم، وهو الاسم الذي أسمته به أمه أولاً، والمعروف أن-حيدرة- من أسماء الأسد، وفيه إشارة إلى الشجاعة^(١)، وقد أصبح هذا الإسم فيما بعد إسمًا على مسمى، فكان -عليه السلام- لما برز يوم خيبر ارتجز قائلاً^(٢):

أنا الذي أسمتني أمي حيدرة

وكان عليه السلام تكتنفه الملائكة^(٣) في حملاته الجهادية فكان عليه السلام يبعثه، وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، ولذلك شهد جبريل للإمام يوم أحد حينما نادى^(٤):

ولا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار

والظاهر أن هناك شكوكاً أثرت حول ذلك حيث يقول ابن أبي الحديد: «وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الأخبار المشهورة، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن اسحق^(٥)، ورأيت بعضها خالياً منه، وسألت

(١) الشرح ١٢/١، ١٢٧/١٩. وانظر محب الدين: الرياض النظرة ٢/٢٠٥. الدميري: حياة الحيوان الكبرى ٣/١.

(٢) الشرح ١٢/١. وانظر: مسلم الصحيح ١٢/١٨٥. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ١٤. الحاكم: المستدرک ٣/٤١، ١١٦. المفيد: الإرشاد ص ٥٠. الطوسي: الامالي ط النجف ٣/١. ابن المغازلي: مناقب ص ١٧٨، ١٨٢. الخوارزمي: المناقب ص ٦، ١٠٤. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣-٤، ٢٦. الكنجي: كفاية الطالب ص ١٠٢.

(٣) أنظر تحليل ابن أبي الحديد لنزول الملائكة. الشرح ١/١٥٧-١٦٤. وانظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠١. محب الدين: الرياض ٢/٢٥١. الجويني: فرائد ١/٢٢٢.

(٤) الشرح ٧/٢١٩.

(٥) لم أجده في القطعة التي حققها سهيل زكار. وقد ورد في سيرة ابن هشام ٣/١٠٠. وانظر المفيد: الإرشاد ص ٣٥. ابن المغازلي: مناقب ص ١٩٧-٩. الخوارزمي: المناقب ص ٦، ١٠٣. سبط ابن

٢٦٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

شيخني عبد الوهاب بن سكينه^(١) رحمه الله عن هذا الخبر، فقال: خبر صحيح، فقلت: فما بال الصحاح لم تشتمل عليه؟ قال: أو كلما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح؟ كم قد أهمل جامعو الصحاح من الاخبار الصحيحة!^(٢).

ولم يقتصر جهاده -عليه السلام- على عهد الرسول ﷺ، فإذا كان عليه السلام قاتل على التنزيل، فعلي -عليه السلام- قاتل على التأويل^(٣)، لذلك كان عليه السلام أول من سن قتال

= الجوزي. تذكره ص ٢٦. الكنجي: كفاية الطالب ص ٢٧٧-٨١. محب الدين: الرياض النظرة

٢/ ٢٥١. ابن تيمية: منهاج السنة ٣/ ١٣. الجويني: فرائد ١/ ٢٥٢، ٢٥٧-٨.

(١) أبو احمد عبد الوهاب بن أبي مضر علي البغدادي الصوفي المعروف بابن سكينه وهي جدته أم أبيه، ولد في ٥١٩ هـ ودرس علوم عصره، ورافق السمعي صاحب الأنساب، وحدث في مكة والمدينة وبغداد والشام ومصر. وتوفي في بغداد في ٦٠٧ هـ. أنظر ابن الاثير: الكامل ١٢/ ٢٩٥. المنذري: التكملة ٣/ ٣٢٤-٦. الذهبي: معرفة القراء ٢/ ٤٦٤-٦. الصفدي: الوافي ١/ ١٦٧-٨. ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/ ٦١. الجزري: غاية النهاية ١/ ٤٨٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦/ ٢٠١. الحنبلي: شذرات الذهب ٥/ ٢٥-٢٦.

(٢) الشرح ١٤/ ٢٥١. يشار إلى أن الإمام البخاري ومسلماً وضعوا شروطاً لتخريج الاحاديث الصحيحة ولكنها لم يخرجها كل الأحاديث حسب هذه الشروط، فاستدرك الحاكم النيسابوري ذلك في كتاب اسماه المستدرك على الصحيحين حيث خرج الاحاديث الصحيحة وفق شروط الشيخين ولم يخرجها.

(٣) روي عنه عليه السلام إنه قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف لها القوم، وفيهم أبو بكر وعمر عليه السلام. قال أبو بكر: أنا هو. قال: لا. قال عمر: أنا هو. قال: لا، ولكن خاصف النعل يعني علياً. فأتيناه فبشرناه، فلم يرفع رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ. الشرح ٣/ ٧-٢٠. وانظر المنقري: صفين ص ١٤٨. الملطي: التنبيه ص ٢٥. الحاكم: المستدرك ٣/ ١٣٢. الطوسي: الامالي ١/ ٢٦٠. محب الدين: الرياض ٢/ ٢٥٢. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٣٠٥، ٣٦١. المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/ ٢١١.

أهل القبلة، وكان المسلمون قبله يتحاشون ذلك حتى قال الامام الشافعي: ما عرفنا قتال أهل البغي إلا من علي. (١)

إن هذه الشجاعة جعلت من الإمام يأنف أن يموت حتف أنفه، بل القتل عنده أهون من الموت حتف أنفه، وذلك على مقتضى ما منحه الله تعالى من الشجاعة الخارقة لطبيعة البشر، ولذا نجده عليه السلام يحرص أصحابه ليجعل من طبائعهم موافقة لطباعه، وإقدامهم على الحرب كإقدامه، وهو بهذا يفعل كما يفعل الأمراء في حث جندهم، فهو هنا كما قال المتنبي (٢):

يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّةً وقد عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيوشُ الخَضَارِمُ
ويطلبُ عندَ النَّاسِ ما عندَ نَفْسِهِ وذلكَ ما لا تدعِيهِ الضَّرَاعِمُ

ويفسر ابن أبي الحديد (٣) سبب ذلك: «ليست النفوس كلها من جوهر واحد، ولا الطباع والأمزجة كلها من نوع واحد، وهذه خاصية توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده، في الأوقات المتطاوله، والدهور المتباعدة؛ وما اتصل بنا من بعد الطوفان؛ فإنَّ التواريخ من قبل الطوفان-مجهولة عندنا -، إنَّ أحداً إن أعطي من الشجاعة والإقدام ما اعطيه هذا الرجل من جميع فرق العالم على اختلافها؛ من الترك والفرس والعرب والروم وغيرهم؛ والمعلوم من

(١) راجع الفصل الرابع. وانظر الشرح ٣٣١/٩. وينسب القاضي هذا القول للإمام أبي حنيفة:

شرح الاصول الخمسة ص ١٤١.

(٢) الشرح ٣٠١/٧. وانظر ديوان المتنبي ص ٢٨٩.

(٣) الشرح ٣٠١/٧.

حاله انه كان يؤثر الحرب على السلم^(١)، والموت على الحياة، والموت الذي كان يطلبه ويؤثره، إنما هو القتل بالسيف، لا الموت على الفراش كما قال الشاعر^(٢):

لوم يَمْتُ بين أطراف الرماح إذا لمات - إذ لم يمت - من شدة الحزن

وقال آخر^(٣):

يستعذبون مناياهم كأنهم لا يياسون من الدنيا إذا قُتلوا

بل كان عليه السلام يرى أن ألف ضربة بالسيف أهون عليه من ميتة على الفراش في غير طاعة الله. وهنا يأتي التساؤل: هل الألف ضربة بالسيف أهون أمّا على المقتول من موة واحدة على الفراش بالحقيقة، أم هذا قول قاله عليه السلام على سبيل المبالغة والتجوز، ترغيباً لأصحابه في الجهاد؟

يقول ابن أبي الحديد في جواب التساؤل: «الحالف يحلف على أحد أمرين: أحدهما أن يحلف على ظنه واعتقاده؛ نحو أن يحلف أن زيداً في الدار، أو أني اعتقد كون زيد في الدار، أي أنا حالف ومقسم على أني أظن أن زيداً في الدار، أو إنني اعتقد كون زيد في الدار. والثاني: أن يحلف، لا على ظنه بل يحلف على نفس الأمر في الخارج. فإن حملنا قسم أمير المؤمنين عليه السلام على المحمل الأول فقد اندفع السؤال؛ لأنه عليه السلام قد كان يعتقد ذلك؛ فحلف إنه يعتقد وإنه يظن ذلك؛ وهذا لا كلام فيه. وإن حملناه على الثاني فالأمر في الحقيقة يختلف، لأن المقتول بسيف

(١) ان ملاحظة مواقف الإمام علي عليه السلام في معركة الخندق والجمل وصفين والنهران، تعطينا انطباعاً

على أنه عليه السلام - كان يؤثر السلم على الحرب على النقيض مما أشار له ابن أبي الحديد.

(٢) لم اهتد إلى قائله.

(٣) لم اهتد إلى قائله.

صارم معجل للزهوق لا يجد من الألم وقت الضربة ما يجده الميت دون النزع من المد والكف. نعم قد يجد المقتول قبل الضربة ألم التوقع لها، وليس كلامنا في ذلك، بل في ألم الضربة نفسها، وألف سيف صارم مثل سيف واحد، إذا فرضنا سرعة الزهوق. وأما في غير هذه الصورة نحو أن يكون السيف كالألأ، وتتكرر الضربات به، والحياة باقية بعد؛ وقايسناه بينه وبين ميت يموت حتف أنفه موتاً سريعاً، اما بوقوف القوة الغازية كما يموت الشيوخ؛ أو بإسهال ذريع تسقط معه القوة، ويبقى العقل والذهن إلى وقت الموت، فإن الموت ها هنا أهون وأقل الماء، فالواجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام إما على التحريض؛ فيكون قد بالغ كعادة العرب والخطباء في المبالغات المجازية.

وإما أن يكون أقسم على أنه يعتقد ذلك، وهو صادق فيما أقسم؛ لأنه هكذا كان يعتقد بناء على ما هو مركز في طبعه من محبة القتال، وكرهية الموت على الفراش»^(١).

ولكن إذا كان الإمام طامعاً في الشهادة فهلاً خرج إلى معاوية وحده من غير جيش؟

إن ذلك في رؤية المعتزلة غير جائز، لأنه إلقاء النفس إلى التهلكة، وللشهادة شروط متى فقدت فلا يجوز أن تحمل إحدى الحالتين على الأخرى.^(٢)

كان للإمام عليه السلام جملة من الآداب التي يستخدمها في حروبه منها:

أولاً: الدعوة للسلم: كانت الدعوة إلى السلام هو ديدن الامام عليه السلام سواء

(١) الشرح ٧/ ٣٠٠-٣٠٣. وانظر النص في نهج البلاغة ص ١٨٠.

(٢) الشرح ١٦/ ١٤٧.

٢٦٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

مع المشركين أو مع الخارجين على خلافته، فكان يحث المقابل على ترك الحرب كما فعل مع عمرو بن عبد ود العامري يوم الخندق^(١)، ومع اصحاب الجمل وصفين والنهروان أيام خلافته^(٢).

ثانياً: كراهية الغدر: ومن آدابه العسكرية - عليه السلام - أنه كان يكره الغدر في حروبه، وكان - عليه السلام - يقول: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدره فجرة، وكل فجرة كفره، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة. والله ما استغفل بالمكيدة، ولا استغمر بالشديدة»^(٣).

فلما استأذنه مالك الاشر في معركة صفين أن يبيت^(٤) معاوية، قال عليه السلام إن رسول الله ﷺ نهى أن يبيت المشركون. وفي الواقع إن هذا الخلق قد توارثه بنوه من بعده^(٥)، إذ كانوا أصحاب دين، وليسوا من الدنيا بسبيل، وإنما يطلبونها ليقيموا عمود الدين بالإمرة فيها، فلم يستقر لهم، والدنيا إلى أهلها أميل^(٦).

ثالثاً: لا يدعو إلى المبارزة: كان عليه السلام لا يدعو للمبارزة، ولكنه يستجيب إذا

(١) أنظر: الواقدي: المغازي ٢/٤٧١. ابن هشام: السيرة ٣/٢٢٥. الطبري: تاريخ ٢/٥٧٤.

(٢) أنظر الفصل الرابع.

(٣) الشرح ١٠/٢١١.

(٤) بيت العدو: اوقع به ليلاً، وبيت امرأ: دبره ليلاً. أنظر ابن فارس: المجلد ص ١٤٠. الرازي: مختار الصحاح ص ٧٠.

(٥) أنظر مواقف - ابراهيم بن عبد الله بن الحسن مع المنصور. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٢٢١-٢٢٣.

(٦) الشرح ٢/٣١٣-٣١٤.

دعي إليها، والسبب «لأن الداعي إليها باغ، والباغي مصروع»^(١). فقد ذكر عليه السلام الحكمة والعدة، ومن خلال استقصاء السيرة الشريفة له عليه السلام لم نجده يوماً يدعو إلى مبارزة وإنما كان يدعى لها، ففي معركة بدر الكبرى دعا بنو ربيعة بن عبد شمس بنو هاشم للبراز، فخرج علي عليه السلام وقتل الوليد بن عتبة^(٢)، واشترك مع حمزة في قتل عتبة بن ربيعة^(٣)، أما في معركة أحد، فقد دعا طلحة بن أبي طلحة للبراز، فخرج له الإمام وقتله^(٤)، وكذلك يوم الخندق، دعاه عمر بن عبد ود العامري للبراز فخرج له الإمام عليه السلام وقتله^(٥)، وفي يوم خيبر^(٦) دعاه مرحب اليهودي للبراز فخرج إليه فقتله^(٧).

رابعاً: التأكيد على الروح القتالية، حيث يقول لولده الإمام الحسن عليه السلام: «يا

(١) الشرح ٦٠/١٩. وانظر نهج البلاغة ص ٥٠٩.

(٢) حاول البعض التقليل من شأن الوليد بن عتبة وشجاعته، وتصدى لتفنيده ذلك. الاسكافي المعتزلي: أنظر الشرح ٢٩٢/١٣. الجاحظ: العثمانية ص ٥٩. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٣٩.

(٣) الشرح ١٤/١٣٠-١. وانظر الواقدي: المغازي ١/٦٩. ابن هشام: السيرة ٢/٢٧٧. الطبري: تاريخ ٤٤٥/٢.

(٤) الشرح ١٤/٢٣٥-٦. وانظر: الواقدي: المغازي ١/٢٢٥-٦. ابن هشام: السيرة ٣/١٢٧، ١٥١.

(٥) الشرح ١٩/٦٠-٦٤. الواقدي: المغازي ٢/٤٧٠-١، ابن هشام: السيرة ٣/٢٢٤-٥. ابن حبيب: المحبر ص ١٧٥.

(٦) أنظر الواقدي: المغازي ٢/٦٥٥. الطبري: تاريخ ٩/١٢. وقد نسب ابن اسحق مقتل مرحب لمحمد بن مسلمة الانصاري، أنظر ابن هشام: السيرة ٣/٣٣٣-٤. الطبري تاريخ ٣/١٠-١١. الحاكم: المستدرک ٣/٣٩٤.

(٧) الشرح ١٩/٦٠. وللتفصيل عن مواقف الامام في حروب الرسول ﷺ أنظر: المفيد: الإرشاد ص ٢٨-٦٤.

٢٧٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

بني إذا بارزت أحداً فحدث نفسك بقتله» والإمام عليه السلام هنا يشير إلى جانب الروح المعنوية، فإن المقاتل إذا برز لخصمه وهو يتصور أنه سيتغلب عليه فإنه سيزداد حماسة، أما إذا تصور، بأن العدو سيقتله، فإن قواه ستتهار، وما يلبث أن ينهزم أو يقتل. ولذلك كان عليه السلام يقول: «ما لقيت أحداً إلّا وأعاني على قتله»^(١). وهنا يشير الإمام عليه السلام إلى أن الخصم يخشى الإمام ويخافه، لذلك يزداد ضعفاً مما يمكن الإمام من قتله.

خامساً: عدم الاهتمام بالجانب المادي (الغنيمة): كان همُّ الإمام عليه السلام هو التخلص من العدو دون الاهتمام بما يخلفه من غنائم، ففي معرض إشارته - لمبارزة سعد بن أبي وقاص لأبي سعد بن أبي طلحة، وقتله إياه، ثم تأسفه على عدم قدرته على سلبه، حيث نهض سبيع بن عبد عوف، ونفر معه، فحالوا دون سعد، ودون سلبه، وكان سلبه أجود سلب رجل من المشركين على حد تعبير سعد بن أبي وقاص^(٢) علق ابن أبي الحديد قائلاً: «شتان بين علي وسعد! هذا يجاحش على السلب ويتأسف على فواته، وذاك يقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق، وهو فارس قریش وصنديدها ومبارزه، فيعرض عن سلبه وهو أنفس سلب! فيقول: كرهت أن أبز السبي ثيابه^(٣)، فكأن حبيباً عناه بقوله^(٤):

إِنَّ الْأَسْوَدَ ذَا سَوْدٍ الْغَابَ هِمَّتْهَا يَوْمَ الْكُرَيْهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

(١) الشرح ٢٢٦/١٩. وانظر: نهج البلاغة ص ٥٣١.

(٢) الشرح ٢٣٧/١٤. وانظر: الواقدي: المغازي ١/٢٢٧.

(٣) الشرح ٢٣٧/١٤-٨. وانظر الحاكم: المستدرک ٣/٣٥. المفيد: الإرشاد ص ٤١. البيهقي:

السنن ٨/١٨.

(٤) الشرح ٢٣٨/١٤. وانظر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ص ١٧.

وبالإضافة لهذه الروح القتالية لدى الامام عليه السلام نجده يتميز بقوة جسدية يضرب بها المثل، حيث يقول ابن قتيبة^(١): «ما صار أحداً قط إلا صرعه»، وكان - عليه السلام - قد قلع باب خيبر الذي اجتمع عليه عدد من الناس ليقلبوه فلم يستطيعوا^(٢). وقد أشار لذلك ابن أبي الحديد في شعره^(٣):

يا قَالِعَ البَابِ الذِي عن هزّها
عَجَزَتْ أكْفُ أربعونَ وأربُعُ

وبعد فتح مكة المشرفة صعد أعلى الكعبة حيث أكبر الأصنام-هبل- فاقتلعه وألقاه إلى الأرض^(٤). وفي أيام خلافته اقتلع الصخرة العظيمة بيده بعد عجز الجيش كله عنها، وقد انبط الماء من تحتها.^(٥)

(١) المعارف ص ٢١٠.

(٢) قال اليعقوبي: «واقطلع باب الحصن، وكان حجارة طوله أربع اذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع، فرمى به علي بن أبي طالب خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون». تاريخ اليعقوبي ٤٧/٢. وانظر ابن هشام: السيرة ٣/٣٣٥. المفيد: الإرشاد ص ١٢٤، ٥٠. الخوارزمي: المناقب ص ١٠٦. الطبرسي: اعلام الورى ص ١٨١. الشهرستاني: الملل ١/٢٠٤. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٢٧. محب: الدين الرياض النظرة ٢/٢٤٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٧. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٥٠.

(٣) ابن أبي الحديد: القصائد السبع العلويات ص ٤٣.

(٤) أنظر: ابن اخي تيوك: مناقب علي بن أبي طالب ص ٤٢٩. الحاكم: المستدرک ٦/٣. الخوارزمي: المناقب ص ٧١. ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٣٤. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٤٢٧. محب الدين: الرياض النظرة ٢/٢٦٥-٦. ابن تيمية: منهاج السنة ٣/٧. الجويني: فرائد السمطين ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٥) الشرح ١/٢١، ٣/٢٠٤. وانظر المنقري: صفين ص ١٤٤-٥. المفيد: الإرشاد ص ١٢٤-١٢٥.

المرتضى: القصيدة المذهبة للسيد الحميري ص ١١١-٩. الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٦.

الاربلي: كشف الغمة ١/٢٨٢-٣.

٢٧٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ولذا فقد هدد النبي ﷺ بني وليعة^(١) قائلاً: «لستهمين يا بني وليعة، أو لأبعثن عليكم رجلاً عديل نفسي، يقتل مقاتلكم، ويسبي ذراريكم»^(٢).

ونتيجة لذلك كانت الشعوب تتيمن بالامام خيراً «وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها، وبيوت عبادتها، حاملاً سيفه، مشمراً لحربه، وتصور ملوك الترك والديلم صورته على اسيافها! كان على سيف عضد الدولة بن بويه^(٣)، وسيف أبيه ركن الدولة^(٤) صورته، وكان على سيف الب ارسلان^(٥) وابنه ملكشاه^(٦) صورته، كأنهم يتفائلون به النصر والظفر»^(٧).

(١) بطن من بطون كندة، وهي من القبائل القحطانية. الجوهري: الصحاح ٣/ ١٣٠٤. ابن منظور: لسان العرب ١٠/ ٢٩٣. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٣/ ٩٧. كحالة: معجم قبائل العرب ٣/ ١٢٥٣.

(٢) الشرح ١/ ٢٩٤. وانظر سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٩-٤٠.

(٣) هو فنا خسرو بن الحسن بن بويه الديلمي المكنى أبو شجاع، أحد الأمراء البويهيين عرف بالأدب وصنفت له بعض الكتب في اللغة والادب والتاريخ. توفي ببغداد سنة ٣٧٢هـ. أنظر: الثعالبي: يتيمة الدهر ٢/ ٢٥٧. ابن الاثير: الكامل ٨/ ٦٦٩-٧١١ (متفرقة) ٩/ ٥-١٨. ابن الطقطقي: الفخري ص ٤٠. اليافعي: مرآة الجنان ٢/ ٣٩٨-٣٩٩. ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٩٩-٣٠١. السيوطي: الوسائل ص ٧٨.

(٤) والد عضد الدولة ولد في ٢٨٤ وتوفي في ٣٦٦هـ، حكم الدولة البويهية (٤٤) سنة. أنظر ابن الاثير: الكامل ٨/ ٣٦٠-٦٦٩ (متفرقة). ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٨٨.

(٥) السلطان السلجوقي ابن جفري بك، تولى السلطة بعد عمه، طغربك، وكانت له معارك مع البيزنطيين اهمها معركة مانزكرت. قتل سنة ٤٦٥هـ. أنظر ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ١٠٦-١٠٧. عبد القادر احمد اليوسف: الامبراطورية البيزنطية ص ١٤١-٣.

(٦) جلال الدين والدولة أبو الفتح ابن السلطان الب ارسلان، امتدت مملكته من اقصى بلاد الترك إلى اليمن، توفي سنة ٤٨٥هـ. اليافعي: مرآة الجنان ٣/ ١٣٩. ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ١٤٢-١٤٣.

(٧) الشرح ١/ ٢٨-٢٩.

وأضاف ابن أبي الحديد قائلاً: «ما أقول في رجل أحب كل واحد أن يتكثر به، وودّ كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه، حتى الفتوة^(١) التي أحسن ما قيل في حدها: ألا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك، فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنفوا في ذلك كتباً، وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه، وقصروه عليه^(٢)، وسموه سيد الفتيان، وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المروي، انه سمع من السماء يوم أحد^(٣):

لا فتى إلا عليّ ولا سيف إلا ذو الفقار

وأخيراً أصبح الامام عليه السلام حسبما يرى ابن أبي الحديد موضعاً لنسبة كثير من الوقائع والمشاهد الحربية، فكان ما يدعي له العامة من الشجاعة، وقتل الأبطال حتى يقال أنه حمل على سبعين ألفاً فهزمهم^(٤)، وقتل الجن في البئر^(٥)، وقتل الطوق الحديدي في عنق خالد بن الوليد^(٦).

(١) أسسه الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٧٨هـ، وهدفه اعداد الفتيان للصيد والرياضة والحرب، وقد عممه الناصر على سائر الاقاليم. أنظر: الدسوقي: الفتوة عند العرب ص ٢٤.

(٢) أنظر هذا السند في: الدسوقي: الفتوة عند العرب ٢٤٠-٢٤٣.

(٣) الشرح ٢٩/١. وانظر مصادره في ما مضى من هذا الفصل.

(٤) ربما يقصد حملات الإمام عليه السلام في صفين.

(٥) ان قتال الامام علي عليه السلام للجن ليس من أقاويل العامة: أنظر المفيد: الإرشاد ١٢٦-١٢٧.

الطبرسي: اعلام الورى ص ١٨٠-١٨١. وينسب للإمام شعر في هذا الباب. أنظر ديوان الإمام

علي ص ١٤.

(٦) الشرح ٤٩/١١، ١٠٦/١٨. وعن قتل الامام الطوق بعنق خالد أنظر الطوسي: الرسائل

العشر ص ٣١٩. الراوندي: الخرائج والجرائح ٩١٥/٢. المجلسي: بحار الانوار ١٧/٢٥٦،

١٧٢/٢٩.

ويخلص ابن أبي الحديد للقول: «وجملة الأمر إن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي، وبإسمه ينادي في مشارق الارض ومغاربها»^(١).

إن من مميزات البطل الشجاع الصفح والحلم فكان عليه السلام احلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر صحة ذلك في معاركه، فبعد معركة الجمل ظفر بمروان بن الحكم^(٢)، وكان من أكثر الناس عداوة له، وأشدهم بغضاً فصيح عنه. وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الاشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: قد اتاكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب، وكان الإمام عليه السلام يقول: ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى شبَّ عبد الله^(٣). فظفر به يوم الجمل وأخذه اسيراً، وصفح عنه قائلاً «إذهب فلا أرينك» لم يزد على ذلك. وظفر الإمام علي عليه السلام بسعيد بن العاص بعد معركة الجمل في مكة^(٤)، وكان له عدواً فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً^(٥).

وتجلى حلمه -عليه السلام- في موقفه من أم المؤمنين عائشة، حيث أكرمها وبعثها إلى المدينة بصحبة عشرين امرأة من بني عبد القيس عمَّهن بالعمائم وقلدهن

(١) الشرح ٢١/١. ومع كل هذه الأدلة على شجاعة الامام نجد البعض قد حاول التمويه على ذلك واعتبار ذلك تهوراً وليس شجاعة. وللتفاصيل أنظر الشرح ٣/٢٨٤-٦. الجاحظ: العثمانية ص ٤٧. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٢) ان الدراسة المتمعنة لأحداث الفتنة تشير إلى أن مروان هو المسؤول عن النهاية الأليمة للخليفة عثمان بن عفان عليه السلام. الشرح ٢/١٤٢-١٥٦. وانظر الطبري: التاريخ ٤/٣٣٩-٣٩٦.

(٣) عقد ابن أبي الحديد فصلاً عن سيرة عبد الله بن الزبير. الشرح ٢٠/١٠٢-١٤٩.

(٤) لم يعرف عن الإمام انه ذهب إلى مكة بعد توليه الخلافة حتى استشهاده -عليه السلام-.

(٥) الشرح ١/٢٢-٢٣.

السيوف^(١)، فلما وصلت المدينة ألقى النساء العمام وقلن لها: إنما نحن نسوة^(٢). وظهر حلمه وصفحته تجاه من حاربه من أهل البصرة، إذ شتموه ولعنوه فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: «ألا يتبع مول، ولا يجhez على جريح، ولا يقتل مستأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن» ولم يأخذ أثقالهم ولا سبى ذرا ربيهم، ولا غنم شيئاً من أموالهم ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو، وتقبل سنة الرسول ﷺ يوم فتح مكة، فإنه عفا والأحقاد لم تبرد، والإساءة لم تنس^(٣).

وقبيل معركة صفين سيطر معاوية على شريعة الفرات فاغتنمها فرصة للقضاء على الإمام علي عليه السلام وجنده بالعطش، ولما سألهم الماء قال: لا والله ولا قطرة حتى تموت ضمناً، فأدرك أنه لا مناص من استخدام القوة، لذا حمل على عسكر معاوية وأزاحه عن الفرات، وأصبح الماء بأكمله لدى أصحاب الإمام علي عليه السلام، هنا قال أصحابه له: إمنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة بك إلى الحرب. فقال عليه السلام: لا والله، لا أكافئهم بمثل فعلهم، إفسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حد السيف ما يغني عن ذلك، «فهذه إن نسبتها إلى الحلم

(١) هل يا ترى اكتفى الامام بهذا العدد من النساء، لكي يسرن مع أم المؤمنين عبر الصحراء من البصرة إلى المدينة؟ وما الضير من ارسال الامام للرجال بصحبة النساء؟ وهو الاولى؟ ثم كيف

لم يكتشف وضع النساء طوال الطريق، واحوال النساء معروفة؟

(٢) الشرح ١/ ٨٣.

(٣) الشرح ١/ ٢٣-٢٤، ٢٥٠. وانظر تفاصيل أكثر في الفصل الرابع.

٢٧٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

والصفح فناهيك بها جمالاً وحسناً، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام»^(١).

لقد كانت الدعاية المضللة التي يبثها معاوية وأتباعه في أهل الشام، لتشويه سمعة الإمام علي عليه السلام بمكان، وإلا فهذا الموقف منه كفيلاً بأن يفتح بصائر أهل الشام عن حقيقة الإمام وبطلان دعاوى معاوية.

وكان عليه السلام الغاية في الصبر، فالذي يقرأ أحواله عليه السلام عند وفاة الرسول ﷺ والسيدة فاطمة عليها السلام وما جرى من أحداث إلى أيام خلافته عليه السلام ثم ما مني به من خروج بعض الصحابة عليه، وتخاذل أصحابه، حتى عاد البطل الضرغام يقف حائراً أمام أعدائه الذين أخذوا يغيرون على المدن كغارات الثعالب^(٢).

وبعد وفاة النبي ﷺ وقف على قبره فقال: إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلا عليك، وإن المصاب بك لجليل، وإنه قبلك وبعذك لجلل^(٣).

ويؤثر عنه قوله بعد وفاة النبي ﷺ - والسيّدة فاطمة عليها السلام^(٤):

ذكرتُ أبا أروى فبتُّ كأنني
بِردِّ الهمومِ الماضياتِ وكيلاً
لكل اجتماعٍ من خليلينِ فرقةً
وكلُّ الذي دونَ الفراقِ قليلُ
وإن افتقاديَ فاطمًا بعد أحمدٍ
دليلٌ على أن لا يدومَ خليلُ

(١) الشرح ١/٢٣-٢٤، ٢/٣١٣. وانظر تفاصيل أكثر في الفصل الرابع.

(٢) أنظر لمزيد من التفاصيل الفصل الرابع.

(٣) الشرح ١٩/١٩٥. أنظر الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٥٢٧. المحمودي: نهج السعادة

١/٣٧-٨.

(٤) الشرح ١٠/٢٨٨. وانظر المبرد: الكامل ٤/٣٠. الحاكم: المستدرک ٣/١٧٩.

وروي أنه عليه السلام مرَّ على قبر السيدة فاطمة عليها السلام فقال (١):

قبر الحبيب فلم يردّ جوابي	مالي مررتُ على القبور مسلماً
أمللت بعدي خلة الأحاب	يا قبر مالك لا تجيبُ منادياً
وأنا رهينُ جنادلٍ وتُراب	قال الحبيبُ وكيف لي بجوابكم
وحجبتُ عن أهلي وعن أترابي	أكل التراب محاسني فنسيتكم
منّي ومنكم خلة الأحاب	فعليكم منّي السّلامُ تقطعت

أما في-التواضع- فكان أشد الناس تواضعاً لصغير وكبير، وألينهم عريكة وأسمحهم خلقاً، وأبعدهم عن الكبر، وأعرفهم بالحق، هذه الصفات كانت ماثلة لديه قبل توليه الخلافة وبعدها «لم تغيره الإمرة، ولا أحالت خلقه الرياسة، وكيف تحيل الرياسة خلقه وما زال رئيساً! وكيف تغير الإمرة سجيته وما برح أميراً! لم يستفد بالخلافة شرفاً، ولا اكتسب بها زينة! بل هو كما قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: «إن علياً عليه السلام لم تزنه الخلافة ولكنه زانها» هذا يعني إن غيره قد ازدان بالخلافة وأكملت نقصه، أمّا الإمام عليه السلام فلم يكن فيه نقص يحتاج الخلافة لإتمامه، بل كانت الخلافة ذاتها فيها نقص فتم نقصها بولايته إياها» (٢).

كان عليه السلام كثيراً ما يتحدث عن نعم الله تعالى عليه، انطلاقاً من قوله تعالى

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٣).

(١) الشبلنجي: نور الإبصار ص ٤٧.

(٢) الشرح ١/ ٥١-٥٢.

(٣) سورة الضحى، الآية: ١١.

فنسبه البعض عن قصد أو غير قصد للتيه والزهو^(١) والفخر. حيث لما قيل لعمر بن الخطاب: ولّ علياً عليه السلام أمر الجيش والحرب، قال: هو أتيه من ذلك. وكان زيد بن ثابت يقول: ما رأينا أزهى من علي وأسامه بن زيد^(٢).

قال ابن أبي الحديد: «إن من قيل في وصفه ما قيل، لو رقي إلى السماء وعرج في الهواء، وفخر على الملائكة والأنبياء، تعظماً وتبجحاً؛ لم يكن ملوماً؛ بل كان بذلك جديراً؛ فكيف وهو عليه السلام لم يسلك قط مسلك التعظيم والتكبر في شيء من أقواله ولا من أفعاله، وكان ألطف البشر خلقاً، وأكرمهم طبعاً، وأشدّهم تواضعاً، وأكثرهم احتمالاً، وأحسنهم بشراً، وأطلقهم وجهاً، حتى نسبه من نسبه إلى الدعابة والمزاح، وهما خلقان ينافيان التكبر والاستطالة»^(٣).

ولقد أوضح ابن أبي الحديد^(٤) الدافع الذي يدفع الإمام لذكر نعم الله عليه وهو «إنّما كان يذكر أحياناً ما يذكره من هذا النوع، نفثة مصدر، وشكوى مكروب، وتنفس مهموم، ولا يقصد به إذا ذكره إلاّ شكر النعمة، وتنبية الغافل على ما خصه الله به من الفضيلة، فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف والحض على اعتقاد الحق والصواب في أمره، والنهي عن المنكر، الذي هو تقديم غيره عليه

(١) التيه والزهو هو التكبر: الرازي: مختار الصحاح ص ٢٧٧، ٨١.

(٢) الظاهر إن نسبة التيه إلى أسامة جاءت من تعيينه من قبل الرسول صلى الله عليه وآله أميراً على الجيش الإسلامي الخارج لمحاربة الروم. وفيه عدد من كبار الصحابة. الشرح ١٧/ ١٨٢ وما بعده. أنظر الواقدي: المغازي ٣/ ١١١٨. ابن هشام: السيرة ٤/ ٢٩١-٢٩٩. اليعقوبي ٢/ ١٠٣. الطبري: التاريخ

٣/ ١٨٤. القاضي عبد الجبار: المغني ٢٠/ ١/ ٣٤٣-٩.

(٣) الشرح ٩/ ١٧٤-١٧٥.

(٤) الشرح ٩/ ١٧٥.

في الفضل، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك بقوله:

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

إن النص أعلاه يشير إلى مسألة تقديم المفضول على الأفضل، والملاحظ أن الإمام عليه السلام يعتبر ذلك من باب المنكر لذا ينهي عنه، ويذكر الإمام فضائله التي هي «اعتقاد الحق والصواب» بكونه الأفضل، مستشهداً بالنص القرآني الذي يؤكد على تقديم الأفضل. إذن إذا كان تقديم المفضول على الأفضل برؤية الامام التي أدلى بها ابن أبي الحديد شيئاً منكراً لذلك كان الإمام عليه السلام ينهي عنه، إذاً ما معنى اعتقاد ابن أبي الحديد بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل؟ آخذين بنظر الاعتبار رؤية ابن أبي الحديد، ومن سبقه من معتزلة بغداد بأن مصدرهم الأول هو الإمام علي عليه السلام^(٢).

وكان عليه السلام معروفاً في - السخاء والجود، فنراه سخياً في أشد الحالات صعوبة، حيث نجده صائماً، يؤثر بزاده ويبقى طاوياً، حتى نزل به قوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(٣).

ونزل فيه أيضاً:

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٢) أنظر رؤية المعتزلة في التفضيل في المدخل وفي الفصل الرابع.

(٣) سورة الانسان، الآيتان: ٩-١٠. أنظر القاضي: المغني ٢٠/٢/٦٢. الطوسي: التبيان ١٠/٢١١.

الزخشري: الكشاف ٤/٦٧٠. القرطبي: الجامع ١٩/١٢٨-١٣٣. ابن كثير: البداية والنهاية

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾^(١).

حيث روى المفسرون أن الإمام علي عليه السلام كان يملك أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً وآخر نهاراً، وبالثلث سرّاً، وبالرابع علانية^(٢).

وكان عليه السلام يسقي بيده نخل قوم من اليهود، حتى مجلت^(٣) يده، ويتصدق بالأجرة، ويشد على بطنه حجراً. ولقد قال فيه الشعبي: كان علي عليه السلام أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله: السخاء والجود: ما قال لسائل: لا قط^(٤).

وقال معاوية وهو عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعييه -لمحضر بن أبي محضن الضبي^(٥)، قال الأخير: جئتك من عند أبخل الناس. فقال معاوية: ويحك! كيف تقول أبخل الناس، لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه^(٦).

وكان سلام الله عليه - سيد الزهاد وبدل الابدال^(٧) - فإليه في هذا الباب

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

(٢) أنظر الواحدي: أسباب النزول ص ٥٨. الطوسي: التبيان ٢/ ٣٥٧. الثعالبي: الجواهر الحسان ١/ ٢٢٣. الزمخشري: الكشاف ١/ ٣١٩. القرطبي: الجامع ٣/ ٣٤٧. وانظر عند غير المفسرين: الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣١٩. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٣-١٤. ابن تيمية: منهاج السنة ٤/ ٦٢. الجويني: فرائد ١/ ٣٥٦. القسطلاني: إرشاد الساري ٣/ ٢٦.

(٣) المجمل: أن يكون بين الجلد واللحم ماء، أو هي قشرة رقيقة يجتمع فيها ماء من اثر العمل. ابن فارس: المجلد ٣/ ٨٢٣. الفيروزآبادي: القاموس ٤/ ٤٩.

(٤) الشرح ١/ ٢١-٢٢.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) الشرح ١/ ٢٢. وانظر ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص ٨٦.

(٧) الابدال قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم فإذا مات أحدهم استبدله الله بآخر. الرازي: مختار الصحاح ص ٤٤.

تشد الرحال، وعنده تنفض الاحلاس^(١). فهو الذي ما شبع من طعام قط، وكان عليه أفضل وأحسن الناس ملبساً ومأكلاً، دخل عليه أحد أصحابه يوم عيد فقدم إليه جراباً^(٢) محتوماً فيه خبز شعير يابس مرضوض، فأكل عليه منه، فقال له: يا أمير المؤمنين، فلماذا تختمه فقال: خفت هذين الولدين أن يلتاه^(٣) بسمن أو زيت. وكان ثوبه عليه مرقوعاً تارة بجلد وأخرى بليف، ونعلاه من ليف، ويلبس الكرباس^(٤) الغليظ، فإذا وجد كفه طويلاً قطعه شفره، ولم يخطه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمه له. وكان يأتدم إذا أتدم بخل أو ملح، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل. وكان عليه لا يأكل من اللحم إلا قليلاً، حيث يقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوان. ومع ذلك كان أشد الناس قوة، وأعظمهم يداً، لا ينقض الجوع قوته ولا يخون الإقلال منته. وهو الذي طلق الدنيا، وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام ما عدا الشام، فكان يفرقها^(٥) ويقول:

(١) جلس البيت: كساه ببسط تحته حر الثياب. ابن فارس: المجلد ١/ ٢٤٨. الرازي: مختار الصحاح ص ١٤٩.

(٢) هو المزود أو الوعاء. الفيروزآبادي: القاموس ١/ ٤٥.

(٣) اللت هو الدق والشد والفت والسحق، واللات سمي بالذي كان يلت عنده السويق بالسمن. الفيروزآبادي: القاموس ١/ ١٥٦.

(٤) ثوب من القطن الأبيض، والبائع له يدعى الكرابيسي، وهو لفظ معرب. ابن منظور: لسان العرب ٨/ ٧٨-٩.

(٥) الشرح ١/ ٢٦.

هذا جنائي وخيارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

ولما سئل عليه السلام: لم ترقع قميصك؟ قال: ليخشع القلب، ويهتدي بي المؤمنون^(١).

وكان عليه السلام بعد أن يوزع الاموال يصلي في بيت المال، ويقول: يا صفراء يا بيضاء غري غيري، وهو الذي لم يخلف ميراثاً^(٢)، وكانت الدنيا بيده ما عدا الشام^(٣).

وفي شرحه لقوله عليه السلام: والله لديناكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم. قال ابن أبي الحديد: لعمرى لقد صدق-وما زال صادقاً-حيث ان من تأمل سيرته في حالتي خلوه من العمل وولايته الخلافة عرف صحة هذا القول^(٤).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول في أمر الأموال: إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يذهب في خلافته مذهب الملوك الذين يصنعون بالاموال ويصرفونها في مصالح ملكهم، وملاذ أنفسهم، وانه عليه السلام لم يكن من أهل الدنيا وإنما كان رجلاً

(١) الشرح ٩/٢٣٥-٦. الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٤٨٦. وانظر البلاذري: انساب الاشراف

١٢٩/٢. الزمخشري: ربيع الابرار ٤/١٢٨. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٣١٨.

(٢) قال الحسن بن علي بعد استشهاد الامام عليه السلام: «لقد قبض في هذه الليلة رجل ما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله». أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٣٢-٣٣.

(٣) الشرح ١/٢٢.

(٤) الشرح ١٩/٦٧. أنظر نهج البلاغة ص ٥١٠.

متألفها صاحب حق، لا يريد بالله ورسوله بدلاً^(١).

ويروى أنه عليه السلام علم بأن قاضيه - شريح بن الحارث^(٢) - اشترى داراً بثمانين ديناراً، فنظر إليه - عليه السلام - نظر مغضب وقال: «يا شريح، أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسألك عن بيتك، حتى يخرجك منها شاخصاً، ويسلمك إلى قبرك خالصاً. فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة. أمّا إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت، لكتبت إليك كتاباً على هذه النسخة...»^(٣).

وبعد أن أورد ابن أبي الحديد نص الصيغة التي كتبها الإمام إلى شريح علق قائلاً: وموضع الاستحسان من هذا الفصل - وإن كان كله حسناً - أمران: أحدهما: إنه عليه السلام نظر إليه نظر مغضب، إنكاراً لابتاعه داراً بثمانين ديناراً. وهذا يدل على زهد شديد في الدنيا عند الإمام عليه السلام واستكثار للقليل منها، ونسبه هذا المشتري للاسراف، وخوف من أن يكون ابتاعها بهال حرام.

الثاني: إنه أملى عليه كتاباً زهدياً وعظيماً، مماثلاً لكتب الشروط التي تكتب في ابتياع الأملاك^(٤).

(١) الشرح ٢/٢٠٢-٢٠٣.

(٢) هو شريح بن الحارث بن قيس الكندي، تولى قضاء الكوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي عليه السلام ومعاوية، توفي سنة ٧٨هـ. أنظر أبو نعيم؛ حلية الاولياء ٤/١٣٢-١٤١. ابن حجر: الإصابة ١٤٦/٢.

(٣) الشرح ١٤/٢٧. وانظر سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٤٩-١٥٠.

(٤) الشرح ١٤/٣٠-٣١.

٢٨٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

إن زهداً كهذا أثار إعجاب ابن أبي الحديد «فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة ... وخرج أزهد الناس في الدنيا، وأعفهم، مع أن قريشاً ذوو حرص ومحبة للدنيا...»^(١).

ولكن إذا كان الإمام عليه السلام على هذه الدرجة من الزهد، فما معنى قوله:

«وانتظرنا الغير انتظار المجذب المطر».

أليس هذا الكلام يدل على ترقبه الفرصة لتولي الخلافة وهذا لا يطابق كلامه في طلاقه للدنيا.

والواقع انه عليه السلام طلق الدنيا أن لا يقبل منها حظاً دنيوياً، وهذا لا يعني أن لا ينهى عن المنكر وإقامة الدين، ولا سبيل لذلك إلا بتولي الخلافة^(٢).

وقد عابت العثمانية^(٣) على الإمام عليه السلام بأنه خلف عقاراً كثيراً، أي نخلاً بينما مات أبو بكر ولم يخلف ديناراً ولا درهماً.

هذه الرؤية فنّدها ابن أبي الحديد بقوله: «قد علم كل أحد أن علياً عليه السلام استخرج عيوناً بكّد يده بالمدينة، وينبع^(٤)،

(١) الشرح ١٦/١٤٦.

(٢) الشرح ٩/١٥٢-١٥٣. أنظر نهج البلاغة ص ٢١٢.

(٣) هم المناصرون لقضية الخليفة عثمان بن عفان والمؤيدون لمعاوية. وقد وضع الجاحظ رسالة بإسم العثمانية فصل فيها آراء العثمانية. وقد رد عليه الاسكافي في كتاب أسماه نقض العثمانية. والكتابان مطبوعان. أنظر رسائل الجاحظ السياسية ص ١٩٢-٣. وانظر: بلقاسم الغالي: الجانب الاعترالي عند الجاحظ ص ٣٢٨-٣٣١.

(٤) تقع بين مكة والمدينة ذات نخل وزروع وعيون وماء عذبة غزيرة. أنظر عرام بن الاصبغ السلمي: اسماء جبال مكة وتهامة، منشور ضمن نواذر المخطوطات ٢/٣٩٧-٨. الحموي: =

.....وسويعة^(١)، وأحيا بها مواتاً^(٢) كثيراً، ثم أخرجها من ملكه،
وتصدق بها على المسلمين، ولم يمت وشيء منها في ملكه، ألا ترى إلى ما تضمنته
كتب السير والخبار من منازعة زيد بن علي^(٣) وعبد الله بن الحسن^(٤) في
صدقات علي عليه السلام^(٥)، ولم يورث علي - عليه السلام - بنيه قليلاً من المال ولا كثيراً إلا
عبيده وإماءه وسبعائة درهم من عطائه^(٦)، تركها ليشتري بها خادماً لأهله
قيمتها ثمانية وعشرون ديناراً على حسب المائة اربعة دنانير، وهكذا كانت
المعاملة بالدراهم إذ ذاك، وإنما لم يترك أبو بكر قليلاً ولا كثيراً لأنه ما عاش،

=معجم البلدان ٥/٤٤٩-٤٥٠.

(١) موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب عليه السلام زمن ياقوت الحموي. أنظر الحموي: معجم
البلدان ٣/٢٨٦.

(٢) الارض الموات: هي الأرض المتروكة التي يحتاج زرعها إلى استصلاح. مالك بن أنس: الموطأ
٢/٢٨٧-٨. البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٥٣. الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ٢٥٥.
الجرجاني: التعريفات ص ١٢٣.

(٣) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قتل في الكوفة سنة ١٢١هـ على يد والي الكوفة
يوسف بن عمرو أيام هشام بن عبد الملك ويعرف بزيد الشهيد، وتنسب إليه الفرقة الزيدية
أنظر: اليعقوبي: تاريخ ٢/٧٣-٧٥. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٨٦-١٠٢.

(٤) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالمحضر لأنه أول من ولد من الحسن
والحسين وعرف بالفضل والحسن والمنطق، مات في حبس الهاشمية حيث حبسه المنصور بسبب
تغيب ولده محمد ذي النفس الزكية. الطبري ٧/٥٣٩-٥٥١.. أبو الفرج: مقاتل الطالبين
ص ١٢٢-١٢٥.

(٥) أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٩٠.

(٦) أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٣٣.

٢٨٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ولو عاش لترك. ألا ترى أن عمراً اصدق أم كلثوم أربعين ألف درهم^(١)، ودفعها إليها! وذلك لأن هؤلاء طالت أعمارهم، فمنهم من درت عليه اخلاف التجارة ومنهم من كان يستعمر الارض ويزرعها^(٢)، ومنهم من استفضل من رزقه من الفيء^(٣).

مضافاً لذلك أن الإمام علياً -عليه السلام- فضلهم لأنه كان يعمل بيده، ويحراث الأرض ويسقي الماء، فيغرس النخل، كل ذلك يباشره بنفسه الشريفة، ومع ذلك فإنه لم يستبق ل نفسه ولا لأولاده قليلاً ولا كثيراً، وإنما جعلها صدقة^(٤). والمعروف ان الرسول ﷺ قد توفي وله ضياعاً كثيرة في خيبر وفدك وبني النضير، وكان له ﷺ وادي نخلة وغيره بالطائف، فصارت بعد موته صدقة بالخبر الذي رواه أبو بكر^(٥)، فإذا كان علي معاباً في تركه ضياع فكذلك صدقه الرسول ﷺ،

(١) أنظر: ابن عبد البر: الإستيعاب ٤/١٩٥٥. ابن الاثير: اسد الغابة ٥/٦١٥. ابن حجر: الاصابة ٤/٤٩٢. إن مسألة وجود بنت للإمام علي عليه السلام باسم أم كلثوم لم يثبت تاريخياً، وإنما هي كنية لابنته الوحيدة من السيدة فاطمة وهي زينب الكبرى (عليها السلام).

(٢) وكان للزبير خطط بالاسكندرية والكوفة والبصرة وغلوات بالمدينة. ابن سعد: الطبقات ٣/١١٠. وانظر نجهان ياسين: تطور الاوضاع الاقتصادية ص ٢٥٢-٢٥٨.

(٣) الشرح ١٥/١٤٦.

(٤) الشرح ١٥/١٤٧.

(٥) لما توفي النبي ﷺ كانت تركته (١) سبعة حوائط لمخيريقي اليهودي أوصى بها للنبي قبل استشهاده في أحد (٢) ما وهبه الأنصار للنبي من أراضيهم التي لا يبلغها الماء (٣) أرض بني النضير التي افاء الله بها على النبي ﷺ (٤) ثلاثة حصون في خيبر (٥) فدك (٦) ثلث وادي القرى (٧) سوق بالمدينة يسمى سوق مهزور. ولزبير من التفاصيل أنظر: مرتضى العسكري: معالم المدرستين ١٦٨-١٧٧.

وهذا كفر وإلحاد؛ ثم إذا كان الرسول ﷺ ترك تلك الضياع صدقة، فذلك لم يروه إلا شخص واحد من المسلمين، أما ترك الإمام علي عليه السلام ضياعه صدقه فقد رواه جميع المسلمين بالمدينة. فالتهمة في هذا الباب أبعد على حد تعبير ابن أبي الحديد^(٦).

وفيا يخص - سجاجة الاخلاق، وبشر الوجه، وطلاقة المحيا والتبسم - فهو المضروب به المثل. قال صعصعة بن صوحان واصفاً الامام:

«كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياق الواقف على رأسه». وقال معاوية لقيس بن سعد^(٧): «رحم الله أبا حسن، فلقد كان هشاً بشاً ذا فكاهاة فعلم قيس مراد معاوية فقال: نعم، كان رسول الله ﷺ يمزح ويتبسم إلى أصحابه: وأراك تسر حسواً في ارتغاء^(٨)، وتعيبه بذلك! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهاة والطلاقة، أهيب من ذي لبتين قد مسه الطوى؛ تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طغام أهل الشام.^(٩)»

هذا الخلق بقي متوارثاً في محبي الإمام وأوليائه، في الوقت الذي بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، حتى أن من له أدنى معرفة بأخلاق

(٦) الشرح ١٥/١٤٧.

(٧) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي من أصحاب الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام وأحد دهاة العرب. ابن عبد البر: الإستيعاب ٣/١٢٨٩-١٢٩٣. ابن حجر: الإصابة ٣/٢٤٩.

(٨) مثل يضرب لمن يقول شيئاً ويريد غيره. أنظر الميداني: مجمع الامثال ١/٨٩. ابن منظور: لسان العرب ١٩/٤٦، مادة (رغا). النويري: نهاية الارب ٣/٦٠.

(٩) الشرح ١/٢٥.

الناس يعرف ذلك^(١).

وعدّ ابن أبي الحديد موافقة الإمام عليه السلام على مشاركة-أوس بن خويّ- وهو من الأنصار في تجهيز الرسول ﷺ ودفنه دليلاً على كرم الإمام عليه السلام، وسجاجة أخلاقه، وطهارة شيمته، حيث لم يضمن بهذا المقام الشريف عن أوس بن خويّ الانصاري! فكم بين هذه السجية الشريفة وبين قول القائل: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل الرسول ﷺ إلا نساؤه، ولو كان في ذلك المقام غير الإمام من ذوي الطباع الخشنة وأرباب الفظاظة والغلظة، ولو سأل أوس عن ذلك - لزجر وانتهر ورجع خائباً^(٢).

إن - الدعابة - من مميزات كثير من الحكماء والعلماء، وهي دعابة مقتصدة لا مسرفة لأن الإسراف يخرج صاحبه إلى الخلاعة^(٣)، ولكن هذه الفضيلة التي امتاز بها الإمام علي عليه السلام اعتبرت من قبل البعض منقصة، حيث جعلها عمر بن الخطاب السبب الذي يمنعه من أن يعهد بالخلافة للإمام قائلاً له: لله أنت، لولا دعابة فيك^(٤).

وقد وظف- عمرو بن العاص- رؤية عمر بن الخطاب هذه في صراعه مع الإمام علي عليه السلام حيث قال لأهل الشام: إن الإمام عليه السلام ذو دعابة شديدة يعافس

(١) الشرح ٢٦/١.

(٢) الشرح ٤٠-٤١/١٣. يقصد بالقائل لو استقبلت من امري... السيدة عائشة، اما صاحب الطباع الخشنة فيقصد الخليفة عمر بن الخطاب.

(٣) الشرح ١٦/١٩. وقد كتب روكس العزيري مقالاً رائعاً اوضح فيه ان الدعابة من الصفات الطيبة المطلوبة في رجال المجتمع. أنظر الإمام علي اسد الإسلام وقديسه ص ١٧٨-١٨٢.

(٤) الشرح ١/٢٥، ١٨٦، ٦/٣٢٦.

ويمارس النساء، مما دعا الإمام علياً عليه السلام للرد عليه قائلاً: عجباً لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أن فيّ دعا به، وأني امرؤ تلعبه أعافس وأمارس! لقد قال باطلاً ونطق آثماً^(١).

لقد أوضح ابن أبي الحديد السبب الذي دفع عمر بن الخطاب لاعتبار دعاية الإمام منقصة قائلاً: «وأعلم أن الرجل ذا الخلق المخصوص، لا يرى الفضيلة إلا في ذلك الخلق، ألا ترى أن الرجل يبخل فيعتقد أن الفضيلة في الإمساك والبخيل يعيب أهل السماح والجود، وينسبهم إلى التبذير، وإضاعة الحزم، وكذلك الرجل الجواد يعيب البخلاء وينسبهم إلى ضيق النفس وسوء الظن وحب المال، والجبان يعتقد أن الفضيلة في الجبن، ويعيب الشجاعة، ويعتقد كونها خرقاً وتغريراً بالنفس: كما قال المتنبي^(٢):

يرى الجبناء أنَّ الجبنَ حزمٌ

والشجاع يعيب الجبان، وينسبه إلى الضعف ويعتقد أن الجبن ذل ومهانة! وهكذا القول في جميع الاخلاق والسجايا المقتسمة بين نوع الانسان^(٣).

وأضاف قائلاً «ولما كان عمر شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس، دائم العبوس، كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة، وأن خلافه نقص، ولو كان سهلاً طلقاً مطبوعاً على البشاشة، وسماحة الخلق، لكان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص، حتى لو قدرنا أن خلقه حاصل لعلي عليه السلام وخلق علي

(١) الشرح ١/٢٥، ٦/٢٨٠. وانظر: الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ١١٥. ابن الاثير: النهاية ١/١٩٤.

(٢) ديوان المتنبي ص ٣٢٤. وعجزه: وتلك خديعة الطبع اللئيم.

(٣) الشرح ٦/٣٢٧.

٢٩٠الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

حاصل له، لقال في علي عليه السلام: لولا شراسة فيه، فهو غير ملوم عندي فيما قاله، ولا منسوب إلى أنه أراد الغض من علي، والقدح فيه، ولكنه أخبر عن خلقه، ظاناً إن الخلافة لا تصلح إلا لشديد الشكيمة، العظيم الوعورة، ولما مقتضى ما كان يظنه من هذا المعنى تم خلافة أبي بكر بمشاركته إياه في جميع تدابيراه وسياسته وسائر احواله^(١) لرفق وسهولة كانت في أخلاق أبي بكر، وبمقتضى هذا الخلق المتمكن عنده، كان يشير على رسول الله ﷺ في مقامات كثيرة، وخطوب متعددة، بقتل قوم كان يرى قتلهم، وكان النبي ﷺ يرى استبقائهم واستصلاحهم، فلم يقبل عليه مشورته على هذا الخلق^(٢).

كان الخليفة عمر صعباً، عظيم الهيبة، شديد السياسة، لا يميل إلى أحد ولا يراقب شريفاً أو مشروفاً، ولذا فأكابر الصحابة كانوا يتفادون لقاءه^(٣). وكان في أخلاقه وألفاظه خشونة ظاهرة، يحسبه السامع لها أنه أراد بها ما لم يكن قد إراد، ويفهم من تحكى له أنه قصد به ظاهراً ما لم يقصده كالكلمة التي قالها في مرض الرسول ﷺ^(٤)، ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها ولكنه أرسلها على مقتضى خشونة غريزته، ولم يتحفظ منها، وكان الأحسن أن يقول مغموراً أو

(١) ان استقراء الروايات التاريخية توضح ان عمر بن الخطاب كان بمثابة الوزير لأبي بكر، ومن بين ذلك طلب الخليفة من أسامة بن زيد امير الجيش الخارج لحرب الروم البيزنطيين بان يسمح إلى عمر بن الخطاب بالبقاء مع الخليفة. أنظر الشرح ١٧ / ١٧٥ - ٦.

(٢) الشرح ٦ / ٣٢٧ - ٣٢٨.

(٣) الشرح ١ / ١٧٣ - ١٨٣.

(٤) البخاري: الصحيح ١ / ٦٥ - ٦٦.

مغلوباً بالمرض، وحاشاه أن يعني بها غير ذلك^(١).

وفي تعقيبه على وصف عمر لبيعة أبي بكر بأنها فلتة وقى الله شرها^(٢)، قال ابن أبي الحديد: «إعلم أن هذه اللفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ما جبله الله تعالى عليه من غلظ الطينة، وجفاء الطبيعة، ولا حيلة له فيها، لأنه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها، ولا ريب عندنا إنه كان يتعاطى أن يتلطف، وأن يخرج ألفاظه مخارج حسنة لطيفة، فينزع به الطبع الجاسي، والغزيرة الغليظة، إلى أمثال هذه اللفظات، ولا يقصد بها سوءاً، ولا يريد بها ذماً، ولا تحطئة، كما قدمنا من قبل في اللفظة التي قالها في مرض الرسول صلى الله عليه وآله وكاللفظات التي قالها عام الحديبية^(٣) وغير

(١) الشرح ١/ ١٨٣. كم يناقض ابن أبي الحديد نفسه فهو في تحليله لموقف عمر من وفاة النبي صلى الله عليه وآله ينفي أن عمراً تصور أن النبي صلى الله عليه وآله لم يمت كما كان يدعى، وإنما كان لديه مقاصد من إعلانه هذا. راجع التفاصيل في الفصل الرابع.

(٢) الشرح ٢/ ٢٦-٢٧، ١٣/ ٢٢٤. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٨٦. القاضي عبد الجبار: المغني ٢٠/ ١/ ٣٣٩. وقد نسب الجوهرى هذا القول للخليفة أبي بكر نفسه. الشرح ٦/ ٤٧.

(٣) قال ابن هشام: «فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر قال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدين في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم غرز، فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أأنت برسول الله؟ قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدين في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف امره، ولن يضيعني! قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ! مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً». السيرة النبوية ٣/ ٣١٧. وانظر: صحيح مسلم ١٢/ ١٤١. الملطي: التنبيه ص ٨. ابن الجوزي: مناقب عمر بن الخطاب ص ٤٤-٤٥.

٢٩٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ذلك، والله تعالى لا يجازي المكلف إلا بما نواه، ولقد كانت نيته من أطهر النيات، وأخلصها لله سبحانه وللمسلمين، ومن أنصف علم أن هذا الكلام حق»^(١).

لما وقع بعض المشركين أسرى يوم بدر، أشارت الروايات أن الرسول ﷺ استشار المسلمين في امرهم، فكان رأي أبي بكر الفداء، فيما أشار عمر بن الخطاب بالقتل^(٢)، قال ابن أبي الحديد: فكان الصواب مع عمر ونزل القرآن بموافقته^(٣).

أما في الحديبية فقد أشار عمر بالحرب وكره الصلح، فنزل القرآن بصد ذلك^(٤)، إذ ليس كل وقت يصلح لتجريد السيف، والسياسة لا تجري على

(١) الشرح ٢/٢٧. ولكن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

ونلاحظ من عمر كثرة المعارضة للنبي ﷺ، فلم هذا الشك في ما يأتي به النبي ﷺ؟!.

(٢) الشرح ١٤/١٧٣-١٧٥. وانظر الواقدي: المغازي ١/١٠٧. الحاكم: المستدرک ٣/٢٤.

الطوسي: الامالي ط النجف ١/٢٧٣-٢٧٤.

(٣) يقصد قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ
الْآخِرَةَ﴾ سورة الأنفال، الآيتان: ٦٧-٦٨.

وانظر الطبري: جامع البيان ١٠/٤٣-٤٤. الزمخشري: الكشاف ٢/٢٣٦. ابن حزم: الفصل

١٢/٤.

(٤) يقصد قوله تعالى:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ سورة الفتح، آية: ١.

انظر مسلم: الصحيح ١٢/١٤٣. الطبري: جامع البيان ٢٦/٧٠.

منهاج واحد ولا تلزم نظاماً واحداً^(١).

وعلق ابن أبي الحديد على موقف عمر يوم الحديبية بأنه صحيح ولكنه غير مستهجن ولا مستقبح، لأنه سأل من باب الاسترشاد، والتماس الطمأنينة كما يفعل الصحابة مع الرسول ﷺ، حيث لما عزم الرسول ﷺ يوم الخندق على مصالحة اليهود ببعض تمر المدينة، قال له سعد بن عباد، وسعد بن معاذ الانصاريان: أهذا من الله أم رأي رايته من نفسك؟ قال ﷺ: بل من نفسي قال: لا والله لا نعطيهم منها تمرة واحدة وأيدينا في مقابض سيوفنا^(٢).

وفي يوم بدر قال الأنصار للرسول ﷺ وقد نزل نزلاً لم يستصلحوه: أنزلت هذا المنزل من رأي رأيت أم بوحى أوحى إليك؟ قال: بل من رأي رأيت، فقالوا انه ليس لنا بمنزل، ارحل عنه فانزل بموضع كذا^(٣).

ثم اوضح ابن أبي الحديد ان مراد أبي بكر عليه السلام في قوله لعمر عليه السلام «الزم غرزه، فوالله إنه لرسول الله ﷺ إنما هو تأكيد وتثبيت على عقيدته التي في قلبه، ولا يدل ذلك على الشك، فقد قال تعالى:

﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾^(٤).

فما من أحد يستغني عن زيادة اليقين والطمأنينة، وقد ظهر من عمر بن الخطاب أحوال أقل من ذلك تسرع فيها: كقوله للرسول ﷺ في أبي سفيان

(١) الشرح ٦/٣٢٨. إن ما يذكره ابن أبي الحديد من موافقة القرآن لعمر هي من الموضوعات في فضائل عمر التي لم تلق قبولاً لدى عدد من المفسرين.

(٢) الشرح ١٠/١٨٠. ابن هشام: السيرة ٣/٢٣٤.

(٣) الشرح ١٠/١٨١. أنظر الواقدي: المغازي ١/٥٣. ابن هشام: السيرة ٢/٢٧٢.

(٤) سورة الاسراء، آية: ٧٤.

«دعني أضرب عنق أبي سفيان»^(١)، وقوله: «دعني أضرب عنق عبد الله بن أبي»^(٢)، وقوله: (دعني أضرب عنق حاطب بن أبي بلتعة)^(٣)، وقد نهى النبي ﷺ وجذب ثوبه لما قام على جنازة ابن سلول يصلي قائلاً له: كيف تستغفر لرأس المنافقين^(٤). وليس في ذلك جميعه ما يدل على وقوع القبيح منه، وإنما كان عمر مطبوعاً على الشدة والشراسة والخشونة، وكان يقول ما يقول على مقتضى السجية التي طبع عليها^(٥).

وبعد أن أوضح ابن أبي الحديد سجية الخليفة عمر علق قائلاً: «وأعلم أنا لا نريد بهذا القول ذمّه وكيف نذمه، وهو أولى الناس بالمدح ليمن نقيته وبركة خلافته، وكثرة الفتوح في أيامه، وانتظام أمور الإسلام على يده! ولكننا أردنا أن نشرح حال العنف والرفق، وحال سعة الخلق وضيقه، وحال البشاشة والعبوس، وحال الطلاقة والوعورة، فنذكر كل واحد منهما ذكراً كلياً، لا نخص به انساناً بعينه. فأما عمر فإنه وإن كان وعراً شديداً خشناً، فقد رزق من التوفيق، والعناية الإلهية ونجح المساعي، وطاعة الرعية ونفوذ الحكم، وقوة الدين، وحسن النية وهمة الرأي، ما يربى محاسنه ومحامده على ما في ذلك من

(١) حينما خرج أبو سفيان قبيل فتح مكة. ابن هشام: السيرة ٤/٤٥. الطبري: تاريخ ٣/٥٣.

(٢) في غزوة بني المصطلق. ابن هشام: السيرة ٣/٣٠٣.

(٣) قبيل فتح مكة: ابن هشام ٤/٤١. البخاري: الصحيح ٦/١٢٩-٣١. الحاكم: المستدرک

٣/٣٤١. المفيد: الإرشاد ص ٢٥.

(٤) ابن هشام: السيرة ٤/١٩٦-١٩٧.

(٥) الشرح ١٠/١٨١.

نقص، وليس الكامل المطلق، إلا الله تعالى وحده»^(١).

ولذلك يخلص ابن أبي الحديد في تحليله لمقولة عمر في الإمام علي عليه السلام للقول «وجملة الأمر أنه لم يقصد عيب علي عليه السلام ولا كان عنده معيباً، ولا منقوصاً، ألا ترى أنه قال في آخر الخبر: «إن احراهم إن وليها أن يحملهم على كتاب الله وسنة رسوله لصاحبك». ثم أكد ذلك بأن قال: «إن وليهم ليحملهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم». فلو كان أطلق تلك اللفظة، وعنى بها ما حملها عليه الخصوم لم يقل في خاتمة كلامه ما قاله»^(٢).

إن ملاحظة أحوال الإمام علي عليه السلام تنفي اتهام عمرو بن العاص إياه بالدعابة سواء في عصر الرسول ﷺ أو عصور الخلفاء من بعده، حيث لا نجد حديثاً يمكن أن يتعلق به الخصوم في دعابته ومزاحه « فكيف يظن بعمر أنه نسبه إلى أمر لم ينقله عنه ناقل، ولا ندد به صديق ولا عدو، وإنما إراد سهولة خلقه لا غير، وظن أن ذلك مما يفضي به إلى ضعف أن ولي أمر الأمة، لاعتقاده أن قوام هذا الأمر إنما هو بالوعورة، بناء على ما قد ألفته نفسه، وطبعت عليه سجيته ... ومن تأمل كتب السير عرف صدق هذا القول وعرف ان عمر بن العاص أخذ كلمة عمر، إذ لم يقصد بها العيب فجعلها عيباً، وزاد عليها أنه كثير اللعب، يعافس النساء، ويهارسهن، وأنه صاحب هزل»^(٣).

ثم أقسم ابن أبي الحديد: ولعمر الله! لقد كان علي أبعد الناس من ذلك،

(١) الشرح ٦/٣٤٣-٣٤٤.

(٢) الشرح ١/١٨٦، ٦/٣٢٨.

(٣) الشرح ٦/٣٢٨-٣٢٩.

وأى وقت يتسع له حتى يكون على هذه المواصفات؟ حيث ان أزماته كلها في العبادة والصلاة والذكر والفتاوى والعلم، واختلاف الناس إليه في الاحكام وتفسير القرآن، أما نهاره فكان كله أو معظمه مشغولاً بالصوم، وليله كله أو معظمه بالصلاة، في أيام السلم، أما في أيام الحرب فالسيف الشهير، والسنان الطيرير وركوب الخيل، وقيادة الجيش، ومباشرة الحرب. ولقد صدق - عليه السلام - في قوله: «انني ليمنعني من اللعب ذكر الموت»^(١).

ثم أوضح ابن أبي الحديد سبب التهمة بأن الرجل الشريف النبيل الذي لم يتمكن اعداؤه ان يجدوا له عيباً عليه السلام ياخذون بالاحتيال في تحصيل عيب وإن كان ضعيفاً ليجعلوه عذراً لأنفسهم في ذمه، ويتوسلون به إلى أتباعهم في تحسينهم لهم مفارقتة، والانحراف عنه كما كان يفعل المشركون والمنافقون مع الرسول صلى الله عليه وآله، فيبرأه الله من العيوب التي برأه الله منها، فغير منكر أن يعيب علياً عليه السلام عمرو ابن العاص وأمثاله من أعدائه، بما إذا تأمله المتأمل، علم أنهم باعتمادهم عليه وتعلقهم به، قد اجتهدوا في مدحه والثناء عليه، لأنهم لو وجدوا عيباً غير ذلك لذكروه، ولو بالغ أمير المؤمنين عليه السلام وبذل جهده في ان يثني اعدائه وشائته عليه من حيث لا يعلمون، لم يستطع أن يجد إلى ذلك طريقاً لطف من هذه الطريق التي أسلكهم الله تعالى فيها، وهداهم إلى منهاجها، فظنوا أنهم يغضون منه، وإنما أعلوا شأنه، أو يضعون من قدره، وإنما رفعوا منزلته ومكانه»^(٢).

أما في - العبادة - فكان عليه السلام أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً حيث تعلم الناس منه صلاة الليل، وملازمة الأوراد، وقيام النافلة، وبلغ من محافظته على

(١) الشرح ٦/٣٢٩.

(٢) الشرح ٦/٣٢٩-٣٣٠.

الأوراد أن بسط له نطعاً في صفين ليلة الهرير وأخذ يصلي، والسهام تقع بين يديه وتمر على جانبيه فلا يرتاع منها، ولا يقوم حتى يفرغ من ورده، ولكثرة سجوده أصبحت جبهته كثفنة البعير «وإذا تأملت دعواته ومناجاته^(١)، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزته، والاستخذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت. وقد قيل لعلي بن الحسين^(٢) عليه السلام وكان الغاية في العبادة: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: «عبادتي من عبادة جدي كعبادة جدي من عبادة رسول الله ﷺ»^(٣).

والشيء الذي يثير التعجب في مزايا الإمام علي عليه السلام هو- الجمع بين الأضداد - فكان ذلك من عجائبه التي انفرد بها وامن المشاركة فيها، وأصبح من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة، حيث جمع بين الأضداد، وألف بين الأشتات،

(١) راجع أدعية الامام في نهج البلاغة ص ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٦، ١٠٤ وغيرها.

(٢) علي بن الحسين عليه السلام غني عن التعريف- من انجازاته أنه أشار على الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان بضرب عملة عربية إسلامية ثم شرح له كيفية ذلك، وينسب هذا الفعل خطأ إلى الامام محمد الباقر عليه السلام. أنظر البيهقي: المحاسن والمساوي ص ٤٦٧-٧ ابن كثير: البداية والنهاية ١٠٤/٩. الدميري: حياة الحيوان الكبرى ١/٦٢-٦٤. وانظر تحليلاً تفصيلاً في رسالتنا للماجستير: المقرئ ص ١٣٩-١٤٨. وماكتبناه في الحلقة الثانية من فضائل الإمام علي عليه السلام المنسوبة لغيره (ضرب النقود الإسلامية). وعرف عليه السلام بمناجاته حيث وصلت إلينا الصحيفة المعروفة باسمه والمشملة على أدعيته ومناجاته. أنظر الشرح ١٧٨/٦-١٨٧. امالي الطوسي ط النجف ١/١٤-١٨. الصحيفة السجادية ص ١٦ وما بعدها. وعن الصحيفة السجادية أنظر دراسة تحليلية: علي حسين محفوظ: الصحيفة السجادية ص ٢ وما بعدها.

(٣) الشرح ١/٢٧.

وهذا ما كان يثير عجب الشريف الرضي فيتحدث به إلى معاصريه فيثير إعجابهم، وهي موضع العبرة والفكرة فيها^(١)، ومن هذه الصفات المتضادة:

أولاً: يقول الشريف الرضي^(٢): «إن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر؛ إذا تأمله المتأمل، وفكر فيه المفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله، من عظم قدره ونفذ أمره وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في انه كلام من لا حظ له في غير الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت، أو انقطع إلى سفح جبل، لا يسمع إلا حسه، ولا يرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب، مصلاً سيفه، فيقطع الرقاب، ويجدل الابطال، ويعود به ينظف دماً، ويقطر مهجاً، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الأبدال».

إن الذي أشار له الشريف الرضي أمر صحيح لأن الغالب على أهل الشجاعة والإقدام والمغامرة والجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية، وفتك وتمرد وجبرية، والغالب على أهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذها، والاشتغال بمواعظ الناس وتخويفهم المعاد، وتذكيرهم الموت، أن يكونوا ذوي رقة ولين، وضعف قلب، وخور طبع، فهاتان حالتان متضادتان، وقد اجتمعتا له عليه السلام^(٣).

يقول ابن أبي الحديد^(٤): «إني لأطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطباع الأسود والنمور وأمثالها من السباع

(١) الشرح ٤٩/١. الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٣٦.

(٢) الشرح ٤٩/١. نهج البلاغة ص ٣٥-٣٦.

(٣) الشرح ٥٠/١.

(٤) الشرح ١١/١٥٣.

الضارية، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه، إذا أراد الموعدة بكلام يدل على أن طبعه مُشاكل لطباع الرهبان لابسِي المسوح الذين لم يأكلوا لحمًا، ولم يريقوا دمًا! فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس الشيباني، وعتبة بن الحارث اليربوعي^(١)، وعامر بن الطفيل العامري^(٢)، وتارة يكون في صورة سقراط الحبر اليوناني^(٣)،

(١) عتبة بن الحارث بن شهاب التميمي، فارس تميم قبل الإسلام، وكان يلقب «سم الفرسان» و«صياد الفوارس»، ويضرب به المثل في الفروسية. الشرح ٣/ ٢٧٩. أنظر أبو هلال: جمهرة الامثال: ٢/ ١١١. ابن حزم: جمهرة النسب ٢٢٤. المرصفي: رغبة الامل ٢/ ١٥٥-١٥٦.

(٢) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر من بني عامر بن صعصعة، ولد في حدود ٧٠ ق. هـ وهو فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم قبل الإسلام. وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم الا بشروط رفضها النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ١١ هـ. أنظر الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٥٤. ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص ١١٨. ابن حبيب: المحبر ص ١١٨، ١٣٥، ٣٠٣، ٤٧٢، ٤٧٣. ابن حجر: الاصابة ٢/ ٢٥١. البغدادي: خزنة الأدب ١/ ٣٣٨، ٤٧٣، ٤٩٢/٣. المرصفي: رغبة الامل ٢/ ١٧٦، ١٦٥/٨، ٢٤٣. الآلوسي: بلوغ الارب ٢/ ١٢٩، ١٢٨/٣. وعامر هو القائل:

إني وإن كنت ابن سيد عامرٍ وفارسها المندوبِ في كلِّ موكبِ
فما سؤدتني عامرٌ عن قرابةٍ أباي الله أن أسمو بأمٍ ولا أبِ

ديوان عامر بن الطفيل ص ١٣. السيوطي: شرح شواهد المغني: ٢/ ٩٥٣-٩٥٤.

(٣) فيلسوف يوناني من أثينا (٤٦٩-٣٩٩ ق.م) لم يترك أثرا مكتوبًا، ولكن قام تلاميذه بتسجيل آراؤه، وكان ينزل إلى العامة ويتحدث عن الفضيلة والعدل والتقوى، فاتهم بإفساد عقول الشباب فحكّم عليه بالإعدام. الشهرستاني: الملل والنحل ٣/ ١٨٥-١٩٠. القفطي: تاريخ الحكماء ١٩٧-٢٠٧. الموسوعة الميسرة ١/ ٩٨٥-٩٨٦.

ويوحنا المعمدان الاسرائيلي^(١)، والمسيح^(٢) ابن مريم الإلهي.

ولقد اوضح ابن أبي الحديد^(٣) ذلك في شعره إذ يقول:

الضَّارِبُ الهَامِ المَقْنَعِ فِي الوغَى بالخوفِ للبهَمِ الكُفَاةِ يُقْنَعُ
والسْمَهْرِيَّةُ تَسْتَقِيمُ وَتَنْحِنِي فكأنها بين الاضالعِ أضلعُ
والمترَعُ الحوضِ المددعِ حيثُ لا وادٍ يفيضُ ولا قليبٌ يُترَعُ
ومبَدَّدُ الأبطالِ حيثُ تآلبوا ومفرقِ الأحزابِ حيثُ تجمعُ
والحبرُ يصدحُ بالمواعظِ خاشعاً حتى تكادُ لها القلوبُ تصدَعُ
حتَّى إذا استعرِ الوغى متلضياً شربَ الدماءِ بغلةٍ لا تنقَعُ
متجلبياً ثوباً من الدَّمِ قانياً يعلوه من نقعِ الملاحمِ برقعُ
زُهدُ المسيحِ وفَتكَةُ الدَّهْرِ الذي أودى به كسرى وفوزٌ يُبَعُ

ثانياً: إن الغالب على ذوي الشجاعة وإراقة الدماء أن يكونوا ذوي أخلاق سبعية، وطباع حوشية، وغرائز وحشية، اما أهل الزهادة فيغلب عليهم أن يكونوا ذوي انقباض في الأخلاق، وعبوس في الوجوه، ونفار من الناس

(١) هو النبي يحيى عليه السلام - الذي بشر بالسيد المسيح عليه السلام - لذا أصبحت له مكانة لدى المسيحيين، وكان متقشفاً في البرية يأكل الجراد، وأنكر زواج هيروس بأخت امرأته (هروديا) فنقمت عليه وحرضته على قتله، فأعدم. أنظر الانجيل: متى ص ١٢-١٣، ٢٥-٢٦. مرقس ص ٦١-٦٢، ٧١-٧٢. لوقا ١٥، ٩٧-١٠٨، ١-١٠٩، ١١٠-١١٤. يوحنا ١٠٥-١٠٦، ١٥٤. محمد

شقيق غربال: الموسوعة المبررة ٢/١٩٨٩.

(٢) المسيح: مأخوذ من المسح وهو إمرار اليد على الشيء السائل أو اللطخ لإذهابه. والمسيح هو المبارك. الفيروزي آبادي: القاموس ١/٢٤٩.

(٣) القصائد السبع العلويات: ص ٤٢.

واستيحاش، لأن هدفهم رفض الدنيا والتذكير بالآخرة^(١).

ولكن الإمام علياً عليه السلام الذي كان أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم، وهو أيضاً أزهّد الناس، وأبعدهم عن ملاذ الدنيا، وأكثرهم وعظماً وتذكيراً بأيام الله ومثلاته، ثم هو من أشد الناس في العبادة اجتهاداً، وآداباً في المعاملة لنفسه، مع كل ذلك فهو ألطف العالم أخلاقاً، وأسفرهم وجهاً، وأكثرهم بشراً، وأوفاهم هشاشة، وأبعدهم عن انقباض موحش، أو خلق نافر، أو تجهّم مباعداً، أو غلظة، وفضاظة تنفر معها نفس، أو يتكدر معها قلب، حتى عيب بالدعابة، بعد ان لم يجدوا فيه مغمزاً ولا مطعناً، واعتمدوا في التنفير عنه عليها^(٢).

وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها^(٣)

ثالثاً: إن المعروف على من يكون من أهل بيت السيادة والرياسة أن يكون ذا كبر وتيه وتعظّم وتغطرس، خاصة إذا أضيف إلى شرفه من جهة النسب شرف من جهات أخرى.

هذا الحال لا نجده عند أمير المؤمنين عليه السلام فمع أنه في مُصاص الشرف ومعدنه، لا يشك عدو ولا صديق أنه أشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمه صلوات الله عليهما، مضافاً إلى الشرف الذي حصل عليه من جهات شتى، فكان من أشد الناس تواضعاً لصغير أو كبير وألينهم عريكة وأسمحهم خلقاً، وأبعدهم عن الكبر، وأعرفهم بالحق، وحاله هذا واحداً سواء قبل توليه الخلافة أو بعدها

(١) الشرح ١/ ٥٠.

(٢) الشرح ١/ ٥١.

(٣) هو عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي، وصدرة: وعيرها الواشون أي أجبتها

ديوان الهذليين ١/ ٢١. ابن منظور: لسان العرب ١٩/ ١٧١.

٣٠٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وذلك لأنه لم يزل اميراً فلم يستفد بالخلافة شرفاً، ولا اكتسب بها زينة، بل هو الذي زانها^(١). وكانت في نقص فأتمت نقصها بتوليه إياها.^(٢)

رابعاً: ان الصفة التي تغلب على ذوي الشجاعة، وقتل الأنفس، وإراقة الدماء، أن يكونوا قليلي الصفح، بعيدي العفو، لأن أكبادهم واغرة، وقلوبهم ملتتهبة، والقوة العصبية عندهم شديدة، وهذا لا يتفق مع ما يتميز به امير المؤمنين -عليه السلام-، فمع شجاعته نجده في الحلم والصفح بمكان، ونجد لديه القدرة على مغالبة هوى النفس، كما لوحظ تماماً في أيام خلافته الذي أحسن مهيار الديلمي وصف حاله فيها^(٣):^(٤)

حتى إذا دارت رحى بغيهم	عليهم وسبق السيف العَدَلُ
عاذوا بعفو ماجد معودٍ	للصبرِ حمالٍ لهم على العَلَلُ
فنجَّت البقيا عليهم من نجا	وأكَل الحديدُ منهم من كَلُ
أطَّت بهم أرحامهم فلم يُطع	ثائرة الغيظِ ولم يشفِ الغلُّ

خامساً: قد لا تتفق الشجاعة مع الجود، حيث كان الزبير شجاعاً، ولكنه عرف بالشح، حتى عدّ ذلك عمر بن الخطاب من الصفات التي لا تؤهله

(١) قال أبو عبد الله احمد بن حنبل؛ ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه المعروف بالمنتظم، تذاكروا يوماً عند احمد خلافة أبي بكر وعلي وقالوا فأكثرُوا، فرفع رأسه إليهم، قال: قد أكثرتم! «إن علياً لم تزنه الخلافة! ولكنه زانها». الشرح ٥٢/١.

(٢) الشرح ٥١/١-٥٢.

(٣) الشرح ٥٢/١.

(٤) من قصيدة في (١١١) بيتاً، يذكر فيها مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وهذه الأبيات موجودة في الديوان المطبوع ما عدا البيت الأخير، أنظر ديوان مهيار ٣/١٠٩-١١٦.

الفصل الثالث: خصائص الإمام علي عليه السلام..... ٣٠٣

للخلافة قائلاً^(١): لو وليتها لظلت تلاطم الناس في البطحاء على الصاع^(٢) والمد^(٣). ولما أراد الإمام علي عليه السلام أن يحجز على أموال عبد الله بن جعفر لتبذيره إياها، شارك الزبير في أمواله وتجاراته، فقال الإمام علي عليه السلام أما إنه قد لاذ بملاذ، ولم يحجز عليه. كذلك كان طلحة بن عبيد الله شجاعاً، ولكنه شحيحٌ أمسك عن الانفاق حتى خلف من الأموال ما لا يأتي عليه الحصر^(٤). وكان عبد الله ابن الزبير شجاعاً، لكنه كان أبخل الناس^(٥)، كذلك عبد الملك بن مروان الذي ضرب به المثل في الشح، وسمي -رشح الحجر- لبخله^(٦).
وكان امير المؤمنين عليه السلام في الشجاعة بحال معروفة في الشجاعة والسخاء وهذه من أعاجيبه عليه السلام^(٧).

(١) الشرح ١/ ١٨٥.

(٢) الصاع: اربعة امداد عند أهل المدينة، وثمانية عند أهل الكوفة. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١١.

(٣) المد: مكيال وهو رطل وثلث في الحجاز، ورطلان عند أهل العراق. الرازي: مختار الصحاح ص ٦١٨. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١١.

(٤) ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٢١-٢.

(٥) الشرح ٢/ ١٠٣. أنظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٩٠٦.

(٦) أنظر الزمخشري: ربيع الابرار ٢/ ٣٦٥.

(٧) الشرح ١/ ٥٢-٥٣.

الفصل الرابع

الإمام علي

عليه السلام

ونظام الحكم

الفصل الرابع

الإمام علي عليه السلام ونظام الحكم

المبحث الأول

الإمام علي عليه السلام قبل الخلافة

ضمّت بعض خطب الإمام علي عليه السلام، ورسائله، وقصار كلماته الشريفة، إشارات إلى الإمامة^(١)، فوظفها ابن أبي الحديد لكي يقدم رؤية الإمام عليه السلام من خلالها للإمامة، وقد تباينت طريقة ابن أبي الحديد في شرحه لتلك الإشارات، فتارة يأخذ كلام الإمام علي عليه السلام على ظاهره، وتارة يستخدم التأويل^(٢)، ويصرف كلامه عليه السلام عن ظاهره إلى معنى آخر ليلائم وجهة نظر المعتزلة.

(١) الإمامة لغة مأخوذة من أمّ القوم: تقدمهم. والإمام كل من اتتم به قوم سواء كانوا على الصراط المستقيم أم ضالين. قال تعالى:

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ سورة الإسراء: ٧١.

وإمام كل شيء قيّمه والمصلح له، فالقرآن إمام المسلمين، والرسول صلى الله عليه وآله إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، ابن منظور: لسان العرب ١٤/٢٨٩-٢٩٠.

(٢) التأويل: صرف الكلمة عن معناها الظاهري إلى معنى مجازي، الجرجاني: التعريفات، ص ٢٨.

فبدء يقرر ابن أبي الحديد أن الإمامة من أصول الدين (العقائد)^(١)، ثم هي واجبة انطلاقاً من قوله عليه السلام للخوارج لما قالوا: «لا حكم إلا لله»، فاجاب عليه: «كلمة حق يراد بها باطل: نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة [إلا لله]. وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر»^(٢).

إن القول بوجوب الإمامة أمرٌ أجمع عليه المعتزلة ما عدا أبي بكر الأصم الذي يرى «أنها غير واجبة: إذا تناصفت الأمة، ولم تتظالم». وهذا الرأي عدّه متأخرو المعتزلة قولاً بالوجوب، وذلك لأنه في العادة لا تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم^(٣).

وقد وظّف ابن أبي الحديد كلام الإمام علي عليه السلام - لتقرير صحة رؤية المعتزلة «والظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام يطابق ما يقوله أصحابنا، ألا تراه كيف علل قوله: - لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي! - وهذه كلها من مصالح الدنيا»^(٤).

(١) الشرح ٣٦٧/١٨.

(٢) الشرح ٣٠٧/٢. ليس في النص تلويح بوجوب الإمامة لأن كلامه في الإمارة الدنيوية سواء كان الناس أهل دين أم لا!! التستري: بهج الصباغة ٤١٠/١٠.

(٣) الشرح ٣٠٨/٢.

(٤) الشرح ٣٠٨/٢. أنظر رد حبيب الله الخوئي الهاشمي: منهاج البراعة ٤/١٨٠-١٨٥.

الفصل الرابع: الإمام علي عليه السلام ونظام الحكم ٣٠٩

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام علياً -عليه السلام- كان يرى أن الامارة مسألة ضرورية لأي مجتمع، وذلك لأن فيها:

يعمل المؤمن فيصلي ويصوم ويتصدق، وإن كان الأمير فاجراً في نفسه.

يستمتع الكافر بمدته، كما قال تعالى:

﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾^(١).

يبلغ الله فيها الأجل، لأن إمارة الفاجر كإمارة المؤمن، في أن المدة المضروبة فيها تنتهي إلى الأجل المؤقت للإنسان.

يجمع في إمارة الفاجر الفيء، ويقاوم العدو، وتأمين السبل، ويؤخذ للضعيف من القوي، يقول الرسول ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»^(٢).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول: «اتفقت المعتزلة على أن أمراء بني أمية كانوا فجاراً عدا عثمان وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن الوليد، وكان الفيء يجمع بهم، والبلاد تفتح في أيامهم، والثغور الإسلامية محصنة محوطة والسبل آمنة، والضعيف منصور على القوي الظالم، وما ضر فجورهم شيئاً في هذه الأمور»^(٣).

فإذا كانت الإمامة واجبة، فهل ان وجوبها يتعين أن يكون الإمام بالاختيار، أم بالنص؟

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٣٠.

(٢) اخرجه: ابن حنبل: المسند ٢/٣٠٩. البخاري: الصحيح ٤/١٦٦.

(٣) الشرح ٢/٣٠٩.

٣١٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

استنتج ابن أبي الحديد من خلال كلام الإمام علي عليه السلام أن الإمامة بالاختيار^(١) وليس بالنص، وهذا ما يذهب إليه المعتزلة، وقد وظف ابن أبي الحديد نصين من كلام الإمام لإثبات ذلك:

الأول: قوله عليه السلام:

«ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس، ما إلى ذلك سبيل؛ ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار»^(٢).

إذن فهنا الإمام يرى أن الإمامة لا يشترط في صحة انعقادها حضور كل الناس، لأن ذلك يعني عدم انعقاد إمامة مطلقاً لتعذر اجتماع الناس وإنما ينعقد بعقد العلماء وأهل الحل والعقد الحاضرين، وإذا عقدت فلا يجوز الرجوع عنها إلا لسبب يقتضي ذلك، أما الغائب فهو ملزم بعقد الحاضرين ولا يجوز له الاحتجاج، وعلى هذا جرت بيعة أبي بكر وعمر وعثمان، «وهذا الكلام تصريح بصحة مذهب أصحابنا في أن الاختيار طريق إلى الإمامة، ومبطل لما تقوله الإمامية من دعوى النص..».

الثاني: جاء في كتابه عليه السلام إلى معاوية «انه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج عنه،

(١) أنظر رد صاحب بن عباد: نصره مذاهب الزيدية ص ١٨٥-١٨٧.

(٢) الشرح ٣٢٨/٩.

فإن أبا قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى»^(١).

عدّ ابن أبي الحديد هذا النص صريحاً في أن الاختيار طريق إلى الإمامة كما يذكره المعتزلة، لأن الإمام علياً - عليه السلام - احتج على معاوية ببيعة أهل الحل والعقد له، ولم يراع اجتماع المسلمين، كما تمت بيعة أبي بكر فانه ما روعي فيه إجماع المسلمين، لأن سعد بن عباد وأهل بيته لم يبايعوا، والإمام عليه السلام وبنو هاشم ومن انضوى إليهم لم يبايعوا في مبدأ الأمر، ولكن لم يتوقفوا في تصحيح بيعة أبي بكر وتنفيذ أحكامه على بيعة من لم يبايع «وهذا دليل على صحة الاختيار وكونه طريقاً إلى الإمامة، وأنه لا يقدر في إمامته عليه السلام، امتناع معاوية من البيعة وأهل الشام»^(٢).

وردّ ابن أبي الحديد على حمل الإمامية كلام الإمام لمعاوية - أعلاه - على التقية لأن الإمام علياً عليه السلام برأي الإمامية لم يمكنه التصريح بالنص عليه لأن ذلك يؤدي للطعن في من تقدمه، ثم يؤدي لفساد وخروج من بايعه عليه، قال ابن أبي الحديد: «هذا القول من الإمامية دعوى لو عضدها دليل لوجب أن يقال بها، ويصار إليها ولكن لا دليل لهم على ما يذهبون إليه من الأصول التي تسوقهم إلى حمل هذا الكلام على التقية»^(٣).

ويرى المعتزلة أنه لما كان الإمام علي عليه السلام قد حصل على الإمامة بالاختيار، لذا فقد وجبت طاعته فلا يعذر أحد من المكلفين في الجهل بوجوب طاعته، وهذا مصداق قوله عليه السلام «عليكم بطاعة من لا تعذرون في جهالته»^(٤).

(١) الشرح ٣٥ / ١٤. وانظر رد التستري: بهج الصباغة ٣٩٦ / ٩.

(٢) الشرح ٣٦ / ١٤.

(٣) الشرح ٣٦ - ٣٧ / ١٤.

(٤) الشرح ٣٧٣ / ١٨. وانظر رؤية الإمامية عند التستري: بهج الصباغة ٥٦٩ / ٣ - ٥٧٢.

٣١٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ويجدر بنا أن نوضح هنا كيف تم اختيار أبي بكر للخلافة طبقاً لمبدأ الاختيار الذي يراه المعتزلة.

بعد وفاة الرسول ﷺ أنكر عمر بن الخطاب وفاته قائلاً: «ما مات رسول الله ﷺ، ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله، وليرجعن، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته، لا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله إلا ضربته بسيفي. فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله ﷺ، وقال: بأبي وأمي: طبت حياً وميتاً، والله لا يذيقك الله الموتين أبداً، ثم خرج والناس حول عمر، وهو يقول لهم: إنه لم يموت، ويحلف، فقال له: أيها الخالف، على رسلك: ثم قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١).

وقال:

﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٢).

قال عمر فوالله ما ملكت نفسي حيث سمعتها أن سقطت إلى الارض، وعلمت ان رسول الله صلى الله عليه قد مات»^(٣).

وقبل أن يطرح ابن أبي الحديد رؤيته لهذا الموقف من عمر بن الخطاب،

(١) سورة الزمر، الآية: (٣٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٤٤).

(٣) الشرح ١/١٧٨-٢، ٩/٤٠-١، ١٢/١٩٥. وانظر: ابن هشام: السيرة ٤/٣٠٥-٦. ابن

سعد: الطبقات ٢/٢٦٦-٩. اليعقوبي: تاريخ ٢/١٠٤. ابن الجوزي: مناقب عمر ص ٤٩-٥٠.

طرح لنا رؤيتين:

الرؤية الاولى: رؤية اعتزالية قال بها القاضي عبد الجبار المعتزلي أحد كبار رجال الاعتزال، حيث يرى القاضي أن عمرا لم يمنع من جواز موت الرسول ﷺ، وإنما تأول قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (١).

ولذلك فقد استغرب عمر كيف يموت الرسول ﷺ ولم يظهر على الدين كله، فهنا قال له أبو بكر إذا ظهر دينه فقد ظهر هو، وسيظهر دينه بعد وفاته (٢).

الرؤية الثانية: رؤية إمامية قال بها الشريف المرتضى (٣) الذي تساءل عن إنكار عمر لموت الرسول ﷺ هل إنكاره كليا أو في ذلك الوقت فقط؟ ثم كيف دخلت هذه الشبهة على عمر دون المسلمين؟ وكيف لم يوقن بوفاته ﷺ لما رأى ما على المسلمين من اعتقاد موته؟ ثم كان يجب عليه أن يقول للمسلمين في مرض الرسول ﷺ وقد رأى جزعهم عليه ﷺ: ما هذا الجزع والهلع، وقد آمنكم الله من موته؟ إلى غيرها من التساؤلات؟؟ (٤).

(١) سورة التوبة، الآية: (٣٣).

(٢) الشرح ٤١/٢، ١٢/١٩٥-٦. وانظر القاضي: المغني ١٠-٩/٢٠.

(٣) هو من كبار علماء الإمامية في القرن الخامس الهجري، ومن له باع كبير في الأدب والكلام، ومن أشهر مؤلفاته: الأمالي، الشافي في الإمامة، أنظر: الثعالبي: تمة اليتيمة ص ٦٩-٧٢. الجشمي:

الطبقتان ص ٣٨٣. ابن الجوزي: المنتظم ٨/١٢٠-١٢٦. اليافعي: مرآة الجنان ٣/٥٥-٧.

السيوطي: بغية الوعاة ص ٣٣٥-٦. محي الدين: ادب المرتضى ص ٣ وما بعدها.

(٤) الشرح ٤١/٢، ٢-٤١/١٢، ٨-١٩٧.

٣١٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وقدّم ابن أبي الحديد إجابتين: الأولى: تتصف بالرد على ما جاء لدى الشريف المرتضى من شبهات يرى ابن أبي الحديد أنه يمكن تبريرها، مع أنه لا يرى وقوعها. الثانية: تحليله لموقف عمر حسبما يراه.

الإجابة الأولى: إن عمر أنكر أن يموت الرسول ﷺ إلى يوم القيامة، واعتقد فيه كما يعتقد كثير من الناس في الخضر عليه السلام فلما حابه أبو بكر بقوله تعالى:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

وبقوله:

﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾.

رجع عن ذلك الاعتقاد، فعمر ما كان يعتقد استحالة الموت عليه كاستحالة الموت على الباري تعالى أي الاستحالة الذاتية. بل اعتقد استمرار حياته إلى يوم القيامة، مع كون الموت جائزاً في العقل، وهذا لا تناقض فيه، فإبليس يبقى حياً إلى يوم القيامة مع كون موته جائزاً في العقل. ولكن عمر وقف مع شبهة أخرى، اقتضت عنده أن موته ﷺ يتأخر، وإن لم يكن إلى يوم القيامة، حيث تأول قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.

فجعل الضمير عائداً على الرسول ﷺ وليس على الدين، ولما كان الرسول ﷺ لم يظهر بعد على الأديان، لذا فإن حياته تستمر إلى أن يظهر عليها، فحاجّه أبو بكر مبيناً أن المقصود هو ظهور الدين وليس الرسول ﷺ (١).

أما مسألة ورود الشبهة على عمر دون سائر الخلق، فهكذا تكون الشبه

(١) الشرح ١٢/١٩٨-٩.

والاعتقادات تسبق إلى ذهن واحد دون غيره، وإلا فكيف دخلت الشبهة على مانعي الزكاة، أو أصحاب الجمل وصفين والنهروان وغيرهم (١).

أما بالنسبة إلى عدم إيمان عمر بموته حينما رأى من كآبة الناس وحزنهم فلأن الناس يبنون على ظاهر الأمور، أما هو فقد نظر في أمر باطن دقيق، فاعتقد ان الرسول ﷺ لم يميت، وإنما ألقى شبهته على غيره كما ألقى شبهة عيسى على غيره فصلب، ورفع عيسى إلى السماء (٢).

في حين رد على عدم قول عمر للناس في حال مرض الرسول ﷺ والناس سيكون ويجزعون، أن لا تجزعوا فإن الرسول ﷺ لم يميت الآن!! يرى ابن أبي الحديد أن الشبهة لا يجب أن تخطر بالبال في كل الأوقات، فلعله كان وقتها غافلاً مشغول الذهن بغيرها (٣).

أما الاجابة الثانية: وهي تحليل ابن أبي الحديد لموقف عمر ونقله بالنص: «إن عمر كان أجل قدراً من أن يعتقد ما ظهر منه في هذه الواقعة ؛ ولكنه لما علم أن رسول الله ﷺ قد مات، خاف من وقوع فتنة في الإمامة، وتغلب أقوام عليها، أما من الأنصار أو غيرهم وخاف أيضاً من حدوث ردة، ورجوع عن الإسلام، فإنه كان ضعيفاً لم يتمكن، وخاف من تراتٍ تُشنّ، ودماء تراق، فإن أكثر العرب كان موتوراً في حياة رسول الله ﷺ لقتل من قتل أصحابه منهم، وفي مثل ذلك الحال تنتهز الفرصة، وتهتل الغرة، فاقتضت المصلحة عنده تسكين الناس بأن أظهر ما أظهره من كون رسول الله ﷺ لم يميت، وأوقع تلك الشبهة

(١) الشرح ١٢/١٩٩.

(٢) الشرح ١٢/٢٠٠.

(٣) الشرح ١٢/٢٠١.

٣١٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

في قلوبهم، فكسر بها شره كثير منهم، وظنوها حقاً، فثناهم بذلك عن حادث يحدثونه، تخيلاً منهم أن رسول الله ﷺ ما مات؛ وإنما غاب كما غاب موسى عن قومه، وليعودن فليقطعن أيدي قوم أرجفوا بموته»^(١).

وأضاف ابن أبي الحديد: «ومثل هذا الكلام يقع في الوهم فيصد عن كثير من العزم، ألا ترى أن الملك إذا مات في مدينة وقع فيها أكثر الأمر نهب وفساد وتحريق، وكل من في نفسه حقد على آخر بلغ منه غرضه، أما بقتل أو جرح أو نهب مال، إلى أن تتمهد قاعدة الملك الذي يلي بعده، فإذا كان في المدينة وزير حازم الرأي، كتم موت الملك، وسجن قوماً ممن أرجف نداءً بموته، وأقام فيهم السياسة، وأشاع أن الملك حي، وأن أوامره وكتبه نافذة، ولا يزال يلزم ذلك الناس إلى أن يمهد قاعدة الملك للوالي بعده وكذلك عمر أظهر ما أظهر حراسة للدين والدولة، إلى أن جاء أبو بكر - وكان غائباً بالسنح، وهو منزل بعيد عن المدينة - فلما اجتمع بأبي بكر قوى به جأشه، واشتد به أزره، وعظم طاعة الناس له وميلهم إليه، فسكت حينئذ عن تلك الدعوى التي كان ادّعاها، لأنه قد آمن بحضور أبي بكر من خطب يحدث، أو فساد يتجدد، وكان أبو بكر محبباً إلى الناس، لا سيما المهاجرين»^(٢).

وأردف قائلاً: «ويجوز عند الشيعة وعند أصحابنا أيضاً أن يقول الإنسان كلاماً ظاهر الكذب على جهة المعارض، فلا وصمة على عمر إذا كان حلف أن رسول الله ﷺ لم يموت، ولا وصمة عليه في قوله بعد حضور أبي بكر وتلاوة

(١) الشرح ٤٢/٢-٤٣.

(٢) الشرح ٤٣/٢.

ما تلا: كأي لم أسمعها، أو قد تيقنت الآن وفاته صلى الله عليه، لأنه أراد بهذا القول تشييد القول الأول، وكان هو الصواب، وكان من سيئ الرأي وقبيحه أن يقول: إنما قلته تسكيناً لكم، ولم أقله عن اعتقاد، فالذي بدأ به حسن وصواب، والذي ختم به أحسن وأصوب»^(١).

بعد طرحنا لهذه الرؤى حول موقف عمر نتساءل حول الأدلة التي استند إليها اولئك في رؤاهم سيما إذا علمنا أن مصادرنا التاريخية تخلو من ذلك، ولذا فإن أصحاب الرؤى اکتفوا بطرح رؤاهم دون الإشارة لمصدرها؟. فما الذي جعل القاضي عبد الجبار يفسر موقف عمر استناداً إلى قوله تعالى: ((هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)) ثم أوجد محاوره بين أبي بكر وعمر لم تشر لها المصادر مطلقاً؟

أما ابن أبي الحديد فهو مع عدم اعتقاده بما أورده القاضي، فإنه اندفع لرد تساؤلات الشريف المرتضى، وخلق المواقف التي يعلن بنفسه عن عدم وجودها، ولكنه لم يستبعد ان توجد في فكر عمر.

ثم تأتي إجابته الثانية عن موقف عمر التي توضح كونه كان محتاطاً على الإسلام ويخشى أن يستغل اعداؤه الفرصة، لذلك أعلن ما أعلنه لإلقاء الشبهة في نفوس من في قلبه مرض حتى جاء أبو بكر فعند ذلك علم عمر أن الخطر بعد لا يؤثر. إذن أين كان علي بن أبي طالب الذي هو بنظر المعتزلة أفضل شخص بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ما موقفه من مقولة عمر؟ وما موقف باقي الصحابة؟ أتراهم كانوا مقتنعين بعدم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى جاء أبو بكر؟ وهل كان تفسير أبي بكر لموقف

٣١٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

عمر يتطابق مع تفسير القاضي أم مع تفسير ابن أبي الحديد؟ وما الذي جعل الخليفة أبا بكر يتغيب تلك الساعة الحرجة والرسول ﷺ ينازع سكرات الموت؟

وحسب ما فسره ابن أبي الحديد، فإن حدس عمر قد وقع، حيث اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار سعد بن عبادة، وهنا أسرع اثنان من الأنصار وهما «عويم بن ساعدة»^(١) و «معن بن عدي»^(٢)، فأخبرا عمرًا الذي أخبر بدوره أبا بكر فسارا نحو السقيفة. ويفسر ابن أبي الحديد موقف الانصاريان لأنها «ذوي حب لأبي بكر في حياة الرسول ﷺ»، واتفق مع ذلك بغض وشحناء؛ كانت بينهما وبين سعد بن عبادة»^(٣).

وبعد مداولات بين كبار الأنصار من جهة وبين أبي بكر وعمر وابي عبيدة ابن الجراح من جهة أخرى، وإثر ضعف موقف الأنصار اقترح الحباب بن المنذر^(٤): «منا أمير ومنكم أمير، إنا والله ما ننفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط، ولكننا نخاف أن يليه بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم»^(٥).

(١) أنظر ترجمته: الحاكم: المستدرک ٣/٧٣٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١٢٤٨. ابن حجر: الاصابة ٣/٤٤-٥.

(٢) أنظر ترجمته: الحاكم: المستدرک ٣/٢٥٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٤٤١-٢. ابن حجر: الاصابة ٣/٤٤٩-٥٠.

(٣) الشرح ٦/١٩. وأشار ابن أبي الحديد ان هذا السبب مذكور في كتاب القبائل لأبي عبيدة معمر ابن المثنى، إلا أن ابن أبي الحديد لم يذكر السبب. الشرح ٦/١٩.

(٤) أحد كبار الأنصار. أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٣١٦. ابن حجر: الاصابة ١/٣٠٢-٣. العبادي: ذو الرأي الحباب بن المنذر الخزرجي ص ١٤٩-١٨٣.

(٥) الشرح ٢/٥٣. وقد علق شيخ ابن أبي الحديد وهو أبو جعفر النقيب على كلام الحباب قائلاً: لقد صدقت فراسة الحباب، فإن الذي خافه وقع يوم الحرة، واخذ من الأنصار ثأر المشركين=

وبعد مداولات في الرأي تمت البيعة لأبي بكر باقتراح من عمر وضعف جانب الأنصار^(١)، واختلف في أول من بايع من الأنصار هل هو بشير بن سعد الخزرجي^(٢) أم أسيد بن حضير الأوسي^(٣)؟ وسبب الاختلاف لأن الفريقين تدافعا ذلك تفادياً لسعد بن عباد، وكرهية كل حي أن يكون نقض أمر سعد جاء من جهة صاحبه، فالخزرج أهله وقرابته لا يقرون أن بشير بن سعد هو أول من بايع أبا بكر، وأبطل أمر سعد، ويحيلون ذلك على أسيد بن حضير لأنه من الأوس خصوم الخزرج. أما الأوس فتكره نسبه ذلك إليها حتى لا ترمى بالحسد للخزرج، لأن سعد بن عباد خزرجي فيحيلون انتقاض أمره على قبيلته - الخزرج - ويدعون إن أول من بايع لأبي بكر هو بشير بن سعد، والذي ثبت عند ابن أبي الحديد أن أول من بايع لأبي بكر عمر، ثم بشير بن سعد، ثم أسيد بن حضير، ثم أبو عبيدة ثم سالم^(٤) مولى أبي حذيفة^(٥). إلا أن ابن أبي الحديد لم يشر إلى دليله الذي استند إليه.

=يوم بدر، الشرح ٥٣/٢. أما يوم الحرة، فبعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام في كربلاء، انتفض أهل المدينة المنورة، فأرسل يزيد بن معاوية إليهم مسلم المري فأوقع بهم. أنظر يعقوبي: تاريخ ٢٣٦-٢٣٧. الطبري: تاريخ ٥/٤٨٢-٤٩٥.

(١) أنظر تفاصيل احداث السقيفة: الشرح ٢/٢١-٦٠، ٥/٥٢-٥٢. الزبير بن بكار: الموفقيات ص ٥٧٧-٦٠٢. يعقوبي: التاريخ ٢/١١٢-١١٦. الطبري: تاريخ ٣/٢١٨-٢٢٣.

(٢) أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/١٧٢-٣. ابن حجر: الاصابة ١/١٥٨.

(٣) أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٩٢-٤. ابن حجر: الاصابة ١/٤٩.

(٤) هو الذي قال في حقه عمر لما طعن «لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته، فإن قيل لي، قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبو عبيدة امين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته، فإن قيل لي، قلت: سمعت رسول الله يقول: إن سالم شديد الحب لله تعالى.» أنظر الطبري: تاريخ ٤/٢٢٧.

(٥) الشرح ٦/١٨. وانظر: الزبير بن بكار: الموفقيات ص ٥٧٨.

٣٢٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وتجدر الإشارة إلى أن حجة الأنصار أعلاه قد فنّدها الإمام علي عليه السلام حيث سأل ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير؛ فقال عليه السلام فهلاً احتججتم عليهم بأن رسول الله ﷺ وصّى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال: لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم^(١).

إن ملاحظة موقف الأنصار في السقيفة وما بعدها من مناداتهم: «لا نبايع إلاّ علياً»^(٢) تعطي انطباعاً إلى أن تأخير بيعة الإمام لأبي بكر لها علاقة بموقف الأنصار. هذا الموقف الذي استغل للتشنيع بهم من قبل متأخري الإسلام من قريش، ممّا ولّد رد فعل لدى بعض من كبار الصحابة كالإمام علي عليه السلام، وخالد بن سعيد ابن العاص، ضد كل من اتخذ موقفاً سلبياً من الأنصار^(٣).

وقد بايع الأنصار بعد ذلك كلهم ما خلا سعد بن عباد، الذي رفض بيعة أبي بكر ثم عمر، وترك المدينة إلى الشام، ومات هناك مقتولاً، وقد ألقيت تبعة قتلة على الجن، ولكن ابن أبي الحديد يستهزئ بفكرة قتل الجن لسعد قائلاً: «لا أعتقد أن الجن قتلت سعداً، ولا أن هذا شعر الجن»^(٤)، ولا ارتاب أن البشر قتلوه، وأن

(١) الشرح ٣/٦. أنظر النص في نهج البلاغة ص ٩٧-٩٨.

(٢) الطبري: تاريخ ٣/٢٠٢، ابن الاثير: الكامل ٢/٣٢٥.

(٣) الشرح ٤/٦-٤٥. وانظر: الزبير بن بكار: الموفقيات ص ٥٧٧-٦٠٢. اليعقوبي: تاريخ ١١٧/٢-١١٨.

(٤) حيث قيل انه سمع هاتف يقول بعد قتل سعد بن عباد:

نحن قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عباد
ورميناهُ بسهمي من فلم نخط فؤاده

هذا الشعر شعر البشر. ولكن لم يثبت عندي أن أبا بكر أمر خالدًا، ولا أستبعد أن يكون فعله من تلقاء نفسه ليرضي بذلك أبا بكر - وحاشاه - فيكون الإثم على خالد، وأبو بكر بريء من إثمه، وما ذلك من أفعال خالد ببعيد»^(١).

أما بالنسبة إلى الإمام عليّ - (عليه السلام) -، فقد اتخذ أولاً موقفاً سلبياً من بيعة أبي بكر، وأبدى احتجاجه في أكثر من مورد «وقد روى كثير من المحدثين أنه عقيب يوم السقيفة تألم وتظلم، واستنجد واستصرخ، حيث ساموه الحضور والبيعة، وإنه قال وهو يشير إلى القبر: يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»^(٢). وإنه قال: واجعفره ولا جعفر لي اليوم! واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم!»^(٣).

وقد أشارت بعض المصادر لموقف الصحابة السلبي من الامام وفاطمة - (عليها السلام) -، وقد وقف ابن أبي الحديد موقفاً وسطاً بين قبول البعض ورفض البعض الآخر حيث قال: «فأما امتناع علي (عليه السلام) من البيعة حتى أخرج على الوجه الذي أخرج عليه، فقد ذكره المحدثون ورواه أهل السير، وقد ذكرنا ما قاله الجوهري في هذا الباب، وهو من رجال الحديث، ومن الثقات المأمونين، وقد ذكر غيره من هذا النحو ما لا يحصى كثره»^(٤)، فأما الامور الشنيعة

=الشرح ١٧/٢٢٣. وانظر: ابن قتيبة: المعارف ٢٥٩. الحاكم. المستدرک ٣/٢٨٣.

(١) الشرح ١٧/٢٢٣-٤. ولكن قتل سعد بن عبادة كان أيام الخليفة عمر بن الخطاب. أنظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٢٦٠.

(٢) مأخوذة من نص قرآني جاء على لسان هارون موسى (عليه السلام)، سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٣) الشرح ١١/١١١.

(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسية ص ١٠-١٢. اليعقوبي: التاريخ ٢/١١٥-١١٦. الطبري: التاريخ

٣٢٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

المستهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة عليها السلام، وأنه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدملج وبقي أثره إلى أن ماتت، و أن عمراً أضغطها بين الباب والجدار، فصاحت يا أبتاه يا رسول الله، وألقت جيناً ميتاً، وجعل في عنق علي عليه السلام - حبل يقاد به وهو يعتل، وفاطمة خلفه تصرخ وتنادي بالويل والثبور، وابناه حسن وحسين معهما يبكيان، وأن علياً لما أحضر سألوه البيعة فامتنع، فتهدد بالقتل، فقال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله فقالوا: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسول الله فلا، وأنه طعن فيهم في أوجههم بالنفاق، وسطر صحيفة الغدر التي اجتمعوا عليها وبأنهم أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة. فكله لا أصل له عند اصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث، ولا يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله»^(١).

تجدر الإشارة إلى أن مصدر هذه الأمور هو كتاب سليم بن قيس الهلالي وهو من أجلاء أصحاب الإمام علي عليه السلام وقد وضع كتاباً يتحدث فيه عن أحداث الصدر الأول، وفي أثناء إمارة الحجاج توفي سليم مختفياً لدى أبان بن أبي عياش^(٢)، لذا سلم للأخير هذا الكتاب. وقد أكدت المصادر المتقدمة على وجود هذا الكتاب ومن بينها الفهرست لابن النديم، ولكن الملاحظ أن النسخة الأصلية لهذا الكتاب فقدت أو أنها حرفت وزيد عليها، وهي النسخة المتداولة في المكتبات الآن، وقد أخضع المحققون هذا الكتاب للدراسة قديماً وحديثاً

(١) الشرح ٥٩/٢-٢٠، ٦٠/٣٤. وانظر كتاب سليم ص ١١٠-١١٦، ١٧٩، ٣٣٠-٣٣٥.

القاضي عبد الجبار: المغني ٢٠/٢/٢٩.

(٢) أنظر ترجمته: الطوسي: الرجال ص ٨٣، ١٠٦، ١٥٢.

وخرجوا بنتائج متباينة^(١)، وكانت رؤية ابن أبي الحديد له تتمثل بـ: «فأما رواية سليم بن قيس الهلالي، فليست بشيء، وسليم معروف المذهب، ويكفي في رد روايته كتابه المعروف بينهم المسمى كتاب سليم، على أي قد سمعت من بعضهم من يذكر أن هذا الاسم غير مسمى، وأنه لم يكن في الدنيا أحد يعرف بسليم بن قيس الهلالي، وإن الكتاب المنسوب إليه منحول موضوع لا أصل له، وإن كان بعضهم يذكره في إسم الرجال»^(٢).

على أننا لا نؤيد ابن أبي الحديد في إنكاره هذا، فالمصادر المتقدمة أكدت وجوده، والمحققون أثبتوا صحة كتابه، ولكن الإشكال في صحة نسبه النسخة الموجودة الآن إليه.

إن الطريقة التي تمت بها بيعة أبي بكر وصفت من قبل عمر بأنها «فلتة وقى الله شرها»^(٣)، والفلتة هي الأمر يقع بغتة بلا سابق روية أو مشاورة^(٤)، وأكد ابن أبي الحديد أن عمرا لم يقصد الطعن في بيعة أبي بكر كما فهم البعض، وإنما هذه اللفظة مناسبة لأسلوب عمر حيث كان مجبولاً على ذلك، مع أنه كان يحاول

(١) أنظر: البرقي: الرجال ص ٤، ٧-٩. الكشي: الرجال ص ٩٦-٧. ابن النديم: الفهرست ص ٣٠٧-٨. النجاشي: الرجال ص ٦، ٣٤٣. الطوسي: الرجال ص ٦٨، ٤٣، ٧٤، ١٢٤. وأيضاً له الفهرست ص ١٠٧. المازندراني: معالم العلماء ص ٥٨. ابن داود: الرجال ص ١٧٨. الحلي: الرجال ص ٨٢-٨٣.. الخوانساري: روضات الجنات ٤/ ٦٥-٧٣. أبو القاسم الخوئي: معجم رجال الحديث ٨/ ٢١٨-٢٢٩.

(٢) الشرح ١٢/ ٢١٦-٢١٧.

(٣) الشرح ٢/ ٢٣. أنظر: البلاذري: انساب الاشراف ٥/ ١٥. يعقوبي: تاريخ ٢/ ١٤٦. الطبري: تاريخ ٣/ ٢٠٥.

(٤) الجوهرى: الصحاح ١/ ٢٦٠.

٣٢٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

أن يتلطف في الفاظه، ولكن طبعه يغلب عليه، ثم أكد أن عمراً إراد من اللفظة معناها في اللغة حيث أن الفلته الأمر الذي يعمل فجأة من غير تردد ولا تدبر، وهكذا كانت بيعة أبي بكر، لأنها لم تكن عن شوري بين المسلمين وإنما وقعت بغتة لم تمحص فيها الآراء، ولم يتناظر فيها الرجال^(١).

أما مسألة-النص- فقد انكر ابن أبي الحديد وجود-نص- سواء كان على أبي بكر أو الإمام علي عليه السلام- حيث يقول: «إن الخبر المروي في أبي بكر في صحيح البخاري ومسلم^(٢) غير صحيح، وهو ما روي عن قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة في مرضه: أدع لي أباك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، فإني أخاف أن يقول قائل، أو يتمنى متمن، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»^(٣).

إن بيعة أبي بكر عند المعتزلة بيعة صحيحة شرعية بالاختيار، وليس بالنص وهذا الاختيار قد ثبت سواء بالاجماع أو بغير الإجماع لأنه طريق إلى الإمامة^(٤).

أما النص على الإمام علي عليه السلام فقد أنكره ابن أبي الحديد مراراً موظفاً كلام الإمام علي عليه السلام للاستدلال على عدم صحته، ومن هذه النصوص:

أولاً: في شرحه لكلامه عليه السلام في آل محمد صلى الله عليه وآله: «ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة». قال ابن أبي الحديد إن الولاية هي الإمرة، وإذا كانت الإمامية يحملونها على نص النبي صلى الله عليه وآله على علي وأولاده، فإن المعتزلة

(١) الشرح ٢٦-٣٧. وانظر: القاضي: المغني ٢٠/١/٣٣٩.

(٢) صحيح البخاري ٥/٢١٤٥ ح ٥٣٤٢. صحيح مسلم ٥/١٠ ح ١١.

(٣) الشرح ٦/١٣. وانظر: صاحب بن عباد: نصره المذاهب الزيدية ص ٥٩-٦١. الحاكم: المستدرک

٣/٥٤٢. ابن حزم: الفصل ٤/١٧٨، ١٠٨. المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/١٥٩.

(٤) الشرح ١/٧.

يرون أن لآل الرسول ﷺ خصائص حق ولاية الرسول ﷺ على الخلق^(١). وهذا التفسير من ابن أبي الحديد غامض، فولاية الرسول على الخلق معروفة، وإذا كانت ولايتهم هي ذات خصائص حق ولاية الرسول، فيأذن ولايتهم كولاية الرسول على الخلق.

ثانياً: من خلال تأمل ابن أبي الحديد في كتب الأخبار وجد «أنه لم يكن هناك نص صريح ومقطوع به لا تختلجه الشكوك، ولا تتطرق إليه الاحتمالات كما تزعم الإمامية، فإنهم يقولون: إن الرسول ﷺ نصّ على أمير المؤمنين عليه السلام نصاً صريحاً جلياً ليس بنص يوم الغدير^(٢)، ولا خبر المنزلة^(٣)، ولا ما شابهها من الأخبار الواردة من طرق العامة وغيرها، بل نص عليه بالخلافة، وبإمرة المؤمنين وأمر المسلمين أن يسلموا عليه بذلك، فسلموا عليه بها، وصرح لهم في كثير من المقامات بأنه خليفة عليهم من بعده، وأمرهم بالسمع والطاعة له»^(٤). لكن ابن أبي الحديد يرى أن المنصف إذا ما لاحظ أحوال الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ يقطع بعدم وجود النص «ولكن قد سبق إلى النفوس والعقول انه قد كان هناك تعريض وتلويح، وكناية وقول غير صريح، وحكم غير مبتوت، ولعله عليه السلام كان يصدده عن التصريح بذلك أمر يعلمه، ومصلحة يراعيها، أو

(١) الشرح ١/١٣٩-١٤٠.

(٢) هو يوم ١٨ من ذي الحجة من العام العاشر للهجرة، حيث قال الرسول ﷺ للمسلمين: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، أنظر مصادره في المدخل ص ٦٢.

(٣) في العام التاسع للهجرة خرج الرسول ﷺ إلى تبوك وترك علياً عليه السلام والياً على المدينة بعد أن قال له: [أنت مني بمنزلة هارون من موسى]. أنظر مصادره المدخل ص ٦٣.

(٤) الشرح ٢/٥٩.

وقوف مع اذن الله تعالى في ذلك»^(١).

إن ابن أبي الحديد يؤكد على أن للنبي ﷺ توجه نحو الإمام علي عليه السلام ولكن تصده المصلحة، فهل المصلحة فيما يراه النبي؟ أم فيما يراه الصحابة؟ وما هذه المصلحة التي تتنافى مع ما يراه النبي ﷺ؟!!

ثالثاً: من خلال احتجاج الإمام علي عليه السلام - علي أبي بكر استدل ابن أبي الحديد أنه لا وجود للنص، لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به وإنما كان احتجاج بعضهم على الآخر بالسوابق والفضائل والقراية ولو كان هناك نص على أبي بكر لاحتج به على الأنصار ولاحتج به الإمام علي عليه السلام على أبي بكر سيما وأن الإمام عليه السلام قد «كاشفهم، وهتك القناع بينه وبينهم، ألا تراه كيف نسبهم إلى التعدي عليه وظلمه، وتمنع من طاعتهم، وأسمعهم من الكلام أشده وأغلظه، فلو كان هناك نص لذكره.. وهذا هو نص مذهب المعتزلة»^(٢).

ولكن ما الداعي للاحتجاج بالنص والأمر قد احكم وانتهى دون الرجوع للإمام أصلاً، ثم أنه بالتاكيد كان اصحاب السقيفة قد اعدوا الجواب للرد على مسألة النص!!

رابعاً: وفي تحليله لدخول الإمام علي عليه السلام في الشورى يرى ابن أبي الحديد أن في هذا دليل على عدم وجود النص، إذ كيف يدخل الشورى إن كان منصوباً عليه! لأن الشورى مبنية على الاختيار وعدم النص! أليس في هذا إيهاً ظاهراً لأكثر المسلمين خاصة ضعفائهم ومن لا نظر له؟ فكيف يجوز له إضلال المكلفين، ويوقع

(١) الشرح ٥٩/٢.

(٢) الشرح ١٢/٦-١٣.

في أنفسهم عدم النص؟ وأضاف ابن أبي الحديد مؤكداً عدم وجود النص بأنه كان على الإمام أن يكتفي كناية لطيفة فيقول لهم «قد كان من رسول الله ﷺ بالأمر في حقي ما تعلمون!» وتساءل قائلاً: (أتراهم كانوا في جواب هذه الكلمة يقتلونه! ما أظنهم يجتمعون على ذلك، ولا بد لو عرض بشيء من ذلك كان من كلام يدور بينهم في المعنى نحو أن يقولوا أن ذلك النص رجع عنه الرسول ﷺ، أو يقولوا: رأى المسلمون تركه للمصلحة، أو يجري بينه وبينهم جدال ونزاع، ولم يكن هناك خليفة يخاف جانبه، وإنما كان مجلس مناظرة وبحث، ولم يستقر الأمر لأحد»^(١).

إن الإمام يرى بأن الإمامة حقه ولذا فمن حقه استخدام أي أسلوب ليصل إلى حقه وما دام هناك فرصة عن طريق الشورى فلم لا يستغلها.

خامساً: وفي معرض كلامه في تحليله لمحاججته يوم الشورى يقول إنه لو كان هناك نص لكان أقل كلفة، وأسهل طريقاً، وأيسر لما يريد تناولاً^(٢) أن يذكرهم بأن العهد لم يطل، وأن الرسول ﷺ أمرهم بطاعته، وأنه استخلفه عليهم، وأن يذكرهم بأنه لم يقع من الرسول ﷺ ما نسخ النص عليه، ولا رفعه، إذن فما الموجب الذي يدفعهم لتركه، والعدول عنه، وإذا كان السبب في عدم إشارته هذه هو خوف القتل كما يرى البعض، إذاً لماذا لم يخف وهو يمتنع من مبايعتهم ويستصرخ بالحمزة وجعفر والانصار، ويجمع الجموع في داره والبيعة قد عقدت لمن عقدت له»^(٣).

إنه إذا كان عليه السلام منصوباً عليه، وإن هذا النص خولف طلباً للرئاسة

(١) الشرح ١٢/٢٧١-٢٧٢.

(٢) اجاب صاحب بن عباد على هذا التساؤل، نصره مذاهب الزيدية ص ٥١-٥٨.

(٣) الشرح ١١/١١١-١١٢.

٣٢٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الدينية، فإن حال المخالفين لا تعدو أحد أمرين: إما الكفر أو الفسوق، ولكن قرائن الأحوال وإماراتها لا تدل على ذلك، وإنما تشهد بخلافه^(١).

لقد أصبح الشيخان ذوي مكانة مقدسة عند بعض المسلمين إلى درجة أن أصبحت سنتهم توضع مع كتاب الله وسنة النبي. إن طرح الإمام علي عليه السلام مسألة النص يوم الشورى أمر غير وارد، إذ كيف يريد القول إنه مقدم على الشيخين والآلاف من أهل العراق ومصر والشام وغيرها إنها دخلت الإسلام في عهد الشيخين. إن ذلك سيكون فرصة لأعداء الإمام عليه السلام للطعن فيه وتشويه سمعته، فأى احتجاج بالنص وعبد الرحمن بن عوف يطالب الامام بالسير على سيرة الشيخين مثلما يطالبه بالسير على كتاب الله وسنة نبيه لذا رأى الإمام عليه السلام أنه لافائدة من الاحتجاج بالنص، مع أننا لانجزم بعدم احتجاج الإمام عليه السلام بالنص.

السادس: والظاهر أن هناك من احتج بأن النبي صلى الله عليه وآله قد نصّ على الإمام علي عليه السلام في قوله لعائشة لما سألته: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل فنظرت السيدة عائشة ولم تر إلا علياً عليه السلام، فقالت: يا رسول الله! ما أرى إلا علياً! فقال هو ذاك^(٢).

نفى ابن أبي الحديد أن يكون في هذا النص دلالة على النص لأنه صلى الله عليه وآله لم يقل: قد استخلفته وإنما قال: لو استخلفت، وذلك لا يقتضي حصول الاستخلاف، ويجوز أن تكون مصلحة المكلفين متعلقة بالنص عليه، لو كان النبي صلى الله عليه وآله مأموراً بأن ينص على إمام بعينه من بعده وأن يكون من مصلحتهم اختيار من شاعوا

(١) الشرح ١١٢/١١.

(٢) الشرح ٢١٨/٦. وانظر: الحاكم: المستدرک ١٣٢/٣. القاضي: المغني ٦٢/٢/٢٠.

إذا تركهم عليه السلام وآرائهم ولم يعين أحداً^(١).

ولكن هل كان استخلاف النبي يومذاك عن أمر من الله أم من نفسه؟ فإذا كان من الله فالله محيط بمستقبل الامور!! وإذا كان من النبي عليه السلام فالنبي لا ينطق عن الهوى ثم أنه لم يعرف عن الإمام أنه غير وبدل حتى يتغير رأي النبي فيه.

السابع: وعند شرحه لكتاب الإمام علي عليه السلام لمعاوية «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان...». استدل على كون الاختيار هو طريق الإمامة، وانتقد الإمامية في حملهم هذا الكتاب على التقية مراعاة لأصحابه عليه السلام الذي يرون صحة إمامة المتقدمين، وقال: «هذا القول من الإمامية دعوى لو عضدها دليل لوجب أن يقال بها، ويصار إليها، ولكن لا دليل لهم على ما يذهبون إليه من الاصول التي تسوقهم إلى حمل هذا الكلام على التقية»^(٢).

إن الإمام هنا يلزم معاوية بما ألزم به نفسه، فمعاوية وأصحابه يرون صحة بيعة أبي بكر وعمر وعثمان استناداً لبيعة أهل الحل والعقد، إذًا فبيعة الإمام صحيحة أيضاً لأنها تمت على أيدي أهل الحل والعقد ولا يعني هذا أن الإمام ينفي النص عليه.

الثامن: وبعد مقتل الخليفة عثمان طالبه كبار الصحابة بالبيعة فقال لهم: «دعوني والتمسوا غيري». هنا أخذ المعتزلة كلام الإمام علي عليه السلام على ظاهره، فالإمام علي عليه السلام وإن كان أولى الناس بالإمامة وأحقهم بمنزلتها فإن كلامه

(١) الشرح ٦/٢١٨-٢١٩.

(٢) الشرح ١٤/٣٥-٣٧.

٣٣٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

هذا فيه دلالة على أنه غير منصوص عليه^(١). وانتقد ابن أبي الحديد الإمامية لصفهم الكلام عن ظاهره قائلاً: «إن ما ذكروه ليس ببعيد أن يحمل الكلام عليه لو كان الدليل قد دل على ذلك، فاما إذا لم يدل عليه دليلاً، فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره، ونحن نتمسك بالظاهر إلا أن تقوم دلالة على مذهبهم تصدنا عن حمل اللفظ عن ظاهره ولو جاز ان تصرف الالفاظ عن ظواهرها لغير دليل قاهر يصدف ويصد عنها، لم يبق وثوق بكلام الله عز وجل وبكلام رسوله عليه السلام»^(٢).

التاسع: عند شرحه لكلامه عليه السلام: «حتى إذ قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على اللوائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه، فبنوه في غير موضعه»^(٣).

اوضح أن المعتزلة يحملون كلامه - عليه السلام - على أنه قصد أعداءه الذين حاربوه في صفين، فهم الذي نقلوا البناء، وهجروا السبب، ووصلوا غير الرحم، واتكلوا على اللوائج، وغالتهم السبل، ورجعوا على الأعقاب، كعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، مروان بن الحكم، والوليد بن عقبة، وحبيب بن مسلمة، وبسر بن أرطاة، وسعيد بن العاص، وحوشب، وذو الكلاع، وشرحبيل بن السمط، وابي الاعور السلمي وغيرهم، إذ أن هؤلاء

(١) الشرح ٣٣/٧-٣٤. أنظر رأي الإمامية عند التستري: بهج الصباغة ٩/٥٦٣-٥٧٢.

(٢) الشرح ٣٤-٣٥/٧.

(٣) الشرح ٩/١٣٢.

نقلوا الإمامة عنه عليه السلام إلى معاوية^(١).

إن لفظ كلام الإمام علي عليه السلام أعلاه يشير إلى خلاف تأويل ابن أبي الحديد، فهو عليه السلام يشير إلى أن الرجوع على الأعقاب لما قبض الرسول ﷺ وما ذكره ابن أبي الحديد أعلاه وقع بعد أكثر من عشرين سنة، فكيف ذهب إلى هذا التفسير؟ أشار ابن أبي الحديد إلى أنه ربما رجع هؤلاء على الأعقاب بعد وفاة الرسول ﷺ، وأضمروا في أنفسهم مشاققة الإمام علي عليه السلام وأذاه، حيث كان هناك من يؤذيه ويتعرض إليه أيام أبي بكر وعمر وعثمان، وقد يقصد عليه السلام برجوعهم ارتدادهم عن الإسلام بالكلية، فإن كثيراً من المعتزلة يطعنون في إيهان بعض مما ذكر سابقاً، ويعدونهم من المنافقين، وكان سيف الرسول ﷺ يجمعهم عن إظهار ما في أنفسهم من النفاق، أما بعده فأظهروا نفاقهم خاصة مع الإمام علي عليه السلام الذي ورد في حقه «ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلا ببعض علي بن أبي طالب»^(٢). وأكد ابن أبي الحديد أن هذا الخبر محقق ووارد في كتب الصحاح^(٣).

ولقد تعرض ابن أبي الحديد للنقد في تأويله هذا «يمنعك من هذا التأويل قوله: «ونقلوا البناء عن رص أساسه، فجعلوه في غير موضعه» وذلك لأن «إذ» ظرف، والعامل فيها قوله «رجع قوم على الاعقاب» وقد عطف عليه قوله

(١) الشرح ١٣٤/٩. أنظر رؤية الإمامية عند التستري: بهج الصباغة ٣/٥٣٩ وما بعدها.

(٢) الترمذي: صحيح ١٢/١٦٨. الحاكم: المستدرک ٣/١٣٩. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١١٠.

ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٤٨. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١٣٢. السيوطي: تاريخ الخلفاء

ص ١٧٠. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٠، ١٧٢.

(٣) الشرح ١٣٤/٩-١٣٥.

٣٣٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

«ونقلوا البناء»؛ فإذا كان الرجوع على الأعقاب واقعاً في الظرف المذكور وهو وقت قبض الرسول ﷺ، وجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في ذلك الوقت أيضاً، لأن أحد الفعلين معطوف على الآخر، ولم ينقل أحد وقت قبض الرسول ﷺ إلى البناء إلى معاوية عن أمير المؤمنين عليه السلام، وإنما نقل عنه إلى شخص آخر، وفي إعطاء العطف حقه إثبات مذهب الإمامية صريحاً^(١).

فكان جواب ابن أبي الحديد: إذا كان الرجوع على الأعقاب واقعاً وقت قبض النبي ﷺ فقد قمنا بما يجب من وجود عامل في الظرف، حيث لا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في تلك الحال أيضاً، بل يجوز أن يكون واقعاً في زمان آخر، إما بأن تكون الواو للاستئناف لا للعطف، أو أن تكون للعطف في مطلق الحدث، لا في وقوع الحدث في عين ذلك الزمان المخصوص، كقوله تعالى^(٢):

﴿حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَبِأَوَّلِهَا نُنزِلُ الْهَبَاءَ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ لَّيْسَ فِيهَا مِنْ عَدْوٍ تُعْتَبَرُ وَلَا مِنْ خَافِضَةٍ تُنْزَلُ إِلَّا أَجْرٌ وَاسِعٌ لِّبِئْسَ الْأَفَّاكُ ﴿٣﴾﴾

الواضح من تحليلات ابن أبي الحديد أعلاه إنها للمراوغة ليس إلا، ولا أرى بأنه مقتنع بما يقول.

عاشراً: في أثناء دراسته على يد شيخه الإمامي -أبي جعفر النقيب- سأل ابن أبي الحديد شيخه قائلاً: «إن نفسي لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان رسول الله ﷺ ودفع النص». وهو هنا يؤكد الرؤية الاعتزالية.

(١) الشرح ١٣٥/٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٣) الشرح ١٣٥/٩-١٣٦.

فكان جواب النقيب: «وأنا فلا تسامحني أيضاً نفسي أن أنسب الرسول ﷺ إلى إهمال أمر الإمامة، وأن يترك الناس فوضى سدى مهملين، وقد كان لا يغيب عن المدينة إلا ويؤمر عليها أميراً وهو حي ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث». ثم أوضح أن الدعوة التي جاء بها النبي ﷺ كانت سبباً في سفك دماء البعض على يد الإمام علي عليه السلام إذن فعلى النبي ﷺ ضرورة حقن دمه وأهل بيته، وهذا يدعوه لتأمين مستقبلهم وذلك بالنص على الإمام علي عليه السلام^(١).

وقال له مرة أخرى: «إنه لم يثبت النص عندنا بطريق يوجب العلم وما تذكرونه انتم صريحاً فأنتم تنفردون بنقله، وما عدا ذلك من الأخبار التي نشارككم فيها، فلها تأويلات معلومة» فأجاب النقيب: «لو فتحنا باب التأويلات، لجاز أن يتناول قولنا: لا إله إلا الله محمد رسول الله. دعني من التأويلات الباردة التي تعلم القلوب والنفوس أنها غير مراده، وأن المتكلمين تكلفوها وتعسفوها»^(٢).

حقاً ما جاء لدى الشريف النقيب أبي جعفر الذي ادرك أن ما يأتي به ابن أبي الحديد هو من تعسفات المتكلمين.

إن ابن أبي الحديد مع إنكاره للنص لكنه يلمح إلى أمور أخرى كان النبي ﷺ يراها في علي عليه السلام «فرسول الله ﷺ أخبره أن الإمامة حقه، وأنه أولى بها من الناس

(١) الشرح ٢٤٨/٩-٢٥٠. وانظر أيضاً ٥٣/٢. وانظر مناقشة ابن أبي الحديد للنقيب حول موقف

الصحابة من النص. الشرح ٨٢/١٢-٩٠.

(٢) الشرح ٢٢٧/١٠.

٣٣٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

أجمعين»^(١). ولذلك كان الإمام علي عليه السلام يقول في آل البيت «ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة» فالولاية هي الإمرة، ولكنها ليست إشارة للنص كما تقول الإمامية، بل تعني أن لهم خصائص حق ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الخلق اما الوصية «فلا ريب عندنا أن علياً عليه السلام كان وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن خالف في ذلك ممن هو منسوب عندنا إلى العناد، ولسنا نعني بالوصية النص والخلافة، ولكن أموراً أخرى لعلها-إذا لمحت-أشرف وأجل»^(٢).

ولذا دعي الامام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه وصي رسول الله، لوصايته إليه بما أراد «وأصحابنا لا ينكرون ذلك، ولكن يقولون: إنها لم تكن وصية بالخلافة، بل بكثير من المتجددات بعده، أفضى بها إليه عليه السلام»^(٣).

ولقد أورد ابن أبي الحديد الكثير من الشعر الذي قيل في صدر الإسلام، وفيه إشارة إلى أن الإمام علياً عليه السلام وصي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم^(٤): فمنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث^(٥):

وصي النبي المصطفى وابن عمه
فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه

وقال عبد الرحمن بن جعيل^(٦):

علياً وصي المصطفى وابن عمه
وأول من صلى أخوا الدين والتقى

(١) الشرح ٢/٢٩٦.

(٢) الشرح ١/١٣٩-١٤٠.

(٣) الشرح ١/١٣.

(٤) الشرح ١/١٤٣-١٤٧.

(٥) أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/٩٢١. ابن حجر: الاصابة ٢/٣٢٠.

(٦) لم اهتد إلى ترجمته.

وقال أبو الهيثم بن التيهان أحد أصحاب بدر:

إن الوصيِّ إمامنا ووليُّنا
برح الخفاء وباحتِ الاسرارُ

وقال رجل من الأزد في معركة الجمل (١):

هذا عليٌّ وهو الوصيِّ
آخاه يومَ النجوة النبيِّ

وقال سعيد بن قيس الهمداني (٢):

قُل للوصيِّ اقبلت قحطانها
فأدعُ بها تكفيكها همدانها

وقال زياد بن لبيد الأنصاري (٣):

نبألي في الوصيِّ من غضبُ
وإنما الأنصار جدُّ لا لعبُ

وقال حجر بن عدي الكندي (٤):

فيه فقد كان له ولياً
ثم ارتضاهُ بعدَهُ وصياً

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين:

يا وصيِّ قد أجلتِ الحربُ
الأعداي وسارتِ الأضعانُ

(١) يقصد بالنجوة ما روي من أن النبي ﷺ دعا الإمام علياً عليه السلام وانتجاه، وأطال نجواه يوم الطائف،

فتكلم بعض الناس، فقال ﷺ: ما انتجيتَه ولكن الله انتجاه. الترمذي: صحيح ١٧٣/١٢. ابن

تيمية: منهاج السنة ١٣/٣. ابن كثير: البداية والنهاية ٣٥٧/٧.

(٢) من الدهاة والأجواد، ومن خواص الإمام علي عليه السلام. الطبري: تاريخ ٥٤/٥. الهمداني: الاكليل

٥٠-٤٦/١٠.

(٣) أنظر ترجمته: الحاكم: المستدرک ٦٨١/٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ٥٣٣/٢-٤. ابن حجر:

الاصابة ٥٥٨-٥٥٩/١.

(٤) أحد أبرز الصحابة الذي قتل بأمر معاوية بتهمة الخروج عليه وكان قتله من ضمن المأخذ الكبرى

على معاوية. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣٢٩/١. ابن حجر: الاصابة ٣١٤/٢-٥.

قال الأشعث بن قيس (١): (٢)
رسول الوصي وصي النبي
وقال الإمام علي عليه السلام يوم صفين (٣):
يا عجباً لقد سمعت منكراً
ما كان يُرْضِي أحمداً لو أخبرا
وقال جرير بن عبد الله البجلي (٤): (٥)
وصي رسول الله من دون أهله
وقال النعمان بن عجلان الأنصاري (٦): (٧)
كيف التفرق والوصي إمامنا
لا كيف إلا حيرةً وتحاذلا
له السبق والفضل في المؤمنين
كذباً على الله يشيب الشعرا
أن يُقرنوا وصيه والأبتر
وفارسه الحامي به يضرب المثل

(١) أمير كنده أسلم في عهد النبي ﷺ ثم امتنع عن تأدية الزكاة في عهد الخليفة أبي بكر، فعفى عنه الخليفة بعد أن طلب الأمان وزوجه أخته أم فروة. أنظر الشرح ١/ ٢٩١-٢٩٧. الطبري ٣/ ٣٣٥-٣٣٩.

(٢) الشرح ١/ ١٤٧. المنقري: صفين ص ٢٣.

(٣) الشرح ١/ ١٤٨. المنقري: صفين ص ٤٣.

(٤) أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٢٣٦-٢٤٠. ابن حجر: الاصابة ١/ ٢٣٢.

(٥) الشرح ١/ ١٤٩. المنقري: صفين ص ٤٨-٤٩.

(٦) أحد الأنصار وشاعرهم، شهد صفين مع الامام وتولى البحرين، الشرح ١٦/ ١٤٧. ابن عبد البر: الإستهيعاب ٤/ ١٥٠١-٢. ابن حجر: الاصابة ٣/ ٥٦٢.

(٧) الشرح ١/ ١٤٩. المنقري: صفين ص ٣٦٥.

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الاسلمي^(١) في معاوية^(٢):

يَقُودُهُمُ الْوَصِيُّ إِلَيْكَ حَتَّى
يَرُدُّكَ عَنْ ضَلَالٍ وَارْتِيَابٍ

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب^(٣):^(٤)

فِيكُمْ وَصِيٌّ رَسُولِ اللَّهِ وَقَائِدُكُمْ
وَصِهْرُهُ وَكِتَابُ اللَّهِ قَدْ نَشَرَا

وقال عبد الله بن العباس^(٥):

وَصِيٌّ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ
وَفَارِسُهُ إِنْ قِيلَ هَلْ مِنْ مُنَازِلٍ

وبعد إيراد هذه الأبيات قال ابن أبي الحديد: «ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى^(٦) في كتاب وقعة الجمل. وأبو مخنف من المحدثين، ومن يرى صحة الإمامة بالاختيار، وليس من الشيعة ولا معدود من رجالها»^(٧).

ثم عزز ابن أبي الحديد رؤيته في الوصية بما أورده نصر بن مزاحم المنقري

(١) لم اهتمد إلى ترجمته.

(٢) الشرح ١/١٤٩. المنقري: صفين ص ٣٨٢.

(٣) أحد أبطال وشعراء الجاهلية والإسلام، أسلم في فتح مكة، ومات في خلافة عمر. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٤٤٥.

(٤) الشرح ١/١٤٩-١٥٠. المنقري: صفين ص ٣٨٥.

(٥) الشرح ١/١٥٠. المنقري: صفين ص ٤١٦-٧.

(٦) أحد رواة الأخبار في القرن الثاني للهجرة، ت ١٥٧ هـ، ومن مدرسة العراق التاريخية، لمزيد من التفاصيل عنه أنظر: كفاية طارش العلي: أبو مخنف ودوره في التدوين التاريخي. رسالة ماجستير غير منشورة، البصرة، ١٩٩٧.

(٧) الشرح ١/١٤٧.

٣٣٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

في كتاب وقعة صفين الذي قال فيه بأنه من رجال الحديث^(١). وابن أبي الحديد باستخدامه مصطلح-المحدثين- ورجال الحديث إنما يعني المؤرخين.

وخلص ابن أبي الحديد للقول: «والاشعار التي تتضمن هذه اللفظة [الوصي] كثيرة جداً، ولكننا ذكرنا منها هاهنا بعض ما قيل في هذين الحريين [الجمل وصفين]، فأما ما عداهما، فإنه يجلب عن الحصر، ويعظم عن الإحصاء والعد، ولولا خوف الملالة والإضجار لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراهاً كثيرة»^(٢).

واستمراراً للرؤية النبوية ﷺ، يرى المعتزلة أن الامام -عليه السلام- يرى نفسه احق بالأمر، ليس على أساس النص، وإنما على أساس الأفضلية والقربة والسابقة والجهاد وغيرها من الفضائل^(٣)، ففي قوله عليه السلام «واعجبا أن تكون الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالصحابة والقربة». يشير الإمام عليه السلام هنا إلى قول عمر لأبي بكر في السقيفة: أنت صاحب رسول الله في المواطن كلها، شدتها ورخائها، فامدد أنت يدك، فهنا يرى الإمام علي عليه السلام إذا احتج عمر على استحقاق أبي بكر الخلافة بالصحابة، فهلا سلم عمر ذلك إلى من شارك أبي بكر في ذلك وزاد عليه بالقربة^(٤).

ولكن الإمام علياً عليه السلام يقول: «إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم». لقد واجه ابن أبي الحديد إشكالاً في شرحه لهذا النص، فالمعروف أنه شرح نهج البلاغة

(١) الشرح ١/١٤٧.

(٢) الشرح ١/١٥٠.

(٣) الشرح ١٠/٢٥٤.

(٤) الشرح ١٨/٤١٦.

طبقاً لقواعد المعتزلة، وهذا النص يفيد ما تذهب إليه الإمامية، لذا قال: «هذا الموضوع مشكل، ولي فيه نظر: وإن صح أن علياً (عليه السلام) قاله قلت كما قال، لأنه ثبت عندي أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «إنه مع الحق، وإن الحق يدور معه حيثما دار»، ويمكن أن يتأول ويطبق على مذهب المعتزلة فيحمل على أن المراد به كمال الإمامة كما حمل قوله (صلى الله عليه وآله): «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»^(١) على نفي الكمال لا على نفي الصحة»^(٢).

كان الإمام علي (عليه السلام) يرى أن الإمامة لا يتولاها الفاسق، ولا بد للإمام من صفات مخصوصة، منها «إنه لا ينبغي أن يكون على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في امواهم نهمته ولا الجاهل فيظلمهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف^(٣) للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة، فيهلك الأمة»^(٤).

فلما كان (عليه السلام) أول السابقين، وجب أن يكون أقرب المقربين، حيث يقول تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٥).

ولما كان أقرب المقربين، وجب أن تنتفي عنه الموانع الستة أعلاه التي جعلها سبباً في عدم استحقاق صاحبها الإمامة، وهي البخل، والجهل، والجفاء - أي

(١) أخرجه: الباقلاني: التمهيد ١ / ٣٧٠.

(٢) الشرح ٩ / ٨٤، ٨٧، ٨٨.

(٣) هو الظالم والجائر في تقسيم الاموال فيخص قوماً دون قوم، الشرح ٨ / ٢٦٦.

(٤) الشرح ٨ / ٢٦٥، ٢٦٤.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ١٠.

٣٤٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الغلظة- والعصبية، تقديم قوم على آخرين، والارتشاء في الحكم، وتعطيل السنة، فإذا ما انتفت هذه الموانع الستة عنه عليه السلام توجب أن يكون هو الإمام، لأن شروط الإمامة موجودة فيه بالاتفاق فإذا كانت موانعها عنه منتفية، ولم يحصل لغيره اجتماع الشروط وارتفاع الموانع، وجب أن يكون هو الإمام، لأنه لا يجوز خلو العصر من إمام سواء كانت هذه المسألة عقلية أو سمعية^(١).

ويضع الإمام علي عليه السلام شرطين آخرين لمن يتولى الإمامة إذ يقول: «إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه». والفرق بين الأقوى والأعلم، أن الأقوى هو الأحسن سياسة، أما الأعلم فهو الأكثر علماً واجراءً للتدبير بمقتضى العلم، وبينهما فرق واضح، فقد يكون سائساً حاذقاً، ولا يكون عالماً بالفقه، وقد يكون سائساً فقيهاً، ولا يجري التدبير على مقتضى علمه وفقهه^(٢).

ولذا كان الإمام عليه السلام يرى أن العدول بالإمامة عنه إلى غيره إخراج لها إلى غير جهة الاستحقاق، لذلك شبه ذلك بادلاء الإنسان بهاله إلى الحاكم، فانه إخراج للمال إلى غير وجهه^(٣).

وطبقاً لهذه الرؤية فسر ابن أبي الحديد كلام الإمام الجاري في هذا المعنى، ففي شرحه للخطبة الشقشقية^(٤) قال: «إنه لما كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الأفضل

(١) الشرح ٨/ ٢٦٥. يقول صاحب بن عباد:

من الخير فاحصوه فإنّي أعدّد
تجمّع فيه ما تفرّق في الورى

ديوان صاحب ص ٣٤.

(٢) الشرح ٩/ ٣٢٨-٣٢٩.

(٣) الشرح ١/ ١٦٢-١٦٣.

(٤) إحدى خطب الإمام علي عليه السلام التي أوضح فيها رؤيته إلى نظام الحكم بعد الرسول ﷺ وقد =

والأحق، وعدل عنه إلى من لا يساويه في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يماثله في سؤدد وشرف، ساغ إطلاق هذه الالفاظ، وإن كان من وسم بالخلافة قبله عدلاً تقياً، وكانت بيعته بيعة صحيحة»^(١).

وفي احتجاجه عليه السلام على أهل الشورى: «إنما أطلب حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه» قال ابن أبي الحديد إن المعتزلة تحمل هذا الكلام على ادعائه عليه السلام الأمر بالافضلية والأحقية وهو الحق والصواب، لأن حمله على الاستحقاق بالنص يعني تكفير أو تفسيق وجوه المهاجرين والانصار، وانتقد الإمامية والزيدية لآخذهم هذه الالفاظ على ظاهرها «ولعمري إن هذه الالفاظ موهمة مغلبة على الظن ما يقوله القوم؛ ولكن تصفح الأحوال يبطل ذلك الظن؛ ويدراً ذلك الوهم، فوجب أن يجري مجرى الآيات المتشابهات الموهمة مالا يجوز على البارئ، فإنه لا نعمل بها، ولا نعول على ظواهرها، لأننا لما تصفحنا أدلة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ، وإن تحمل على التأويلات المذكورة في الكتب»^(٢).

وكذلك حمل المعتزلة كلام الإمام علي عليه السلام «اللهم إني أستعديك على قریش

= أثيرت الشكوك حولها، ولكن ابن أبي الحديد أكد صحة وجودها وصدورها عن الإمام عليه السلام في مصادر غير الشريف الرضي. الشرح ١/ ١٥١-٢٠٦. وانظر: سبط ابن الجوزي الذي قال عنها: «ذكر بعضها صاحب النهج، وأخل البعض، وقد أتيت بها مستوفاة، أخبرنا بها شيخنا أبو القاسم النفيسي الانباري بإسناده عن ابن عباس...». ثم ذكر نص الخطبة. تذكرة ص ١٢٤-٥. الشهرستاني: ما هو نهج البلاغة ص ٢٣-٤٠.

(١) الشرح ١/ ١٥٧.

(٢) الشرح ٩/ ٣٠٧، ٣٠٥.

٣٤٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ومن اعانهم، فانهم قد قطعوا رحمي؛ واكفئوا إنائي، واجمعوا على منازعتي حقاً كنت اولى به من غيري، وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموماً، أو مت متأسفاً. هذا الكلام حملة المعتزلة على تألمه وتظلمه منهم إذ تركوا الأولى والأفضل^(١).

ولكننا لاحظنا أن ابن أبي الحديد^(٢) في ايضاحه للدافع الذي دفع الامام لذكر نعم الله عليه إنما هو «من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك بقوله:

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣).

إذن هنا ابن أبي الحديد يؤكد على أن الله سبحانه وتعالى نهى عن تقديم المفضل على الأفضل، فكيف يعتقد ابن أبي الحديد بجواز ذلك؟

الملاحظ ان ابن أبي الحديد ادرك قوة النصوص التي توضح احتجاجات الامام عليه السلام في تأكيد حقه لذا أضطر إلى استخدام التأويل واجراها مجرى الآيات المتشابهة هروبا من الحقيقة التي أشار إليها وهي أن الاخذ بظاهر هذه النصوص يعني تكفير أو تفسيق الصحابة.

إذا كان الإمام علي عليه السلام هو من أراده الرسول ﷺ لتولي قيادة الأمة من بعده، ليس بطريق النص وإنما بالافضلية، اذن لماذا اختار المسلمون أبا بكر للخلافة؟

(١) الشرح ١١١/١١-١٠٩.

(٢) الشرح ٧٥/٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٥.

وما هو موقف الإمام من هذا الاختيار حسب الرؤية الاعتزالية؟.

لدى المعتزلة قاعدة تقول بجواز إمامة المفضل مع وجود الأفضل^(١)،
فإمامة أبي بكر وعمر وعثمان صحيحة مع وجود الأفضل وهو الإمام علي عليه السلام
ولكن ابن أبي الحديد لم يستقر على رأي واحد حول مصدر هذه القاعدة وإنما
يشير إلى تعدد مصادر هذه القاعدة:

المصدر الأول: الله سبحانه وتعالى إذ يقول: «واقضت حكمته أن... قدم
المفضل على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف»^(٢).

المصدر الثاني: الله والرسول ﷺ: «وانه لولا ما يعلمه الله ورسوله من أن
الاصح للمكلفين تقديم المفضل عليه»^(٣).

المصدر الثالث: الصحابة: «فأصحابنا رحمهم الله لما أحسنوا الظن بالصحابة-
وحملوا ما وقع منهم على وجه الصواب، وإنهم نظروا إلى مصلحة الإسلام،
وخافوا فتنة لا تقتصر على ذهاب الخلافة فقط، بل وتفضي إلى ذهاب النبوة والملة،
فعدلوا عن الأفضل الأشرف الاحق، إلى فاضل آخر دونه فعدلوا له»^(٤).

إن الصحابة هنا أما أن يكونوا عدلوا عن الأفضل لعلة ومانع في الأفضل،
أو لا لمانع، فإن كان لا لمانع كان ذلك عقداً للمفضل بالهوى، فيكون باطلاً
وإن كان لمانع فكان على الإمام علي عليه السلام أن يعذرهم في العدول عنه، ويعلم أن

(١) أنظر رؤية الصحاب بن عباد لعدم صحة ذلك، الصحاب بن عباد: نصره مذاهب الزيدية،
ص ٨٩-٩٨.

(٢) الشرح ٣/١. وقد لاحظنا أنه استشهد بالآية القرآنية التي تنهى عن ذلك.

(٣) الشرح ٢/٢٩٦.

(٤) الشرح ١/١٥٧، ١١/١١١.

٣٤٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

العقد لغيره كان مصلحة للاسلام، فكيف حسن منه أن يشكوهم بعد ذلك ويتوجد عليهم! وايضاً فما معنى قوله «فطفقت ارتأي بين أن اصول بيد جذاء»، فإن ترك الأولى لا يصلح عليه بالحرب^(١).

اوضح ابن أبي الحديد الرؤية الاعتزالية حول هذه التساؤلات في أنه يجوز أن الإمام علياً عليه السلام لم يغلب على ظنه ما غلب على ظنون الصحابة من الشغب وثورات الفتنة، حيث أن الظنون تختلف باختلاف الإمارات، فنجد انساناً يغلب على ظنه أمر، أما غيره فيغلب على ظنه خلافه، وتفسير المعتزلة لقوله عليه السلام «ارتأي بين أن اصول» يجوز أنه أراد بها صيال الجدال والمناظرة وليس الحرب، فلو كان جادهم فربما خصموه بأن يقولوا له: قد غلب على ظنوننا أن الفساد يعظم ويتفاقم إن وليت الأمر، ولا يجوز مع غلبة ظنوننا لذلك أن نسلم الأمر اليك، لذا قال عليه السلام: طفقت ارتأي بين أن اذكر لهم فضائي عليهم، وأحاجهم بها، فيجئوني بهذا الجواب، الذي تصبح به حجتي جذاء مقطوعة، ولا قدرة لي على تشييدها ونصرتها، وبين أن اصبر على ما آل إليه الأمر^(٢).

إذا كان عليه السلام لم يغلب على ظنه وجود العلة والمانع، وكان قد استراب الصحابة وشكاهم لعدولهم عن الأفضل الذي لا علة فيه عنده، اذن فقد ظلم الصحابة، ونسبهم إلى غضب حقه، فما الفرق بين ذلك وبين أن يستظلمهم لمخالفة النص؟ وكيف هرب المعتزلة من نسبته عليه السلام لهم إلى الظلم لدفع النص، ووقعوا في نسبته إلى الظلم لخلاف الأولى من غير علة في الأولى، ومعلوم أن مخالفة الأولى من غير

(١) الشرح ١/١٥٨.

(٢) الشرح ١/١٥٨. وانظر الهاشمي: منهاج البراعة ٢/٤١٦-٤٢٠.

علة فيه كتارك النص لأن العقد في كلا الموضوعين يكون فاسداً^(١).

اوضح ابن أبي الحديد رؤية المعتزلة بان هناك فرقاً ظاهراً بين الامرين، لأن الإمام عليه السلام لو نسبهم إلى مخالفة النص، لوجب وجود النص، ولو كان موجوداً لكانوا كفاراً أو فساقاً لمخالفته، وأما إذا نسبهم لترك الاولى من غير علة في الاولى، فقد نسبهم إلى أمر يدعون فيه خلاف ما يدعي - عليه السلام -، وأحد الامرين لازم، وهو إما أن يكون ظنهم صحيحاً أو غير صحيح، فإن كان صحيحاً فالمسألة لا كلام فيها، وإن لم يكن صحيحاً كانوا كالمجتهد إذا ظن واخطأ فإنه معذور، ومخالفة النص أمر خارج عن هذا الباب لأن مخالفته غير معذور بحال^(٢).

واشار ابن أبي الحديد أن الإمام علياً - عليه السلام - كان أولاً يظن أن العقد لغيره كان عن غير نظر في المصلحة، وأنه لم يقصد به إلا صرف الأمر عنه، أو الاستئثار عليه فظهر منه ما ظهر من الامتناع والقيود في بيته، إلى أن صحّ عنده وثبت في نفسه أنهم أصابوا فيما فعلوه، وأنهم لم يميلوا إلى هوى، ولا أرادوا الدنيا، وإنما فعلوا الاصلاح في ظنونهم^(٣).

الملاحظ على ابن أبي الحديد أنه يضع آراء لتفسير الاحداث ثم يجعل من هذه الآراء وكأنها مواقف الإمام والصحابة، وهذا أمر جداً خطير والظاهر أن الذي يدفعه لذلك قوة النصوص التي تؤكد صحة النص على الإمام علي عليه السلام، وهذا يعني تفسيق الصحابة لذلك يعمل بكل جهده لتأويل هذه النصوص حسب رؤيته الاعتزالية، والاغرب ما ينسبه للإمام بأنه عليه السلام ادرك فيما بعد صحة

(١) الشرح ١٥٨/١-١٥٩.

(٢) الشرح ١٥٩/١.

(٣) الشرح ١١٢/١١.

٣٤٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

مافعله الصحابة ولكن لا ندري على أي نص اعتمد ابن أبي الحديد في رأيه هذا؟!.

المصدر الرابع: الإمام علي عليه السلام أن الإمام علياً - عليه السلام - أدرك المصلحة لذا ترك حقه لغيره (١).

ولكن ما هي هذه المصلحة؟ ومن الذي اوعز للإمام بذلك؟ هنا يقدم لنا ابن أبي الحديد أربع حيثيات:

الاولى: إن الرسول ﷺ أمر الإمام بذلك، ففي قوله عليه السلام: «فنظرت في أمري، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، وإذا الميثاق في عنقي لغيري» (٢).

هذه الخطبة اوضح فيها الإمام علي - عليه السلام - حالة بعد وفاة النبي ﷺ وأنه كان معهوداً إليه الا ينازع في الأمر، ولا يثير فتنة، بل يطلبه بالرفق، فإن حصل له وإلا أمسك، «هكذا كان يقول عليه السلام وقوله الحق، و تأويل هذه الكلمات: فنظرت في أمري فإذا طاعتي لرسول الله ﷺ أي وجوب طاعتي، فحذف المضاف، واقام المضاف إليه مقامه، قد سبقت بيعتي للقوم، أي وجوب طاعة رسول الله ﷺ علي، ووجوب امتثالي امره سابق على بيعتي للقوم، فلا سبيل لي إلى الامتناع من البيعة لأنه ﷺ أخذ علي الميثاق بترك الشقاق والمنازعة فلم يحل لي، أن أتعدى أمره، أو أخالف نبيه» (٣).

وأضاف ابن أبي الحديد أن رسول الله ﷺ أخبر الإمام عليه السلام بأن الإمامة حقه

(١) الشرح ١/ ١٤٠. وانظر الجاحظ: استحقاق الإمامة ص ١٨٢-٣.

(٢) الشرح ٢/ ٢٨٤. وانظر نص كلام الإمام علي عليه السلام البيهقي: المحاسن ص ٥١.

(٣) الشرح ٢/ ٢٩٥-٢٩٦.

وأنة اولى بها من كل الناس، واعلمه أن في تقديم غيره وصبره على التأخر عنها مصلحة للدين راجعة إلى المكلفين، وأنه يجب أن يمسك عن طلبها، ويغضي عنها لمن هو دون مرتبته، فامثل ما امره به رسول الله ﷺ، ولم يخرجته تقدم من تقدم عليه من كونه الأفضل والاولى واللاحق^(١).

إن ابن أبي الحديد يقرر هنا أن النبي ﷺ يرى بأن الإمامة حق للإمام عليه السلام، وما يراه النبي ﷺ هو بالتأكيد من عند الله، ولكن ذلك يتعارض مع مصلحة الدين. أليس هذا تناقضاً؟! إذ كيف يفرض الله ورسوله أمراً يتنافى مع مصلحة الدين؟!؟

الثانية: إن الإمام عليه السلام ترك حقه لما لاحظ من حسد العرب له وكرهيتهم إياه^(٢). وانحرافهم عنه، وميلهم عليه، ولاحظ ثورات الاحقا د التي كانت في أنفسهم، واحتدام نيران قلوبهم، وتذكروا تراته التي وترهم بها، ثم اوضح ابن أبي الحديد الاسباب التي دفعت العرب للعدول عن الإمام علي عليه السلام وهي: صغر سنه، واستهجان البعض تقديم الشباب على الكهول والشيوخ. يرى البعض كراهية الجمع بين النبوة والخلافة في بيت واحد، فيجحفون على الناس.

استصعاب قوم شكيمته، وخوفهم شدته، وعلمهم بأنه - عليه السلام - لا يجابي ولا يداجي ولا يراقب ولا يجامل في الدين، وأن الخلافة تحتاج إلى من يجتهد برأيه، ويعمل بموجب استصلاحه.

(١) الشرح ٢/٢٩٦.

(٢) الشرح ١/١٤٠.

٣٤٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

حسد البعض إياه منذ عهد الرسول ﷺ لشدة اختصاصه بالرسول ﷺ، وتعظيم الرسول إياه وما قال فيه من الفضائل الدالة على رفعة شأنه، وعلو مكانه، وما اختص به من مصاهرته وأخوته، وغيرها من أحواله معه ﷺ.

تنكر البعض له ناسبين له العجب والتهيه، حيث اتهموه باحتقاره البعض، واستصغاره الناس، «وإن كانوا عندنا كاذبين، ولكنه قول قيل، وأمر ذكر، وحال نسبت إليه، وأعانهم عليها ما كان يصدر منه من اقوال توهم مثل هذا، نحو قوله «فإننا صنائع ربنا، والناس بعدُ صنائع لنا»^(١).

ولذا فإن الإمام علياً عليه السلام صحَّ عنده أن الأمر لم يكن ليستقيم له يوماً واحداً، ولا ينتظم ولا يستمر، وأنه لو ولي الأمر لفتقت العرب عليه فتقاً يكون فيه استئصال شأفة الإسلام، وهدم أركانه، فأذعن بالبيعة، وجنح إلى الطاعة وأمسك عن طلب الخلافة، وإن كان على مضض. وهذه الرؤية هي رؤية متأخري معتزلة بغداد^(٢).

وأكد ابن أبي الحديد أن حال الإمام علي عليه السلام أشهر من أن يحتاج للايضاح حيث لوحظ انتفاض العرب عليه لما بويع للخلافة بعد خمس وعشرين سنة من وفاة الرسول ﷺ، وفي أقل من هذه المدة تنسى الأحقاد، وتموت الترات، وتبرد الأكباد الحامية، وتسلو القلوب الواجدة، ويمضي جيل من الناس، ويأتي جيل جديد، ولا يبقى من أرباب تلك الشحناء والبغضاء إلا القليل، ومع كل ذلك فإن حاله مع قريش كانت كأنها حاله بعد وفاة الرسول ﷺ حيث ظهر ما

(١) الشرح ١١٢/١١-١١٣.

(٢) الشرح ١١٣/١١-١١٤.

في النفوس، وهاج ما في القلوب، حتى أن الابناء والاحفاد الذين لم يشهدوا وقائعه عليه السلام وفتكاته في أسلافهم وآبائهم، فعلوا به ما لو كان الآباء موجودين لقصروا عن فعلهم، إذن يا ترى كيف يكون حاله لو تولى الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، إذن كانت تدرس أعلام الملة، وتنعفي رسوم الشريعة، وتعود الجاهلية الجهلاء، ويُفسد ما أصلحه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فكان من عناية الله بهذا الدين أن أهتم الصحابة ما فعلوه^(١).

ولكن ابن أبي الحديد ناقض رأيه هذا في رده على قول معاوية للإمام علي عليه السلام: «لو وليتها حينئذ [بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم -] لفسد الأمر، واضطرب الإسلام».

قال ابن أبي الحديد: «لعله لو وليها حينئذ استقام الأمر وصلاح الإسلام وتعهد، فإنه ما وقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان إلا لأن أمره قد هان عندهم بتأخره عن الخلافة وتقدم غيره عليه، فصغر شأنه في النفوس، وقرر من تقدمه في قلوب الناس أنه لا يصلح لها كل الصلاحية، والناس على ما يحصل في نفوسهم، ولو كان وليها ابتداء وهو على تلك الحالة التي كان عليها أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبتلك المنزلة الرفيعة، والاختصاص الذي كان له، لكان الأمر غير الذي رأيناه عند ولايته بعد عثمان»^(٢).

الثالثة: إن المصلحة في ترك نزاع القائمين بالأمر حيث لما وقعت بيعة أبي بكر لاحظ الإمام علي عليه السلام أن الأصلح للإسلام ترك النزاع لأنه يخاف منه

(١) الشرح ١١٤/١١.

(٢) الشرح ١٧/٢٥٢، ٢٥٦.

٣٥٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

حدوث فتنة تحل معاهد الملة، وتزعزع أركانها، فحضر الإمام وبايع طوعاً^(١).
وكذلك في قوله عليه السلام لأهل الشورى: «لقد علمتم أني أحق بها من غيري
ووالله لاسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة
التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفة وزبرجة».

يفسر ابن أبي الحديد هذا الكلام، بأن الإمام علياً - عليه السلام - يرى بأن الصحابة
يعلمون بأنه أحق بالخلافة، ومع ذلك فهو يقسم بأنه سيسالم ويترك المخالفة إذا
كان في تسليمه ونزوله عن حقه سلامة أمور المسلمين، ولم يكن الجور والحيث
الاعليه، وهذا الكلام طبقه الإمام علي عليه السلام لأنه إذا علم أو غلب على ظنه أنه إن
نازع وحارب دخل على الإسلام وهن وثلم، لم يختار له المنازعة، حتى وإن كان
حقه، وإذا ما علم أو غلب على ظنه بالإمساك عن طلب حقه إنما يدخل الثلم
والوهن عليه خاصة، ويسلم الإسلام من الفتنة، وجب عليه أن يغضي ويصبر
على ما أتوا إليه من أخذ حقه عليه السلام، وكف يده، حراسة للإسلام من الفتنة^(٢).

إذا كان هذا هو التفسير لموقف الامام فلماذا لم يسلم الأمر لأصحاب الجمل
أو معاوية، ويغض على اغتصاب حقه حفظاً للإسلام من الفتنة؟

إن الجور الداخلى عليه هنا من اصحاب الجمل ومعاوية لم يكن مقتصراً عليه،
بل كان يعم المسلمين جميعاً، لأنهم لم يكونوا عنده ممن يصلح لرياسة الأمة، وتحمل
اعباء الخلافة، فلم يكن الشرط الذي اشترطه متحققاً وهو قوله: «ولم يكن فيه
جور إلا علي خاصة» وهذا الكلام يدل على أنه عليه السلام لم يكن يذهب إلى أن خلافة

(١) الشرح ١٠/٢٥٥. وانظر الصحاح بن عباد، نصره مذاهب الزيدية ص ٥٣.

(٢) الشرح ٦/١٦٦-١٦٧، ١٨/٣٩٠.

الفصل الرابع: الإمام علي عليه السلام ونظام الحكم ٣٥١

عثمان كانت تتضمن جوراً على المسلمين والاسلام، وإنما عليه فقط، وأنها وقعت على جهة مخالفة الاولى، لا على جهة الفساد الكلي والبطلان الأصلي^(١).

ويخلص للقول إن ما جرى من عبد الرحمن وغيره يوم الشورى وإن كان لم يقع على وجه الأفضل، فإنه معفو عنه مغفور لفاعله، لأنه لو كان فسقاً غير مغفور، لم يقل الإمام عليه السلام: عفا الله عما سلف^(٢).

الرابعة: إن السبب الذي دفع الإمام لترك الأمر هو عدم وجود من ينصره حيث يقول عليه السلام: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر»، أشار ابن أبي الحديد أن الإمام عليه السلام هنا يشير إلى أن الذي دفعه للقيام بالأمر بعد عثمان هو وجود الناصر^(٣).

إذن لما اقتضت المصلحة تقديم المفضول على الأفضل، فما هو موقف المعتزلة من بيعة المفضول؟

صحيح أن الإمام علياً عليه السلام هو الأفضل، ولكن العدول عنه إلى من لا يساويه في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يباثله في سؤدد وشرف، فإن بيعة المفضول أيضاً صحيحة، ويضرب ابن أبي الحديد مثلاً إنه قد يوجد في بلد ما فقيهان أحدهما أعلم من الآخر، فيجعل السلطان الأقل علماً قاضياً، مما يؤدي بالآخر إلى التوجد والتألم والشكوى، ولكن ذلك لا يكون طعناً في القاضي الأقل، ولا تفسيقاً له، ولا حكماً فيه بأنه غير صالح^(٤).

(١) الشرح ٦/١٦٧.

(٢) الشرح ١٠/٦٣.

(٣) الشرح ١/٢٠٣. وانظر: الصاحب بن عباد: نصره مذاهب الزيدية ص ٥٣-٥٤.

(٤) الشرح ١/١٥٧. قارن رؤية الأمامية. الهاشمي: منهاج البراعة ٤/١٤٥-١٥١.

٣٥٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

إن هذا المثال الذي ضربه ابن أبي الحديد لا يماثل موضوع الإمامة، فالإمامة وهي رئاسة دينية ودينية لشتى مناحي الحياة تختلف عن القضاء الذي لا تتعدى مهمته الفصل بين الخصوم، وإن تعدت فألى الإشراف على بعض المسائل المالية.

ومع أن الإمام علياً عليه السلام - برأي المعتزلة- يرى أن الاحق بالإمامة هو الأقوى والاعلم فهذا لا ينافي صحة إمامة المفضول لأنه عليه السلام لم يقل إن إمامة غير الاقوى فاسدة، ولكنه يرى أن الاقوى احق، والمعتزلة تعترف بأنه عليه السلام احق ممن تقدمه مع قولهم بصحة امامة المتقدمين، لأنه لا منافاة بين كونه احق وبين صحة إمامة غيره^(١).

ولكن بيعة المفضول يحكم بصحتها بلحاظ موقف الإمام علي عليه السلام في حالة عدم تنازعه، أمّا لو نازع الإمام لحكم بتفسيق هذا المنازع.

يقول أبو القاسم البلخي الكعبي، أحد كبار معتزلة بغداد «لو نازع عقيب وفاة رسول الله ﷺ، وسل سيفه لحكمتنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه كما حكمتنا بهلاك من نازعه حين اظهر نفسه. ولكنه مالك الأمر وصاحب الخلافة إذا طلبها، وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا امسك عنها وجب علينا القول بعدالة من اغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله ﷺ لأنه قد ثبت عنه في الاخبار الصحيحة إنه قال: «علي مع الحق، والحق مع علي يدور حيثما دار» وقال غير مرة «حربك حربيّ وسلمك سلميّ»^(٢).

(١) الشرح ٨٢٣/٩.

(٢) الشرح ٢٩٦/٢-٢٩٧.

إن المعتزلة تحمل كلام الإمام عليّ - عليه السلام - على ما يقتضيه سؤدده الجليل، ومنصبه العظيم، ودينه القويم، من الإغضاء عما سلف من سلف حيث صاحبهم بالمعروف دهرًا، فإما أن يكون ما كانوا فيه حقهم أو حقه فتركه رفعاً لنفسه عن المنازلة أو لمصلحة رآها، وعلى كلا التقديرين رأى المعتزلة ان يطبقوا بين آخر اقواله وافعاله وأولها، فإذا ما بعد تأويل ما يتناول من كلامه، فهو ليس بأبعد من تأويل المعتزلة للآيات المتشابهات حيث لم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظة على الاصول المقررة^(١)، لذا وجب على المعتزلة بعد مبايعته لأبي بكر ورضاه به ان يرضوا ويطيعوا لأنه الإمام القدوة وأفضل من تركه الرسول ﷺ^(٢)، حيث إن الإمام علياً عند المعتزلة بمنزلة الرسول ﷺ في تصويب قوله، والاحتجاج بفعله عليه ووجوب طاعته، وإذا ما صح عن الإمام علي عليه السلام براءته من شخص ما، فإن المعتزلة تبرئ من هذا الشخص كائنا من كان بعد التأكد من صحة براءة الإمام منه، لأنه عليه السلام أكثر من الكذب عليه، وولدت العصبية احاديث لا أصل لها، ولذلك فان براءة الامام من المغيرة وعمرو بن العاص ومعاوية من الامور المعلومة لدى المعتزلة والمتواترة، ولذا فالمعتزلة لا تتولاهاهم، ولكن حاشا للامام عليه السلام أن يكون ذكر من سلف من المهاجرين إلاّ بالجميل والذكر الحسن بموجب ما تقتضيه رئاسته في الدين، وإخلاصه في طاعة رب العالمين «ومن أحب تتبع ما روى عنه مما يوهم في الظاهر خلاف ذلك، فليراجع هذا الكتاب، أعني شرح نهج البلاغة، فإننا لم نترك موضعاً يوهم

(١) الشرح ١٣٦/٩.

(٢) الشرح ٢٥٥/١٠.

خلاف مذهبنا إلا وأوضحناه، وفسرناه على وجه يوافق الحق وبالله التوفيق»^(١). ويرى المعتزلة أيضاً أن الإمام علياً عليه السلام أفضل الخلق في الآخرة، وأعلامهم منزلة في الجنة، وأفضلهم في الدنيا، وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب، وكل من عاداه أو حاربه أو ابغضه، فإنه عدو لله سبحانه وخالد في النار مع الكفار والمنافقين، إلا أن يكون ممن ثبتت توبته ومات على توليه وحبه، أما بالنسبة إلى الأفاضل من المهاجرين والانصار الذي تولوا الخلافة قبله، فلو أنه عليه السلام أنكر خلافتهم وغضب عليهم، وسخط فعلهم، أو شهر السيف، أو دعا إلى نفسه لحكم المعتزلة بهلاكهم، كما لو غضب عليهم الرسول ﷺ، ودليل المعتزلة على ذلك قوله: «حربك حربيّ وسلمك سلميّ». وقوله ﷺ: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، وقوله: «لا يجبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»^(٢). ولكن المعتزلة لما رأته عليه السلام رضي بإمامة من كان قبله، وبايعهم، وصى خلفهم، وانكحهم واكل من فيئهم، فلم يكن لهم أن يتعدوا فعله، أو يتجاوزوا ما علم عنه، ولذا لما برئ من معاوية ولعنه، برئ المعتزلة منه ولعنوه ولما حكم عليه بضلال أهل الشام ومن فيهم من بقايا الصحابة كعمرو ابن العاص وابنه عبد الله وغيرهما حكم المعتزلة بضلالهم: «والحاصل إنّنا لم نجعل بينه وبين النبي ﷺ

(١) الشرح ٣٥/٢٠.

(٢) أخرجه: مسلم: الصحيح ٦٤/٢. الترمذي: صحيح ١٦٨/١٢، ١٧٧. ابن ماجه: صحيح ٢٥/١. الحاكم: المستدرک ١٤٥/٣. ابن حزم: الفصل ٣/٣٠٠، ٤/٢٢٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٠. البلوي: ألف باء ١/٢٢٣. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٣١٢. ابن تيمية: منهاج السنة ٣/١٣. ابن كثير: البداية ٧/٣٥٥. ابن حجر: الاصابة ٢/٥٠٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠.

إلا رتبة النبوة، وأعطيناها كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه، ولم نطعن في اكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم وعاملناهم بما عاملهم عليه السلام به»^(١).

ولذا فإن طاعة الإمام علي عليه السلام واجبة عند المعتزلة سواء بالاختيار أم بالنص كما عند الإمامية «وعلى التحقيق فلا فرق بيننا وبينهم في هذا المعنى، لأن من جهل إمامة علي عليه السلام، وانكر صحتها ولزومها فهو عند اصحابنا مخلد في النار، لا ينفعه صوم ولا صلاة، لأن المعرفة بذلك من الاصول الكلية التي هي اركان الدين، ولكن لا نسوي منكر إمامته كافراً - بل نسويه فاسقاً وخارجياً ومارقاً ونحو ذلك»^(٢).

وقد خصص معتزلة بغداد الإمام علياً - عليه السلام - من بين سائر الأمة بالصلاة عليه شأنه في ذلك شان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهم يكرهون إذا ذكروه - عليه السلام - ان يقولوا: صلى الله عليه، ولا يكرهوا ان يقولوا: صلوات الله عليه. فجعلوا اللفظة الاولى مختصة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والثانية مشتركة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يطلقوا لفظ الصلاة إلا على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام^(٣).

وتذهب المعتزلة إلى عدم عصمة الإمام علي عليه السلام، حيث يجد ابن أبي الحديد في نهج البلاغة نصاً يستدل به على ذلك، إذ يقول عليه السلام: «ألا لا يرعين مدع على نفسه، شغل من الجنة والنار أمامه، ساع مجتهد ينجو، و طالب يرجو، ومقصر في النار؛ ثلاثة وإثنان: ملك طار بجناحيه، ونبي أخذ الله بيده - لاسادس»^(٤).

(١) الشرح ٢٠/٢٢١-٢٢٢.

(٢) الشرح ١٨/٣٧٣.

(٣) الشرح ٦/١٤٥.

(٤) الشرح ١/٢٧٥.

أشار ابن أبي الحديد أن تقدير هذا الكلام «المكلفون على اقسام خمسة: ساع مجتهد، وطالب راج، ومقصر هالك. ثم قال ثلاثة، أي فهؤلاء ثلاثة اقسام، وهذا ينظر إلى قوله سبحانه: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله»^(١). ثم ذكر القسمين: الرابع والخامس فقال: هما ملك طار بجناحيه، ونبي أخذ الله بيده؛ يريد عصمة هذين النوعين من القبيح، ثم قال: «لا سادس». أي لم يبق في المكلفين قسم سادس، وهذا يقتضي أن العصمة ليست إلا للأنبياء والملائكة ولو كان الإمام يجب أن يكون معصوماً لكان قسماً سادساً، فإذن قد شهد هذا الكلام بصحة ما تقوله المعتزلة في نفي اشتراط العصمة في الإمامة، اللهم إلا أن يجعل الإمام المعصوم داخلاً في القسم الأول، وهو الساعي المجتهد، وفيه بعد وضعف»^(٢).

وفي شرحه لقوله عليه السلام «فأني لست في نفسي بفوق إن أخطأ» قال: «هذا اعتراف منه عليه السلام بعدم العصمة فأما أن يكون كلامه على ظاهره أو على سبيل الهضم لنفسه كقوله عليه السلام: «ولا أنا إلا أن يتداركني برحمته»^(٣)»^(٤).

ولكن-ابن متويه-أحد معتزلة البصرة. ومن القائلين بالترفضيل يرى أن الإمام علياً عليه السلام معصوم، وإن لم يكن واجب العصمة، كذلك يرى أن العصمة

(١) سورة فاطر (٣٢).

(٢) الشرح ١/٢٧٧.

(٣) أخرجه: مسلم: الصحيح ١٧/١٥٩. ابن ماجه: صحيح ٢/٤٠٩. الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ١١٧. ابن حزم: الفصل ٣/٢١٣.

(٤) الشرح ١١/١٠٢، ١٠٧-١٠٨.

ليست شرطاً في الإمامة، ولكن أدلة النصوص دلت على عصمة الإمام علي عليه السلام، والقطع على باطنه ومغيبه، وان ذلك أمر اختص به دون الصحابة، ويرى ابن أبي الحديد ان هناك فرقاً بين قولنا «زيد معصوم» وقولنا «زيد واجب العصمة» لأنه إمام ومن شرط الإمام أن يكون معصوماً، فالاعتبار الأول هو ما يذهب إليه المعتزلة، والثاني ما تذهب إليه الإمامية^(١).

إذن حسب الرؤية الاعتزالية فالإمام علي عليه السلام إذا أمسك عن طلب الخلافة - فمن يتولاها يحكم المعتزلة بصحة خلافته -!!؟ مع ان ابن أبي الحديد يرى أن الإمام أمسك عن الخلافة لأن الظرف لم يخدمه من حيث الأنصار.
اما إذا طلب الخلافة ونازعه منازع، فهنا يحكم المعتزلة بتفسيق الخارج عليه، طبقاً لذلك لنرى رؤية الاعتزال لاحداث خلافة الإمام علي عليه السلام.

المبحث الثاني

خلافة الإمام علي عليه السلام

اثر مقتل الخليفة عثمان اجتمع بعض المهاجرين والانصار في المسجد النبوي وتداولوا الرأي فيمن يلي الأمر، فاتجهت الانظار صوب الإمام علياً عليه السلام فاقبلوا إلى بيته، ودعوه للبيعة وبعد مداوات معهم قرر الإمام علياً عليه السلام أن تكون بيعته في المسجد، فتمت البيعة في ظرف من أحلك الظروف التي مرت بالدولة الاسلامية حيث اختلف الناس في هذه البيعة، فالذي عليه أكثر الناس، وجمهور ارباب السير أن طلحة والزبير بايعا الإمام طائعين غير مكرهين^(١).

أما المناصرون لآل الزبير كعبد الله بن مصعب، والزبير بن بكار، ومن وافق قولهم من بني تيم بن مرة الذين لهم رغبة في طلحة فاشاروا إلى أن طلحة والزبير بايعا مكرهين^(٢). في الوقت الذي نجد أبا مخنف يؤكد اجماع المهاجرين والانصار بعد اجتماعهم في مسجد الرسول ﷺ ما عدا بضعة اشخاص

(١) الشرح ٧/٤.

(٢) الشرح ٧/٤.

٣٦٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

اعتزلوا^(١) وهم عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، واسامة بن زيد، وأن الإمام لم يكرههم على البيعة، ويرى المعتزلة أن هؤلاء لم يتخلفوا عن البيعة، وإنما تخلفوا عن الاشتراك بحرب الجمل^(٢).

إن اضطراب الاوضاع، ومقتل الخليفة عثمان، ثم قبول الإمام عليه السلام بالخلافة كان موضع طعن للبعض في قبول الإمام للخلافة لأنه بمقتضى رأيهم، كان على الإمام علي عليه السلام بعد مقتل الخليفة أن يغلق بابه، ويمنع الناس من الدخول عليه، وعند ذلك ستضطرب العرب ثم تعود إليه، فهو عليه السلام حسب رأيهم - قد تعين للأمر بحكم الوضع الحاضر آنذاك ولكن الإمام عليه السلام فتح بيته، وبسط يده، لذلك انتقض عليه^(٣).

هذا الرأي يرى المعتزلة خلافه، فالإمام علي عليه السلام كان يرى أن القيام بالأمر واجب عليه يومذاك لعدم من يصلح في ظنه للخلافة، وكيف يغلق بابه، وهناك من يدعي أن عثمان عهد إليه بالخلافة كعبد الله بن الزبير وكان مروان يطمع بها بشبهة أنه ابن عم الخليفة المقتول، ومعاوية لأنه من بني أمية وابن عم الخليفة المقتول، وأمير الشام لعشرين سنة سابقة، وكيف يسوغ للإمام عليه السلام أن يمتنع عن الخلافة إذا طلبه المسلمون، ويعلم انه لو امتنع فإنها ستصير إلى من لا يصلح لها، ولذلك فهو عليه السلام امتنع أولاً امتناع من يريد أن يعلم ما في

(١) أنظر تفسير الحاكم في سبب عدم اشتراك هؤلاء بمعركة الجمل، المستدرك ٣/ ١٢٤-١٢٧.

وانظر القاضي: المغني ٢٠/٢/٦٦-٦٨.

(٢) الشرح ٨/٤-١٠، ١٩/١٤٧-٨.

(٣) الشرح ١٠/٢٥٦.

الفصل الرابع: المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام ٣٦١

قلوبهم ولما رأى منهم التصميم وافق لوجوب الموافقة عليه^(١)، إذ يقول عليه السلام: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء الا يقاتروا على كظه ظالم، ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها، و لسقيت آخرها بكاس أولها»^(٢).

عدّ الإمام علي عليه السلام وصوله للخلافة عودة للحق إلى نصابه إذ يقول: «الآن رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله» وقد اضطر المعتزلة لتأويل النص، بأن الإمام علياً عليه السلام كان الاولي والأحق بالأمر ليس بالنص وانما بالافضلية- كما لاحظنا- وجائز لمن كان اولى بشيء فتركه ثم استرجعه ان يقول: «قد رجع الأمر إلى أهله»^(٣).

وبعد بيعته اتخذ جملة اجراءات:

الاجراء الأول: توزيع الاموال بالتساوي بين جميع المسلمين:

ألقى الإمام بعد بيعته مباشرة خطبة جاء فيها: «الا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار، وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة؛ فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، واصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك، ويستنكرون ويقولون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا! الا وأيّما رجل من المهاجرين والانصار من اصحاب رسول الله ﷺ يرى ان الفضل له على

(١) الشرح ٢٥٦/١٠-٢٥٧.

(٢) الشرح ٢٠٢/١-٢٠٣.

(٣) الشرح ١٤٠/١.

٣٦٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

من سواه لصحبته، فان الفضل النير غداً عند الله، وثوابه واجره على الله، وأيما رجل استجاب لله وللرسول، فصدق ملتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، قد استوجب حقوق الإسلام وحدوده؛ فانتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً احسن الجزاء، وافضل الثواب، وما عند الله خير للابرار، وإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا علينا، فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم، ولا يتخلفن أحد منكم، عربي ولا اعجمي، كان من أهل العطاء، أو لم يكن إلا حضر، إذا كان مسلماً حراً»^(١).

كان توزيع الاموال بالتساوي مدعاة لتذمر بعض كبار الصحابة وغيرهم^(٢) لذا لم يستلموا العطاء، لأن الامام خالف طريقة الخليفة عمر القائمة على التفضيل في العطاء حسب القرابة والسابقة والغناء والحاجة في الإسلام. لذا قالوا للإمام عليه السلام: «إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لا يياثلنا فيما افاء الله تعالى علينا باسيافنا ورماحنا، واوقفنا عليه بخيلنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، واخذناه قسراً قهراً ممن لا يرى الإسلام الا كرها»^(٣).

اوضح الامام في اجابته ان التساوي في العطاء أمر حكم به الرسول عليه السلام، ونطق به القرآن، واما مسألة ما افاء به الله «باسيافنا ورماحنا» فأكد الإمام علي عليه السلام أنه سبق إلى الإسلام قوم نصره بسيفهم ورماحهم فلم يفضلهم الرسول عليه السلام،

(١) الشرح ٣٧/٧. وانظرها في المحمودي: نهج السعادة ١/٢٠٨-٩.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني ٢٠/٢/٦٨.

(٣) الشرح ٤١/٧.

لأن الله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة^(١).

تجدر الإشارة أن سياسة التساوي في العطاء كانت من جملة سياسة الخليفة أبي بكر، والتي سار بها محتدياً سياسة الرسول ﷺ، ولم تكن تقابل بالتذمر، إذن لماذا قوبلت سياسة الإمام علي عليه السلام بالتذمر؟

في الواقع إن الخليفة أبا بكر قسم محتدياً بالرسول ﷺ فلما تولى عمر الخلافة، وفضل قوماً على آخرين ألفوا ذلك، ونسوا القسمة الأولى، وقد طالت خلافة عمر عشر سنوات، فاعتادت القلوب على الاموال وكثرة العطاء، ولم يكن يخطر بالبال تغير الحال، فلما تولى عثمان الخلافة لاثنتي عشرة سنة اجري الأمر على ما كان عليه عمر، فازداد وثوق الناس بذلك، ومن الف شيئاً شق عليه فراقه، فلما جاء الامام وارجع الأمر إلى ما كان أيام الرسول ﷺ وابي بكر، وقد نسي ذلك وتخلله اثنتان وعشرون سنة، شق ذلك عليهم، وأنكروه وأكبروه^(٢).

الاجراء الثاني: إعادة القطائع إلى بيت المال:

اتخذ الامام موقفاً متشدداً ازاء القطائع التي اقطعت لافراد الاسرة الأموية، وكان رأيه ان تعاد ملكيتها لبيت المال إذ يقول: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الاماء؛ لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه اضيق». وقد كان الخليفة عثمان اقطع بعضاً من افراد الاسرة الأموية واصحابه قطائع من ارض الخراج، فإذا كان الخليفة عمر قد اقطع لارباب الغناء في الحرب والجهاد، ثمناً لما بذلوه من مهجهم في طاعة الله سبحانه، فان عثمان اقطع صلة لرحمه عن غير غناء في الجهاد، لذا أمر

(١) الشرح ٧/ ٤١-٤٢.

(٢) الشرح ٧/ ٤٢-٤٣.

الامام باعادة كل ذلك لبيت المال^(١).

الاجراء الثالث: عزل الولاية:

صور الامام ان الدين كان عند الولاية في عهد عثمان اسيراً، لأنهم لم يقضوا بالحق، وإنما بالهوى لطلب الدنيا، لذا اتخذ قرار عزلهم بأجمعهم^(٢).

هذه الاجراءات زادت من حدة موقف الاسرة الأموية من الإمام علي عليه السلام وقد استغل عمرو بن العاص ذلك، فابرق إلى معاوية برسالة يحذره من نوايا الإمام علي عليه السلام، وانشد الوليد بن عقبة بن أبي معيط شعراً عده الخليفة العباسي المنصور السبب في التفريق بين بني عبد مناف، حيث ندد بسياسة الإمام علي عليه السلام^(٣).

والملاحظ ان الوضع الذي آل إليه المسلمون إلى درجة مقتل الخليفة دعا الإمام لاحداث تغيير جذري في السياسة العامة للدولة، من مسألة توزيع الاموال، والقطائع، والولاية، ما دامت هذه المسائل من الامور التي اججت الوضع.

إن هذه السياسة دفعت الناقمين عليها للخروج على الإمام علي عليه السلام مستغلين قميص عثمان ورقة سياسية للوصول إلى غاياتهم، لذا وجهت للإمام تهمة مقتل الخليفة، أو التواطؤ مع قتلته، وكان ذلك هو المبرر لمعارك الجمل وصفين وباقي احداث خلافة الإمام علي عليه السلام.

(١) الشرح ١/٢٦٩. وانظر قول الامام: المحمودي: نهج السعادة ١/١٨٦-١٨٧.

(٢) الشرح ١٧/٦. وانظر الطبري: تاريخ ٤/٤٤٢.

(٣) الشرح ١/٢٧. وانظر المسعودي: مروج الذهب ٢/٣٥٦. أبو الفرج: الاغانى ٥/١٣٤، ١٦٣.

فيا ترى ما هو موقف الإمام علي -عليه السلام- من مقتل الخليفة عثمان حسب الرؤية الاعتزالية؟

من خلال بضعة نصوص وردت في كلام الإمام علي عليه السلام استتج ابن أبي الحديد براءة الإمام مما نسب إليه، فالإمام علي عليه السلام كان يرى أن عثمان ضعف عن تدبير أمر الخلافة، وأن أهله غلبوا عليه، واستبدوا بالأمر دونه، واستعجزه المسلمون، واستسقطوا رأيه، لذا صار حكمه حكم الإمام إذا عمي، أو اسره العدو فإنه ينخلع من الإمامة^(١).

واضطر ابن أبي الحديد لتأويل كلام الإمام عليه السلام في عثمان: «لو امرت به، لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني؛ وأنا جامع لكم امره، استأثر فاساء الاثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، والله حكم واقع في المستأثر والجزاع».

هنا لم يحمل ابن أبي الحديد الكلام على ظاهره لسببين: الأول: ثبوت عصمة دم عثمان. الثاني: ثبت في السير والاحبار أنه كان عليه السلام ينهى الناس عن قتله.

إذن يجب أن يحمل لفظ (النهي) على المنع، كما يقال: الأمير ينهى عن نهب اموال الرعية، أي يمنع، فحيثئذ يستقيم الكلام، لأنه عليه السلام ما أمر بقتله ولا منع عن قتله لأنه كان ينهى باللسان وليس باليد، ولكن النهي عن المنكر واجب، فهلا منع من قتله باليد؟

ترى المعتزلة «أن المنع باليد يجب إذا كان حسناً، وإنما يكون الإنكار حسناً

(١) الشرح ٩/١٥٢-١٥٤.

إذا لم يغلب على ظن الناهي عن المنكر أن نهيه لا يؤثر، فإن غلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر قبح انكار المنكر، لأنه إن كان الغرض تعريف فاعل القبيح قبيح ما أقدم عليه، فذلك حاصل من دون الانكار؛ وان كان الغرض ألا يقع المنكر، فذلك غير حاصل؛ لأنه قد غلب على ظنه أن نهيه وإنكاره لا يؤثر، لذلك لا يحسن من الانسان الانكار على اصحاب المآصر ما هم عليه من أخذ المكوس، لما غلب على الظن أن الإنكار لا يؤثر، وهذا يقتضي أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام قد غلب على ظنه أن انكاره لا يؤثر فلذلك لم ينكر»^(١).

وأشكل على ابن أبي الحديد تأويل كلام ورد في كتاب الإمام علي عليه السلام لأهل مصر لما ولى عليهم مالكا الاشر إذ وصفهم بأنهم (غضبوا لله حين عصي في ارضه، وذهب بحقه).

قال ابن أبي الحديد: «هذا الفصل يشكل علي تأويله، لأن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان، وإذا شهد امير المؤمنين عليه السلام انهم غضبوا لله حين عصي في ارضه، فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان، واثيان المنكر، ويمكن ان يقال وان كان متعسفاً: ان الله تعالى عصي في الارض لا من عثمان، بل من ولاته وامرائه واهله، وذهب بينهم بحق الله وضرب الجور سرادقه بولايتهم، وامرهم على البر والفاجر والمقيم والظاعن، فشاع المنكر، وفقد المعروف»^(٢).

ولكن هؤلاء الذين غضبوا لله قد آل امرهم أنهم قطعوا المسافة من مصر إلى المدينة فقتلوا الخليفة: فلا تعدوا حالتهم امرين:

(١) الشرح ١٢٦/٢-١٢٩. وانظر نص كلام الإمام: المحمودي: نهج السعادة ١/٢١٩.

(٢) الشرح ١٦/١٥٦-١٥٧.

أن يكونوا أطاعوا الله فيكون عثمان عاصياً، أو يكونوا اسخطوا الله بقتل عثمان، فعثمان على حق وهم فساق، فكيف يبجلهم الإمام ويخاطبهم خطاب الصالحين؟

هنا يرى ابن أبي الحديد أن أهل مصر لما غضبوا الله وجاءوا إلى المدينة، وأنكروا على عثمان تأميره الامراء الفساق وحصروه في داره طلباً أن يدفع لهم مروان على ما كتبه في امرهم، فلما حصر الخليفة طمع فيه مبغضوه واعدائه من أهل المدينة، وصار معظم الناس إلماً عليه، فهنا أصبح عدد المصريين قليلاً بالنسبة إلى ما اجتمع في المدينة من الناس الذين يطالبون الخليفة بعزل نفسه، وتسليم مروان، وعزل الولاية، ولم يكونوا يطلبون الخليفة نفسه، ولكن البعض تسوَّروا داره فرماهم عبيد الخليفة، وجرحوا بعضهم، فدعاهم الحال للنزول والاحاطة بالخليفة، فتسرع إليه احدهم فقتل الخليفة، وتمكن عبيد عثمان من قتل القاتل، فلا يلزم من فسق ذلك القاتل، أن يفسق الباقيون، لأنهم ما انكروا الا المنكر، واما القتل فلم يقع منهم، فجاز للإمام ان يقول انهم غضبوا لله، وان يثني ويمدحهم^(١).

وكذلك اضطر ابن أبي الحديد لتأويل كلام الإمام الذي يرويه قيس بن أبي حازم إذ يقول: سمعت علياً عليه السلام يقول: «يا ابناء المهاجرين؛ إنفروا إلى أئمة الكفر، وبقية الاحزاب، وأولياء الشيطان، إنفروا إلى من يقاتل على دم حمال الخطايا، فوالله الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من اوزارهم شيئاً».

أولاً: طعن ابن أبي الحديد في الراوي وهو قيس بن أبي حازم لأنه قال في حق الإمام علي عليه السلام «فابغضته، فدخل بغضه في قلبي». والمعتزلة ترى بأن من

يبغض الإمام علياً عليه السلام لا تقبل روايته (١).

ثانياً: يرى أن الأشهر في الرواية صدر الحديث، واما عجزه فليس بمشهور.
ثالثاً: إذا صحت الرواية يحملها المعتزلة على أن الإمام يقصد معاوية وسمى
ناصره مقاتلين على دمه، لأنهم يحامون عن دمه، ومن حامى عن دم انسان فقد
قاتل عليه (٢).

لقد استغل الساخطون سياسة الإمام علي عليه السلام -دم الخليفة- وسيلة
لتحقيق غاياتهم، فاتهموا الإمام علياً عليه السلام بقتله، أو التواطؤ مع قتلته، وقد
استغرب الإمام علي عليه السلام من اتهامه بذلك من قبل الأمويين قائلاً: «أو لم يئنه
بني أمية علمها بي عن قرفي! أو ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي! ولما
وعظهم الله به ابلغ من لساني».

قال ابن أبي الحديد في شرحه ان الإمام يرى أن معرفة حاله ومنزلته تفرض
على بني أمية عدم اتهامه بدم الخليفة، فمنزلته -عليه السلام- التي لا يوجد أعلى منها،
كالذي نطق به القرآن من طهارته، وطهارة ابنائه وزوجته، في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وقول النبي ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وهذا يقتضي عصمته
عن الدم الحرام؛ كما ان هارون معصوم عن مثل ذلك، ثم أن ترادف اقوال وافعال
الرسول ﷺ في حقه تضطر الحاضرين لها والمشاهدين إياها إلى أن مثل الإمام لا

(١) أشار الشريف الرضي لانحراف قيس بن أبي حازم عن الإمام علي عليه السلام. المجازات النبوية ص ٤٨-٩.

(٢) الشرح ٢/١٩٤-١٩٥.

يجوز أن يسعى في إراقة دم مسلم، لم يحدث حدثاً يستوجب به إحلال دمه^(١).

رؤية الإمام هذه أكد ابن أبي الحديد صحتها وذلك أن من يظهر ناموس الدين، ويواظب على العبادات، ويتصف بالورع والتقوى، يتقرر في نفوس الناس استشعاره الدين واعتقاده إياه، مما يدفع الناس لئلا تقرفه بالعيوب الفاحشة، واستبعاد من يطعن فيه، فكيف ساغ لاعداء الإمام علي عليه السلام مع علمهم بمنزلته العالية في الدين، التي لم يصل إليها أحد من المسلمين، اطلاق السنتهم فيه، ونسبته لقتل الخليفة، أو الممالة عليه، لاسيما وقد ثبت لديهم انه كان من المدافعين عنه قولاً وفعلاً، ويخلص المعتزلة إلى براءة الإمام من دم الخليفة^(٢).

يرى البعض أن من بين الاسباب التي دفعت مناوئي الإمام لاتهمه بدم الخليفة هو بقاءه في المدينة في الوقت الذي حوصر فيه الخليفة، فيرى هؤلاء انه كان على الإمام مغادرة المدينة فلا يكون عذراً للطاعين فيه.

في الواقع ان الإمام علياً عليه السلام لم يكن يخطر له ان يتهم بدم الخليفة مع براءته منه، وكان عليه السلام يرى ان مقامه بالمدينة في مصلحة الخليفة، حيث حضر مراراً وأبعد المحاصرين عنه، وأرسل ولديه وابن أخيه عبد الله بن جعفر يحملان له الماء، ولولا حضور الإمام علي عليه السلام في المدينة لما تأخر مقتل الخليفة، وكان لمقام الإمام دور في تراخي الناس عنه^(٣)، ويخلص المعتزلة إلى الحكم ببراءة الإمام من دم الخليفة، وقد صرح الإمام بذلك مراراً ومنها قوله: «والله ما قتلت عثمان،

(١) الشرح ٦/١٦٩-١٧٠.

(٢) الشرح ٦/١٧٠-١٧١.

(٣) الشرح ١٠/٢٥٦.

ولا مالأت على قتله»^(١).

اما رؤية المعتزلة لموقفه عليه السلام من قتلة الخليفة، فيشار إلى أنه عليه السلام لما بويع بالخلافة قيل له: لو عاقبت قوماً ممن اجلب على عثمان فقال عليه السلام: «يا اخوتاه! إنني لست اجهل ما تعلمون؛ ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم! وهاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، والتفت إليهم اعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا؛ وهل ترون موضعاً لقدرة على شيء تريدونه، إن هذا الأمر أمر جاهلية؛ وإن هؤلاء القوم ماده، ان الناس من هذا الأمر إذا حرك على امور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا فاصبروا حتى يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق مسمحة فاهدؤا عني وانظروا ماذا يأتيكم به امري، ولا تفعلوا فعلة تضعع قوة، وتسقط منه، وتورث وهناً وذلة».

من خلال هذا النص استنتج ابن أبي الحديد ان الإمام علياً عليه السلام كان يرى عقاب الذين حصروا الخليفة، والاقتصاص من قتلته، إن كان بقي ممن باشر قتله، ولكنه عليه السلام اعتذر بعدم التمكن وذلك لوجود عالم كثير جاء من الامصار مضافاً لأهل المدينة، والبادية، فأصبح الأمر أمر جاهلية كما وصفه، ولو حرك ساكناً لاختلف الناس، فمنهم من يرى فعل الإمام عليه السلام هو الصواب، ومنهم من يراه خطأ، ومنهم من يقف لا مصوباً ولا مخطئاً، لذا فالإمام عليه السلام يخشى من تجدد فتنة كالاولى أو أعظم، فكان علي عليه السلام يرى أن الاصوب بالتدبير، والذي يوجبه الشرع والعقل هو الامساك إلى حين سكون الفتنة،

وتفرق تلك الشعوب، وكان عليه السلام يؤمل أن يطيعه معاوية وغيره، وأن يحضر بنو الخليفة المقتول عنده يطالبون بدم أبيهم، ويعيّنون المتهمين، فبعض للقتل واخر للحصار وثالث للتسور، وحينها يتمكن الإمام عليه السلام من العمل بحكم الكتاب، ولكن الأمر لم يقع هكذا، إذ امتنع معاوية واهل الشام، ولجأ ورثة عثمان إليه، وفاقوا الإمام متهمين إياه، ولم يطلبوا القصاص بصورة شرعية، وإنما طلبوه مغالبة، وجعلها معاوية عصبية الجاهلية، وسبق معاوية خروج اصحاب الجمل عليه، فكان ذلك مما منع الإمام عليه السلام عن التصدي للقصاص، وقد قال عليه السلام لمعاوية «فأما طلبك قتلة عثمان، فادخل في الطاعة، وحاكم القوم اليّ احملك وإيّاهم على كتاب الله وسنة رسوله». وهذا هو ما يراه المعتزلة «لأنه يجب دخول الناس في طاعة الإمام عليه السلام، ثم تقع المحاكمة إليه، فإن حكم بالحق استديمت امامته، وإن حكم بالجور انتفض امره وتعين خلعه»^(١).

ولكن يجدر التساؤل إذا كان القصاص من قتلة الخليفة موقوفاً على ما ذكره عليه السلام أمّا كان يجب عليه من باب النهي عن المنكر الذي هو واجب على العامة فكيف على الإمام؟

ترى المعتزلة أن النهي عن المنكر يجب قبل وقوعه حتى لا يقع، فإذا وقع، فلا معنى للنهي بعد، وكان عليه السلام قد نهى أهل الامصار عن قتل الخليفة قبل قتله مراراً، ونابذهم بيده ولسانه، وبأولاده دون فائدة، حتى تفاقم الأمر إلى قتل الخليفة، ولا يجب بعد القتل الا القصاص، فإذا ما امتنع اولياء الدم من طاعة الإمام عليه السلام، لم يجب عليه أن يقتص من القاتلين، فالقصاص

(١) الشرح ٩/٢٩٣-٢٩٤.

٣٧٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

حق اولياء الدم، وقد سقط ببيغهم على الإمام عليه السلام، وأكدت المعتزلة أن القصاص على من باشر القتل، والذين باشروا القتل قتلوا يوم قتل الخليفة وهما-قتيرة بن وهب، وسودان بن حمران^(١)، وكلاهما قتلا يوم الدار على يد عبید الخليفة، أمّا الاخرون فلم يباشروا القتل، وإنما حصروا الخليفة، واجلبوا عليه وتوعدوه، ومنهم من تسور الدار وحضر محضر قتله أو لم يحضر، فهؤلاء عند المعتزلة لا قصاص عليهم^(٢).

(١) وهما من اهالي مصر خرجا سنة ٣٥ هـ إلى المدينة، وقام سودان بقتل الخليفة عثمان بمساعدة قتيرة، فقام غلام للخليفة فقتل سودان، فثار قتيرة وقتل الغلام فقام غلام آخر للخليفة وقتل قتيرة. أنظر الطبري: ٤/٣٤٨، ٣٩١.

(٢) الشرح ٤/١٦-١٧، ١٤/٣٧-٣٨. وانظر المنقري: وقعة صفين ص ١٨٩.

معركة الجمل ٣٦ هـ / ٦٥٨ م

لم تلاق السياسة التي اتبعها الإمام قبولاً لدى طلحة والزبير، فخرجوا من المدينة بعد بيعته الإمام علي عليه السلام إلى مكة بعد أن سمعوا بالموقف السلبي للسيدة عائشة من الإمام علي عليه السلام، ومن هناك تحركا صوب البصرة، حيث تمت لهم السيطرة التامة عليها، فاضطر الإمام علي عليه السلام للخروج إلى البصرة داعياً أهل الكوفة للخروج معه، وبعد وصوله للبصرة دخل في مفاوضات مع طلحة والزبير لم تسفر الا عن حالة الحرب، التي انتهت بمقتل طلحة في ساحة المعركة، فيما خرج الزبير من المعركة فاغتاله-ابن جرموز- في وادي السباع^(١)، وبعد ذلك القى أهل البصرة السلاح، وتمت إعادة السيدة عائشة إلى المدينة^(٢).

(١) وادي السباع: بين البصرة ومكة وعلى بعد خمسة اميال عن البصرة، قيل سمي باسماء اخوة يحملون اسماء السباع الحموي: معجم البلدان ٥/٣٤٣-٤. الحميري: الروض المعطار ص ٦٠٣-٤.

(٢) أنظر تفاصيل ذلك متناثرة في الشرح: ٩/١، ٢٠١، ٢٢٥-٧، ٢٣٠-٦، ٢٤٣-٦٦، ٣٠٥-٣١١، ١٦٦-٢/١٧٠، ١٨٧-٨، ٤/٦-١١، ١٢٨-٢٢٩، ٧/٣٥-٤٦، ٩/٣٩، ١٠٩-١١٥، ١٦٢، ١٩٠-٢٠٠، ٢٩٣-٤، ٣١٠-١٠، ٢٧/٤-٩، ٨-١١، ١٠-٢٠، ١٢١-١٤، ٨/٦، ٢٥-١٧، ٢٥٤-٢٥٥. وانظر الطبري: تاريخ ٤/٤٤٤-٥٤٦.

٣٧٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

هذا الحدث التاريخي المهم في تاريخ المسلمين، الذي كان فاتحة للحروب
الاهلية في الإسلام، يا ترى ما هي رؤية المعتزلة له؟ ولنناقش هذه الرؤية في
المباحث الآتية:

بيعة طلحة والزبير للإمام علي عليه السلام.

مدى اهلية طلحة والزبير للخلافة.

موقف الإمام علياً إزاء اصحاب الجمل قبل وبعد المعركة.

رؤية الاعتزال لاصحاب الجمل.

أولاً: بيعة طلحة والزبير للإمام علي عليه السلام.

تناقضت الروايات بشأن بيعة طلحة والزبير للإمام علي عليه السلام، هل كانت
طوعاً أم كرهاً؟ فقد «اختلف الناس في بيعة امير المؤمنين عليه السلام، فالذي عليه أكثر
الناس وجهور ارباب السير أن طلحة والزبير بايعاه طائعين غير مكرهين، ثم
تغيرت عزائمهما.... قال الزبيريون منهم عبد الله بن مصعب، والزبير بن بكار،
وشيعتهم، ومن وافق قولهم من بني تيم بن مرة، ارباب العصبية لطلحة: انها
بايعا مكرهين؛ وان الزبير كان يقول: بايعت واللعج على قفى، واللعج سيف
الاشتر»^(١).

فيما صورت روايات أبي هلال العسكري^(٢) وأبي مخنف دور عمار والانصار
في انجاح بيعة الإمام علي عليه السلام^(٣)، والظاهر أن هذا النجاح حمل طلحة والزبير

(١) الشرح ٧/٤.

(٢) الشرح ٧/٤-٨. وانظر أبو هلال: الاوائل ص ١٦٢.

(٣) الشرح ٧/٤-١١. وانظر الطبري ٤/٢٧-٤٣٠.

على البيعة. ولذا كان الزبير يقول: -بايعت بيدي لا بقلبي - «وكان يدعي تارة أنه أكره، ويدعي أخرى أنه وري في البيعة، ونوى دخيلة وأتى بمعاريض لا تحمل على ظاهرها»^(١).

وقد رد الإمام علي عليه السلام على ادعاءات الزبير قائلاً: «يزعم انه بايع بيده، ولم يبايع بقلبه، فقد اقر بالبيعة، وادعى الوليعة، فليأت عليها بأمر يعرف، وإلا فليدخل فيما خرج منه». فالزبير هنا اقر بالبيعة، وادعى امراً آخر لم يقم عليه دليل، فاما ان يقيم دليلاً على فساد البيعة الظاهرة وإلا فليعود للطاعة»^(٢).

والظاهر أن الإمام كان مدركاً لنوايا الزبير لذا قال له وقت البيعة: «إني لخائف أن تغدري، وتنكث بيعتي، قال: لا تخافن؛ فإن ذلك لا يكون مني أبداً، فقال عليه السلام في الله عليك بذلك راع وكفيل، قال نعم: الله لك علي راع وكفيل.

إذا كان هكذا فلماذا أذن الإمام عليه السلام لطلحة والزبير بالخروج من المدينة إلى مكة لما استئذناه لاداء العمرة؟

في الواقع ان الرواة اختلفوا في خروج طلحة والزبير من المدينة: هل كان بإذن الإمام علي عليه السلام أم لا؟ فإن كان الجواب بغير إذنه، فالسؤال أعلاه لا معنى له، وإذا كانا خرجاً بإذنه، فالمعروف أنه عليه السلام قال لهما: والله ما تريدان العمرة، وإنما تريدان الغدرة، وخوفهما بالله من التسرع إلى الفتنة، وما كان يجوز للإمام عليه السلام لا في الشرع ولا في السياسة أن يجسهما، ففي الشرع كان محظوراً عليه معاقبة شخص بما لم يفعل بعد وربما لا يقع هذا الفعل. وأما في السياسة فلأنه عليه السلام لو اظهر التهمة لهما

(١) الشرح ١/ ٢٣٠.

(٢) الشرح ١/ ٢٣٠. وانظر رد الحسن بن علي بن عبد الله بن الزبير. القاضي: المغني ٢٠/ ٢/ ٨٠.

وهما من المهاجرين السابقين، لكان في ذلك من التنفير عنه ما لا يخفى، ويؤدي إلى الطعن فيه، كأن يقال: انه ليس على ثقة من إمامته فلذلك يتهم الرؤساء ولا يأمن الفضلاء، ولا سيما وطلحة أول من بايعه والزبير لم يزل معروفاً بنصرته، فلو حبسهما واطهر الشك فيهما لم يسكن أحد إلى جهته، ولتفرق الناس عنه^(١).

اذن لماذا لم يستصلحهما ويوليتهما، ويرتبطهما بالاجابة لاغراضهما؟

قال ابن أبي الحديد في جواب هذا التساؤل: «فحوى هذا انكم تطلبون من أمير المؤمنين عليه السلام أن يكون في الإمامة مغلوباً على رأيه، مقتاتاً عليه في تدبيره، فيقر معاوية على ولاية الشام غصباً، ويولي طلحة والزبير مصر والعراق كرهاً؛ وهذا شيء ما دخل تحتته أحد ممن قبله؛ ولا رضوا أن يكون لهم من الإمامة الاسم، ومن الخلافة اللفظ، ولقد حورب عثمان وحصر على أن يعزل بعض ولاته فلم يجب إلى ذلك. فكيف تسومون علياً عليه السلام أن يفتح امره بهذه الدنية ويرضى بالدخول تحت هذه الخطة! وهذا ظاهر»^(٢).

ثانياً: مدى اهلية طلحة والزبير للخلافة؟

إن المعتزلة يرون عدالة أكثر الصحابة ومنهم طلحة والزبير - كما سيتضح فيما بعد - ولكن الإمام علياً عليه السلام في اشارته لطلحة والزبير أكد عدم اهليتهم للخلافة إذ يقول: «لقد اتلعوا اعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله، فوقصوا دونه»^(٣). فكيف يا ترى يتم التوفيق بين كلام الإمام علي عليه السلام هذا وبين رؤية الاعتزال المخالفة لكلامه، خاصة إذا علمنا أن ابن أبي الحديد يعد ان كل ما جاء في نهج البلاغة

(١) الشرح ١٠/٢٤٧-٢٤٨.

(٢) الشرح ١٠/٢٤٨.

(٣) الشرح ١١/١٢٣. وانظر ابن الاثير: النهاية ١/١٩٤.

هو من كلام الإمام علي عليه السلام.

هنا يشير ابن أبي الحديد لرؤية الاعتزال إلى اهلية طلحة والزبير للخلافة في حالة عدم طلب الإمام علي عليه السلام للخلافة، أما إذا طلبها فلم يكونا لهما ولا غيرهما اهلاً لها، ولولا طاعته عليه السلام، لمن تقدمه بالخلافة، ورضاه بهم، لم يحكم معتزلة بغداد بصحة خلافتهم^(١). كما مر بنا.

ثالثاً: موقف الإمام علي عليه السلام من اصحاب الجمل قبل المعركة وبعدها:

عدّ الإمام علي عليه السلام خروج طلحة والزبير نكثاً للبيعة، لكنه آثر الامسك عن حربهم أولاً، «وسأمسك الأمر ما استمسك، وإذا لم اجد بداً فأخر الدواء الكي». أي امسك نفسي عن محاربة هؤلاء ما امكنني، وادفع الأيام بمراسلتهم، وتخويفهم وإنذارهم، واجتهد في ردهم إلى الطاعة ترغيباً وترهيباً، فإذا لم اجد بداً من الحرب، فأخر الدواء الكي، أي الحرب، فهي الغاية التي إليها ينتهي أمر الخارجين^(٢).

لكنه عليه السلام وجد أن الواجب الشرعي يحتم عليه استخدام القوة لارجاعهم إلى الطريق الصحيح «فما وجدني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فكانت معالجة القتال أهون من معالجة العقاب، وموتات الدنيا أهون عليّ من موتات الآخرة»^(٣).

(١) الشرح ١٢٦/١١. إن دعوى طاعة الإمام لمن تقدمه هي محض افتراء وتكفي الخطبة الشقشقية التي أكد ابن أبي الحديد صحتها على ان موقف الإمام يفسر لعدم وجود الناصر.

(٢) الشرح ٢٩١/٩، ٢٩٤.

(٣) الشرح ٦/٤. ورد معنى النص عند الحاكم: المستدرک ١٢٤-١٢٥، القاضي: المغني

ولكن كيف يكون تارك الواجب جاحداً لما جاء به النبي ﷺ؟.

ترى المعتزلة أنه في حكم الجاحد لأنه مخالف وعاص، لاسيما معتزلة بغداد التي ترى أن تارك الواجب مخلد في النار حتى ولو لم يجحد النبوة، وترى المعتزلة أن جهاد الخارجين عن طاعة الإمام واجب على الإمام في حالة إذا وجد انصاراً. فإذا أخلّ بذلك يكون قد أخلّ بواجب، فيستحق العقاب^(١).

والملاحظ أن الإمام علياً عليه السلام لا يستند في قتاله على شرعية حكمه بل على احاديث تنسب للنبي ﷺ^(٢) وهذا من دلائل نبوته ﷺ لأنه اخبار صريح بالغيب، لا يحتمل التمويه والتدليس، كما تحمله الاخبار المجملة^(٣).

إن ما حدث من خروج طلحة والزبير امرؤ غير مألوف مسبقاً عند المسلمين لذلك كان من الصعب اتخاذ موقف بصددهم، وهنا كان موقف الإمام علي عليه السلام: «فإني فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجتري عليها أحد غيري بعد أن ماج غيبتها، واشتد كلبها»^(٤).

إن الناس قبل معركة الجمل كانوا يهابون قتال أهل القبلة، ولا يعلمون كيف يقاتلونهم؟ هل يتبعون مولاهم أم لا؟ وهل يجهزون على جريهم أم

(١) الشرح ٦/٤.

(٢) أنظر: البيهقي: المحاسن والمساوي ص ٤٥. الحاكم: المستدرک ٣/١٥٠. القاضي: المغني ٢٠/٢/٧٤. الخطيب: تاريخ بغداد ٨/٣٤٠-١، ١٣/١٨٧. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١١٧. الشهرستاني: الملل ١/١٥٨. الخوارزمي: المناقب ص ١١٠. الجويني: فرائد السمطين ١/١٥٠. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٦١.

(٣) الشرح ١/٢٠٠-٢٠١.

(٤) الشرح ٧/٤٤. وانظر: أبي هلال: الغارات: ص ٥.

لا؟ وكيف يتعاملون مع غنائمهم؟ وكانوا يستعظمون قتال من يؤذن بأذان المسلمين، ويصلي بصلاتهم، وكذلك استعظموا حرب أم المؤمنين وطلحة والزبير، لمكانهم في الإسلام، وتوقف جماعتهم عن الدخول في هذه الحرب، كالأحنف بن قيس وغيره.

فلولا أن الإمام علياً عليه السلام اجترأ على سلب السيف ما أقدم أحد على الحرب^(١). حيث قال عليه السلام: «قد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة، ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحق، فامضوا لما تؤمرون به، وقفوا عندما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتى تتبينوا، فإن لنا مع كل أمر تنكرونه غيراً». فهنا الإمام عليه السلام يشير لهيئة الناس من قتال أهل القبلة، حتى أن الشافعي يقول: «لولا علي لما عُرِفَ شيء من احكام البغي»، وأكد الإمام علي عليه السلام أن مثل هذا الحال لا يعرف بمواقع العمل به إلا من خصه الله بالبصيرة والعلم^(٢)، ولذا قال عليه السلام: «لو لم أك فيكم لما قوتل أهل الجمل وأهل النهروان». وذلك لأن الشبهة كانت في أهل الجمل ظاهرة الالتباس فالزبير وطلحة موعودان بالجنة، وأم المؤمنين زوجة رسول الله في الدنيا والآخرة، وحال طلحة والزبير في السبق والجهاد معروفة، وكان أهل النهروان في حالة من العبادة والزهد، وهم قراء العراق، في حين كان معاوية مشهوراً بقله الدين وكذلك من ناصره وهو عمرو بن العاص، ومن تابعهم من أهل الشام وأعرابهم فأولئك كان حالهم معروفاً في

(١) الشرح ٧/ ٤٤-٤٦. وانظر كتاب سليم ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) الشرح ٩/ ٣٣٠-٣٣١. ولذلك لما اعترض أحد الاشخاص على الإمام، قال عليه السلام: انه ملبوس

عليك، إن الحق لا يعرف بالرجال، إعرف الحق تعرف أهله، الجاحظ: البيان والتبيين ٢/ ٢١١.

القاضي عبد الجبار: المختصر في اصول الدين ص ١٧١.

الانحراف فلا يستحرمون قتالهم^(١).

أما عن موقف الإمام بعد المعركة، فالمعروف أن الزبير خرج منها إثر احتجاج الإمام عليه، فاتبعه-ابن جرموز- فاغتاله وجاء برأس وسيف الزبير للإمام علي عليه السلام، وادرك الإمام ان ابن جرموز لم يقتل الزبير مبارزة وإنما غدرًا حيث قال له: «والله ما كان ابن صفية جباناً ولا لئيمًا. ولكن الحين ومصارع السوء»، ثم أخذ سيف الزبير وقال: «سيف طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ» فقال ابن جرموز: الجائزة يا أمير المؤمنين! فقال عليه السلام: أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بشر قاتل ابن صفية بالنار» فخرج ابن جرموز خائباً، وقتل في النهروان مارقاً^(٢).

اما طلحة فقد قتل في ساحة المعركة، واتهم مروان بن الحكم بقتله، بل كان مروان يصرح بذلك، حيث لما ضعف اصحاب الجمل قال مروان: «لا اطلب ثأر عثمان من طلحة بعد اليوم! فانتحى له بسهم فاصاب ساقه»^(٣).

وعن موقف الإمام علي عليه السلام منه، فترى المعتزلة انه عليه السلام لما مر بساحة المعركة ومر على طلحة قال: اجلسوه، ثم قال: «أعزز علي يا أبا محمد أن اراك معفراً تحت نجوم السماء، وفي بطن هذا الوادي! ابعده جهادك في الله، وذبحك عن رسول الله ﷺ! فجاء إليه انسان فقال: أشهد يا امير المؤمنين، لقد مررت عليه بعد أن اصابه السهم وهو صريع، فصاح بي، فقال: من اصحاب من أنت؟ فقلت: من

(١) الشرح ٥٨/٧.

(٢) الشرح ٢٣٣-٢٣٦/١. وانظر ابن حبيب: اسماء المعتالين ٦/١٥٩. الطبراني: المعجم الكبير

١/١٢٣. الحاكم: المستدرک ٣/٤١٤.

(٣) الشرح ١١٣/٩.

الفصل الرابع: المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام ٣٨١

اصحاب امير المؤمنين عليه السلام، فقال: امدد يدك لابايع امير المؤمنين عليه السلام فمددت إليه يدي فبايعني لك. فقال علي عليه السلام: ابي الله ان يدخل طلحة الجنة الا ويبيعتي في عنقه»^(١).

إننا لا نستعبد موقف الإمام من طلحة، فتأسيه وتألمه لهذه العاقبة مسألة طبيعية! كيف وهو زميله في درب الجهاد منذ أن كان الإسلام لا زال بذرة في مكة، مروراً بتلك الأيام الصعاب حتى أصبح الإسلام يرفرف على انحاء الجزيرة وحواليها. إن ذلك قطعاً سيثير الشجون لدى الإمام علي عليه السلام، وهو الذي تألم لأشقى الآخرين - ابن ملجم - كيف لا يتألم لأحد الصحابة.

ولكننا نتحفظ على المشهد التمثيلي الذي فبركه الراوي إذ أن آثار الوضع

غير خافية؟!!!

اما بالنسبة إلى أم المؤمنين فقد اوكل أمير المؤمنين عليه السلام امرها لاختها محمد بن أبي بكر، ثم اعادها إلى المدينة بصحبة اربعين من نساء بني عبد القيس^(٢).

اما عن باقي الناس فقد «اتفقت الرواة على أنه - عليه السلام - قبض ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة، ومملوك ومتاع وعروض فقسمه بين أصحابه، وإئتمهم قالوا له: اقسم بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقاً، فقال: لا، فقالوا: فكيف تحلُّ لنا دماؤهم ونحرمُّ علينا سبيهم! فقال: كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام، اما ما اجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، واما ما وارت الدور واغلقت عليه الابواب فهو لاهله، ولا نصيب لكم في شيء

(١) الشرح ١/٢٤٨-٢٤٩. وانظر ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٣٢١. الحاكم: المستدرک ٣/٤٢١.

(٢) الشرح ٦/٢٢٩. وانظر اليعقوبي: تاريخ ٢/١٧٠.

٣٨٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

منه، فلما اكثروا عليه قال: فاقرعوا على عائشة لادفعها إلى من تصيبه القرعة!
فقالوا: نستغفر الله يا امير المؤمنين: ثم انصرفوا»^(١).

رابعاً: رؤية المعتزلة لخاتمة اصحاب الجمل:

تحكم المعتزلة لكل فاسق مات على فسقه بالنار، ويعدون الباغي على الإمام الحق، والخارج عليه بشبهة أو بغير شبهة فاسق^(٢) ومن خلال حديث للنبي صلى الله عليه وآله يرويه الصحابي حذيفة بن اليمان ذكر فيه خروج أم المؤمنين فقال صلى الله عليه وآله: «تقاتل معها مضر مضرها الله في النار، وازد عمان سلت الله اقدامها، وإن قيساً لن تنفك تبغي دين الله شراً، حتى يركبها الله بالملائكة فلا يمنعوا ذنب تلعة»^(٣). أشار المعتزلة ان هذا الحديث يؤكد مذهب المعتزلة في فسق اصحاب الجمل، إلا من ثبتت توبته وهم الرؤساء فقط- طلحة والزبير وعائشة^(٤) - وهذه التوبة كانت بعد المعركة وان الإمام شهد لهم بالجنة بعد حرب الجمل^(٥).

وفي معرض نقده لظعن معاوية على الإمام عليه السلام لحربه طلحة والزبير وعائشة، قال ابن أبي الحديد: «واصحابنا يذهبون إلى أنّهما تابا، وفارقا الدنيا نادمين على ما صنعنا، وكذلك نقول نحن؛ فإن الاخبار كثرت بذلك، فهما من أهل الجنة لتوبتهما، ولولا توبتهما لكانا هالكين كما هلك غيرهما، فإن الله تعالى لا يجابي

(١) الشرح ١/ ٢٥٠.

(٢) الشرح ١/ ٩.

(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٢٥٠.

(٤) الشرح ١١/ ١٢١-٢. فيما يرى الاشاعرة أنهم اجتهدوا، والمجتهد إذا اخطأ له اجر واحد.

الشرح ١٤/ ٢٤.

(٥) الشرح ٢٠/ ٣٤. القاضي عبد الجبار: المغني: ٢٠/ ٢/ ٨٤-٨٩.

أحدًا في الطاعة والتقوى:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١).

واما الوعد لهما بالجنة فمشروط بسلامة العاقبة، والكلام في سلامتهما، وإذا ثبتت توبتهما فقد صح الوعد لهما و تحقق؛ وقوله «بشر قاتل ابن صفية بالنار» فقد اختلف فيه، فقال قوم من ارباب السير وعلماء الحديث، هو كلام امير المؤمنين عليه السلام غير مرفوع، وقوم منهم جعلوه مرفوعاً، وعلى كل حال فهو حق لأن ابن جرموز قتله مولياً خارجاً من الصف، مفارقاً للحرب، فقد قتله على توبة وإنابة ورجوع من الباطل، وقاتل من هذه حاله مستحق للنار^(٢).

وفي دعائه عليه السلام على طلحة والزبير «وارهما المساءة فيما املا وعملا» عدّ ابن أبي الحديد هذه المساءة مساءة الدنيا لا الاخرة، لأن الله وعدهما على لسان رسوله ﷺ بالجنة التي استوجباها بالتوبة^(٣).

وبالنسبة إلى أم المؤمنين فإنها عند المعتزلة قد ندمت سيما بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، حيث يرى المعتزلة أنها اعترفت يوم الجمل بالخطأ لامير المؤمنين، وسألته العفو، وإن الاخبار تواترت باظهارها الندم، وإنها كانت تقول: ليته كان لي من رسول الله ﷺ بنون عشرة، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٤) - وثكلتهم، ولم يكن يوم الجمل! وإنها كانت تقول: ليتني مت قبل

(١) سورة الانفال (٤٢).

(٢) الشرح ٢٥٤/١٧.

(٣) الشرح ٣٨/٩-٣٩.

(٤) هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، أسلم ابوه يوم فتح مكة، وكان صغيراً لما توفي الرسول ﷺ، واما فاطمة بنت الوليد اخت خالد، ولما توفي ابوه تزوج عمر بن الخطاب امه فنشأ في =

يوم الجمل، وإنما كانت إذا ذكرته تبكي حتى تبل خمارها^(١).

إن الاخبار الواردة في توبتها أكثر من الواردة في توبة طلحة والزبير، لأنها عاشت بعدهما زماناً، فالذي جرى كان خطأ منها، وليس على امير المؤمنين ذنب، على أنه اكرمها وصانها وعظم من شأنها^(٢).

ولكن كلام الإمام «ولها بعد حرمتها الاولى، والحساب على الله» يدل على توقفه في امرها، فكيف الجمع بين كلامه عليه السلام، ومذهب الاعتزال؟

هنا يرى ابن أبي الحديد أنه يجوز أن كلامه هذا كان قبل تواتر الخبر بتوبتها^(٣)، فإن المعتزلة يرون أنها تابت بعد مقتله عليه السلام، وندمت، وقالت: لوددت أن لي عشرة بنون من الرسول ﷺ، وكلهم ماتوا، ولم يكن يوم الجمل، وأنها كانت بعد مقتله تنني عليه، وتنشر مناقبه، مع أن المعتزلة أيضاً روت أنها بعد الجمل كانت تبكي حتى تبل خمارها، وتستغفر الله. ولكن لم يبلغ لأمر المؤمنين عليه السلام حديث توبتها بعد الجمل بشكل يقطع العذر ويثبت الحجة، والذي شاع من ندمها وتوبتها بعد مقتله عليه السلام إلى أن ماتت وهي على ذلك، والتائب عند

= حجر عمر، ثم تزوج مريم بنت عثمان بن عفان، وكان أحد الاربعة الذين عهد إليهم عثمان بنسخ المصاحف، خرج مع طلحة والزبير في الجمل، توفي سنة ٤٣ هـ. أنظر مصعب الزبيري نسب قريش ص ٣٠٣، ٣٠٨. الطبري ٤/ ١١٢، ٤٧١، ٥٠٧، ٥١٣، ٥/ ٦٧، ٢٧٨، ٥٢٨. الحاكم: المستدرك ٣/ ٣١٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٤٢٦. ابن حجر: الاصابة ٢/ ٣٩٤، ٣/ ٦٦.

(١) الشرح ١٤/ ٢٤. البيهقي: المحاسن ٢٩٧-٨. الحاكم: المستدرك ٣/ ١٢٨-٩. القاضي: المغني

٢٠/ ٢/ ٨٩-٩١. سبط ابن الجوزي: تذكرة: ص ٨١.

(٢) الشرح ١٧/ ٢٥٤-٢٥٥.

(٣) ولكن ابن أبي الحديد قد أشار إلى أنها اعترفت للإمام عليه السلام وسألته العفو!!.

المعتزلة مغفور له، وقبول التوبة واجب عند المعتزلة من باب العدل الالهي، والمعروف أنه ثبت أنها زوجة الرسول ﷺ في الدنيا والآخرة، إذن فيجب عند المعتزلة تكلف إثبات التوبة لها إذا لم يكن هناك ما يدل عليها، كيف وقد أكدت الروايات والأدلة على توبتها^(١).

وايضاً استفاد ابن أبي الحديد في إثبات توبتها من قوله ﷺ: «ايتكن صاحبة الجمل الادب، تنبها كلاب الحوآب، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة، كلهم في النار، وتنجو بعدما كادت»^(٢).

حيث يحمل المعتزلة قوله ﷺ: «وتنجو» على نجاتها من النار، لأن لفظة «في النار» اقرب من لفظة «القتل»، والقرب معتبر في هذا الباب، وإن نحاة البصريين اعملوا اقرب العاملين، نظراً إلى القرب^(٣). ويخلص ابن أبي الحديد في أمر أم المؤمنين ان المعتزلة ترى في إنها اخطأت فيما فعلت، ثم تابت وماتت تائبة وأنها من أهل الجنة^(٤).

اما توبة الزبير فإنه رجع عن الحرب معترفاً بالخطأ لما ذكره علي عليه السلام بما مضى من حديث الرسول ﷺ. في حين إن طلحة مر به -وهو صريع- فارس، فقال له: قف، فوقف قال: من أي الفريقين أنت؟ قال: من اصحاب امير المؤمنين، قال

(١) الشرح ١٨٩/٩، ٢٠٠.

(٢) الشرح ٣١١/٩. اخرجه الطبري: تاريخ ٤/٤٥٧. ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٧٤٥. الهيثمي:

مجمع الزوائد ٧/٢٣٤، ٨/٢٨٩.

(٣) الشرح ٣١١/٩

(٤) الشرح ٦/٢١٤.

٣٨٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

اقعدني، فاقعده، فقال: امدد يدك ابايعك لامير المؤمنين، فبايعه^(١).

هذه الروايات وإن كانت احاداً، فإن التوبة يحكم بها للمكلف على غالب الظن في جميع المواضع، وليس على القطع^(٢).

إن الذي يلاحظ على ابن أبي الحديد:

١ حكمه بتوبة الزعماء الثلاثة فقط مع أن العامة كانوا اتباعا وقد اعتقدوا بصحة دعواهم في حرب الامام فمن باب اولى ان يحكم للاتباع.

٢ كان متناقضا في كلامه فتارة يرى بأن توبتهم كانت متواتره وتارة يرى بأنها أخبار آحاد؟!!!

(١) الشرح ١٤/٢٤.

(٢) الشرح ١٧/٢٥. وأوضح البغدادي رؤية الاشاعرة بقوله «وقالوا [الاشاعرة] بتصويب علي في حروبه بالبصرة وبصفين وبالنهروان، وقالوا: بأن طلحة والزبير تابا ورجعا عن قتال علي لكن الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع بعد منصرفه من الحرب. وطلحة لما هم بالانصراف رماه مروان بن الحكم وكان مع اصحاب الجمل بسهم فقتله، وقالوا: أن عائشة... قصدت الاصلاح بين الفريقين فغلبها بنو ضبة والازد على رأيها وقاتلوا علياً دون إذنها حيث كان من الأمر ما كان». الفرق بين الفرق ص ٢١١-٢١٢.

معركة صفين ٣٧هـ

بعد انتهاء الإمام من معركة الجمل في البصرة توجه نحو الكوفة بدلاً من المدينة لأن الواقع يفرض عليه اعتماد قوة الامصار، ازاء الاخطار المحدقة بخلافته حيث رفض معاوية بن أبي سفيان والي الشام بيعة الإمام مستغلاً مقتل الخليفة كورقة سياسية، ومستفيداً من الموقف السلبي لطلحة والزبير وام المؤمنين من الإمام علي عليه السلام فكانت وقعة صفين سنة ٣٧ هـ ، والتي احرز فيها الإمام علي عليه السلام نصراً عسكرياً، ولكن معاوية وبإشارة من عمرو بن العاص تمكننا من ايقاف الحرب بخدعة المصاحف، والدعوة إلى الاحتكام إلى كتاب الله تعالى، وكان ذلك سبباً في انشقاق اتباع الإمام بين داع للاستمرار بالحرب، وبين من انهكه القتال ورأى في رفع المصاحب عذراً له، وازاء ذلك اضطر الإمام للقبول بالتحكيم، حيث مثل أبو موسى الاشعري أهل العراق تلبية لطلب الداعين لوقف القتال، وإن كان الإمام علي عليه السلام غير راضٍ عنه. أمّا أهل الشام فرشوا عمرو بن العاص، وانتهى الأمر بفشل التحكيم ^(١).

(١) أنظر تحليل ابن أبي الحديد في الشرح ٩/١، ٢٠٦/٢-٢٦٠، ٣/٧٠-١١٨، ١٦٦-١٨٨، ٢٠٢-٣١٢، ٣٣٨، ٤/١٣-٣٢، ٥/١٢٩-١٧٥، ١٣١-٢٥٨، ٦/٣٠٢-٣١٧

وسناقش تحليل ابن أبي الحديد لاحداث صفين في المحاور الآتية:

أولاً: دعوة الإمام معاوية للدخول في البيعة.

ثانياً: الاسس التي اعتمدها معاوية في حربه للإمام.

١. نسبه.

٢. ولايته للشام.

٣. مقتل الخليفة.

٤. الطعن في سيرة الإمام.

٥. موقف الإمام من عائشة وطلحة والزبير.

ثالثاً: معركة صفين

١. موقف الإمام من معاوية واهل الشام.

٢. احداث المعركة.

٣. التحكيم.

رابعاً: رؤية الاعتزال لأهل صفين.

أولاً: دعوة الإمام معاوية للدخول في البيعة:

بعد انتهاء معركة الجمل، ومسير الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة كتب لعماله بخبر أهل الجمل، ومنهم جرير بن عبد الله البجلي والي همدان، الذي بايع للإمام ثم جاء إلى الكوفة فارسه الإمام رسولاً إلى معاوية، بكتاب جاء فيه «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن

الفصل الرابع: المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام ٣٨٩

للساهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والانصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه اماماً كان ذلك لله رضاء، فإن خرج من امرهم خارج بطعن أو بدعة، ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى»^(١).

ولما قرأ معاوية الكتاب اغتم بما فيه، وذهبت به افكاره كل مذهب وطاول جريير الجواب حتى كلم اناساً من أهل الشام في مسألة الطلب بدم عثمان، فاجابوه، ووثقوا له، واحب الزيادة في الاستظهار، فاستشار اخاه عتبة بن أبي سفيان فاشار عليه بالاستعانة بعمر بن العاص، «فانه من قد علمت من دهائه ورأيه، وقد اعتزل عثمان في حياته، وهو لامرك أشد اعتزلاً، إلا أن تثمن له دينه، فيتبعك فإنه صاحب دنياً»^(٢).

كان عمرو بن العاص والياً على مصر للخليفة عمر ثم لعثمان، وبعد ذلك عزله فاتخذ منه موقفاً سلبياً، وتشير بعض الروايات لمجاهرته بنقد الخليفة عثمان وإعلانه الصريح بأنه من وراء قتله^(٣). ولما جاءه كتاب معاوية استجاب لدعوته بعد طول تفكير ومناقشة مع ولديه وغلामه^(٤)، مع أن هناك إشارة تفيد أن عمرو بن العاص كان المحرض الأول لمعاوية على الإمام بعد مقتل عثمان قائلاً له: «ما كنت صانعاً

(١) الشرح ٣/ ٧٠-١١٨. ١٤/ ٣٥. وانظر المنقري: وقعة صفين ص ٥١-٦١. ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص ٧١.

(٢) الشرح ٢/ ٦١. المنقري: وقعة صفين ص ٢٧-٣٣.

(٣) الشرح ٢/ ١٣٥-٧، ١٤٣-٤. وانظر الطبري: تاريخ ٤/ ٣٣٤، ٣٥٦-٧.

(٤) الشرح ٢/ ٦١-٦٤، المنقري: وقعة صفين ص ٣٤-٣٦. يعقوبي: تاريخ ٢/ ١٧٢-٣.

فاصنع، إذ قشرك ابن أبي طالب من كل ما تملكه كما تقشر عن العصا لحاها»^(١).
وبعد وصوله لمعاوية تداول معه الرأي بخصوص الموقف من الإمام علي عليه السلام، فقال عمرو: «والله يا معاوية: ما أنت وعلي بحملي بعير، ليس لك هجرته، ولا سابقته، ولا صحبته، ولا جهاده، ولا فقهه، ولا علمه، والله إن له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لأحد غيره، ولكني قد تعودت من الله تعالى احساناً وبلاءاً جميلاً؛ فما تجعل لي إن أنا شايعتك على حربيه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال: حكمك، فقال مصر طعمة، فتلكأ عليه معاوية، ثم قال: يا أبا عبد الله! اني أكره لك ان تتحدث العرب عنك إنك إنَّما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا، قال عمرو: لا لعمرو الله ما مثلي يخدع لأنا اكيس من ذلك، قال معاوية: أدن مني اسارك، فدنا منه عمرو ليساره، فغص معاوية أذنه، وقال: هذه خدعة! هل ترى في البيت أحداً؟ ليس غيري وغيرك»^(٢).

واوضح الجاحظ السر في مطالبة عمرو بن العاص بمصر، لأنه هو الذي افتتحها في خلافة عمر، فكان لعظمتها في نفسه وجلالتها في صدره، وما قد عرفه من اموالها وسعة الدنيا، لا يستعظم أن يجعلها ثمناً لدينه^(٣).

وبعد مداولات وتدخل عتبة بن أبي سفيان وافق معاوية على اعطاء مصر طعمه لعمرو بن العاص وكتب بذلك كتاباً جاء فيه: «على ألا ينقض شرط طاعة» فكتب عمرو: «على الا تنقض طاعه شرطاً». فكايده كل واحد منهما صاحبه، وتفسيره ان معاوية قال للكاتب: اكتب «على الا ينقض شرط طاعه».

(١) الشرح ٢٧٠/١.

(٢) الشرح ٦٥/٢. وانظر المنقري: وقعة صفين ص ٣٧-٣٨.

(٣) الشرح ٦٦/٢.

الفصل الرابع: المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام ٣٩١

يريد أخذ إقرار عمرو له أن قد بايعه على الطاعة بيعة مطلقة غير مشروطة بشيء. وهذه مكايدة له؛ لأنه لو كتب ذلك لكان لمعاوية أن يرجع في اعطائه مصر، ولم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته، ويحتج عليه برجوعه عن اعطائه مصر، لأن مقتضى المشاركة المذكورة، أن طاعة معاوية واجبة عليه مطلقاً سواء كانت مصر مسلّمة إليه أم لا، ولكن عمرو انتبه للمكيدة فقال للكاتب: بل اكتب: «على الا تنقض طاعه شرطاً» يريد أخذ اقرار معاوية له بانه إذا كان اطاعه لا تنقض طاعته إياه ما شارطه عليه من تسليم مصر إليه، وهذا أيضاً مكايدة من عمرو لمعاوية، ومنع له من أن يغدر بها أعطاه من مصر^(١).

ثم بدء العمل حيث استشار معاوية عمراً في امور ثلاثة:

الأول: خروج محمد بن أبي حذيفة^(٢).

الثاني: تحرك قيصر الروم^(٣).

(١) الشرح ٦٧/٢-٦٨. المنقري: وقعة صفين ص ٤٠-٤١.

(٢) هو محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كان ممن اتخذ موقفاً من الخليفة عثمان، ثم سيطر على مصر في اواخر أيام الخليفة عثمان، وقد تم قتله على يد معاوية- الطبري: تاريخ ٤/٢٩١-٢، ٣٥٣، ٣٥٧-٨، ٣٩٩، ٤٢١، ٥٤٦-٧. ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ٧٧.

(٣) الطبري ٤/٤٤١.

(٤) الشرح ٧١/٢. المنقري: وقعة صفين ص ٤٤.

(٥) الشرح ٧١/٢. وانظر: المنقري: وقعة صفين ص ٤٣-٤٧.

(٦) الشرح ٧١/١٠.

(٧) الشرح ٨٨/٣. وانظر: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص ٧٧. المراد: الكامل في اللغة والادب

الثالث: الموقف من الإمام علي عليه السلام.

وكان رأي عمرو أن يرسل مالك بن هبيرة الكندي لمحمد بن أبي حذيفة، فانفذه إليه وقتله، واما القيصر فأن يوادعه بالهدايا و الاموال في حين قال في حق الإمام: «إنه قد اتاك في طلب البيعة خير أهل العراق، ومن عند خير الناس في انفس الناس، ودعواك أهل الشام إلى رد هذه البيعة خطر شديد، ورأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي وهو خصم لجرير رسول علي، «فابعث إليه، ووطن له ثقاتك، فليفشوا في الناس أن علياً عليه السلام قتل عثمان وليكونوا أهل رضا عند شرحبيل، فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب، وان تعلقت بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشيء أبداً».

وفعلاً ارسل معاوية إلى شرحبيل، وتمكن من اقناعه وفق الخطة التي رسمها عمرو في رمي مسؤولية قتل الخليفة عثمان على الإمام علي عليه السلام ونتيجة لذلك اتحدت الشام في تأييدها لمعاوية، بعد استخدامه سياسة تقريب رؤساء القبائل «ان معاوية.. كان يعطي رؤساء القبائل من اليمن وساكني الشام، الاموال الجليلية، يستعبدهم بها، ويدعو اولئك الرؤساء اتباعهم من العرب فيطيعونهم، فمنهم من يطيعهم حمية، ومنهم من يطيعهم لأياد وعوارف من اولئك الرؤساء عندهم، ومنهم يطيعهم ديناً، زعموا للطلب بدم عثمان، ولم يكن يصل إلى هؤلاء الاتباع من اموال معاوية قليل ولا كثير».

وبعد حصول معاوية على تأييد أهل الشام عاد الجواب معلنا رفضه للبيعة، ومطالباً إياه بدم الخليفة: «أما بعد، فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك

وأنت بريء من دم عثمان، كنت كأبي بكر وعمر و عثمان؛ ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذلت عنه الأنصار، فاطاعك الجاهل، وقوى بك الضعيف. وقد ابى أهل الشام الا قتالك، حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين، ولعمري ليس حججك علي كحججك علي طلحة والزبير لأنهما بايعاك، ولم ابايعك، وما حججتك علي أهل الشام كحججتك علي أهل البصرة، لأن أهل البصرة اطاعوك، ولم يطعك أهل الشام. فاما شرفك في الإسلام، وقرابتك من النبي صلى الله عليه، وموضعك من قريش. فلست ادفعه».

يلاحظ علي هذا الكتاب ان معاوية يجعل نقطة الفصل هي مسألة عثمان، فالإمام علي عليه السلام وإن لم يكن القاتل، فهو الذي اغرى المهاجرين وخذل الأنصار، إذن فهو مطالب أولاً بتقديم قتلة عثمان وبعد ذلك تلغى خلافة الامام ويعاد الأمر شورى، ولكن أين يا ترى تكون الشورى، فهل في المدينة التي اتخذت موقفاً سلبياً حيال مقتل الخليفة، أم في العراق، وهذا ما لا يقبل به معاوية، اذن فمعاوية لا يقصد من الشورى الا في الشام، وهو ما يعني توليه الخلافة، ثم أكد ان الإمام ليست لديه حجة على معاوية كما كانت لديه حجة على طلحة والزبير لأنها بايعاه، ولا له حجة على أهل الشام كما كانت له حجة على أهل البصرة، لأنهم استجابوا لأمره بعزل الوالي القديم وتولية والٍ جديد، وبايعوا للإمام.

ثانياً: الأسس التي اعتمدها معاوية في حربه للإمام:

نسبه:

الملاحظ أن معاوية استند في صراعه مع الإمام علي عليه السلام على نسبه المكافئ لنسب الإمام، إذ يقول له في أحد كتبه: «فإننا بني عبد مناف، لم نزل ننزع من قلب

٣٩٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

واحد، ونجري في حلبة واحدة، ليس لبعضنا على بعض فضل، ولا لقائنا على قاعدنا فخر، كلمتنا مؤتلفة، والفتنا جامعة، ودارنا واحدة، يجمعنا كرم العرق، ويحويها شرف النجار، ويحنو قوينا على ضعيفنا، ويواسي غنينا فقيرنا، قد خلصت قلوبنا من وغل الحسد، وطهرت انفسنا من خبث النية، فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الادهان في أمر ابن عمك...»^(١).

والظاهر أن معاوية إراد التغطية على تاريخه في ظل الإسلام، فالتجأ إلى ما قبل الإسلام مؤكداً على مسألة النسب التي هي من ضرورات الجاهلية، مدعيًا أنه لا يوجد فضل للإمام علي عليه السلام - لأنها من أصل واحد، لكن الإمام علياً عليه السلام أنكر التساوي في الفضل حيث قال: «كذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كابي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، ولبئس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هوى في نار جهنم»^(٢).

كان الترتيب يقتضي أن يجعل الإمام هاشماً بإزاء عبد شمس لأنها أخوة في قعد، وكلاهما ولد عبد مناف لصلبه، وأن يكون أمية بإزاء عبد المطلب، وأن يكون حرب بإزاء أبي طالب، وأن يكون أبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين عليه السلام، لأن كل واحد منهم في قعد صاحبة إلا أن الإمام عليه السلام لما كان في صفين بإزاء معاوية اضطر لجعل هاشم بإزاء أمية بن عبد شمس^(٣).

إن ترتيب الإمام هو ما يلائم الواقع فعلاً، فأمية هو الذي نافر هاشماً

(١) الشرح ٢٥١/١٧.

(٢) الشرح ١١٧/١٥.

(٣) الشرح ١١٨/١٥.

واضطر للرحيل إلى الشام بعد أن غلبه هاشم، وحرب نازع عبد المطلب، اما أبو سفيان فموقفه بالنسبة للدعوة الاسلامية بالضد من موقف أبي طالب، ثم جاءت مواقف معاوية المقابلة لمواقف الإمام عليه السلام.

ان الإمام وهو يضع نفسه مقابلاً لمعاوية في تأكيده على مسألة الإيمان له ونفيها عن معاوية، وقد سبق أن قابل بين أجداده وأجداد معاوية، والملاحظ أن المقابلة حول نفس المسألة وهي الإيمان، فمثلاً كان الإمام مؤمناً فكذلك اسلافه، ومثلاً نفى الإمام الإيمان عن معاوية فكذلك عن اسلافه، لذلك خلص الإمام علي عليه السلام للقول: ((ولبئس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هوى في نار جهنم)).

وأضاف الإمام علي عليه السلام: «وفي ايدينا بعد فضل النبوة التي اذللنا بها العزيز، ونعشنا بها الذليل، ولما ادخل الله العرب في دينه افواجاً، واسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً، كتتم ممن دخل في الدين». أي إذا فرضنا تساوي الاقدام في مآثر اسلافكم كان في ايدينا بعد الفضل عليكم بالنبوة التي نعشنا بها الخامل، واخملنا بها النبيه^(١).

إن تفسير ابن أبي الحديد الأخير لا يتفق مع كلام الإمام علي عليه السلام، بل إنه عليه السلام بعد أن ذكر فضائله قبل الإسلام اضاف لذلك مآثره جديدة وهي النبوة.

ورد الإمام علي عليه السلام على ما جاء في كتاب معاوية في مسألة توحيدهما وكونهما من أصل واحد فقال: «أنا كنا نحن وانتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة؟!، ففرق بيننا وبينكم امس أن آمننا وكفرتكم، واليوم أنا استقمنا وفتنتكم، وما أسلم

٣٩٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

مسلمكم الا كرهاً وبعد أن كان انف الإسلام كله لرسول الله ﷺ حرباً»^(١).
ولكن لماذا لم يقل الإمام علي عليه السلام: ولا أنا كأت؟ قال ابن أبي الحديد:
قبيح أن يقال ذلك، كما يقال: السيف امضى من العصا، بل قبيح به أن يقولها مع
أحد من المسلمين كافة، نعم قد يقولها لا تصريحاً، بل تعريضاً، لأنه يرفع نفسه
عن أن يقيسها بأحد»^(٢).

ثم أكد الإمام علي عليه السلام على ان معاوية من الطلقاء، والطلاق هو: كل من
دخل عليه الرسول ﷺ مكة عنوة فملكه بالسيف، ثم منّ عليه عن إسلام أو غير
إسلام، كصفوان بن أمية الذي لم يسلم، ومعاوية الذي اعلن إسلامه، وكذلك
من اسر في حرب الرسول ﷺ فمّنّ عليه بفداء أو غير فداء فهو أيضاً طليق،
فممن امتنّ عليه بفداء كسهيل بن عمرو وبغير فداء مثل أبي عزة الجمحي، ومن
امتن عليه معاوضة مقابل اطلاق اسير من المسلمين عمرو بن أبي سفيان أخو
معاوية، فهؤلاء كلهم من الطلقاء»^(٣).

وفي وصفه عليه السلام لمعاوية اطلق عليه لفظة اللصيق، فهل في نسب معاوية
شبهة؟

يرى ابن أبي الحديد أن الإمام علي عليه السلام هنا لم يقصد النسب، وإنما أراد بالصريح
بالاسلام ويعني نفسه، فهو ممن أسلم اعتقاداً واخلاصاً، اما اللصيق فهو من

(١) الشرح ١٧/ ٢٥٠. وقد عقد ابن أبي الحديد فصلاً اوضح فيه فضل بني هاشم على بني عبد
شمس قبل الإسلام وبعده، الشرح ١٥/ ١٩٥-٢٩٥. وانظر الجاحظ: رسالة فضل هاشم على
عبد شمس ضمن رسائل الجاحظ السياسية ص ٤٠٧-٤٦٠.

(٢) الشرح ١٥/ ١١٨.

(٣) الشرح ١٥/ ١١٩.

أسلم تحت السيف، أو رغبة في دنيا، وقد جاء في أحد كتبه لمعاوية «كنتم ممن دخل في هذا الدين اما رغبة واما رهبة»^(١). وختم الإمام عليه السلام كلامه «ولبس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هوى في نار جهنم»، فالإمام عليه السلام يعيب معاوية على اسلافه، لأنه اتبع آثارهم، واحتذى حذوهم، فهنا عليه السلام لم يعبه لأن سلفه كفار، بل لأنه كان متبعاً لهم^(٢).

وأشار الإمام علي عليه السلام - أن معاوية ممن لم يسلم حتى رضخت له الرضائخ، والرضيخة شيء قليل يعطاه الانسان يصانع به عن شيء يطلب منه كالأجر، وذلك لأنه من المؤلفة قلوبهم، الذين رغبوا في الإسلام والطاعة، بجمال وشاء دفعت إليهم، وهم قوم معروفون كمعاوية واخيه يزيد وابيهما أبي سفيان، وحكيم ابن حزام، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام بن المغيرة، حيث «كان إسلام هؤلاء للطمع والاعراض الدنياوية، ولم يكن عن أصل، ولا عن يقين وعلم»^(٣).

وكان الإمام يؤكد على الموقف السلبي الذي اتخذته معاوية من الإسلام في بدء الدعوة الاسلامية «ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية، وولاية أمر الأمة، بغير قدم سابق، ولا شرف باسق». وهذا ينبغي أن يحمل على نفي كونهم سادة في الإسلام، وليس قبله بدليل:

المعروف رياسة عبد شمس على عدد من بطون قريش، وهم قادة يوم بدر، فكان عتبة قائد النفير، أما أبو سفيان فصاحب العير، أما في أحد والخندق

(١) الشرح ١١٩/١٥. وربما قصد الإمام عليه السلام ما ذكره أبو الفرج في كتابه الأغاني بأن أمية كان عبدا

لعبد شمس ثم تبتأه.

(٢) الشرح ١١٩/١٥.

(٣) الشرح ٢٢٥-٢٢٦/١٧.

فالزعامة لأبي سفيان.

قوله عليه السلام «ولاة أمر الأمة» يفيد أنه يقصد ذلك في الإسلام، لأن لفظة-
الأمة- تعني العرب في ظل الإسلام^(١).

إن الإمام عليه السلام ينكر على معاوية أن يكون له الحق في قيادة الأمة لأنه لا يوجد لديه
ولا أهل بيته «قدم سابق، ولا شرف باسق» أي القدم في الإسلام والجهاد في سبيله.
ولذا أنكر الإمام علي عليه السلام على معاوية دخوله في المفاضلة بين كبار الصحابة
لأنه من الطلقاء: «وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس! وما
للطلقاء وابناء الطلقاء، والتميز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم،
وتعريف طبقاتهم! هيهات، لقد حن قدح ليس منها^(٢)»، وطفق يحكم فيها
من عليه الحكم لها! الا تربع ايها الانسان على ضلعك، وتعرف قصور ذرعك،
وتتأخر حيث اخرك القدر! فما عليك غلبة المغلوب، ولا ظفر الظافر، فانك
لذهاب في التيه، روّاغ عن القصد^(٣).

ثم أكد عليه السلام قتال معاوية واهل بيته للإسلام «فانا أبو الحسن قاتل جدك
واخيك وخالك شدخاً يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب القى
عدوي، ما استبدلت ديناً، ولا استحدثت نبياً وإني لعلى المنهاج الذي تركتموه
طائعين، ودخلتم فيه مكرهين»^(٤).

(١) الشرح ٧٩، ٨١ / ١٥.

(٢) يضرب مثلاً للرجل يدخل نفسه في القوم ليس منهم: أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال
٣٧٠ / ١. ابن نباتة: سرح العيون ص ٢٩٦.

(٣) الشرح ١٨١ / ١٥.

(٤) الشرح ٧٩ / ١٥.

وكتب له في مناسبة أخرى «فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف، وإن قائمه لفي يدي، وقد علمت من قتلت من صناديد بني عبد شمس، وفراغته بني سهم، وجمح وبني مخزوم، وايتمت ابناءهم، وايمت نسائهم واذكرك مالست له ناسياً، يوم قتلت اخاك حنظلة، وجررت برجله إلى القليب، واسرت اخاك عمراً، فجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً، وطلبتك ففررت ولك حصاص؛ فلولا اني لا اتبع فاراً لجعلتك ثالثهما، وأنا أولي لك بالله إليه بره غير فاجرة، لئن جمعتني واياك جوامع الاقدار لا تركنك مثلاً يتمثل به الناس أبداً، ولأجمعجن بك في مناخك حتى يحكم الله بيني وبينك»^(١).

وفي محاوره له مع شيخه النقيب سأله ابن أبي الحديد عن معاوية هل شهد بدرًا؟ قال: نعم، شهدها ثلاثة من اولاد أبي سفيان: حنظلة وعمرو ومعاوية، قتل احدهم واسر الثاني، وافلت معاوية هارباً على رجله، فقدم مكة، وقد انتفخت قدماه، وورمت ساقاه. ثم قال الشيخ: اما سمعت نادرة الاعمش ومناظرته؟ سأل رجل الاعمش - وكان قد ناظر صاحباً له - هل معاوية من أهل بدر أم لا؟ فقال له: اصلحك الله، هل شهد معاوية بدرًا؟ فقال: نعم من ذلك الجانب^(٢).

وقد اعتبر الإمام علي عليه السلام معاوية عدواً للنبي صلى الله عليه وآله: «فإنه لا سواء، إمام الهدى، وامام الردى، وولي النبي، وعدو النبي». فالإمام عليه السلام هنا يشير إلى نفسه كامام للهدى، وإلى معاوية كامام للردى، وسمى معاوية اماماً من قوله تعالى:

(١) الشرح ٨٤/١٥. إن اسلوب هذه الرسالة لا يتناسب مع سجايا الإمام عليه السلام وخصاله وبلاغته،

فطابع التحريف واضح عليها بدليل أنها لم ترد في نهج البلاغة.

(٢) الشرح ٨٥/١٥-٨٦.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾^(١).

ثم نعتة بصفة أخرى الا وهي عداوته للرسول ﷺ، لقوله ﷺ لعلي عليه السلام: عدوك عدوي، وعدوي عدو الله^(٢).

وخلص الإمام للقول: «وأعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تفرض بهم الشورى»^(٣).

إذن كان قتل الإمام لجد واخ وخال معاوية سبباً في خلق كراهيته للإمام، فكان «على اس الدهر مبغضاً لعلي عليه السلام شديد الانحراف عنه، وكيف لا يبغضه، وقد قتل اخاه حنظلة يوم بدر، وخاله الوليد بن عتبة، وشرك عمه في جده. وقتل من بني عبد شمس نفراً كثيراً من اعيانهم وامثالهم، ثم جاءت الطامة الكبرى واقعة عثمان، فنسبها كلها إليه بشبهة امساكه عنه، وانصواء كثير من قتلته إليه عليه السلام، فتأكدت البغضة، وثارَت الاحقاد، وتذكرت تلك الترات الاولى، حتى افضى الأمر إلى ما افضى عليه»^(٤).

٢. ولايته للشام:

اعتمد معاوية، ولايته الطويلة للشام-عذراً في صراعه مع الإمام علي عليه السلام. وكان قد تولاهما بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان منذ خلافة عمر بن الخطاب

(١) سورة القصص اية ٤١.

(٢) الشرح ١٥/١٧٠-١٧١. والحديث اخرجه الحاكم: المستدرک ٣/١٣٨. الخطيب: تاريخ بغداد

٤١/٤. محب الدين: الرياض ٢/٢٢٠. الذهبي: تلخيص المستدرک ٣/١٣٨. الفيروز آبادي:

فضائل الخمسة ٢/٢٠.

(٣) الشرح ١٤/٣٦.

(٤) الشرح ١/٣٣٨.

سنة ١٨هـ، واستمر حتى وفاة الخليفة!! ولما جاء عثمان اقره طوال خلافته، ورغم تعرض أكثر الولاة للعزل في عهد الخليفين، فإنه لم يعزل. ولذا لما جاء الإمام عليه السلام كان معاوية قد امضى سبعة عشر عاماً في ولايته للشام وفي هذه الفترة اجهد نفسه بالاهتمام بإقليم الشام، وكسب ود أهله. واخذ يميل نحو الترف والبذخ رغم نهي الخليفة عمر إياه، لكنه كان يعتذر بأنه في ثغر، ولذا فهو بحاجة للظهور بمظهر خاص امام الروم^(١). ولما تولى عثمان ازدادت مكانة معاوية، ومع بواكير ظهور الفتنة كانت الشام المكان المناسب لنفي الثائرين، والذين دخلوا في مناقشات مع معاوية، الذي احتج عليهم قائلاً: «ليس في زمانى أحد اقوى على ما أنا فيه منى، ولقد رأى عمر بن الخطاب ذلك فلو كان غيري اقوى منى لم يكن عند عمر هوادة لي ولا لغيري». ولما وثب عليه هؤلاء اخذين براسه ولحيته قال لهم: «مه! إن هذه ليست بارض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا امامهم، ما ملكت أن آنهاهم عنكم حتى يقتلوكم»^(٢). وفي هذا إشارة لمدى تمكنه من قلوب أهل الشام.

كان معاوية من اكبر ولاة عثمان ومستشاريه، وهو الذي أشار عليه بالخروج معه إلى الشام أيام الفتنة، وقد اظهر ما في نفسه مستخدماً التهديد ضد كبار الصحابة فيما إذا حصل حادث لعثمان^(٣)، و((من هذا اليوم أنشب معاوية اظفاره في الخلافة؛ لأنه غلب على ظنه قتل عثمان، ورأى أن الشام بيده، وأن أهلها يطيعونه وأن له حجة يحتج بها عليهم، ويجعلها ذريعة إلى غرضه؛

(١) الشرح ١/٣٣٨/٨-٢٩٩-٣٠٠.

(٢) الشرح ٢/١٣٣. وانظر الطبري: تاريخ ٤/٣١٨-٣٢١، ٣٢٤-٥.

(٣) الشرح ٢/١٣٩. وانظر الطبري: تاريخ ٤/٣٤٤-٥.

وهي قتل عثمان إذا قتل، وأنه ليس في امراء عثمان اقوى منه، ولا اقدر على تدبير الجيوش، واستمالة العرب، فبنى امره من هذا اليوم على الطمع في الخلافة. ألا ترى إلى قوله لصعصعة «إنه ليس أحد اقوى مني على الامارة، وإن عمر استعملني، ورضى سيرتي! أو لا ترى إلى قوله للمهاجرين الأولين: إن شرعتم في اخذها بالتغالب، وملتم على هذا الشيخ، اخرجها الله منكم إلى غيركم، وهو على الاستبدال قادر، وانما كان يعني نفسه، وهو يكتفي عنها، ولهذا تربص بنصرة عثمان لما استنصره ولم يبعث إليه أحداً»^(١).

وكان معاوية-مع عظم قدر الإمام علي عليه السلام في النفوس، واعتراف العرب بشجاعته، وانه البطل الذي لا يقام له-يتهدده وعثمان بعد حي بالحرب والمنابذة، ويكاتبه من الشام برسائل شديدة اللهجة، حتى قال له مرة في وجهه «إني اقسم بالله إن لم تتركوا شيخكم يموت على فراشه لا اعطيكم الا هذا السيف»^(٢).

وقد وصف ابن أبي الحديد في امارته «إنه كان كثير الهزل والخلاعة، صاحب جلساء وسمار، ومعاوية لم يتوفر، ولم يلزم قانون الرياسة الا منذ خرج على امير المؤمنين، واحتاج إلى الناموس، والسكينة، والا فقد كان في أيام عثمان شديد التهتك، موسوماً بكل قبيح، وكان في أيام عمر يستر نفسه قليلاً خوفاً منه، إلا أنه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة، ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها، وعليها جلال الديباج والوشي، وكان حينئذ شاباً، وعنده نزع الصبا، واثر الشبيبة، وسكر السلطان والامرة... ولا خلاف في انه سمع الغناء وطرب عليه، واعطى ووصل عليه»^(٣).

(١) الشرح ٢/١٣٩-١٤٠.

(٢) الشرح ١/٣٣٨-٣٤٠. وانظر: أبو هلال العسكري: الاوائل ص ١٤٦.

(٣) الشرح ١٦/١٦١.

٣. مقتل عثمان

لما بويع الإمام علي عليه السلام بالخلافة كتب إلى معاوية: «أما بعد، فإن الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة مني، وبايعوني عن غير مشورة منهم، واجتماع، فإذا أتاك كتابي فبايع لي، واوفد الي اشراف الشام قبلك»^(١).

كان معاوية ينتظر الفرصة المناسبة للوصول إلى الحكم، حيث لم يزل «ذاهمة عالية، يطلب معالي الامور، ويرشح نفسه للرياسة» وجاءت الفرصة إثر مقتل عثمان، خاصة وإن الذي تولى من بعده، ممن يكن له معاوية أشد العداء، حيث كان على اس الدهر مبغضا لعلي عليه السلام^(٢).

وقد اتخذ الإمام قرار عزل معاوية مباشرة بعد البيعة، ذلك القرار الذي جوبه بنقد من قبل البعض كابن عباس، والمغيرة، واعتبره البعض من اخطاء الإمام لأنه «لو كان حين بويع له بالخلافة في المدينة اقر معاوية على الشام إلى أن يستقر الأمر له ويتوطد، ويبايع معاوية واهل الشام ثم يعزله بعد ذلك؛ لكان قد كفى ما جرى بينهما من الحرب»^(٣).

في الواقع إن أمير المؤمنين -عليه السلام- علم من قرائن الأحوال أن معاوية لا يبائع له حتى لو اقره على ولاية الشام، بل إن اقراره اقوى لحال معاوية، وأكد في امتناعه عن البيعة، لأن على الإمام إمّا أن يطالب معاوية بالبيعة ويقرن ذلك بتقليده الشام، أو يطالبه بالبيعة فقط، أو يتقدم منه الإقرار على الشام وتتأخر

(١) الشرح ١/ ٢٣٠-٢٣١، ١٨/ ٦٨.

(٢) الشرح ١/ ٣٣٨.

(٣) الشرح ١٠/ ٢٣٢.

المطالبة بالبيعة إلى وقت آخر، فإن كان الأول، فمن الممكن أن يقرأ معاوية كتاب التقليد على الناس، فيؤكد حاله عندهم، ويقرر في أنفسهم لولا أنه أهل لذلك لما اعتمده علي عليه السلام، ثم يباطله بالبيعة، وإن كان الثاني فهو عين ما فعله الإمام، وإن كان الثالث فهو كالقسم الأول بل أكد لما يريده معاوية من الخلاف والعصيان. إذ «كيف يتوهم من يعرف السير أن معاوية كان يبايع له، لو اقره على الشام وبينه وبينه ما لا تبرك الأبل عليه، من الترات القديمة والاحقأد، وهو الذي قتل حنظلة اخاه، والوليد خاله، وعتبه جده في مقام واحد، ثم ما جرى بينهما في أيام عثمان، حتى اغلظ كل واحد منهما لصاحبه، وحتى تهدده معاوية وقال له: إني شاخص إلى الشام، وتارك عندك هذا الشيخ -يعني عثمان- والله لئن انحصت منه شعرة واحدة، لاضربنك بمائة الف سيف»^(١).

ولذا عدّ ابن أبي الحديد رؤية الإمام في عزل معاوية اصح من رؤية ابن عباس والمغيرة، فالإمام علي عليه السلام: «كان أعلم بحاله مع معاوية، وأنها لا تقبل العلاج والتدبير، وكيف يخطر ببال عارف بحال معاوية ومكره ودهائه، وما كان في نفسه من علي عليه السلام من قتل عثمان، ومن قبل قتل عثمان، وانه يقبل اقرار علي عليه السلام على الشام، وينخدع بذلك، ويبايع ويعطي صفقه يمينه! إن معاوية لادهى من أن يكاد بذلك، وإن علياً عليه السلام لا عرف بمعاوية ممن ظن أنه لو استماله باقراره لبايع له، ولم يكن عند علي عليه السلام دواء لهذا المرض الا السيف؛ لأن الحال إليه كانت تؤول لا محالة، فجعل الآخر أولاً».

إن مسألة انجذاب معاوية لعلي واعطائه البيعة امر مستحيل، إذ أن مبايئته

الفصل الرابع: المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام ٤٠٥

لعلي عليه السلام كمباينة السواد للبياض، لا يجتمعان أبداً، وكمباينة السلب للايجاب، فإنها مباينة لا يمكن زوالها اصلاً^(١).

لقد احسن معاوية استخدام مقتل عثمان كورقة سياسية، بل كان يمهد لها قبل مقتله، إذ لما وصله كتاب مروان يخبره بحصار الخليفة، ارسل معاوية جيشاً امره بالاقامة في مكان حدده له ريثما تأتيه اوامره^(٢)، ولما جاء كتاب مروان الثاني يعلمه بمقتل الخليفة، او عز للجيش بالانسحاب إلى الشام، وأكد ابن أبي الحديد أن معاوية كانت له يد في خروج طلحة والزبير، حيث ابرق لكل واحد منهما بكتاب يدعوه للسير نحو العراق، بعد الالتقاء بوالي عثمان المعزول لليمن، يعلي بن منبه- في مكة لأن الأخير أخذ اموال اليمن وسار إلى مكة، حيث وظفها لصالح الجيش الخارج للبصرة وفي رسالته إلى طلحة والزبير أكد معاوية انه ضمن لهما الشام، حيث بايع لاحدهما بالخلافة، والثاني من بعده، دون تحديد من هو الأول ومن الثاني^(٣). وهكذا اشغل معاوية الإمام علياً عليه السلام - فترة من الزمن حيث معركة الجمل.

ولم يكتف معاوية بذلك، بل راسل كبار الشخصيات الأموية أو المتضررة

(١) الشرح ١٠/٢٣٣.

(٢) الشرح ١٥١/٢، ١٥٤/١٦. البلاذري: انساب الاشراف ٧١-٧٢/٥. الطبري: تاريخ ٣٦٨/٤. وقد حمل ابن عباس معاوية مسؤولية تربصه وخذلانه لعثمان إذ قال: فاقسم بالله لانت المتربص بقتله، والمحب لهلاكه، والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من امره ولقد اتاك كتابه وصريحه يستغيث بك ويستصرخ، فما حفلت به حتى بعثت إليه معذراً بأخره، أنت تعلم انهم لن يتركوه حتى يقتل، فقتل كما كنت اردت..). الشرح ١٥٤/١٦-١٥٥.

(٣)

٤٠٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

من خلافة الإمام علي عليه السلام، وهم - مروان بن الحكم^(١)، وسعيد بن العاص^(٢)،
وعبد الله بن عامر الحضرمي^(٣)، والوليد بن عقبة^(٤)، ويعلى بن منبه^(٥).
يوضح لهم الوضع المأساوي الذي آل إليه الخليفة، والمستقبل المجهول الذي
ينتظرهم، لذا دعاهم إلى رص الصفوف، والوقوف بوجه الخليفة الجديد، مؤكداً
عليهم بأنهم سيقعون تحت طائلة الحساب على أعمالهم السابقة، حيث كتب لعبد
الله بن عامر: «وأعلم أنك غير متروك ولا مهمل» وحذر الوليد بن عقبة «وعن
قليل يجتث اصلك»، اما يعلى بن منبه فكتب إليه «أن القوم قاصدوك بادئ بدء
لاستنطاق ما حوته يداك من المال، فاعلم ذلك واعمل على حسبه»^(٦).
وقد تركت هذه الكتب اثرها فيهم فكتبوا لمعاوية يجرضونه، ويغرونه،
ويجركونه ويهجونه ما عدا سعيد بن العاص الذي كتب له بخلاف ذلك^(٧).

(١) كان مستشار عثمان، وتشير الروايات انه يتحمل المسؤولية الكبرى عن مقتله. الطبري: تاريخ
٣٣٩/٤ وما بعدها.

(٢) كان والي عثمان على الكوفة، فرفضه أهلها، وتم تولية أبي موسى الاشعري، الطبري: تاريخ
٢٧٨/٤ وما بعدها.

(٣) والي عثمان على مكة وهو الذي ايد اصحاب الجمل وجمعهم في مكة ووجد صفوفهم. الطبري:
تاريخ ٤٤٨-٥٠.

(٤) والي عثمان على الكوفة، وقد عزل وجلده الإمام علي عليه السلام اثر شربه الخمر، الطبري: تاريخ
٢٥١-٢٧٧. أبو الفرج: الاغانى ٥/١١٤-٩. الشرح.

(٥) والي عثمان على اليمن، أخذ اموالها ووظفها في حرب الجمل. الطبري: تاريخ ٤٤٣/٤. الفيروز
ابادي: تحفة الأبيّة في من نسب إلى غير ابيه ١/١١.

(٦) الشرح ١٠/٣٣٦-٣٤٠.

(٧) الشرح ١٠/٣٤٠-٣٤٥.

إذن اجتمع إلى معاوية فضلاً عن طموحه في الملك والرياسة، وعلو همته،
اجتمع له تحريض المحرضين، ولو لم يكن إلا شعر الوليد بن عقبة:

فوالله ما هندُ بأَمِكِ إن مَضَى النَّهَارُ ولم يثأر بعثمانِ ثائرُ
أَيَقْتَلُ عبد القومِ سيدَ أهْلِهِ ولم تقتلوه، ليت أمك عاقرُ
ومن عجبٍ أن بتَّ بالشامِ وإدعاً قريراً وقد دارتْ عليه الدوائرُ

إذا فكيف لمعاوية إطاعة عليّ وبيعته، وتسليم نفسه إليه، وهو نازل في الشام
وسط قحطان «ودونه حره لا ترام؛ وهم اطوع له من نعله، والامر قد امكنه الشروع
فيه، وتالله لو سمع هذا التحريض اجبن الناس واضعفهم نفسا وانقصهم همة لحرکه
وشحذ من عزمه؛ فكيف معاوية، وقد ايقظ الوليد بشعره من لا ينام»^(١).

فيما يرى ابن أبي الحديد «وأعلم ان حقيقة الجواب هو أن علياً عليه السلام، كان لا
يرى مخالفة الشرع لأجل السياسة سواء كانت تلك السياسة دينية أو دنيوية. اما
الدنيوية فنحو أن يتوهم الإمام في انسان أنه يروم فساد خلافته من غير أن يثبت
ذلك عليه يقيناً فإن علياً عليه السلام لم يكن يستحل قتله ولا حبسه، ولا يعمل بالتوهم
وبالقول غير المحقق، واما الدينية فنحو ضرب المتهم بالسرقة، فإنه أيضاً لم
يكن يعمل به، بل يقول: أن يثبت عليه باقرار أو بينة، اقامت عليه الحد، والا
لم اعترضه. وغير علي عليه السلام قد كان منهم من يرى خلاف هذا الرأي، ومذهب
مالك بن أنس العمل على المصالح المرسله^(٢)، وإنه يجوز للإمام أن يقتل ثلث

(١) الشرح ٦٨/١٨-٦٩. وانظر شعر الوليد: أبو الفرج: الاغاني ٥/١١٢.

(٢) هي الوصف المناسب لتشريع الحكم الذي يترتب على ربط الحكم به جلب نفع أو دفع ضرر،
ولم يدل شاهد من الشارع على اعتباره أو الغائه. البهادلي: مفتاح الوصول ٢/١٦٠. ولزيد من

التفاصيل ينظر: مذكور: مناهج الاجتهاد ص ٢٨٠-٣٠٧.

٤٠٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الأمّة لاصلاح الثلثين، ومذهب أكثر الناس أنه يجوز العمل بالرأي وبغالب الظن، وإذا كان مذهبه عليه السلام ما قلناه، وكان معاوية عنده فاسقاً، وقد سبق عنده مقدمة أخرى يقينه، وهي أن استعمال الفاسق لا يجوز، ولم يكن ممن يرى تمهيد قاعدة الخلافة بمخالفة الشريعة، فقد تعين مجاهرته بالعزل، وإن افضى ذلك إلى الحرب»^(١).

رابعاً: الطعن في سيرة الإمام علي عليه السلام:

استخدم معاوية الحرب الدعائية ضد الإمام علي - عليه السلام - وذلك بتشويه سمعته، ومن هذه الطعون:

١. اظهر أن الإمام اتخذ موقفاً سلبياً من الخلفاء السابقين حيث جاء في أحد كتبه للإمام علي عليه السلام «لقد حسدت أبا بكر، والتويت عليه، ورمت افساد امره، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته، ثم كرهت خلافة عمر وحسدته، واستطلت مدته، وسررت بقتله، واظهرت الشهامة بمصابه، حتى أنك حاولت قتل ولده لأنه قتل قاتل أبيه^(٢)، ثم لم تكن أشد منك حسداً لابن عمك عثمان؛ ونشرت مقابحه، وطويت محاسنه، وطعنت في فقهه، ثم في دينه، ثم في سيرته، ثم في عقله؛ واغريت به السفهاء من اصحابك وشيعتك، حتى قتلوه بمحضرتك، لا تدفع عنه بلسان ولا يد، وما من هؤلاء الا من بغيت عليه، وتلكأت في بيعته، حتى حملت إليه قهراً، تساق بخزائم الاقتسار، كما يساق الفحل المخشوش، ثم نهضت الآن تطلب الخلافة،

(١) الشرح ١٠/٢٤٦.

(٢) كان رأي الإمام علي قتل عبيد الله بن عمر لأنه قتل الهرمزان وهو ليس قاتل الخليفة عمر.

البلاذري: انساب ٥/٢٤. الطبري: تاريخ ٤/٢٣٩.

الفصل الرابع: المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام..... ٤٠٩
وقتلة عثمان خلساؤك وسجراؤك والمحدقون بك، وتلك من امانى النفوس،
وضلالات الاهواء»^(١).

إن الإمام علياً عليه السلام في موقفه مع من سبقه بالخلافة كان يرى أنه احق بالأمر
طبقاً للافضلية^(٢). هذا الموقف استغله معاوية لتصويره كموقف سلبي للإمام
من الخلفاء السابقين، فاخذ يندد به عسى أن يتفوه الإمام بكلمة أو تصرف
يستعملها معاوية للتنديد به ليس امام أهل الشام فحسب بل حتى امام أهل
العراق^(٣).

وكان الإمام علي عليه السلام يدرك النوايا السلبية لمعاوية لذا رد عليه منكرأ دخوله
في الفاضل والمفضول لأنه من الطلقاء الذين ليس لهم الحق في التمييز بين
المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، ودعاه الإمام لمعرفة
نفسه وقصور ذرعه عن الوصول إلى مكانة المهاجرين^(٤). واستنتج ابن أبي
الحديد أن كلام الإمام علي عليه السلام ينقض ما يقوله من يطعن في السلف، لأنه عليه السلام
انكر عليه المفاضلة بين المهاجرين الأولين اصحاب الدرجات والطبقات
الرفيعة، وإن قدر معاوية يصغر في أن يدخل نفسه في مثل ذلك، فهذه شهادة
قاطعة على علو شأنها، وعظم منزلتها^(٥).

(١) الشرح ١٨٦/١٥.

(٢) الشرح ١٧/٢٥٥-٦. إن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تنص صراحة على إمامة الإمام
علي عليه السلام.

(٣) الشرح ١٨٥/١٥.

(٤) الشرح ١٨١/١٥.

(٥) الشرح ١٩١/١٥.

٤١٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

أن ابن أبي الحديد يحاول أن يقتنص أي كلمة للإمام عليه السلام لتدعيم رأيه في الخلفاء السابقين، وفي النص أعلاه فإن الامام عليه السلام أنكر على معاوية أن يكون له رأي في التفاضل بين الصحابة لأنه من الطلقاء، ولم يكن في كلام الإمام عليه السلام ما يؤيد ماذهب إليه ابن أبي الحديد، بل إن الامام عليه السلام أنكر على معاوية تفضيله الشيخين قائلاً «وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان..»

وندد معاوية بمواقف الإمام من عثمان واتخذ من دمه ورقة سياسية ضده. حيث كتب له «.. كان منك ما كان من الادهان في أمر ابن عمك، والحسد له، ونصرة الناس عنه، حتى قتل بمشهد منك، لا تدفع عنه بلسان ولا يد، فليتك اظهرت نصره حيث اسررت خبره، فكنت كالمعلق بين الناس بعذر، وإن ضعف، والمتبرئ من دمه بدفع وإن وهن، ولكنك جلست في دارك تدس إليه الدواهي، وترسل إليه الافاعي، حتى إذا قضيت وطرك منه، اظهرت شماته، وابديت طلاقه، وحسرت للامر عن ساعدك، وشمرت عن ساقك، ودعوت الناس إلى نفسك، واکرهت اعيان المسلمين على بيعتك»^(١).

وقد انكر الإمام على معاوية دخوله في أمر عثمان، لأن من يحق له المطالبة بدم عثمان إنما هم ابناؤه لصلبه، فإذا زعم معاوية أنه الاقوى، فعليه أن يدخل فيما دخل به المسلمون، ثم يحاكم قتلة عثمان إلى الإمام علي عليه السلام^(٢). وانكر ابن أبي الحديد اتهامات معاوية للإمام عليه السلام فيما يخص مواقفه من الخلفاء واطهار الشماته، وإنه دعى الناس لقتل عثمان، وكراهة طلحة والزبير على البيعة «فكله دعوى

(١) الشرح ١٧/٢٥١-٢٥٢.

(٢) الشرح ٣/٨٩. وانظر: المنقري: صفين ص ٥٧-٥٩.

والامر بخلافها، ومن نظر في كتب السيرة عرف أنه قد بهته، وأدعى عليه مالم يقع منه»^(١).

ومما عاب به معاوية الإمام عليه السلام اتهامه بالزهو والاستطالة على الآخرين «إنك الشامخ بأنفه، الذاهب بنفسه، المستطيل على الناس بلسانه ويده». وقد اسرف معاوية بما وصفه به، ولا شك أن الإمام علياً - عليه السلام - كان عنده زهو، ولكن ليس كما وصفه معاوية، فكان مع زهوه الطف الناس خلقاً^(٢).

وندد بالإمام كونه ترك المدينة المنورة واختار الكوفة: «ثم ترك دار الهجرة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها: إن المدينة لتنقي خبثها كما ينقي الكير خبث الحديد»^(٣). فلعمري لقد صح وعده وصدق قوله، لقد نفت خبثها، وطردت عنها من ليس باهل أن يستوطنها، فاقمت بين المصريين، وبعدت عن بركة الحرمين، ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة، وبمجاورة الخورنق والحيرة عوضاً عن مجاورة خاتم النبوة»^(٤).

إنه لا مانع ولا عيب على الخليفة إذا انتقضت عليه اطراف الإسلام الخروج من المدينة، إذ ليس كل من يخرج منها كان خبثاً، فقد خرج عمر مراراً إلى الشام، وكذلك معاوية قد خرج من المدينة فهل يعد هذا نفياً له، وكذلك طلحة والزبير وعائشة وغيرهم من الصالحين، والواجب على الإمام أن يقدم الالهم على المهم، فالاقامة في الحرمين ومجاورة الرسول ﷺ مهمة، ولكن مصالح الإسلام، وقتال

(١) الشرح ٢٥٥/١٧.

(٢) الشرح ٢٥٢، ٢٥٦. وانظر فصل خصائص الإمام عليه السلام.

(٣) مالك: الموطأ ٢/٤٦٣-٤. مسلم: الصحيح ٩/١٥٣. المتقي الهندي: كنز العمال ١٣/٢١٨.

(٤) الشرح ٢٥٢/١٧. ولكن معاوية نفسه ترك المدينة واتخذ دمشق عاصمة لما تولى الحكم!!؟

أهل البغي أولى من ذلك^(١).

خامساً: موقف الإمام من طلحة والزبير وام المؤمنين:

من الطعون التي وجهها معاوية للإمام قتاله عليه السلام لطلحة والزبير باعتبارهما من شيوخ الإسلام وقتلها، وتشريد أم المؤمنين، واحلالها مبتدلة بين الاعراب وفسقة الكوفة، «تري ابن عمك بهذه لو رآه راضياً، اما كان يكون عليك ساخطاً، ولك عنه زاجراً! أن تؤذي أهله وتشرّد حليلته، وتسفك دماء أهل ملته»^(٢).

اجاب ابن أبي الحديد «إن طلحة والزبير قتلا انفسهما... واما كونها شيخين من شيوخ الإسلام فغير مدفوع، ولكن العيب يحدث، واصحابنا يذهبون إلى انها تابا... واما الوعد لهما بالجنة فمشرّوط بسلامة العاقبة والكلام في سلامتهما، وإذا ثبتت توبتهما فقد صح الوعد لهما وتحقق» واما قوله «لو عاش رسول الله ﷺ فربك هل كان يرضى لك ان تؤذي حليلته». فلعلّ عليه السلام أن يقلب الكلام عليه، فيقول: افتراه لو عاش اكان يرضى لحليلته أن تؤذي اخاه ووصيه! وايضاً أتراه لو عاش اكان يرضى لك يا ابن أبي سفيان أن تنازع علياً الخلافة وتفرق جماعة هذه الأمة! وايضاً أتراه لو عاش كان يرضى لطلحة والزبير أن يبايعا، ثم ينكثا لا لسبب، بل قالوا: جئنا نطلب الدراهم، فقد قيل لنا: إن بالبصرة اموالاً كثيرة! هذا كلام يقوله مثلها»^(٣).

بعد هذه السلسلة من الطعون هدد معاوية الإمام علياً عليه السلام بالحرب: «وها

(١) الشرح ٢٥٥/١٧.

(٢) الشرح ٢٥٢/١٧.

(٣) الشرح ٢٥٤-٢٥٥/١٧. القاضي: المغني ٨٩/٢/٢٠.

أنا سائر اليك في جمع من المهاجرين والأنصار، تحفهم سيوف شامية ورماح قحطانية، حتى يحاكموك إلى الله». ولكن الإمام علياً عليه السلام انكر على معاوية أي وجود للمهاجرين والأنصار معه، قائلاً له: «قد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك». فالإمام يريد أن يقول له إنه ليس معك إلا من الطلقاء وبنائهم الذين اسلموا بعد فتح مكة، والنبي ﷺ يقول: لا هجرة بعد الفتح، وعبر الإمام علي عليه السلام عن يوم الفتح بعبارته فيها تقريع لمعاوية واهله بالكفر، وأنهم ليسوا من أهل السوابق، فقال عليه السلام: «وقد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك» أي يزيد بن أبي سفيان الذي اسر يوم فتح مكة في باب الخندمة^(١)، وقد خرج في عدد من قريش لمحاربة الرسول ﷺ، فقتل بعضهم واسر يزيد، اسره خالد بن الوليد، فخلصه أبو سفيان منه، وادخله داره، فاصبح آمناً^(٢).

إن هذه السلسلة من المراسلات كانت موضع استياء من ابن أبي الحديد «واعجب واطرب ما جاء به الدهر- وإن كانت عجائبه وبدائعه حجة- أن يفضي أمر علي عليه السلام إلى أن يصير معاوية نداً له ونصيراً ماثلاً، يتعارضان الكتاب والجواب، ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه، ولا يقول له علي عليه السلام كلمة الا قال مثلها واخشن مسأ منها، فليت محمداً ﷺ كان شاهداً ذلك؛ ليرى عياناً لا خبراً أن الدعوة التي قام بها، وقاسى أعظم المشاق في تحملها، وكابد الاحوال في الذب عنها، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها، وشيد اركانها، وملاً الآفاق بها خلصت صفواً عفواً لاعدائه الذين كذبوه لما دعا إليه، واخرجوه

(١) جبل بمكة تجمع فيه بعض المشركين لمحاربة المسلمين يوم الفتح، الزمخشري: كتاب الامكنة، ص

٧٨. الحموي: معجم البلدان ٢/ ٣٨٢-٣. الحميري: الروض ص ٢٢٢-٣.

(٢) الشرح ١٧/ ٢٥٠، ٢٥٢، ٣، ٢٥٦-٢٥٧.

عن- أوطانه لما حض عليها، وادموا وجهه، وقتلوا عمه واهله، فكأنه كان يسعى لهم، ويدأب لراحتهم، كما قال أبو سفيان في أيام عثمان وقد مرَّ بقبر حمزة، وضربه برجله، وقال: يا أبا عمارة! إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف امسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به^(١)! ثم آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية علياً كما يتفاخر الاكفاء والنظراء:

وقرَّعَ قَسَا بالفهَاهِةِ باقِلُ	إذا عَيَّرَ الطَّائِيَّ بالبخلِ مادِرُ
وقال الدُّجى يا اصْبُحْ لُونُكَ حَائِلُ	وقال السها للشمس: أنتِ خفيَّةٌ
وكاثرَتِ الشهبُ الحِصادُ الجنادُلُ	وفاخرت الأرض السماء سفاهةً
ويا نفسُ جُدِّي إنَّ دهرَكَ هازِلُ	فيا موتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذميمةٌ

ثم أقول ثانياً لأمير المؤمنين عليه السلام: ليت شعري: لماذا فتح باب الكتاب والجواب بينه وبين معاوية! وإذا كانت الضرورة قد قادت إلى ذلك، فهلا اقتصر في الكتاب إليه على الموعظة من غير تعرض للمفاخرة والمنافرة! وإذا كان لا بد منها فهلا اكتفى بهما من غير تعرض لأمر آخر يوجب المقابلة والمعارضة بمثله. وباشد منه، ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٢). وهلا دفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذا السفیه الاحمق، هذا مع انه القائل: من واجه الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون! أي افتروا عليه، وقالوا فيه الباطل^(٣):

(١) المقرزي: النزاع والتخاصم ص ٣.

(٢) سورة الانعام، الآية: ١٠٨.

(٣) ابيات لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت يهجو مسكين الدارمي الشرح ١٦/ ١٣٧ هـ (المحقق).

أَيُّهَا الشَّامِيُّ لَتُحْسَبَ مِثْلِي إِنَّمَا أَنْتَ فِي الضَّلَالِ تَهِيمٌ
لَا تَسْبِينِي فَلَسْتُ بِسَبِي إِنْ سَبَى مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ

وهكذا جرى القنوت واللعن، قنت بالكوفة على معاوية، ولعنه في الصلاة وخطبة الجمعة، وأضاف إليه عمرو بن العاص، وابا موسى، وابا الاعور السلمي، وحبیب بن مسلمة، فبلغ ذلك معاوية بالشام، فقنت عليه ولعنه بالصلاة، وخطبة الجمعة، وأضاف إليه الحسن والحسين وابن عباس والاشتر النخعي، ولعله عليه السلام قد كان يظهر له من المصلحة حينئذ ما يغيب عنا الآن، والله أمر هو بالغه»^(١).

ثالثاً: وقائع معركة صفين

بعد أن ادرك الإمام علي عليه السلام أنه لا فائدة من مراسلة معاوية بعد أن قدم الأدلة وردّ ادعاءاته في مسألة مقتل عثمان، رأى عليه السلام أنه لا مناص من اللجوء للقوة، ولم يكن عليه السلام يستند في ذلك لمشروعية حكمه فحسب، وإنما أيضاً لما اثر عن الرسول صلى الله عليه وآله بأنه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، «واما الطائفة الفاسقة فاصحاب صفين وساهم رسول الله صلى الله عليه وآله القاسطين.. وهذا الخبر من دلائل نبوته صلوات الله عليه لأنه اخبار صريح بالغيب لا يحتمل التمويه والتدليس كما تحتمله الاخبار المجملة، وصدق قوله عليه السلام.. واما اصحاب صفين فإنهم عند اصحابنا رحمهم الله مخلدون في النار لفسقهم فصح بهم قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(٢).

(١) الشرح ١٦/١٣٦-١٣٧.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٥.

ولقد تمكن جيش معاوية من الوصول إلى شريعة الفرات قبل جيش الإمام علي لذا كانت فرصة ذهبية لمعاوية أن يجرمهم من الماء ولكن السيطرة على الشريعة ما لبثت ان تحولت إلى الإمام علي وجيشه فلذا طلب اصحاب الإمام منه معاملتهم بالمثل، فقال عليه السلام: «لا افعل كما فعله الجاهلون». وسمح لهم باستخدام شريعة الفرات^(١).

إن سيطرة الإمام عليه السلام على الماء، وازاحته لأهل الشام، ثم سماحه لهم باستخدامه كانت من ضمن الطعون التي اثيرت ضد سياسة الإمام عليه السلام حيث قالوا: هلا إذا ملك شريعة الفرات على معاوية، وبعد أن كان معاوية ملكها عليه، ومنعه واهل العراق منها، منع معاوية واهل الشام منها؛ فكان يأخذهم قبضاً بالأيدي! فإنه لم يصبر على منعهم من الماء، بل فسح لهم في الورود، وهذا يخالف ما يقتضيه تدبير الحرب^(٢).

هذه الرؤية فنّدها ابن أبي الحديد وقدّم الأدلة على السبب الذي دفع الإمام لذلك حيث قال: «إنه عليه السلام لم يكن يستحل ما استحله معاوية من تعذيب البشر بالعطش؛ فإن الله تعالى ما أمر في أحد من العصاة الذين أباح دماءهم بذلك، ولا فسح فيه في نحو القصاص، أو حد الزاني المحصن، أو قتل قاطع الطريق، أو قتل البغاة والخوارج، وما كان امير المؤمنين ممن يترك حكم الله وشريعته، ويعتمد ما هو محرم فيها لأجل الغلبة والقهر والظفر بالعدو، ولذلك لم يكن يستحل البيات ولا الغدر ولا النكث، وايضاً فمن الجائز أن يكون عليه السلام غلب

(١) الشرح ٣/٣١٢-٣٣١.

(٢) الشرح ١٠/٢٥٧.

على ظنه أن أهل الشام إن منعوا من الماء كان ذلك ادعى لهم إلى الحملات الشديدة المنكرة على عسكريه، وأن يضعوا فيهم السيوف، فيأتوا عليهم، ويكسروهم بشدة حنقهم وقوة داعيهم إلى ورود الماء، فإن ذلك من أشد الدواعي إلى أن يستमित القوم ويستقتلوا. ومن الذي يقف بين يدي جيش عظيم عرمرم حنق قد اشتد بهم العطش، وهم يرون الماء كبطون الحيات، ولا يحول بينهم وبينه الا قوم مثلهم، بل أقل منهم عدة واضعف عدة، ولذلك لما حال معاوية بين أهل العراق وبين الماء، وقال: لامنعهم وروده فاقتلهم بشفار الظمأ، قال له عمرو بن العاص: خل بين القوم وبين الماء، فليسوا ممن يرى الماء ويصبر عنه، فقال: لا والله لا اخلي لهم عنه فسفّه رأيه وقال: أ تظن أن ابن أبي طالب واهل العراق يموتون بازائك عطشاً، والماء بمعقد الازر، وسيوفهم في ايديهم! فلج معاوية، وقال: لا اسقيهم قطرة، كما قتلوا عثمان عطشاً، فلما مس أهل العراق العطش، أشار علي عليه السلام إلى الاشعث أن احمل، وإلى الاشتر أن احمل، فحملا بمن معها فضربا أهل الشام ضربا اشاب الوليد، وفرّ معاوية ومن رأى رأيه وتابعه على قوله عن الماء كما تفر الغنم خالطتها السباع، وكان قصارى امره، ومنتهى همته أن يحفظ رأسه، وينجو بنفسه، وملك أهل العراق عليهم الماء، ودفعوهم عنه فصاروا في البر القفر، وصار علي عليه السلام واصحابه على شريعة الفرات، مالكين لها، فما الذي كان يؤمن علياً عليه السلام لو عطش القوم أن يذوق هو واصحابه منهم مثل ما اذاقهم! وهل بعد الموت بالعطش أمر يخافه الانسان! وهل يبقى له ملجأ الا السيف يحمله به فيضرب خصمه إلى أن يقتل احدهما»^(١).

ولم يكتف الإمام بذلك الموقف؛ بل عقبه بعدة مواقف كان من خلالها الإمام يريد أن يتوصل لحل سلمي، ويهدف أن يستبصر أهل الشام بصحة موقف الإمام وبطلان موقف معاوية حيث قال لاصحابه لما استبطاؤه في إذنه بالقتال «... فوالله ما دفعت الحرب يوماً الا وأنا اطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشوا إلى ضوئي، فهو أحب إلي من أن اقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بأثامها»^(١).

فكانت معركة صفين التي ادت لسقوط عدد من القتلى من كلا الطرفين، فيهم عدد من كبار الصحابة، ولما ادرك معاوية ان النصر بات وشيكاً لعلي عليه السلام - طلب فرساً لينهزم، ثم أشار عمرو بن العاص على أهل الشام برفع المصاحف، ودعوة أهل العراق إلى الاحتكام إلى كتاب الله تعالى، فهنا انقسم اصحاب الإمام علي عليه السلام أقساماً: «فمنهم من دخلت عليه الشبهة برفع المصاحف، وغلب على ظنه أن أهل الشام لم يفعلوا ذلك خدعة وحيلة، بل حقاً ودعاء إلى الدين وموجب الكتاب، فرأى أن الاستسلام للحجة اولى من الاصرار على الحرب، ومنهم من كان قد مل الحرب، وآثر السلم، فلما رأى شبهة ما يسوغ التعلق بها في رفض المحاربة وحب العافية اخلد إليها. ومنهم من كان يبغض علياً عليه السلام بباطنه، ويطيعه بظاهره، كما يطيع كثير من الناس السلطان في الظاهر، ويبغضه بقلبه، فلما وجدوا طريقاً إلى خذلانه وترك نصرته، اسرعوا نحوها، فاجتمع جمهور عسكره عليه، وطالبوه بالكف وترك القتال، فامتنع امتناع عالم بالمكيدة، وقال لهم: إنها حيلة وخديعة، وإني اعرف بالقوم منكم، إنهم ليسوا

اصحاب قرآن ولا دين، قد صحبتهم وعرفتهم صغيراً وكبيراً، فعرفت منهم الاعراض عن الدين، والركون إلى الدنيا، فلا تراعوا برفع المصاحف، وصمموا على الحرب، وقد ملكتموهم، فلم يبق منهم الا حشاشة ضعيفة، وذمار قليل. فأبوا عليه والحواءصروا على القعود والخذلان، وامروه بالانفاذ إلى المحاربين من أصحابه. وعليهم الاشتهر أن يأمرهم بالرجوع، وتهددوه إن لم يفعل بإسلامه إلى معاوية. فأرسل إلى الاشتهر يأمره بالرجوع وترك الحرب فأبى فقال: كيف ارجع وقد لاحت امارات الظفر! ليمهلني ساعة واحدة. ولم يكن علم صورة الحال كيف قد وقعت. فلما عاد إليه الرسول بذلك. غضبوا ونفروا وشغبوا، وقالوا: انفذت إلى الاشتهر سراً وباطناً، تأمره بالتصميم، وتنهاه عن الكف، وإن لم تعده الساعة، والاقتلناك كما قتلنا عثمان. فرجعت الرسل إلى الاشتهر فقالوا له: أتحب أن تظفر بمكانك وامير المؤمنين قد سل عليه خمسون الف سيف! فقال: ما الخبر؟ قال: إن الجيش يأسره وقد احدث به، وهو قاعد بينهم على الارض، تحته نطع وهو مطرق، والبارقة تلمع على رأسه، يقولون: لئن لم تعد الاشتهر قتلناك! قال: ويحكم! فما سبب ذلك؟ قالوا: رفع المصاحف. قال: والله لقد ظننت حين رأيتهما رفعت أنها ستوقع فرقة وفتنة، ثم كر راجعاً على عقبه، فوجد امير المؤمنين عليه السلام تحت الخطر، قد رده أصحابه بين امرين: إما أن يسلموه إلى معاوية، أو يقتلوه، ولا ناصر له منهم الا ولداه، وابن عمه ونفر قليل لا يبلغون عشرة. فلما رأهم الاشتهر سبهم وشتهم، وقال: ويحكم! ابعث الظفر والنصر صب عليكم الخذلان والفرقة! يا ضعاف الاحلام! يا اشباه النساء! يا سفهاء العقول! فشتموه وسبوه، وقهروه، وقالوا: المصاحف، المصاحف! والرجوع إليها، لا نرى غير ذلك! فأجاب امير المؤمنين عليه السلام إلى التحكيم، دفعاً

٤٢٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

للمحذور الاعظم بارتكاب المحضور الاضعف، فذلك قال: كنت اميراً فاصبحت مأموراً، وكنت ناهياً فصرت منهاياً»^(١).

إن قبول الإمام عليه السلام التحكيم وایقاف الحرب بعد ما لاحت علائم النصر ولم يبق إلا أن يأخذ معاوية ثم ترك ذلك، واخلد إلى التحكيم، وإن تحكيمه عدّه البعض دليلاً على شك في امره، وضعفاً في سياسته!!؟.

إن أهل الشام لما رفعوا المصاحف انخدع بها أهل العراق وقالوا: لا يحل لنا التصميم على حربهم ولا يجوز لنا الا وضع السلاح والرجوع لحكم المصاحف، فإشار الإمام بأنها خديعة، وكلمة حق يراد بها باطل ودعاهم للصبر ولو ساعة، فأبوا قائلين: ارسل إلى الاشر، وبعد أخذٍ وردٍ عاد الاشر وجرى بينه وبين أهل العراق المتخاذلين من السب والشتم، «فإذا كانت الحال هكذا، فأی تقصير وقع من أمير المؤمنين عليه السلام، وهل ينسب المغلوب على امره، المقهور على رأيه إلى تقصير أو فساد تدبير! اما قولهم أن التحكيم يدل على الشك في امره: لأنه إنما يدل على ذلك لو ابتداء هو به، فأما إذا دعاه إلى ذلك غيره، واستجاب إليه أصحابه، فمنعهم وامرهم أن يستمروا على وتيرتهم وشأنهم، فلم يفعلوا، وبيّن لهم أنها مكيدة فلم يتبينوا، وخاف أن يقتل أو يسلم إلى عدوه، فإنه لا يدل تحكيمه على شكه، بل إنه يدل على أنه قد دفع بذلك ضرراً عظيماً عن نفسه، ورجا أن يحكم الحكمان بالكتاب، فتزول الشبهة عن طلب التحكيم من أصحابه»^(٢).

ولما قبل الإمام التحكيم، ووضعت صيغة الصلح رفض معاوية كتابة لفظة

(١) الشرح ١١/٢٩-٣١. وانظر الطبري: تاريخ ٤٨/٥-٥٠.

(٢) الشرح ١٠/٢٥٢-٢٥٣.

الفصل الرابع: المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام ٤٢١

(أمير المؤمنين) للإمام علي عليه السلام برفعها، فاصبح ذلك من المطاعن التي وجهت إلى سياسته حيث قالوا: إن الإمام اخطأ حيث محاسبته بالخلافة من صحيفة الحكومة، لأن ذلك مما وهنه عند أهل العراق، وقوى الشبهة لدى أهل الشام. في الواقع إنه عليه السلام اقتدى في ذلك بفعل الرسول صلى الله عليه وآله في صلح الحديبية، حيث محاسبته عليه السلام من النبوة كما طلب سهيل بن عمرو الذي قال للرسول صلى الله عليه وآله: لو علمنا إنك رسول الله صلى الله عليه وآله لما حاربناك، ولا منعناك البيت. وقد قال صلى الله عليه وآله يومها لعلي عليه السلام وكان الكاتب لصلح الحديبية: ستدعى إلى مثلها فتجيب. وهذا من علائم نبوته صلى الله عليه وآله، ودلائل صدقه، وقد جرى للإمام ما جرى للرسول صلى الله عليه وآله حذو القذة (١) بالقذة (٢).

واختير أبو موسى الأشعري حكماً عن أهل العراق، وعمرو بن العاص عن أهل الشام، وكان ذلك مما اثار الطعن في سياسة الإمام علي عليه السلام، إذ كيف يرضى بحكومة أبي موسى وهو فاسق عنده بتشيطه أهل الكوفة عنه؟ وكيف يرضى بتحكيم عمرو بن العاص وهو افسق الفاسقين؟

إن الإمام علياً عليه السلام كره أبا موسى و اراد ان يجعل بدله ابن عباس فقال أصحابه: لا يكون الحكمان من مضر، فرشح الإمام الاشر، فقالوا: وهل اضرم النار الا الاشر! وهل جر ما ترى الا حكومة الاشر! فأبوا الا أبا موسى، ومدحوه، فاضطر الإمام للقبول على مضض. واما تحكيمه عمراً فإنه لم يرض

(١) القذة: الريشة التي تتركب على السهم. والمثل يضرب في تشابه الشئين. أبو هلال العسكري:

جمهرة الامثال ١/ ٣٨١. النويري: نهاية الارب ٣/ ٢٦.

(٢) الشرح ١٠/ ٢٥٨. وانظر الطبري: تاريخ ٥/ ٥٢-٥٣. وللجاحظ رأي في صحيفة الصلح

حيث يرى بأنها حرفت وزيد فيها. رسالة في الحكمين ص ١٧٢-٦.

٤٢٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

به، وإنما رضاه خصمه، وقد اجاب ابن عباس حينما قال للخوارج: أليس قد قال الله تعالى:

﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾^(١).! رأيتم لو كانت المرأة يهودية، فبعثت حكماً من أهلها، أكنّا نسخط ذلك^(٢).

وكانت نتيجة التحكيم أن خدع عمرو بن العاص أبا موسى، وذهب للشام وبائع لمعاوية، فيما هرب أبو موسى إلى مكة، واصبحت خديعة عمرو له مضرب المثل^(٣).

كانت فلسفة الإمام في التحكيم مفادها: «إننا لم نحكم الرجال، وإنما حكمنا القرآن، هذا القرآن، إنما هو خط مسطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجل، ولما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن، لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله سبحانه وتعالى: وقد قال الله تعالى عز من قائل:

﴿فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٤).

فردوه إلى الله أن نحكم بكتابه، وردوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن نحكم بسنته، فإذا حكم بالصدق في كتاب الله تعالى، فنحن احق الناس به، وإن حكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنحن احق الناس وأولاهم بها^(٥).

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٢) الشرح ١٠/٢٥١، ٢٥٣. وانظر الشريف المرتضى: تنزيه الانبياء ص ١٦٦-١٧٠.

(٣) الشرح ١٠/٥٦-٥٧. وانظر: الزمخشري: ربيع الابرار ١/٧٠٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٥) الشرح ٨/١٠٣. وانظر: الطبري: التاريخ ٥/١٦٦.

إن الإمام هنا يقول: لما دعينا إلى تحكيم الكتاب، لم تكن القوم الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(١).

بل أجبنا إلى ذلك، وعملنا بقول الله تعالى:

﴿فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

ومعنى ذلك أن نحكم بالكتاب والسنة، فإذا عمل الناس بها بالحق، واطرحوا الهوى والعصية، كنا احق بتدبير الأمة، وبولاية الخلافة من المنازع لنا عليها. وقد رفع عليه نفسه أن يصرح بذكر الخلافة فكنتي عنها، وقال: نحن إذا حكم بالكتاب والسنة أولى بهما، ويلزم من كونه أولى بهما من جميع الناس أن يكون أولى بالخلافة من جميع الناس، فدل على ما كنى عنه بالأمر المستلزم له^(٢).

ولكن يمكن التساؤل: إذا كان الرجال الذي يترجمون القرآن ويفسرونه، وقد كلفوا أن يحكموا في واقعة أهل العراق وأهل الشام، بما يدلمهم القرآن عليه، يجوز أن يختلفوا في تفسير القرآن وتأويله، فيدعي صاحب أهل العراق من تفسيره ما يستدل به على مراده، ويدعي وكيل أهل الشام ما يقابل ذلك ويناقضه، بطريق الشبهة التي تمسكوا بها من دم عثمان، ومن كون الإجماع لم يحصل على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، احتاج الحكماء حينئذ إلى أن يحكم بينهما حكمان آخران، والقول فيها كالقول في الأول إلى ما لا نهاية له؛ وإنما كان يكون التحكيم قاطعاً للشغب لو كان القرآن ينص بالصریح الذي لا تأويل فيه، إما

(١) سورة النور، الآية: ٤٨.

(٢) الشرح ١٠٤/٨-١٠٥.

على أمير المؤمنين عليه السلام، وإما على معاوية، ولا نص صريح فيه، بل الذي فيه يحتمل التأويل والتجاذب، فما الذي يفيد التحكيم والحال تعود لا محالة!؟

إن اجابة ابن أبي الحديد عن هذا السؤال تكمن في «أن الحكمين لو تأملا الكتاب حق التأمل، لوجدا فيه النص الصريح على صحة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، لأن فيه النص الصريح على أن الإجماع حجة، ومعاوية لم يكن مخالفاً في هذه المقدمة ولا أهل الشام، وإذا كان الإجماع حجة، فقد وقع الإجماع لما توفي رسول الله ﷺ، على أن اختيار خمسة من صلحاء المسلمين لواحد منهم وبيعته توجب لزوم طاعته وصحة خلافته، وقد بايع امير المؤمنين عليه السلام خمسة من صلحاء الصحابة بل خمسون؛ فوجب أن تصح خلافته، وإذا صحَّت خلافته نفذت احكامه، ولم يجب عليه أن يقيد بعثمان، الا إذا حضر اولياؤه عنده، طائعين له مبايعين، ملتزمين لاحكامه، ثم بعد ذلك يطلبون القصاص من قوم باعيانهم يدعون عليهم دم المقتول، فقد ثبت أن الكتاب لو تُوِّمِلَ حق التأمل لكان الحق مع أهل العراق، ولم يكن لأهل الشام من الشبهة ما يقدر في استنباطهم المذكور»^(١).

إن الآيات القرآنية كآية الولاية والبلاغ وغيرها صريحة في صحة خلافة الإمام عليه السلام.

رابعاً: رؤية الاعتزال لأهل صفين:

تري المعتزلة هلاك أهل صفين لاصرارهم على البغي، وموتهم عليه سواء الرؤساء أو الاتباع. لذا صح فيهم قوله تعالى: «واما القاسطون فكانوا لجهنم

(١) الشرح ٨/١٠٥-١٠٦.

حطباً»^(١)، ولكن الإمام علياً عليه السلام وصف أهل صفين بأنهم إخوان بقوله: «ولكننا إنما أصبحنا نقاتل اخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج». في حين لا يصف المعتزلة المحاربين للإمام من أهل صفين بالمسلمين، فكيف التوفيق في ذلك؟

في الواقع إن المعتزلة وإن كانت تذهب إلى أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمناً، ولا مسلماً، ولكنهم يميزون اطلاق لفظ الإسلام عليه إذا قصد به تمييزه عن أهل الذمة وعابدي الاصنام، فيطلق مع قرينة حالة أو لفظة تخرجه عن أن يكون مقصوداً به التعظيم والثناء والمدح، لأن لفظة «مسلم» و «مؤمن» تستعمل في أكثر الأحوال كذلك، والإمام علي عليه السلام لم يقصد بذلك إلا تمييزهم من كفار العرب وغيرهم من أهل الشرك، ولم يقصد مدحهم بذلك، لذا لا ينكر اطلاق لفظ المسلمين عليهم بهذا القصد^(٢).

ولذا فكبار قادة صفين ك معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة لا يتولاهم المعتزلة ولا يثنون عليهم، وهم لدى المعتزلة في مقام غير محمود، اما رؤية المعتزلة لمعاوية خاصة، فهو «مطعون في دينه عند شيوخنا رحمهم الله... وقد ذكرنا في «نقض السفينانية»^(٣). على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه في كتبهم الكلامية عنه... ولو لم يكن شيء من ذلك، لكان في محاربه الإمام ما يكفي في فساد حاله، لاسيما على قواعد اصحابنا، وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على

(١) سورة الجن، الآية: ١٥. الشرح ١/٩، ٢٠١.

(٢) الشرح ٧/٢٩٩.

(٣) هو رد على كتاب السفينانية للجاحظ. أنظر علي جواد محي الدين: ابن أبي الحديد ص ٢٤٣.

المصير إلى النار والخلود فيها إن لم تكفرها التوبة»^(١).

وقال في معرض مقارنته بين معاوية والخوارج: «وقد طعن كثير من اصحابنا في دين معاوية.... ونقلوا عنه في فلتات كلامه وسقطات الفاظه ما يدل على ذلك». وقد استشهد ابن أبي الحديد بما رواه الزبير بن بكار في كتابه الموفقيات^(٢) من موقف معاوية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اثناء خلافته، وقد أيد ابن أبي الحديد صحة الرواية بقوله بخصوص الزبير بن بكار: «وهو غير متهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حالة من مجانبة علي عليه السلام، والانحراف عنه»^(٣).

وأكد ابن أبي الحديد صحة رؤيته من خلال التأكيد على افعال معاوية المجانبة للعدالة الظاهرة من لبسه الحرير، وشربه في آنية الذهب والفضة، حتى انكر عليه ذلك أبو الدرداء، حيث قال له: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الشارب فيهما ليجر جر في جوفه نار جهنم^(٤). فردّ معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأساً. فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية: أنا اخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخبرني عن رأيه: لا اساكنك بارض أبداً^(٥). وأكد ابن أبي الحديد أن هذا الخبر اخرجه المحدثون والفقهاء في كتبهم في باب الاحتجاج على أن خبر الواحد معمول به في الشرع، وهذا الخبر يقدر في عدالته، كما يقدر في

(١) الشرح ١/٣٤٠، ١٠/١٠١، ٢٠/٣٥. وانظر القاضي: المغني ٢٠/٢-٩٣-٩٤.

(٢) الاخبار الموفقيات ص ٥٧٦-٥٧٧.

(٣) الشرح ٥/١٢٩-١٣٠.

(٤) اخرجه ابن ماجه: صحيح ٢/٢٤٨.

(٥) رواه مالك: الموطأ ٢/٥١٢. النسائي: سنن ٧/٢٧٩. البيهقي: السنن ٥/٢٨٠.

الفصل الرابع: المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام ٤٢٧

عقيدته، لأن من قال في مقابلة خبر قد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله: «أما أنا فلا أرى بأساً فيما حرمه الرسول صلى الله عليه وآله، هذا ليس بصحيح العقيدة»^(١).

وأضاف ابن أبي الحديد: «ومن المعلوم أيضاً من حاله استثنائه بهال الفيء، وضربه من لأحد عليه، واسقاط الحق عن يستحق إقامة الحد عليه، وحكمه برأيه في الرعية، وفي دين الله، واستلحاقه زياداً، وهو يعلم قول رسول الله صلى الله عليه وآله «الولد للفراس وللعاهر الحجر»^(٢). وقتله حجر بن عدي واصحابه، ولم يجب عليهم القتل، ومهانتة لأبي ذر الغفاري وجبهه وشتمه، وإشخاصه إلى المدينة على قتب بغير وطاء لانكاره عليه، ولعنه علياً وحسناً وحسيناً عليهم السلام) وعبد الله بن عباس على منابر الإسلام، وعهده بالخلافة إلى ابنه يزيد، مع ظهور فسقه وشربه المسكر جهاراً، ولعبه بالنرد، ونومه بين القيان المغنيات، واصطحابه معهن، ولعبه بالطنبور بينهن، وتطويره بني أمية للوثوب على مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وخلافته حتى افضت إلى يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد، المفتضحين الفاسقين، صاحب حيابة وسلامة، والاخر رامى المصحف بالسهم، وصاحب الاشعار في الزندقة والاحاد»^(٣).

(١) الشرح ٥/ ١٣٠. وانظر: الجاحظ: رسالة في النابتة ص ٢٤١-٢٤٠.

(٢) اخرجه: الجاحظ: رسالة في الحكمين ص ٣٦٨. رسالة في النابتة ص ٢٤١. مسلم: الصحيح ٣٧/١٠. ابن ماجه: صحيح ١/ ٣٣٩-٤٠. أبي داود: سنن ٢/ ٣٨٢-٣. الطبري: تاريخ ٥/ ٢٧٩. الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ١٣٩. البيهقي: السنن ٧/ ٤٠٢، ٤١٢. ابن الاثير: النهاية ١/ ٢٣-٤.

(٣) الشرح ٥/ ١٣٠-١٣١. عن فكرة الخروج على الامام الجائر عند الخوارج. أنظر: الزوار: الفكر السياسي عند الخوارج ص ٥٨-٧٣.

ويرى ابن أبي الحديد أنه إذا كان الخوارج قد بريء منهم أهل الدين والحق، لأنهم فارقوا الإمام وبرئوا منه، وما عدا ذلك من عقائدهم كالقول بتخليد الفاسق في النار والخروج على امراء الجور وغيرها فالمعتزلة تعتقد بها، فلم يبق ما تقتضي البراءة منهم الا برائتهم من علي عليه السلام، وقد كان معاوية يلعنه على رؤوس الاشهاد على المنابر في الجمع والاعياد، سواء في المدينة أو مكة أو سائر الامصار، إذن فقد شارك الخوارج في الأمر المكروه فيهم، وامتازوا عليه باظهار الدين والالتزام بقوانين الشريعة، والاجتهاد في العبادة، وانكار المنكرات وكانوا احق بأن ينصروا عليه من أن ينصر عليهم، فاتضح بذلك قول الإمام عليه السلام «لا تقاتلوا الخوارج بعدي»، أي في ملك معاوية، ومما يؤيد هذا المعنى ان عبد الله بن الزبير استنصر بالخوارج على يزيد بن معاوية، وقال: لو شايعني الترك والديلم على محاربة بني أمية لشايعتهم، وانتصرت بهم. حتى قال فيه الشاعر^(١):

يا ابنُ الزبيرِ أتموى فتيةً قتلوا ظلماً اباكَ ولما تُنزعِ الشككُ!
ضَحَّوْا بعثمانَ يومَ النحرِ ضاحيةً ياطيبَ ذاكِ الدمِ الزاكي الذي سفكوا

وقد وصف الإمام علي عليه السلام معاوية بأنه عدو النبي، وقد اوضح ابن أبي الحديد ذلك لأن دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من فلتات لسانه، ومن افعاله، ولقد أكد المعتزلة على هذه المسألة خاصة في مؤلفات أبي عبد الله البصري، وابي جعفر الاسكافي، وابي القاسم البلخي^(٢).

وفي اشارته لمفاوضات معاوية وعمرو بن العاص حول كيفية التعاون

(١) الشرح ١٣١/٥. لم أهتد إلى قائل البيت.

(٢) الشرح ١٥/١٧٠-١.

ضد الامام، فطلب عمرو اقليم مصر طعمه له، فقال معاوية: «إني أكره لك أن تتحدث العرب عنك إنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا». فقال عمرو بن العاص: دعني عنك قال ابن أبي الحديد: «قال شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى، قول عمرو له: «دعني عنك» كناية عن الالحاد، بل تصريح به، أي دع هذا الكلام، لا أصل له؛ فإن اعتقاد الاخرة، وأنها لا تباع بعرض الدنيا من الخرافات وقال (رحمه الله تعالى): وما زال عمرو بن العاص ملحداً، ما تردد قط في الالحاد والزندقة، وكان معاوية مثله، ويكفي من تلاعبهما بالاسلام حديث السرار المروي، وأن معاوية عض اذن عمرو. أين هذا من سيرة عمر؟ واين هذا من أخلاق علي عليه السلام، وشدته في ذات الله؟ وهما مع ذلك يعيبانه بالدعابة»^(١). ويخلص للقول أن المعتزلة ترى فساد عقيدة معاوية^(٢).

وفي شرحه لكتاب الامام إلى عمرو بن العاص «فإنك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهر غيّه، مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحلیم بخلطته، فاتبعت أثره، وطلبت فضله؛ إتباع الكلب للضرغام، يلوذ بمخالبه، وينتظر ما يلقي إليه من فضل فريسته، فاذهبت دنياك وآخرتك، ولو بالحق اخذت ادركت ما طلبت».

قال ابن أبي الحديد: إن كل ما قاله الامام هو الحق الصريح بعينه، فالإمام علي عليه السلام لم يحمله بغضه وغضبه منها للمبالغة في ذمها، كما يبالي الفصحاء عند سورة الغضب «ولا ريب عند أحد من العقلاء ذوي الانصاف أن عمراً جعل دينه تبعاً لدنيا معاوية، وأنه ما بايعه وتابعه الا على جعلها له وضمان

(١) الشرح ٦٥/٢.

(٢) الشرح ١١٥/١٥.

٤٣٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

تكفل له بايصاله، وهي ولاية مصر مؤجلة، وقطعة وافرة من المال معجلة، ولولديه وعلمانه ما ملأ أعينهم».

اما وصفه لمعاوية بأنه ظاهر غيّه، فإن ظهور ضلالة وبغيه لا ريب فيه، فكل باغ غاوا، اما مهتوك ستره فإنه كان كثير الهزل والخلاعة، صاحب جلساء وسمار، وهو لم يتوفر ويلزم قانون الرياسة، الا بعد خروجه على الامام عليه السلام، فاحتاج إلى الناموس والسكينة، واما قبل ذلك فكان شديد التهتك موصوفاً بكل قبيح، وكان في أيام عمر يستر نفسه خوفاً منه، لكنه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة، ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها، وعليها جلال الديباج والوشى، وكان حينئذ شاباً وعنده نزق الصبا، واثر الشيبية وسكر السلطان والامرة. واما بعد وفاة الإمام علي عليه السلام واستقرار الأمر له ولا خلاف في أنه سمع الغناء وطرب عليه، واعطى ووصل عليه، واما قوله عليه السلام «يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الخليم بخلطته» فلأنه لم يكن في مجلسه الا شتم بني هاشم وقذفهم، والتعرض بذكر الإسلام والطعن عليه، حتى وإن اظهر انتماءه إليه، واما طلب عمرو فضله واتباعه اثره اتباع الكلب للاسد، فامر ظاهر ولم يقل عليه السلام الثعلب، غضا من قدر عمرو، وتشبيهاً له بما هو ابلغ في الإهانة والاستخفاف^(١).

وعدّ ابن أبي الحديد معاوية وعمر بن العاص من ائمة الضلالة الذين أشار لهم الإمام علي عليه السلام بقوله: «فتقربوا إلى ائمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولوهم الاعمال، وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس». وذكر بعض

(١) الشرح ١٦٠/١٦-١٦٢.

الفصل الرابع: المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام ٤٣١

الاحاديث الموضوعة على لسان النبي ﷺ كحديث في حق معاوية «اللهم قه العذاب والحساب، وعلمه الكتاب»^(١) وكرواية عمرو بن العاص تقرباً إلى قلب معاوية، إن الرسول ﷺ قال: «إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين»^(٢). وكرواية آخرين في أيام معاوية موضوعات في فضائل عثمان تقرباً لمعاوية^(٣).

ويؤكد ابن أبي الحديد أن معاوية ممن أسلم رهبة لذلك كان من المؤلفات قلوبهم^(٤) الذين رغبوا في الإسلام والطاعة بجمال وثناء دفعت إليهم، فكان اسلامهم للطمع والاعراض الدنيوية. ولم يكن عن أصل ولا علم ويقين^(٥).
اما رؤية المعتزلة لعمرو بن العاص، فعند استعراضه لسيرته قال ابن أبي الحديد: إن المعتزلة تحكم على كل من شهد صفين بما يحكم به على الامام الباغي الخارج على الامام العادل، فمذهبهم في صاحب الكبيرة إذا لم يتب الحكم بالنار. ولكن عمراً بن العاص تلفظ بالفاظ في ساعاته الأخيرة فلم لا تكون دليلاً على توبته لقوله «اللهم خذ مني حتى ترضى» وقوله «امرت فعصيت، ونهيت فركبت» وقوله «ولا مستكبر بل مستغفر» فهي الفاظ تفيد الاعتراف والندم، وهو معنى التوبة. يستدل ابن أبي الحديد من قوله تعالى: (وليس التوبة للذين

(١) رواه الهيثمي: تطهير اللسان والجنان بذكر سيدنا معاوية بن أبي سفيان ص ١٦.

(٢) اخبره مسلم: صحيح ٨٧/٣. الهيثمي: الصواعق ص ١٥٦.

(٣) الشرح ٣٩/١١، ٤٢.

(٤) الذين اسلموا رهبة أو رغبة بحطام الدنيا وجعل لهم القرآن نصيباً من الزكاة كما ورد في آية الصدقات الآية ٦٠ من سورة التوبة. أنظر الطبري: جامع البيان ١٠/١٦١-١٦٣.

(٥) الشرح ١٧/٢٢٦.

٤٣٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

يعملون السيئات حتى إذا حضر احدهم الموت قال إني تبت الآن^(١). بأن هذه الآية تمنع من كون ما بدر من عمرو توبة، لأن شروط التوبة معلومة، وليس هذا الاعتراف والتأسف منها في شيء^(٢). فالتوبة عند المعتزلة لها شروط ثلاثة: الأول: الندم على ما مضى من فعل قبيح.

الثاني: العزم على عدم العودة إليه.

الثالث: اللجوء إلى الذنوب السابقة فإن كانت بين العبد وربّه سواء كانت في الاعتقادات أو المسائل العملية كالصلاة والصوم، فعليه تأديتها، وان كانت بين العبد والناس فعليه ارجاع كل حق إلى صاحبه^(٣).

يرى أبو عبد الله البصري أحد شيوخ المعتزلة: إن أول من قال بالارجاء المحض معاوية وعمرو بن العاص، كانا يزعمان أنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولذلك قال معاوية لمن قال له: حاربت من تعلم، وارتكبت ما تعلم، فقال: وثقت بقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(٤).

وإلى هذا المعنى أشار عمرو بن العاص لابنه^(٥) بقوله: تركت أفضل من ذلك، شهادة أن لا إله إلا الله^(٦).

(١) سورة النساء، الآية: ١٨.

(٢) الشرح ٦/٣٢٥.

(٣) القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة ص ٧٨٩-٧٩٩.

(٤) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٥) أنظر الكندي: الولاية والقضاة، ص ٣٣.

(٦) الشرح ٦/٣٢٥-٣٢٦.

وفي تعقيبه على قول عمرو بن العاص يوم صفين: «كم من رجل احسن في الله، عظيم الحال لم ينج من قتلة فلان وفلان» قال ابن أبي الحديد: «ليت شعري لم برأ نفسه! وكان رأساً في الفتنة بل لولاه لم تكن؛ ولكن الله تعالى انطقه بهذا الكلام واشباهه، ليظهر بذلك شكه، وإنه لم يكن على بصيرة من امره»^(١).

وقال في إسلام عمرو أنه مدخول أيضاً، إلا أنه لم يكن عن رضى، وإنما لمعنى آخر^(٢). ولم يجدد ابن أبي الحديد الوأعز الذي دفع عمرًا للإسلام.

وحيثما أورد ما ذكره الواقدي في غزوة بدر حول ما كان يرويه عمرو بن العاص بعد إسلامه حول رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب- في أن شخصاً أخذ صخرة من جبل أبي قبيس^(٣) وارسلها تهوى، فما بقي بيت في مكة الا ودخلها منه فلقة فكان عمرو بن العاص يقول: لقد رأيت كل هذا، ولقد رأيت في دارنا فلقة من الصخرة التي انفلقت من أبي قبيس، ولقد كان ذلك عبرة، ولكن الله لم يرد أن نسلم يومئذ لكنه آخَرَ اسلامنا إلى ما أراد^(٤).

قال ابن أبي الحديد معلقاً: «كان بعض اصحابنا يقول: لم يكف عمرًا أن يقول: رأيت الصخرة في دور مكة، فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء باطناً على وجه النفاق، واستخفافه بعقول المسلمين زعم حتى يضيف إلى ذلك القول

(١) الشرح ٢٥٦/٥.

(٢) الشرح ٢٢٧/١٧.

(٣) أحد جبال مكة، ويقال عنه شيخ الجبال: البكري: معجم ما استعجم ٣/١٠٤٠. الحميري:

الروض ص ٤٥٢.

(٤) الشرح ٩٢/١٤. وانظر الواقدي: المغازي ١/٢٩.

بالجبر الصراح فيقول: إن الله تعالى لم يكن إراد منه الإسلام يومئذ»^(١).

أما أبو موسى الأشعري فهو عند المعتزلة من أرباب الكبائر، لذا حكمه عندهم حكم من واقع كبيرة ومات عليها بلا توبة-قال فيه-ابن متويه-أحد معتزلة البصرة «أما أبو موسى الأشعري فإنه عظم جرمه بما فعله، وأدى ذلك إلى الضرر الذي لم يخف حاله، وكان علي عليه السلام يقنت عليه وعلى غيره، فيقول: اللهم العن معاوية أولاً، وعمراً ثانياً، وابا الأعمور السلمي ثالثاً، وابا موسى الأشعري رابعاً.

روي عنه عليه السلام أنه كان يقول في أبي موسى: صبغ بالعلم صبغاً وسلخ منه سلخاً وأبو موسى هو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: كان في بني إسرائيل حكمان ضالان، وسيكون في امتي حكمان ضالان، ضال من اتبعهما وأنه قيل له: ألا يجوز أن تكون احدهما؟ فقال: لا-أو كلاما ما هذا معناه-فلما بلي به، قيل فيه: البلاء موكل بالمنطق^(٢). ولم يثبت في توبته ما ثبت في توبة غيره، وإن كان الشيخ أبو علي [الجبائي] قد ذكر في آخر كتاب الحكمين أنه جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام في مرض الحسن بن علي، فقال له: أجبئنا عائداً أم شامتا؟ فقال: بل عائداً، وحدت بحديث في فضل العبادة. وهذه إمارة ضعيفة في توبته»^(٣).

(١) الشرح ١٤/٩٢-٩٣.

(٢) قول للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أصبح يضرب كمثل. أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال ١/٢٠٧. ابن منقذ: لباب الاداب ص ٣٣٢.

(٣) الشرح ١٣/٣١٥-٣١٦. القاضي: المغني ٢٠/٢/٩٢. وقد اوضح البغدادي رؤية الاشاعرة. لأهل صفين: «وقالوا في صفين ان الصواب كان مع علي (رضي الله عنه)، وإن معاوية واصحابه بغوا عليه بتأويل اخطئوا فيه ولم يكفروا بخطأهم. وقالوا: إن علياً أصاب في التحكيم غير أن الحكمين اخطأوا في خلع علي عليه السلام من غير سبب اوجب خلعه وخدع أحد الحكمين الآخر». الفرق بين الفرق ص ٢١٢.

معركة النهروان ٣٨ هـ

بعد أن اضطر الإمام عليه السلام للقبول بالتحكيم تحت تحاذل أصحابه، وتمت كتابة صحيفة الهدنة بين أهل العراق والشام، وتعيين الحكّمين، وإذا بطائفة من أصحابه ينادون «لا حكم الا لله». ويطالبون الإمام عليه السلام بالاستمرار في الحرب، ولما اوضح لهم الإمام عليه السلام أن ذلك غير جائز، كفروه وخرجوا عليه معسكرين في النهروان^(١)، وبعد مناظرات له عليه السلام معهم دون فائدة كانت المعركة الثالثة وهي معركة النهروان التي تمكن الامام من استئصال الخوارج فيها، لكنهم تفرقوا في البلاد^(٢). فيا ترى ما هو تحليل ابن أبي الحديد والمعتزلة لاحداث النهروان؟.

المعروف عن سياسة الإمام عليه السلام الحربية انتهاجه أولاً الدعوة إلى السلم، وفتح باب الحوار، اما الحرب فهي آخر الدواء، فبعد أن أكّد لهم أنه لا بد للناس من

(١) النهروان: نسبة إلى نهر يسمى النهروان. البكري: معجم ما استعجم ٤/١٣٣٦-٧. الحموي:

معجم ٥/٣٢٤-٧. الحميري: الروض ص ٥٨٢-٥٨٣.

(٢) عن احداث معركة النهروان أنظر الشرح ١/٩، ٢٠١، ٢/١٩١-٧، ٢٦٥-٨٣، ٣٠٧-١١،

٣/١٢٧-٥١، ٥/٧٨-١٣١، ٦/١٢٩-٣٢، ٧/٢٩٢-٣، ٩/٣٧، ١٠/٢٤٩، ٢٥١،

١٨/٢٧، ٧٢-٣، ٨/١١٣-٨. وانظر الطبري: تاريخ ٥/٧٢-٩٢.

٤٣٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

امير بر أو فاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر- كما اوضحنا ذلك في بدء الفصل اوفد ابن عباس لمناظرتهم موصياً إياه: «لا تخصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون. ولكن حاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً»^(١). اعتبر ابن أبي الحديد وصية الامام هذه «كلام لا نظير له في شرفه وعلو معناه». حيث أن القرآن يضم الآيات المحكمة والمتشابهة، والتي يغلب على ظن البعض أنها متناقضة نحو قوله تعالى:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٢).

وقوله:

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٣).

ونحو قوله:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٤).

وقوله:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾^(٥).

(١) الشرح ١٨ / ٧١. وانظر مؤلف مجهول: اخبار العباس ص ٣٩-٤٠. ابن عبد البر: جامع بيان

العلم ٢ / ١٠٣-٤. البيهقي: السنن ٨ / ١٧٩-٨٠. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٩٩. محب

الدين: الرياض ٢ / ٣٢٠.

(٢) سورة الانعام، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة القيامة، الآية: ٢٣.

(٤) سورة يس، الآية: ٩.

(٥) سورة فصلت، الآية: ١٧.

ونحو ذلك، وهو كثير جداً، واما السنة فليست كذلك، وذلك لأن الصحابة كانت تسأل رسول الله ﷺ وتستوضح منه الاحكام في الوقائع، وما عساه يشبه عليهم من كلامه؛ يراجعونه فيه، ولم يكونوا يراجعونه في القرآن الا فيما قل؛ بل كانوا يأخذونه منه تلقفاً، وأكثرهم لا يفهم معناه، لا لأنه غير مفهوم، بل لأنهم ما كانوا يتعاطون فهمه، اما اجلالاً له أو لرسول الله ﷺ أن يسألوه عنه، أو يجرونه مجرى الاسماء الشريفة له التي إنما يراد منها بركتها لا الاحاطة بمعناها؛ فلذلك كثر الاختلاف في القرآن، وايضاً فإن ناسخه ومنسوخه أكثر من ناسخ السنة ومنسوخها وقد كان بعض الصحابة يسأل النبي ﷺ عن معنى كلمة وردت في القرآن فيفسرها له تفسيراً مقتضباً، فلا يستوعب فهمها، حيث لما نزلت آية الكلالة^(١)، وقال تعالى في آخرها:

﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾^(٢).

سأل عمر النبي ﷺ عن آية الكلالة، فاجابه ﷺ يكفيك منها آية الصيف، لم يزد على ذلك، فسكت عمر ولم يراجعه ولم يفهم مراد الرسول ﷺ حتى مات عمر، وكان يقول بعد ذلك: اللهم مهما بينت، فإن عمراً لم يتبين. يشير لقوله تعالى:

﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾.

ولكنهم في السنة كانوا على خلاف ذلك من مخاطبة الرسول ﷺ وفهم ألفاظه، لذا دعا الامام ابن عباس لمحاججتهم بالسنة.

(١) ابن ماجه: صحيح ٢/ ١١٥. أبي داود: سنن ٣/ ١٢٠. ابن الطيب: المعتمد ١/ ٣٠٢، ٣٥٧.

البيهقي: السنن ٦/ ٢٢٤، ٨/ ١٥٠. القرطبي: الجامع ٦/ ٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢.

ولكن ابن عباس حاججهم بالقرآن، كقوله تعالى:

﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾^(١).

وقوله:

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٢).

ولذلك لم يرجعوا فالتحمت الحرب. وكان غرض الإمام علي عليه السلام من المحاججة بالسنة هو ما اثر عن الرسول صلى الله عليه وآله من احاديث بحق الإمام علي عليه السلام كقوله صلى الله عليه وآله «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار» وقوله «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله». «ونحو ذلك من الاخبار التي كانت الصحابة قد سمعتها من فلق فيه صلوات الله عليه، وقد بقي ممن سمعها جماعة، تقوم الحجة وتثبت بنقلهم، ولو احتج بها على الخوارج في انه لا يجل مخالفته والعدول عنه بحال لحصل من ذلك غرض أمير المؤمنين عليه السلام في محاجتهم، واغراض أخرى أرفع واعلى منهم، فلم يقع الأمر بموجب ما إراد، وقضي عليهم بالحرب، حتى اكلتهم عن آخرهم، وكان أمر الله مفعولاً»^(٣).

ويروى أن الإمام علياً عليه السلام تمكن قبل معركة النهروان من اقناع الخوارج حينما قالوا له: أنا اذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم، وقد تبنا، فتب إلى الله كما تبنا نعد لك. فقال عليه السلام: أنا استغفر الله من كل ذنب، فرجعوا معه وهم ستة الاف. لكن الاشعث جاء للإمام فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد تحدثوا إنك رأيت

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(٣) الشرح ١٨ / ٧١-٧٣.

الفصل الرابع: المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام ٤٣٩

الحكومة ضلالاً والاقامة عليها كفراً، فقام عليه السلام وقال: من زعم أنني رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالاً فقد ضل، فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت^(١).

عدّ ابن أبي الحديد ان كل فساد في خلافة الامام، وكل اضطراب فاصله الاشعث، فلولا محاقته الامام في معنى الحكومة هذه المرة لما كانت معركة النهروان، وكان عليه السلام نهض باصحابه لمعاوية، وملك الشام، فإنه صلوات الله عليه حاول أن يسلك معهم مسلك التعريض والمواربة طبقاً للمثل النبوي «الحرب خدعة» وذلك أنهم لما قالوا له: تب إلى الله مما فعلت كما تبنا ننهض معك إلى حرب الشام، فقال لهم كلمة مجملّة مرسلّة، يقوّلها الانبياء وهي قوله: استغفر الله من كل ذنب. فرضوا بها واعتبروها اجابة لسؤالهم، وصفت له نيّاتهم، واستخلص بها ضمائرهم، من غير أن تتضمن تلك الكلمة اعترافاً بكفر أو ذنب، فلم يتركه الاشعث، وجاء إليه مستفسراً وكاشفاً عن الحال وهاتكاً ستر التورية والكناية، ومخرجاً لها من ظلمة الاجمال وستر الحيلة إلى تفسيرها بما يفسد التدبير، ويوغر الصدور، ويعيد الفتنة، ولم يستفسره عليه السلام عنها إلا بحضور من لا يمكنه أن يجعلها معه هدنة على دخن^(٢) ولا ترقيقاً من صبح^(٣)، والجاه

(١) الشرح ٢/٢٧٩. وانظر المبرد: الكامل ٣/٢١٠-١.

(٢) مثل يضرب على المصالح. الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ٢٤٨-٩. الميداني: مجمع الامثال ٢/٣٨٢. الزمخشري: الفائق ٣/١٩٦-٧. ابن الاثير: النهاية ٢/١٠٩. النويري: نهاية الارب ٣/٥٥.

(٣) مثل يضرب لمن كنى عن شيء ويريد غيره. أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال ١/٢٩. الثعالبي:

التمثيل والمحاضرة ص ٣٧. الميداني: مجمع الامثال ٢/٢١. الزمخشري: الفائق ١/٥٠٠. ابن

الاثير: النهاية ٢/٢٥٣.

٤٤٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

بتضييق الخناق عليه إلى أن يكشف ما في نفسه، ولا يترك الكلمة على احتمالها، ولا يطويها على غيرها، فخطب بما صدع به عن صورة ما عنده مجاهرة، فانتقض ما دبره، وعادت الخوارج لشبهتها الأولى. وهكذا الدول التي تظهر فيها إمارات الانقضاء والزوال، يتاح لها أمثال الأشعث من أولي الفساد في الأرض:

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١).

لم يكن الإمام علي عليه السلام يستند في قتاله للخوارج على سلطته الشرعية فحسب، وإنما أيضاً إلى ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم في قتال الامام هؤلاء حيث قال له عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين والمعروف ان المارقين هم الخوارج، وقال صلى الله عليه وسلم: في وصفهم بالمارقين «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(٢).

وبعد أن اشتبك معهم الإمام علي عليه السلام - كان يرفع رأسه إلى السماء تارة ثم يطرق للأرض تارة أخرى ويقول: «ما كذبت ولا كُذِّبتُ»، هذا الموقف من الامام كان موضع طعن من -ابراهيم بن سيار النظام- أحد معتزلة البصرة، الذي عدّه ايهاً من الامام، إما بنزول الوحي عليه، أو أنه موحى عليه من قبل بشأن الخوارج بأمر. وأشار النظام لسؤال الحسن لأبيه (عليهما السلام): أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم إليك في أمر هؤلاء بشيء؟ فقال عليه السلام: لا، ولكن رسول

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٦٢.

(٢) اخرجه مسلم: الصحيح ١٥٩/٧. الملطي: التنبيه ص ١٨٢-٣. البيهقي: السنن ١٦٩-٧١.

الطبرسي: اعلام الورى ص ١٩٨. محب الدين: الرياض ٣١٨/٢. السيوطي: الخصائص:

١٦/٣-١٧. الفيروز آبادي: فضائل الخمسة ٢/٤٠٠-٤١٠.

الله ﷺ أمرني بكل حق، ومن الحق أن اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين^(١).
عَلَّق ابن أبي الحديد على طعن النظام قائلاً: «إن النظام اخطأ عندنا في تعريضه بهذا الرجل خطأ قبيحاً، وقال قولاً منكراً، نستغفر الله له من عقابه، ونسأله عفوه عنه، وليست الرواية التي رواها عن الحسن وسؤاله لأبيه (عليهما السلام) وجوابه له، بصحيحه ولا معروفة، والمشهور المعروف المنقول نقلاً يكاد يبلغ درجة المتواتر من الاخبار، ما روي عن رسول الله ﷺ في معنى الخوارج بأعيانهم، وذكرهم بصفاتهم، وقوله ﷺ لعلي عليه السلام: «إنك مقاتلهم وقاتلهم وإن المخدج ذا الثديية منهم»^(٢)، وإنك ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين المارقين». فجعلهم اصنافاً ثلاثة حسب ما وقعت الحال عليه. وهذا من معجزات الرسول ﷺ، واخباره عن الغيوب المفصلة. فما أعلم من أي كتاب نقل النظام هذه الرواية، ولا عن أي محدث رواها، ولقد كان رحمة الله تعالى بعيداً عن معرفة الاخبار والسير منصباً فكره، مجهداً نفسه في الامور النظرية الدقيقة كمسألة الجزء، ومداخلة الاجسام وغيرها، ولم يكن الحديث والسير من فنونه ولا من علومه؛ ولا ريب أنه سمعها ممن لا يوثق بقوله، فنقلها كما سمعها»^(٣).

واما سبب نظر الامام عليه السلام تارة إلى السماء واخرى إلى الارض وقوله «ما كذبت ولا كُذبت»، فهذا إشارة لاستبطائه وجود المخدج (ذا الثديية) مع القتلى،

(١) الشرح ١٢٩/٦. وانظر الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٠.

(٢) هو حرقوص بن زهير ذو الخويصرة الذي قال للرسول ﷺ: اعدل يا محمد. الطبري: تاريخ

٨٨/٥. أبي داود: سنن ٢٤٥/٣. ابن حزم: الفصل ٥٥/٤. البيهقي: السنن ١٧٠-١٧١.

الشهرستاني: الملل ١٥٧/١. السيوطي: الخصائص ١٦/٣.

(٣) الشرح ١٣٠/٦.

٤٤٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وخشي عليه دخول الشبهة على أصحابه لأنه اخبرهم بأنه سيقتل، فاخذ يكرر قوله «ما كذبت ولا كذبت» أي إن الإمام عليه السلام لم يكذب على الرسول صلى الله عليه وآله، ولا الرسول صلى الله عليه وآله كذب فيما أخبر به الإمام عليه السلام. فكان عليه السلام حين يرفع رأسه إلى السماء يدعو ويتضرع إلى الله في تعجيل الظفر بالمنخدج وحينما يطرق إلى الارض يغلبه الهم والتفكير^(٤).

وعدّ النظام قول الإمام «إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله فهو كما حدثتكم، فوالله لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا سمعتموني احدثكم فيما بيني وبينكم، فإنما الحرب خدعة» يجري مجرى التديليس في الحديث، فلو لم يحدثهم عن الرسول صلى الله عليه وآله بالمعاريض، وعلى طريق الايهام لما اعتذر من ذلك. ولكن ابن أبي الحديد يرى أن النظام قد وهم ولم يفهم مقصد الإمام عليه السلام، فالإمام لشدة ورعه أراد أن يميز للسامعين ما بين ما يخبر به عن نفسه، وما يرويه عن الرسول صلى الله عليه وآله، وذلك لأن الضرورة ربما تدعوه لاستعمال المعاريض، لا سيما في الحرب القائمة على الخديعة والرأي، فأخبرهم عليه السلام أن ما يقوله لهم بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وآله فهو سليم من المعاريض، خال من الرمز والكناية، لأنه عليه السلام لا يستجيز ولا يستحل الالغاز في حديث النبي صلى الله عليه وآله، اما ما يحدثهم به عن نفسه فلربما يستعمل عليه السلام فيه المعاريض لأن الحرب خدعة^(٥).

وعدّ ابن أبي الحديد كلام الإمام عليه السلام هذا كلام من استعمل التقوى والورع

(٤) الشرح ٦/ ١٣٠-١٣١. فكرة ابن أبي الحديد هذه نجدها ماثلة لدى الشريف المرتضى والذي قد يكون هو مصدر ابن أبي الحديد مع عدم إشارة الأخير له. انظر: تنزيه الانبياء ص ١٧١-١٨٩.

(٥) الشرح ٦/ ١٣١. وانظر: الاربلي: كشف الغمة ١/ ١٢٧.

في جميع اموره، حيث بلغ من تعظيم أمر الرسول ﷺ، واجلال قدره، واحترام حديثه الا يرويه الا بالفاظه لا بمعانيه، ولا بأمر يقتضي فيه إلباساً وتعمية، حتى لو كان مضطراً لذلك؛ ترجيحاً للجانب الذي على جانب مصلحته في خاص نفسه، اما إذا قال كلاماً من نفسه فيجوز استعمال المعاريض إذا اقتضت الحكمة والتدبير، كما كان يفعل الرسول ﷺ، ففي فتحه لمكة قال لاصحابه كلاماً يقتضي أنه يقصد بني بكر بن عبد مناة من كنانة، ولم يعرفوا الحقيقة حتى شارفوا مكة، وقال لاعرابي لما سأله ممن أنت؟ قال من ماء. فتحير الاعرابي وقال من ماء فلان أو فلان. وكان النبي ﷺ يقصد انه من نطفة^(١).

وذهب النظام إلى أن الامام لو لم يحدث عن الرسول ﷺ بالمعاريض لما اعتذر من ذلك، فأنكر ابن أبي الحديد وجود اعتذار للامام، وإنما الامام نفى أن يدخل المعاريض في روايته عن الرسول ﷺ واجازها بالنسبة لنفسه، وهذا لا يتضمن اعتذاراً، واستدل بقوله عليه السلام: «لأن آخر من السماء» دليل على أنه عليه السلام ما فعله ولا يفعله^(٢).

ومن شبهات الخوارج «نهيتنا عن الحكومة، ثم امرتنا بها، فما ندري أي الامرين ارشد». ومعنى ذلك إنك نهيت عن الحكومة أولاً ثم امرت بها ثانياً، فإن كانت قبيحة كنت بنهيك عنها مصيباً، وبامرك فيها مخطئاً، وإن كانت حسنة، كنت بنهيك عنها مخطئاً وبأمرك بها مصيباً، فلا بد من خطأ على كل حال.

يرى ابن أبي الحديد أن للإمام أن يعمل حسبما يغلب على ظنه من المصلحة،

(١) الشرح ٦/١٣٢.

(٢) الشرح ٦/١٣٢.

٤٤٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

فهو عليه السلام لما نهاهم أولاً كان نبيه مصلحة، ولما امرهم بها كانت المصلحة في ظنه قد تغيرت، فامرهم على حسب ما تبدل وتغير في ظنه^(١).

وكان الإمام علي عليه السلام قد ردَّ على قول الخارجي أعلاه: «هذا جزاء من ترك العقدة» أي الرأي الوثيق، وقد استنتج ابن أبي الحديد من هذا الكلام أن الامام قد ظهر له فيما بعد ان الرأي الاصلح كان هو الاصرار والثبات على الحرب، وإن كان ذلك مكروهاً فالله تعالى يجعل فيه الخير أي إنه عليه السلام كان يرى حملهم على الحرب وترك الالتفات لمكيدة معاوية وعمرو من رفع المصاحف، فإذا ما استقاموا له فقد اهدوا، وإذا لم يستقيموا فسينقسموا إلى قسمين:

الأول: اعوجاجهم وعصيانهم وفتور همتهم وقلة الجد في الحرب.

والثاني: التآني والامتناع المطلق عن الحرب.

فإذا كان الأول فسيقوم الامام بتقويمهم بالتأديب والإرشاد وارهاق الهمم و العزائم بالتصبير والوعظ والتحريض والتشجيع. وإن كان الثاني: تدارك الأمر بالاستنجد بغيرهم من قبائل العرب واهل خراسان والحجاز، فكان عليه السلام يرى انه لو فعل ذلك لكانت هي العقدة الوثقى أي الرأي الاصبوب والاحزم. ولكن هذا لا يعني أن الامام اخطأ بمعنى الاثم وإنما فعل ما غلب على ظنه أنه المصلحة، وليس الواجب عليه الا ذلك، ولكنه ترك الرأي الاصبوب، فالاثم لا يلحق من غلب على ظنه في حكم السياسة أمر فاعتمده، ثم بان له أن الاصبوب كان خلافه، وقد قيل انه أشار لهذا المعنى بقوله^(٢):

(١) الشرح ٧/٢٩١-٢٩٢.

(٢) الشرح ٧/٢٩٢-٢٩٣. وانظر الشريف المرتضى: تنزيه الانبياء ص ١٧٠-١٧١.

لقد عَثَرْتُ عَثْرَةً لَا تَنْجِبُ
سوف أكيسُ بعدها واستمر
وأجمعُ الرأيَ الشَّيْتِ المُتَشِيرِ

ولقد اوضح الامام السبب الذي دعاه لعدم استخدام هذا الرأي وهو لعدم وجود من يطيعه فالذين معه قد عصوه وخالفوه، اما الغائبون في البلاد البعيدة، فإلى أن يصلوا إليه يكون العدو قد بلغ منه غرضه^(١).

لم يكن ابن أبي الحديد مصيبا فالامام يقصد بالذي ترك العقدة إنما أصحابه الذين اصرروا على التحكيم رغم ايضاح الامام لهم انه مكيدة.

ونوه ابن أبي الحديد برؤية أحد كبار معتزلة البصرة ألا وهو الجاحظ حول موقف الامام من التحكيم وهي: «من عرفه عرف أنه غير ملوم في الانقياد معهم إلى التحكيم، فإنه ملّ من القتل وتجريد السيف ليلاً ونهاراً، حتى ملت الدماء من اراقته لها، وملت الخيل من تقحمة الاهوال بها، وضجر من دوام تلك الخطوب الجليلة، والارزاء العظيمة، واستلاب الانفس، وتطاير الايدي والارجل بين يديه، واكلت الحرب أصحابه واعداءه، وعطلت السواعد، وخذرت الايدي التي سلمت من وقائع السيوف بها، ولو أن أهل الشام لم يستعفوا من الحرب، ويستقبلوا من المقارعة والمصادمة، لادت الحال إلى قعود الفيلقين معاً، ولزومهم الارض والقائهم السلاح، فإن الحال أفضت بعظمها وهو لها إلى ما يعجز اللسان عن وصفه»^(٢).

إن رؤية الجاحظ هذه تبدو عليها ميوله الخاصة، إنه تناسى أن معاوية طلب

(١) الشرح ٧/ ٢٩٤. أنظر رؤية الإمامية عند التستري ١٠/ ٣٨٢-٣٨٣.

(٢) الشرح ٧/ ٢٩٣-٢٩٤. وانظر: الصاحب بن عباد: نصره مذهب الزيدية ص ٧١-٨٣.

فرساً لينهزم، وهذا ما كان الا بعد أن ادرك حلول الهزيمة، وتناسى الجاحظ عبقرية عمرو بن العاص ودهائه واستخدامه المصاحف للاغراض الحربية الشخصية بدلاً من الاغراض الربانية، وتناسى أنه بعد أن القيت الشبهة على أهل العراق انسحب أكثرهم ما خلا الاشر وثلة معه وهو يتقدم شبراً شبراً وفي هذا دلالة على هزيمة واضحة لأهل الشام، فأين يا ترى هذا من رؤية الجاحظ إنه لو لم يطلب أهل الشام ايقاف الحرب، للجا الطرفين للجلوس على الارض وإلقاء السلاح، دلالة على تساويهما بالقتال، إن هذا الرأي من الجاحظ يفسره ميله كاحد شخصيات معتزلة البصرة!!؟.

إن الخوارج تذهب إلى تكفير مرتكب الكبيرة وقد عدوا التحكيم من الكبائر لذا كفروا الإمام علياً عليه السلام وكل من قبل التحكيم، وقد ردّ الامام عليه السلام على اعتقادهم هذا بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكفر مرتكب الكبيرة، فقد رجم الزاني ثم صلى عليه، وورثه أهله، وقتل القاتل وورث ميراثه أهله، وقطع يد السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم لهما من الفيء، وزوجهما من المسلمات واحتجاج الامام هذا لازم وصحيح لأنه لو كان مرتكب الكبيرة كافر لما صلى عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا ورثه، ولا زوجه المسلمات، ولا أعطاه من الفيء، ولاخرجه من لفظ الإسلام^(١).

ولكن الامام اوصى بعدم قتال الخوارج من بعده قائلاً: «لا تقاتلوا الخوارج من بعدي، فليس من طلب الحق فاخطأه، كمن طلب الباطل فادركه». فمراده عليه السلام ان الخوارج ضلوا بشبهة دخلت عليهم مع أنهم كانوا يطلبون الحق،

ولهم تمسك في الدين ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها وإن كانوا مخطئين فيها، في حين ان معاوية «لم يكن يطلب الحق، وإن كان ذا باطل، ولا يحامي عن اعتقاد قد بناه على شبهة، واحواله كانت تدلل على ذلك، فإنه لم يكن من ارباب الدين، ولا ظهر عنه نسك ولا صلاح حال، وكان مترفاً يُذهب مال الفيء في مآربه؛ وتمهيد ملكه ويصانع به عن سلطانه، وكانت احواله كلها مؤذنة بانسلاخه من العدالة، واصراره على الباطل، وإذا كان كذلك لم يجوز أن ينصر المسلمون سلطانه، وتحارب الخوارج عليه، وأن كانوا أهل ضلالة؛ لأنهم احسن حالاً منه، فانهم كانوا ينهون عن المنكر، ويرون الخروج على ائمة الجور واجباً»^(١).

و المعتزلة تتفق مع الخوارج في وجوب الخروج على ائمة الجور وإن الفاسق المتغلب بغير شبهة يعتمد عليها لا يجوز نصره على من يخرج عليه ممن ينتمي إلى الدين، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، بل يجب أن يُنصر الخارجون عليه، وإن كانوا ضالين في عقيدة اعتقدوها بشبهة دينية دخلت عليهم، لأنهم اعدل منه واقرب للحق، والمعروف أن الخوارج ملتزمون بالدين، وعلى العكس من معاوية^(٢).

وبعد سرده لاحداث وسير رجالات الخوارج^(٣) قال ابن أبي الحديد «فهذا يسير مما هو معلوم من حال هذا الطائفة في خشونتها في الدين، وتلزمها بناموسه، وإن كانت في أصل العقيدة على ضلالة، وهكذا قال النبي ﷺ، تستحقر صلاة

(١) الشرح ٧٨/٥.

(٢) الشرح ٧٨/٥-٧٩، ١٣١. ومن هنا سمي المعتزلة: مخانث الخوارج لأنهم لم يحملوا السلاح.

البغدادي: الفرق ص ٧١.

(٣) الشرح ٨٠/٥-١٢٩.

احدكم في جنب صلاتهم، وصيام احدكم في جنب صيامهم»^(١).

ومعلوم أن معاوية ومن بعده من بني أمية لم تكن هذه الطريقة طريقتهم؛ ولا هذه السنة سنتهم، وأنهم كانوا أهل دنيا واصحاب لعب وهو وانغماس في الملذات، وقلة مبالاة في الدين، ومنهم من هو مرمي بالزندقة والاحاد»^(٢).

ولذلك قال عليه السلام ولو لم أكن فيكم لما قوتل أهل الجمل والنهروان ولم يقل أهل صفين لأن الشبهة كانت في أهل الجمل والنهروان ظاهرة الالتباس، فكان أهل النهروان أهل قرآن وعبادة واجتهاد، وعزوف عن الدنيا وإقبال على امور الآخرة، وهم كانوا قراء العراق وزهادهم، واما معاوية «... مشهور بقلة الدين...؛ وكذلك ناصره ومظاهره على امره عمرو بن العاص؛ ومن اتبعهما من طغام أهل الشام واجلافهم وجهال الاعراب، فلم يكن امرهم خافياً في جواز محاربتهم واستحلال قتالهم، بخلاف حال من تقدم ذكره»^(٣).

ويخلص ابن أبي الحديد في ايضاحه لرؤية المعتزلة إلى الخوارج للقول: «واما الخوارج فإنهم مرقوا على الدين بالخبر النبوي المجتمع عليه، ولا يختلف اصحابنا في أنهم من أهل النار»^(٤).

تجدد الاشارة إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب استشار الإمام علياً عليه السلام في الخروج لغزو الروم فكان جواب الامام: «إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك،

(١) الزمخشري: ربيع الابرار ٢/٣٥٤-٣٥٥ الشهرستاني: الملل ١/١٥٧.. السيوطي: الخصائص

الكبرى ٣/١٦.

(٢) الشرح ٥/١٢٩.

(٣) الشرح ٧/٥٨.

(٤) الشرح ١/٩.

فقلقتهم فتنكب، لا يكن للمسلمين كهف دون اقصى بلادهم. ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً محرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الاخرى، كنت رداءً للناس ومثابة للمسلمين».

فهنا الامام يشير على الخليفة بعدم الخروج حذراً من أن يصاب، فيذهب المسلمون كلهم لذهاب الرأس، بل يبعث اميراً وقيم بالمدينة رداءً لهم وفسر ابن أبي الحديد سبب خروج الرسول ﷺ بالحروب لأنه كان موعوداً بالنصر، وآمنا على نفسه بالوعد الالهي في قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

وليس عمرٌ كذلك، إذاً فما بال الامام شارك بالحرب بنفسه في الجمل وصفين والنهروان ولم يبعث اميراً محرباً واقام هو بالمدينة رداءً ومثابة! هنا قدم ابن أبي الحديد جوابان؛ الأول: إنه عليه السلام كان عالماً من جهة النبي ﷺ بالألا يقتل في هذه الحروب، ويشهد لذلك قوله عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين والثاني: قد يكون غلب على ظنه عليه السلام أن لا يقوم أحد بمقامه، فلم يجد اميراً محارباً من أهل البلاء والنصيحة، فمن كان في أصحابه محرباً لم يكن من أهل النصيحة له، ومن كان من أهل النصيحة لم يكن محرباً، فدعاه ذلك لمباشرة الحرب^(٢).

تحليل ابن أبي الحديد لسياسة الإمام علي عليه السلام.

إن ملاحظة سير حوادث خلافة الإمام علي عليه السلام منذ البدء مروراً بحروبه

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) الشرح ٨/٢٩٦-٢٩٨.

٤٥٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الثلاث ثم ما آل إليه حاله بعد معركة النهروان من تحاذل أصحابه، وفرار بعضهم إلى معاوية، أو من ترك ولاياته بعد أخذ أموالها، ثم ما قام به معاوية من شن الغارات على المدن الموالية للإمام حتى فتح مصر، والامام من جانبه يستصرخ أصحابه دون جدوى^(١).

هذا الحال دفع البعض للاعتقاد بأن السبب يكمن في حسن سياسة معاوية، وسوء تدبير الإمام عليه السلام، يقول ابن أبي الحديد: «إن قوماً ممن لم يعرف حقيقة فضل امير المؤمنين عليه السلام، زعموا أن عمرأ كان اسوس منه، وإن كان هو أعلم من عمر، وصرح الرئيس أبو علي بن سينا بذلك في الشفاء في الحكمة^(٢)، وكان شيخنا أبو الحسين [البصري] يميل إلى هذا، وقد عرض به في كتاب العزير^(٣)، ثم زعم اعداؤه ومباغضوه أن معاوية كان اسوس منه، واصح تدبيراً^(٤).

ومن خلال مقارنته بين سياسة الامام وسياسة معاوية، أورد ابن أبي الحديد اسباباً ادت إلى تغاير السياستين وما نتج عنهما، وهي:

أولاً: إن الإمام علياً عليه السلام اعتمد في سياسته السير على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في الوقت الذي اعتمد معاوية سياسة الحيل والمكايد، وقد اوضح ذلك في طرحه لرؤية الجاحظ^(٥) وهو من كبار معتزلة البصرة، حيث يقول الجاحظ: «ربما رأيت

(١) أنظر تفاصيل خلافة الامام عند الطبري: تاريخ ٤/٤٢٧-٥٧٦، ٥/٥-١٥٧.

(٢) لم يتسن لي وجود هذا الرأي في كتاب الشفاء.

(٣) أحد كتبه الكلامية، وقد شرحه ابن أبي الحديد بكتاب شرح مشكلات الغرر. علي جواد محي الدين: ابن أبي الحديد ص ٢٣٨.

(٤) الشرح ١٠/٢١٢. وانظر رؤية العثمانية. رسائل الجاحظ السياسية ص ١٩٠-١٩٢.

(٥) رسالة في الحكمين ضمن رسائل الجاحظ السياسية ص ٣٦٥-٣٦٨.

بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتمييز-وهو من العامة ويظن أنه من الخاصة-يزعم أن معاوية كان ابعده غوراً، واصح فكراً، واجود رؤية، وابعده غاية، وادق مسلكاً؛ وليس الامر كذلك، وسأرمي اليك بجملة تعرف بها موضع غلظه و المكان الذي دخل عليه الخطأ من قبله..».

ثم أبان الجاحظ الاشكال الذي وقع فيه هؤلاء إذ قال: «كان عليه السلام لا يستعمل في حربه الا ما وافق الكتاب والسنة وكان معاوية، يستعمل خلاف الكتاب والسنة؛ كما يستعمل الكتاب والسنة، ويستعمل جميع المكاييد، حلالها وحرامها، ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، وخاقان إذا لاقى رتبيل^(١). وعلي عليه السلام يقول: لا تبدوؤوهم بالقتال حتى يبدوؤوكم، ولا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً؛ وهذه سيرته في ذي الكلاع، وفي أبي الاعور السلمي، وفي عمرو بن العاص، وحبيب بن مسلمة^(٢)، وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والحشو والاتباع والسفلة واصحاب الحروب ان قدروا على البيات بيتوا، وإن قدروا على رضخ الجميع بالجنديل وهم نيام فعلوا، وان امكن ذلك في طرفه عين لم يؤخره إلى ساعة، وإن كان الغرق اعجل من الخرق لم يقتصروا على الغرق ولم يؤخروا الخرق إلى وقت الغرق، وإن امكن الهدم لم يتكلفوا الحصار، ولم يدعوا أن ينصبوا المجانيق^(٣)، والعرادات^(٤)،

(١) خاقان لقب ملوك الترك. اما رتبيل فهو اسم أحد ملوك الترك أيام الحجاج. الخوارزمي: مفاتيح

العلوم ص ٧٣. ابن نباتة: سرح العيون ص ١١.

(٢) كل هؤلاء كانوا في صف معاوية ضد الإمام علي عليه السلام.

(٣) آلة ترمي الحجارة الشرح: ٢٢٨/١٠.

(٤) من الآلات الحربية، واصغر من المنجنيق تستخدم لرمي الحجارة نحو الاماكن البعيدة =

والنقب والتسريب، والدبابات^(١)، والكمين، ولم يدعوا دس السموم، ولا التضريب بين الناس بالكذب، وطرح الكتب في عساكرهم بالسعيات، وتوهيم الامور، وإجاش بعض من بعض، وقتلهم بكل آلة أو حيلة؛ كيف وقع القتل، وكيف دارت بهم الحال^(٢).

وقد اوضح الجاحظ أن من يقتصر تدبيره على الكتاب والسنة يكون قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير؛ وما لا يتناهى من المكاييد لأن «الكذب- حفظك الله- أكثر من الصدق، والحرام أكثر عدداً من الحلال، ولو سمي انسان انساناً باسمه لكان قد صدق، وليس له اسم غيره، ولو قال: هو شيطان أو كلب أو حمار أو شاة أو بعير أو كل ما خطر على البال، لكان كاذباً في ذلك، وكذلك الإيمان والكفر وكذلك الطاعة والمعصية، وكذلك الحق والباطل، وكذلك السقم والصحة، وكذلك الخطأ والصواب»^(٣).

إذاً لما كان الامام ملجماً بالورع عن جميع القول الا ما هو رضا لله، وممنوع اليدين من كل بطش الا ما هو رضا لله، ولا يرى الرضا الا فيما يرضاه الله ويحبه، وما دل عليه الكتاب والسنة، دون ما يعتمده اصحاب الدهاء والنكراء والمكاييد، لذا لما ابصرت العوام كثرة نوادر معاوية في المكاييد، وغرائبه في الخداع، وما حصل عليه يده، ولم يجدوا ذلك لعلي عليه السلام «ظنوا- بقصر عقولهم،

=الشرح: ٢٢٨/١٠.

(١) آلة حربية تتخذ للحصار، يدخل فيها الرجال ثم تدفع داخل الحصن، ويعمل الرجال على تنقيبه.

الشرح: ٢٢٨/١٠.

(٢) الشرح ٢٢٨/١٠-٩.

(٣) الشرح ٢٢٩/١٠.

وقلة علومهم—أن ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند علي عليه السلام. فانظر بعد هذه كله، هل يعد له من الخدع الا رفع المصاحف! ثم أنظر هل خدع بها الا من عصى رأي علي عليه السلام، وخالف امره!»^(١).

ثم أكد الجاحظ أن ما ناله معاوية من اختلاف اصحاب الامام لا يعود إلى ضعف سياسة الامام وانما إلى «غرارة اصحاب علي عليه السلام وعجلتهم وتسرعهم وتنازعهم»^(٢).

ويرى الجاحظ ان الصالحين لا يوصفون بالدهاء والمكر، ولذا «لا نقول ما كان انكر أبا بكر بن أبي قحافة! وما كان انكر عمر بن الخطاب! ولا يقول أحد عنده شيء من الخير: كان رسول الله ﷺ ادهى العرب والعجم، وانكر قريش وامكر كنانة؛ لأن هذه الكلمة إنما وضعت في مديح اصحاب الارب ومن يتعمق في الرأي في توكيد الدنيا وزبرجها وتشديد اركانها، فاما اصحاب الآخرة الذين يرون الناس لا يصلحون على تدبير البشر، وإنما يصلحون على تدبير خالق البشر، فإن هؤلاء لا يمدحون بالدهاء والنكراء، ولم يمنعوا هذا الا ليعطوا أفضل منه، وضرب الجاحظ مثلاً في وصف المغيرة لعمر بن الخطاب قائلاً فيه: «كان عمر اعقل من أن يخدع، وافضل من أن يخدع». ولم يصفه المغيرة بالدهاء والنكراء، لأنه علم انه إذا اطلق على الأئمة الالفاظ التي لا تصلح في أهل الطهارة، لكان ذلك غير مقبولاً»^(٣).

(١) الشرح ٢٢٩/١٠.

(٢) الشرح ٢٢٩/١٠.

(٣) الشرح ٢٢٩/١٠-٢٣٠.

ثم أشار الجاحظ لعذر معاوية: «أخرجوا إلينا قتلة عثمان، ونحن لكم سلم» فتسائل: فاجهد كل جهدك، واستعن بمن شايئك إلى أن تتخلص إلى صواب رأي في ذلك الوقت اضله علي، حتى تعلم أن معاوية خادع، وإن علياً عليه السلام كان المخدوع.. وأكد الجاحظ أن نجاح معاوية يكمن في ابتلاء الإمام علي عليه السلام - بصحابه ودهره «بما لم يمتحن امام قبله من الاختلاف والمنازعة، والتشاح من الرياسة والتسرع والعجلة! وهل أتى علي عليه السلام الا من هذا المكان». وضرب الجاحظ مثلاً بمؤامرة الخوارج على قتل علي عليه السلام ومعاوية وعمراً، «فكان من الاتفاق أو من الامتحان، أن كان علي من بينهم هو المقتول»^(١).

وعلق ابن أبي الحديد أنه من تأمل كلام الجاحظ بعين الانصاف، ولم يتبع الهوى علم صحة جميع ما ذكر، وأن الذي وقع للإمام نتيجة اختلاف أصحابه وسوء طاعتهم له، ولأنه لزم سنن الشريعة، ومنهج العدل، في الوقت الذي خرج معاوية وعمرو بن العاص عن قاعدة الشرع في استمالة الناس إليهم رغبة أو رهبة ويخلص للقول: «فلولا أنه عليه السلام كان عارفاً بوجوه السياسة وتدبير أمر السلطان والخلافة، حاذقاً في ذلك، لم يتجمع عليه الا القليل من الناس، وهم أهل الآخرة خاصة؛ الذي لا ميل لهم إلى الدنيا، فلما وجدناه دبر الأمر حين وليه؛ واجتمع عليه من العساكر والاتباع ما يتجاوز العد والحصر، وقاتل بهم اعداءه الذي حالهم حالهم، فظفر في أكثر حروبه، ووقف الأمر بينه وبين معاوية على سواء، وكان هو الاظهر والاقرب إلى الانتصار-علمنا أنه من معرفة تدبير الدول والسلطان بمكان مكين»^(٢).

(١) الشرح ٢٣٠-٢٣١/١٠.

(٢) الشرح ٢٣١/١٠.

ويرى ابن أبي الحديد أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه، وبما يرى فيه صلاح ملكه، سواء وافق الشريعة أم لا، وإذا لم يعمل بذلك، فبعيد أن ينتظم أمره أو يستوثق حاله، ولما كان الامام مقيداً بالشريعة ومتبعاً لها ورافضاً ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيده والتدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً، لذا لم تكن قاعدته في الخلافة كقاعدة غيره^(١).

وفي معرض مقارنته بين سياسة عمر بن الخطاب -رض- وسياسة الإمام علي عليه السلام قال ابن أبي الحديد: «كان [عمر] مجتهداً يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسله، ويرى تخصيص عمومات النص بالآراء وبالاستنباط من اصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص، ويكيد خصمه، ويأمر امرأه بالكيده والحيلة، ويؤدب بالدرة والسوط من يتغلب على ظنه أن يستوعب ذلك، ويصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقون به التأديب، كل ذلك بقوة اجتهاده وما يؤديه إليه نظره»^(٢).

هذا المنهج يرى ابن أبي الحديد لا يطابق منهج الإمام علي عليه السلام لأنه: «كان يقف مع النصوص والظواهر، ولا يتعداها إلى الاجتهاد والاقيسة، ويطبق امور الدنيا على امور الدين، ويسوق الكل مساقاً واحداً، ولا يضع ولا يرفع الا بالكتاب والنص، فاختلفت طريقتاهما في الخلافة والسياسة، وكان عمر مع ذلك شديد الغلظة والسياسة، وكان علي عليه السلام كثير الحلم والصفح والتجاوز، فازدادت خلافة ذاك قوة، وخلافة هذا لنا؛ ولم يُمنَ عمر بما مُنيَ به علي عليه السلام من فتنة عثمان؛ التي احوجته إلى مداراة أصحابه وجنده ومقاربتهم، للاضطراب

(١) الشرح ١٠/٢١٢.

(٢) الشرح ١٠/٢١٢-٢١٣.

٤٥٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الواقع بطريق تلك الفتنة ثم تلا ذلك فتنة الجمل، وفتنة صفين، وفتنة النهروان، وكل هذه الامور مؤثرة في اضطراب الوالي وانحلال معاهد ملكه، ولم يتفق لعمر شيء من ذلك، فشتان بين الخلافتين فيما يعود إلى انتظام المملكة وحتى تدبير الخلافة»^(١).

ولكن إذا كان السير على النصوص هو السبب في ما عاناه الإمام عليه السلام، فلماذا انتظمت سياسة الرسول ﷺ وهو أيضاً ممن كان يعمل بالنصوص ولا يتعداها؟ أكد ابن أبي الحديد أنه لا يمكن المقارنة بين سياسة النبي ﷺ وغيره لأنه معصوم لا تتطرق الغفلة إلى افعاله، ولا واحد من هذين الرجلين بواجب العصمة عندنا وايضاً فان كثيراً من الناس ذهبوا إلى أن الله أذن للرسول ﷺ للحكم بالشرعيات برأيه، وحتى إذا كان الرسول ﷺ مجتهداً كما يرى البعض، فان اجتهاد الامام لا يرقى إلى اجتهاده^(٢).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول: «فقد بان بما اوضحنا فساد قول من قال: إن تدبيره عليه السلام وسياسته لم تكن صالحة، وبان أنه اصح الناس تدبيراً واحسنهم سياسة، وإنما الهوى والعصبية لا حيلة فيهما!»^(٣).

ثانياً: الاموال: إن سياسة توزيع الاموال كانت سبباً في ابتعاد الناس عن الامام وانجذابهم إلى معاوية، حيث ان سياسة الإمام عليه السلام قائمة على اساس

(١) الشرح ١٠/٢١٣.

(٢) الشرح ١٠/٢١٣-٢١٤. ولكن الا تدلل آية التطهير والمباهلة وحديث المنزلة وغيرها من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على عصمة الإمام علي عليه السلام، والقول بالعصمة قال به أيضاً ابن متويه من معتزلة البصرة كما مر بنا قبل قليل.

(٣) الشرح ١٠/٢٦٠.

توزيع الاموال بالتساوي وذلك بالرجوع إلى سياسة الرسول ﷺ وابي بكر. في حين ان سياسة معاوية قائمة على دس الاموال لرؤساء القبائل لكسب ودهم، ففي شرحه لكلام الإمام «أوليس عجباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأنا ادعوكم وانتم تريكة الإسلام وبقية الناس إلى المعونة أو طائفة من العطاء، فتتفرقون عني، وتختلفون علي!».

اوضح ابن أبي الحديد أن معاوية لم يكن يعطي جنده على وجه المعونة والعطاء، وإنما كان يعطي رؤساء القبائل اليمينية، وسكان الشام من الوجهاء الاموال الجليلة، يستعبدهم بها، ثم يقوم اولئك الرؤساء بدعوة اتباعهم فيطيعونهم اما حمية، أو لا ياد وعوارف من اولئك الرؤساء عندهم، ومنهم من يطيعهم تديناً بدعوى الطلب بدم عثمان، إلا أنه لا يصل لهؤلاء الاتباع من اموال معاوية لا قليل ولا كثير. في الوقت الذي يقسم فيه الإمام علي عليه السلام العطاء والارزاق على وجه المساواة بين الرؤساء والاتباع، ولا يرى شرفاً لشريف على مشروف «فكان من يقعد عنه هذا الطريق أكثر ممن ينصره ويقوم بامرته، وذلك لأن الرؤساء من أصحابه كانوا يجدون في أنفسهم من ذلك اعني المساواة بينهم وبين الاتباع فيخذلونه ﷺ باطناً، وإن اظهروا له النصر، وإذا احس اتباعهم بتخاذلهم وتواكلهم تخاذلوا وتواكلوا أيضاً، ولم يُجِدِ علي (صلوات الله عليه) ما اعطى الاتباع من الرزق، لأن انتصار الاتباع له وقتالهم دونه لا يتصور وقوعه، والرؤساء متخاذلون، فكان يذهب ما يرزقهم ضياعاً»^(١).

إن مسألة سبب تقاعد العرب عن نصرة الإمام علي عليه السلام هو أمر المال،

(١) الشرح ٦٧/١٠، ٧٠-٧١.

لأن الامام لم يكن يفضل شريفاً على مشروف، ولا عربياً على اعجمي، ولا يصانع الرؤساء وامراء القبائل كما يفعل الآخرون، ولا يستميل أحداً لنفسه، كما يفعل معاوية، لذا ترك الناس علياً والتحقوا بمعاوية، وقد شكوا الإمام عليه السلام ذلك لمالك الاشر أحد المقربين إليه، فقال الاشر: يا امير المؤمنين؛ إنا قاتلنا أهل البصرة باهل البصرة واهل الكوفة، ورأي الناس واحد، وقد اختلفوا بعد وتعادوا وضعفت النية، وقل العدد، وأنت تاخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتنصف الوضيع من الشريف فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عموا فيه، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه، ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغناء والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقل من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم يجتوي الحق ويشتري الباطل، ويؤثر الدنيا، فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل اليك اعناق الرجال، وتصف نصيحتهم لك وتستخلص ودهم، صنع الله لك يا امير المؤمنين! وكبت اعداءك، وفض جمعهم.

فكان جواب الإمام علي عليه السلام: «اما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فإن الله عز وجل يقول: «من عمل صالحاً فلنفسه، ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد»^(١)، وأنا من اكون مقصراً اخوف. واما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا الا دنيا زائلة عنهم، وكأن قد فارقوها، وليسألن يوم القيمة؛ للدنيا أرادوا أم الله عملوا؟ واما ما ذكرت من بذل الاموال، واصطناع الرجال، فإنه لا يسعنا أن نؤتي امراءاً من الفبيء أكثر من حقه، وقد

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وحده فكثره بعد القلة، وأعزّ فئته بعد الذلة، وأن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذل لنا صعبة، ويسهل لنا حزنه^(٢).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يذهب في خلافته كالملوك الذين يصنعون بالاموال، ويصرفونها في مصالح ملكهم وملاذ أنفسهم، ولم يكن -عليه السلام- من أهل الدنيا، وإنما كان رجلاً متأهلاً صاحب حق، لا يريد بالله ورسوله بدلاً^(٣).

ثالثاً: الاصحاح: لقد ابتلي الإمام علي عليه السلام باصحاب يدعوهم فلا يستجيبون، ويكلمهم فيكذبونه، في الوقت الذي كان فيه معاوية لا يجد من أصحابه الا السمع والطاعة، فيصدقونه إذا قال، ويطيعونه إذا أمر، ويصور لنا الجاحظ موقف الإمام علي عليه السلام بأنه قد امتحن في أصحابه وفي دهره بما لم يمتحن امام قبله من اختلاف أصحابه ونزاعهم. وكان عليه السلام لا يريد من طاعة أصحابه الا نصره دين الله والقيام بحدوده، وحقوقه، لا يريد منهم لحظ نفسه، اما هم فيريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء والتقريب، والاسباب الموصلة لمنافع الدنيا، ولذا كان عليه السلام يقول: «إني اريدكم الله، وانتم تريدونني لانفسكم»^(٤).

وكان الامام مدركاً أن اصلاحهم لا يكون إلا بالسيف «وإني لعالم بما

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

(٢) الشرح ٢/١٩٧-١٩٨.

(٣) الشرح ٢/٢٠٢-٢٠٣.

(٤) الشرح ٩/٣١-٣٢.

٤٦٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

يصلحكم، ويقيم اودكم، ولكني والله لا ارى اصلا حكم بافساد نفسي». لأنه لا يستحل من دماء أصحابه ما يستحله من يريد الدنيا وسياسة الملك^(١)، ويتساءل ابن أبي الحديد: اليس نصره الامام واجبة؟ فلم لا يقتلهم إذا اخلوا بهذا الواجب؟ ترى المعتزلة انه ليس كل اخلال بواجب عقوبته القتل، كالحج مثلاً، ولربما تكون عاقبة القتل فسادهم عليه وشغبهم الذي يفضي لقتلهم إياه وقتل أولاده أو تسليمه لمعاوية، وإذا علم ذلك أو غلب على ظنه لا يجوز أن يسوسهم بالقتل، فلو ساسهم والحال هذه لكان أثماً ومواقعاً لقبيح وفي ذلك افساد لدينه^(٢).

ونتيجة لهذه المعاناة منهم أشار الإمام علي عليه السلام إلى أنه لم يأتهم اختياراً وإنما اضطراراً لأنه لولا يوم الجمل لم يحتج للخروج من المدينة إلى العراق استنجاداً باهل الكوفة على أهل البصرة- لأن جيشه الحجازي لم يكن وافياً باهل البصرة، فخروجه من المدينة وهي دار الهجرة، ومفارقتة لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقبر فاطمة عليها السلام ليس عن إيثار ومحبة، ولكن الأحوال تحكم وتسوق الناس إلى ما لا يختارونه ابتداءً^(٣).

وأشار الإمام عليه السلام لنكتة لطيفة فقال: «ولقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها، واصبحت أخاف ظلم رعيتي» حيث من تأمل احواله - عليه السلام - في خلافته، علم أنه كان كالمحجور عليه، ولا يتمكن من بلوغ ما في نفسه، لأن العارفين بحقيقة حاله اقلية، اما السواد الاعظم فلا يعتقدون فيه الأمر الذي يجب اعتقاده فيه، ويرون تفضيل من تقدمه من الخلفاء عليه، ويظنون أن الافضلية بالخلافة، ويرون أنه

(١) الشرح ١٠٢/٩-٤.

(٢) الشرح ١٠٤/٦.

(٣) الشرح ١٢٧/٦-١٢٨.

لولا أن الاوائل علموا فضل المتقدمين عليه لما قدّموهم، ولا يرونه إلا بعين التبعية لمن سبقه، وأنه كان رعية لمن سبقه، وكان أكثرهم يحارب معه حمية وبنخوة العربية لا بالدين والعقيدة، نتيجة لذلك اضطر عليه السلام لمداراتهم ومقاربتهم؛ ولم يكن قادراً على واطهار ما عنده، «ألا ترى إلى كتابه إلى قضاته في الامصار وقوله: فاقضوا كما كنتم تقضون، حتى تكون للناس جماعة، واموت كما مات اصحابي»^(١).

وهذا الكلام لا يحتاج إلى تفسير، ومعناه واضح، وهو انه قال لهم: اتبعوا دعאתكم الآن بعاجل الحال في الاحكام والقضايا التي كنتم تقضون بها إلى أن يكون للناس جماعة، أي إلى أن تستقر هذه الامور والخطوب عن الاجتماع وزوال الفرقة وسكون الفتنة وحينئذ اعرفكم ما عندي في هذه القضايا والاحكام التي قد استمررتم عليها... ألا ترى إلى قوله على المنبر في امهات الاولاد «كان رأيي ورأي عمر الا يعن، وأنا أرى الآن بيعهن». فقام إليه عبيدة السلماني، فقال له: «رأيك مع الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك، فما عاد عليه حرفاً، فهل يدل هذا على القوة والقهر، أم على الضعف في السلطان والرخاوة! وهل كانت المصلحة والحكمة تقتضي في ذلك الوقت غير السكون والامساك!». وأضاف ابن أبي الحديد مثلاً آخر على أن الإمام عليه السلام كان يصلي صلاة الصبح جماعة، فقرأ احدهم رافعاً صوته مخالفة لقراءة الإمام علي عليه السلام:

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾^(٢).

فلم يضطرب الإمام علي عليه السلام ولم يقطع صلاته، ولم يلتفت وراءه، بل قرأ

(١) اورده البخاري ٥ / ٩٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

معارضاً على البدئية:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(١).

وهذا صبر عظيم وأناة عجيبة وتوفيق بين^(٢).

وبهذا وامثاله استدل المعتزلة على حسن سياسة الامام وصحة تدبيره، لأن من مني بهذه الرعية المختلفة الالهواء، وهذا الجيش العاصي له والمتمرد عليه، ثم كسر بهم الأعداء، وقتل الرؤساء، فليس يبلغ أحد في حسن السياسة وصحة التدبير مبلغه ولا قدره، ويرى بعض المعتزلة أن سياسة الإمام علي عليه السلام إذا تأملها المنصف متديراً لها فضلاً عن احواله التي دفع إليها مع اصحابه، فإنها جرت مجرى المعجزات، لصعوبة الأمر وتعذره، لأن أصحابه كانوا فرقتين:

الاولى: ترى أن عثمان قتل مظلوماً-وتتولاه وتبرأ من اعدائه.

والثانية: وهم جمهور اصحاب الحرب واهل الغناء والبأس، فيعتقدون أن

عثمان قتل لاحداث اوجبت قتله.

وكل من هاتين الفرقتين تعتقد أنه يتفق معها في الرأي، وتطالبه بابداء رأيه في قتل الخليفة عثمان، فكان عليه السلام يعلم أنه متى ما وافق إحدى الفرقتين تركته الاخرى، وخذلته، فاخذ -عليه السلام- يعتمد في كلامه ما تظن كل واحدة أنه يوافقها في الرأي كقوله: «الله قتله وأنا معه» وقوله: «ما امرت به ولا نهيت عنه» وقوله: «لو امرت به لكنت قاتلاً، ولو نهيت عنه لكنت ناصراً». واخذت كل فرقة تؤول

(١) سورة الروم، الآية: ٦٠.

(٢) (٢) الشرح ٧٢٣-٧٢٠/٧. وانظر الجاحظ: رسالة في الحكمين ضمن رسائل الجاحظ السياسة

كلامه بما يوافق توجهها، واستمر على هذا الحال حتى وفاته «فلو لم يكن له من السياسة الا هذا القدر- مع كثرة خوض الناس حينئذ في أمر عثمان والحاجة إلى ذكره في كل مقام- لكفاه في الدلالة على أنه اعرف الناس بها، واحذقهم فيها، واعلمهم بوجوه مخارج الكلام وتدبير أحوال الرجال»^(١).

ونتيجة لهذا التخاذل من اصحابه تنبأ بأن أهل الشام يتغلبون على أهل العراق، ليس لأن أهل الشام على حق، وإنما لأنهم اطوع لاميرهم، ومدار النصرة في الحرب هو طاعة الجيش وانتظام امره، لا اعتقاد الحق، فإنه ليس يغني في الحرب أن يكون الجيش محققاً في العقيدة إذا كان مختلف الآراء غير مطيع لأمر المدبر له^(٢).

وقد تباينت وجهة نظر الامام لأهل الكوفة بين المدح والذم، فلما حقق بهم الانتصار على أهل البصرة مدحهم مدحاً ليس باليسير ولا بالمستصغر، وقال في الكوفة وأهلها: أهلاً بك وبأهلك، ما ارادك جبار بكيد الا قصمه الله، ويشني عليها وعلى أهلها حسب ذمّه للبصرة وعيبه لها، ودعائه عليها وعلى أهلها، ولكن لما خذله أهل الكوفة يوم التحكيم، وتقاعدوا عن نصرته، وخرج منهم الخوارج، واستنفرهم فلم يخرجوا معه، ورأى منهم دلائل الوهن وإمارات الفشل، انقلب المدح ذمّاً وذلك الشاء استزاده تقريعاً وتهجيناً فقال لهم «يا أهل الكوفة، لقد ضربتكم بالدرة التي اعظ بها السفهاء فما اراكم تنتهون! ولقد ضربتكم بالسياط التي أقيم بها الحدود، فما اراكم ترعوون!! فلم يبق إلا أن اضربكم بسيفي، وإني

(١) الشرح ٧/٧٣-٧٤.

(٢) الشرح ٧/٧٢.

لاعلم بما يقوّمكم، ولكنّي لا أحب أن ألي ذلك منكم»^(١).

ولقد فسد حال أهل الكوفة او اخر خلافته، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى وينادي باسم قبيلته يقصد الشر والفتنة، فيتآلب عليه فتیان القبيلة التي يمر بها ويهتفون باسم قبيلتهم، فيضربوه، وتسل السيوف وتثار الفتن، وهي لا أصل لها سوى تعرض الفتیان بعضهم لبعض. لذا خطب بهم الامام قائلاً: «فإن كان لا بد من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الافعال، ومحاسن الامور، التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب، ويعاسب القبائل، بالاخلاق الرغبية، والاحلام العظيمة، والاطار الجليلة، والاثار المحمودة»^(٢).

إن سياسة الامام في السير على احكام الكتاب والسنة، والشدة على الولاية بضرورة السير عليها، ومعاملته للجميع بالتساوي وخاصة في توزيع الاموال، دفع البعض من أصحابه لتركه والالتحاق بمعاوية، أو الخروج على طاعته مستغلين الظرف السلبي له، لذا كان من جملة الانتقادات الموجهة لسياسته «أن جماعة من اصحابه عليه السلام فارقوه؛ وصاروا إلى معاوية، كعقيل بن أبي طالب أخيه، والنجاشي شاعره؛ ومصقلة بن هبيرة أحد الوجوه من أصحابه؛ ولولا أنه كان يوحشهم، ولا يستميلهم لم يفارقوه ويصيروا إلى عدوه، وهذا يخالف حكم السياسة، وما يجب من تآلف قلوب الاصحاب والرعية»^(٣).

إن الذي يرغب في حطام الدنيا وزخرفها، ويجب العاجل من ملاذها

(١) الشرح ٢/١٩٥-١٩٦.

(٢) الشرح ١٣/١٦٦-١٦٨.

(٣) الشرح ١٠/٢٤٩-٢٥٠.

وزينتها فلا ينكر ميله لمعاوية الذي يبذل من الدنيا كل مطلوب، ويسمح بكل مأمول، ويطعم خراج مصر لعمر وبن العاص، ويضمن لذي الكلاع، وحبیب ابن مسلمة، ما يوفي على الرجاء والاقتراح والإمام علي - عليه السلام - لا يعدل فيما هو أمين عليه من مال المسلمين عن قضية الشريعة وحكم الملة، حتى قال خالد بن معمر السدوسي^(١) لعلاء بن الهيثم^(٢) وهو يريد على مفارقتة الامام والحق بمعاوية: اتق الله يا عباء في عشيرتك، وانظر لنفسك ولرحمك: ماذا تؤمل عند رجل اردته على أن يزيد في عطاء الحسن والحسين (عليهما السلام) دريهمات يسيرة ريثما يرأبان ظلف عيشهما، فأبى وغضب ولم يفعل^(٣).

عقيل بن أبي طالب:

وهو الابن الثاني لأبي طالب إذا صح وجود طالب-وهو اكبر من الإمام علي عليه السلام بعشرين سنة، خرج في بدر مع المشركين، ووقع اسيراً فأطلقه الرسول ﷺ بفداء، ثم أسلم قبيل فتح مكة، يعد من نسائي العرب، وقد قال في حقه الرسول ﷺ: «إني احبك حين حب لك وحب حب أبي طالب لك»^(٤).

تشير الروايات أن عقيلاً كان يرتاد مجلس معاوية فسأله ذات مرة قائلاً: «يا أبا يزيد: أخبرني عن عسكري وعسكر اخيك، فقد وردت عليهما، قال:

(١) هو أحد قادة الإمام علي عليه السلام في معركة صفين. أنظر الطبري: تاريخ ٤/ ٥٧٤، ٥/ ٣٣-٥.

(٢) هو من أهل الكوفة واشترك مع الامام في حرب الجمل وقتل فيها. أنظر: الطبري: تاريخ ٤/ ٤٩٣-٤، ٥١٣، ٥٤٢.

(٣) الشرح ١٠/ ٢٥٠. وانظر الجاحظ: رسالة في الحكمين ضمن رسائل الجاحظ السياسية ص ٣٥٠.

(٤) أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١٠٧٨-٩. ابن حجر: الاصابة ٢/ ٤٩٤.

٤٦٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

أخبرك، مررت والله بعسكر اخي، فإذا ليل كليل رسول الله ﷺ ونهار رسول الله ﷺ، إلا أن رسول الله ﷺ ليس في القوم، ما رأيت الا مصلياً، ولا سمعت الا قارئاً ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة». ثم أخبر معاوية وجلساءه كل واحد منهم حول نسبه (١).

ولكن هل كان هذا الالتحاق بمعاوية في خلافة الإمام علي عليه السلام أو في حكم معاوية، فهناك من يرى أنه في خلافة الامام، وأن معاوية قال يوماً وعقيل عنده: هذا أبو يزيد، لولا علمه أي خير له من أخيه لما اقام عندنا وتركه. فقال عقيل: اخي خير لي في ديني، وأنت خير لي في دنيائي، وقد آثرت دنيائي، اسأل الله خاتمة الخير (٢).

وهناك من يرى أنه التحق بمعاوية بعد وفاة الإمام علي عليه السلام، واستدلوا على ذلك بالكتاب الذي كتبه إليه عقيل في آخر حياة الامام، وجواب الإمام عليه حول غارة الضحاك على نواحي الكوفة كما سنرى (٣)، حيث جاء في كتاب عقيل: «فأف حياة في دهر جراً عليك الضحاك! وما الضحاك؟ فقع بقرقر! وقد توهمت حيث بلغني ذلك أن شيعتك وانصارك خذلوك، فاكتب الي يا

(١) الشرح ٢/١٢٤-١٢٥.

(٢) الشرح ١١/٢٥٢.

(٣) الشرح ١١/٢٥٢. وقد سها ابن أبي الحديد في اثناء شرحه لكتاب الامام أعلاه لعقيل قائلاً:

«قد تقدم ذكر هذا الكتاب في اقتصاصنا ذكر حال بسر بن ارطأة وغارته على اليمن في أول

الكتاب». والصحيح أنها غارة الضحاك، وفعلاً أشار لها ابن أبي الحديد. الشرح ٢/١١٨-

١٢٥، ١٦/١٤٨.

ابن امي برأيك، فإن كنت الموت تريد، تحملت اليك ببني اخيك، وولد ابيك، فعشنا معك ما عشت، وامتنا معك إذا مت؛ فوالله ما أحب أن ابقى في الدنيا بعدك فواقاً، واقسم بالأعز الاجل إن عيشاً نعيشه بعدك في الحياة لغير هني، ولا مري ولا نجيع». فاجابه الإمام عليه السلام: «اما ما عرضت به من مسيرك الي ببنيك، وبني ابيك، فلا حاجة لي في ذلك، فاقم راشداً محموداً، فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبن ابن امك-ولو اسلمه الناس- متخشعاً ولا متضرعاً»^(١).

واشارت الروايات ان عقيلاً جاء للكوفة في خلافة الامام وقد كف بصره، فانتظر الامام عطاءه، فاعطاه إياه، و لكنه لما التحق فيها بعد بمعاوية أعطاه معاوية مائة الف دينار^(٢).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول: «الصحيح الذي اجتمع ثقات الرواة عليه أنه لم يجتمع مع معاوية الا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنه لازم المدينة، ولم يحضر حرب الجمل وصفين، و كان ذلك بإذن أمير المؤمنين عليه السلام، و قد كتب عقيل إليه بعد الحكمين يستأذنه في القدوم عليه الكوفة بولده وبقية أهله، فأمره عليه السلام بالمقام، وقد روي خبر مشهور، أن معاوية وبّخ سعيد بن العاص على تأخيره عنه في صفين، فقال سعيد: لو دعوتني لوجدتني قريباً، ولكني جلست بمجلس عقيل وغيره من بني هاشم ولو اوعبنا لا وعبوا»^(٣).

(١) الشرح ٢/١١٩-١٢٠، ١٦/١٤٨. وانظر ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص ٤٣-٥٠. الزمخشري:

ربيع الابرار ٢/٥٢٧.

(٢) الشرح ٢/١٢٤-١٢٥.

(٣) الشرح ١٠/٢٥٠.

النجاشي الشاعر:

السبب الذي دفعه لترك الامام و الالتحاق بمعاوية أنه شرب الخمر في شهر رمضان، فأقام الإمام علي عليه السلام الحد عليه، وزاده عشرين جلدة، فقال النجاشي: ما هذه العلاوة؟ قال عليه السلام لجرأتك على الله في شهر رمضان، فهرب إلى معاوية^(١).

مصقلة بن هبيرة^(٢):

ارتد بنو ناجية^(٣) وحاربوا الامام، و قد تمكن قائد الامام من القضاء عليهم وسبيهم، فاشترى مصقلة السبي وعتقهم، ولما طالبه الامام بالأموال هرب إلى معاوية، فقال عليه السلام: فعل فعل السادة وأبق إباق العبيد^(٤).

قال ابن أبي الحديد وليس تعطيل الحدود و اباحة حكم الدين، وإضاعة مال المسلمين، من التآلف والسياسة، لمن يريد وجه الله تعالى، والتلزم بالدين، ولا يظن بعلي عليه السلام التساهل والتسامح في صغير من ذلك ولا كبير^(٥).

الوالي المجهول:

وتوقف ابن أبي الحديد في اصدار حكم بحق شخص من اقرب المقربين للإمام علي عليه السلام الذي استغل الظرف السيئ للإمام، فاخذ اموال ولايته وتركها، فكتب له الامام: أما بعد، فإني كنت اشركتك في امانتي، وجعلتك شعاري

(١) الشرح ١٠/ ٢٥٠-٢٥١. وانظر ترجمته أبي هلال: الغارات ص ٣٦٥.

(٢) من ولاة الإمام علي عليه السلام، الشرح ٣/ ١٢٧.

(٣) عن بني ناجية: أنظر: ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٣.

(٤) الشرح ٣/ ١١٩-١٤٨، ١٠/ ٧٤، ١٦/ ١٧٥.

(٥) الشرح ١٠/ ٢٥١.

وبطانتني، ولم يكن في اهلي رجل اوثق منك في نفسي لمواساتي وموازاتي، واداء الامانة الي؛ فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، والعدو قد حرب، وامانة الناس قد خزيت، وهذه الأمة قد تنكبت وشغرت، قلبت لابن عمك ظهر المجن، وفارقت مع المفارقين، وخذلت مع المتخاذلين، وختته مع الخائنين، فلا ابن عمك آسيت، ولا الامانة اديت، وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك، وكأنك لم تكن على بينة من ربك وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم، وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الأمة اسرعت الكرة، وعاجلت الوثبة، واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم واتباعهم، اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكبيرة، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله، غير متأثم من اخذه، كأنك- لا أبا لغيرك- حدرت إلى اهلك ترائك من ابيك وامك. فسبحان الله! اما تؤمن بالمعاد! أو ما تخاف نقاش الحساب! ايها المعدود كان عندنا من أولي الالباب، كيف تسيع طعاماً وشراباً، وأنت تعلم أنك تأكل حراماً، وتشرب حراماً، وتبتاع الإماء، وتنكح النساء من اموال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين، الذين أفاء الله عليهم هذه الاموال، واحرز بهم هذه البلاد! فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم اموالهم؛ فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لأعذرني إلى الله فيك، ولا ضربتك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً الا دخل النار، ووالله لو أن الحسن والحسين (عليهما السلام) فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادة، حتى آخذ الحق منهما، و أزيح الباطل عن مظلمتهما، وأقسم بالله رب العالمين، ما يسرني أن ما اخذته من اموالهم حلال لي، أتركه ميراثاً لمن بعدي فضح رويداً، فكأنك قد بلغت المدى، ودفنت تحت الثرى، وعرضت

٤٧٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

عليك اعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة، ويتمنى المضيع فيه الرجعة، ولات حين مناص»^(١).

لقد انقسمت الآراء في المكتوب إليه إلى قسمين، قسم يرى انه ابن عباس وقسم لا يرى ذلك. وقد استدل القائلون بأنه ابن عباس بالأدلة:

أولاً: الفاظ الكتاب، فإنها تشير إلى شخص مقرب من الإمام عليه السلام وهي تنطبق على ابن عباس، كقوله عليه السلام: «اشركت في امانتي، وجعلت بطانتي وشعاري، وإنه لم يكن في اهلي رجل اوثق منك». وقوله عليه السلام: «على ابن عمك قد كلب» وقوله عليه السلام: «قلبت لابن عمك ظهر المجن». وقوله عليه السلام: «فلا ابن عمك آسيت». وقوله عليه السلام: «لا أبا لغيرك» وهذه كلمة لا تقال لمثله، فاما غيره من افناء الناس، فإن الإمام عليه السلام كان يقول له: لا أبا لك. وقوله عليه السلام: «أيها المعداد كان عندنا من اولي الالباب». وقوله عليه السلام: «لو أن الحسن والحسين وهذا يدل على أن المكتوب إليه هذا الكتاب قريب من أن يجري مجرى الحسن والحسين عند الامام.

ثانياً: استدل القائلون بأنه ابن عباس بوجود روايات تشير لتبادل رسائل بين الامام وابن عباس، حيث كتب ابن عباس للامام: «قد أتاني كتابك تعظم علي ما اصبحت من بيت مال البصرة، ولعمري إن حقي في بيت المال أكثر مما اخذت، والسلام» فرد الامام: «إن من العجب أن تزين لك نفسك أن لك في بيت مال المسلمين من الحق أكثر من رجل واحد من المسلمين، فقد أفلحت إن كان تمنيك الباطل، وادعائك ما لا يكون ينجيك من المآثم، ويحل لك المحرم إنك لأنت المهتدي السعيد إذا! وقد بلغني أنك اتخذت مكة وطناً، وضربت بها

(١) الشرح ١٦/١٦٧-١٦٨. وانظر: الكشي: رجال ص ٥٨-٦٠.

عظناً، تشتري بها مولدات مكة والمدينة والطائف، تختارهن على عينك، وتعطي فيهن مال غيرك، فارجع هداك الله إلى رشدك، وتب إلى الله ربك، واخرج إلى المسلمين من اموالهم، فعما قليل تفارق من الفت، وتترك ما جمعت، وتغيب في صدع من الارض، غير موسد ولا ممهد، قد فارقت الاحباب، وسكنت التراب، وواجهت الحساب، غنياً عمّاً خلفت، فقيراً إلى ما قدمت».

فكتب إليه ابن عباس: «قد اكرت عليّ، ووالله لأن القى الله قد احتويت على كنوز الأرض كلها، وذهبها وعقيانها ولجينها، أحب إلي من القى الله بدم امريء مسلم»^(١).

أما القسم الثاني وهم الاقل، فانكروا وقوع ذلك من ابن عباس وأكدوا انه لم يفارق الامام عليه السلام ولا خالفه، وأنه لا زال اميراً على البصرة حتى قتل الإمام علي عليه السلام، واستدلوا بما رواه أبو الفرج في كتابه مقاتل الطالبين^(٢)، بأن ابن عباس كتب لمعاوية وهو في البصرة كتاباً بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، واستدلوا أيضاً بأن معاوية قد خدع أكثر اصحاب الامام عليه السلام وجذبهم إليه بالاموال، فما باله وقد علم النبوة بين الامام وابن عباس لم يجذب الأخير إليه، ثم أن الروايات التاريخية تؤكد مشاققة ابن عباس لمعاوية بعد وفاة الإمام عليه السلام، وما كان يلقاه به من قوارع الكلام وشديد الخصام، وكان يمدح الإمام عليه السلام امام معاوية، ويذكر فضائله، ويمدح بمناقبه «فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك، بل كانت الحال تكون بالضد لما اشتهر به من امرهما». وقد

(١) الشرح ١٦/١٦٩-١٧١.

(٢) ص ٣٤.

أيّد ابن أبي الحديد آراء هذا الفريق.

ويرى قطب الدين الراوندي^(١) أحد شراح نهج البلاغة أن المكتوب له هو عبيد الله بن عباس وليس عبد الله، وقد رد ابن أبي الحديد على ذلك لأن عبيد الله كان والي الامام على اليمن وفي سنة ٤٠ هـ غزا بسر بن أرطاة^(٢) اليمن، وهرب منها عبيد الله، ولم ترد رواية أو خبر يفيد ان عبيد الله أخذ اموالاً أو خالف الامام^(٣).

ويخلص ابن أبي الحديد القول: «وقد اشكل علي أمر هذا الكتاب، فإن أنا كذبت النقل، وقلت: هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام، خالفت الرواة، فإنهم قد اطبقوا على رواية هذا الكلام عنه وقد ذكر في أكثر كتب السير. وإن صرفته إلى عبد الله بن عباس صدّني عنه ما اعلمه من ملازمته لطاعة امير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد مماته، وإن صرفته إلى غيره، ولم أعلم إلى من اصرفه من أهل امير المؤمنين عليه السلام، والكلام يشعر بأن الرجل الخاطب من أهله وبني عمه، فأنا في هذا الموضوع من المتوقفين»^(٤).

إن هذا الموقف من ابن عباس قد أشارت له المصادر الاخرى، فقد

(١) هو سعيد بن هبة الله أحد اعلام الإمامية ت ٥٧٣ هـ. أنظر مصادر ترجمته: الزركلي: الأعلام ١٠٤/٣.

(٢) من الصحابة الذين وقفوا إلى جانب معاوية ضد الامام وقد احدث مذابح رهيبة في الحجاز واليمن. أنظر ترجمته: ابن حجر: الاصابة ١/١٤٧-٨

(٣) الشرح ١٦/١٧١-١٧٢

(٤) الشرح ١٦/١٧٢. وانظر: ابراهيم الخوئي: الدرّة النجفية ص ٣٢٨.

أورد كل من البلاذري^(١) والطبري^(٢) نص الرسائل المتبادلة بين الإمام علي - عليه السلام - وابن عباس وتفاصيلها، فبعد معركة الجمل ولى الإمام عليه السلام ابن عباس البصرة، وولى أبا الاسود الدؤلي على بيت المال، فمر ابن عباس ذات مرة على أبي الاسود وقال له: «لو كنت من البهائم كنت جملاً، ولو كنت راعياً ما بلغت من المرعى واحسنت مهنته في المشتى». فكتب أبو الاسود إلى الامام عليه السلام: «أما بعد، فإن الله جلّ وعلا جعلك والياً مؤتمناً، وداعياً مسؤولاً، وقد بلونك فوجدناك عظيم الامانة، ناصحاً للرعية، توفر لهم فيئهم وتظلف نفسك عن دنياهم فلا تأكل امواهم، ولا ترشي في احكامهم، وإن عاملك وابن عمك قد اكل ما تحت يده بغير علمك، ولا يسعني كتمانك ذلك، فانظر رحمك الله فيما قبلنا من امرك، واكتب الي برأيك إن شاء الله والسلام».

فأجابه الإمام عليه السلام: «قد فهمت كتابك، ومثلك نصح الامام والامة، ووالى على الحق، وفارق الجور، وقد كتبت إلى صاحبك فيما كتبت الي فيه من امره ولم اعلمه بكتابك الي فيه، فلا تدع إعلامي ما يكون بحضرتك مما النظر فيه للامة صلاح، فإنك بذلك محقوق، وهو عليك واجب، والسلام».

وكتب الامام لابن عباس: «قد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وأخزيت أمانتك، وخنث المسلمين، بلغني أنك جردت الارض، وأكلت

(١) انساب الاشراف ٢/ ١٦٩-١٧١. وانظر: التوحيدى: البصائر والذخائر ١/ ٤٩٠-٤٩٣. سبط

ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٧

(٢) الطبري ٥/ ١٤١-٢. وايدها من المحدثين: يوليوس: تاريخ الدولة العربية ص ٩٥، ١٠٥. طه

حسين: علي وبنوه ٢/ ١٣٣-١٤٢. علي الوردي: مهزلة العقل البشري ص ٥٧-٥٨.

٤٧٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ما تحت يديك، فارفع الي حسابك، وأعلم أن حساب الله أشد من حساب الناس. والسلام»

فكتب ابن عباس: «إن الذي بلغك عني باطل، واني لما تحت يدي اضبط واحفظ فلا تصدق عليّ الأضناء، والسلام».

فكتب له الامام عليه السلام: «إنه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما اخذت، من الجزية؟ ومن أين اخذته، وفيما وضعت ما انفقت منه، فاتق الله فيما أئتمنت عليه، واسترعيتك حفظه، فإن المتاع بما أنت رازيء منه قليل وتباعه ذلك شديد والسلام».

فلما رأى ابن عباس أن الإمام لا يعفيه كتب إليه: «قد فهمت تعظيمك علي مرزأة مال بلغك اني رزأته من أهل هذه البلاد، والله لأن القى الله بما في بطن هذه الارض من عقيانها ولجينها وبطلاع ما على ظهرها أحب إلي من أن القاه وقد سفكت دماء الأمة لأنال بذلك الملك والامارة، فابعث إلى عملك من احببت، فإني ضاعن عنه، والسلام».

قال البلاذري والطبري: (١)

«ولما أراد ابن عباس الخروج، دعا اخواله من بني هلال بن عامر ليمنعوه فجاء الضحاك بن عبد الله الهلالي، وهو كان على شرطة البصرة، وعبد الله بن رزين الهلالي، وقبيصة بن عون الهلالي وغيرهم من الهلاليين، فقال الهلاليون: لا غناء بنا عن اخواننا من بني هوازن، ولا غناء بنا عن اخواننا من بني سليم، فاجتمعت قيس كلها، وصحب ابن عباس أيضا سنان بن سلمة بن المحيق

(١) (١) انساب الاشراف ٢/ ١٧١_٤. تاريخ ٥/ ١٤٢.

الهدلي، والحسين ابن أبي الحر العنبري، والربيع بن زياد الحارثي، فلما رأى عبد الله من معه حمل المال وهو ستة الاف الف في الغزاة^(١) ثم سار، واتبعه اخماس البصرة كلهم فلحقوا بالطف^(٢) على أربع فراسخ^(٣) من البصرة، إرادة أخذ المال منه، فقالت قيس: والله لا يصلون إليه ومنا عين تطرف. فقال صبرة بن شيبان بن عكيف الحداني وهو رأس الازد يا قوم إن قيساً اخواننا وجيراننا في الدار، واعواننا على العدو، ولو رد عليكم هذا المال كان نصيبكم منه الاقل فانصرفوا. وقالت بكر بن وائل: الرأي والله ما قال صبرة بن شيبان، واعتزلوا أيضاً، فقالت بنو تميم: والله لنقاتلهم عليه. فقال لهم الاحنف: انتم والله احق أن لا تقاتلونهم، وقد ترك قتالهم من هو ابعد منهم رحماً. فقالوا: والله لنقاتلهم عليه فقال الاحنف: والله لا اساعدكم وانصرف عنهم. فرأسوا عليهم رجلاً يقال له ابن المجاعة وهو من بني تميم، فحمل عليهم الضحاك بن عبد الله الهلالي فطعن ابن المجاعة فصرعه، وحمل سلمة بن ذؤيب على الضحاك فطعنه، فاعتنقه عبد الله بن رزين الهلالي فسقطا إلى الارض يعتركان... وكثرت الجرحى بينهم، ولم يقتل من الفريقين أحد، فقال من اعتزل من الاخماس: والله ما صنعتم شيئاً حيث اعتزلتموهم، وتركتموهم يتناحرون فجاؤا حتى صرفوا وجوه بعضهم عن بعض، وحجزوا بينهم، وقالوا لبي تميم: والله لنحن اسخى انفساً منكم،

(١) جمع غرارة وهي الجوالق التي يوضع فيها التبن. ابن منظور: لسان العرب ٦/ ٣٢١

(٢) وهي ما اشرفت من ارض العرب على العراق، وسمي بالطف لقربه من الريف. أنظر: الزمخشري:

كتاب الامكنة ص ١٢٥ الحموي: معجم البلدان ٤/ ٣٥-٣٦. الحميري: الروض ٣٩٦.

(٣) الفرسخ هو ثلاثة اميال أو ستة. ابن منظور: لسان العرب ٢/ ١٠٧٣-١٠٧٤ (مادة فرسخ).

تركنا لبني عمكم شيئاً انتم تقاتلونهم عليه، فخلوا عن القوم، وعن ابن اختهم، ففعلوا ذلك... ومضى عبد الله بن عباس ومعه وجوههم نحواً من عشرين سوى مواليتهم ومواليه، ولم يفارقه الضحاك بن عبد الله، وعبد الله بن رزين حتى وافاه مكة.. وكان ابن عباس يعطي في طريقه من سأله ومن لم يسأله من الضعفاء حتى قدم مكة. ويقال إنه كان استودع حصين بن الحر مالاً فاداه إليه. قالوا: ولما قدم ابن عباس مكة ابتاع من حبيرة مولى بني كعب من خزاعة ثلاث مولدات حوراء وفنور وشادن بثلاثة الاف دينار فكتب إليه علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما بعد، فإني كنت اشركتك في امانتي ولم يكن في أهل بيتي رجل...». نص الكتاب الذي ذكرناه في صدر الموضوع. ثم أشار البلاذري لرد ابن عباس ثم رد الإمام عليه السلام الذي ذكرناه سابقاً^(١).

فيما يرى اخرون أن ابن عباس لم يغادر البصرة حتى صلح الحسن، فذهب إلى الكوفة، وشهد الصلح ثم رجع إلى البصرة فحمل اثقاله، ومالاً قليلاً من بيت المال ادعى بأنها ارزاقه^(٢).

وقد ذكر أبو الفرج انه بعد تحاذل عبيد الله بن عباس^(٣) وميله لمعاوية- وكان قائد جيش الحسن الموجه لحرب معاوية- قام قيس بن سعد بن عبادة^(٤)

(١) انساب الاشراف ٢/ ١٧٤-١٧٦.

(٢) البلاذري: انساب الاشراف ٢/ ١٧٦. الطبري: تاريخ ٥/ ١٤٣.

(٣) أنظر ترجمته ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١٠٠٩. ابن حجر: الاصابة ٢/ ٤٣٧-٨.

(٤) من أشد اصحاب الامام اخلاصاً له. الشرح ٦/ ٥٧-٦٥. وانظر ابن عبد البر: الاستيعاب

٣/ ١٢٨٩-١٢٩٣. ابن حجر: الاصابة ٣/ ٢٤٩.

خطيباً في أصحابه قائلاً: أيها الناس، لا يهولنكم ولا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع أي الجبان، إن هذا وأباه واخاه لم يأتوا بيوم خير قط، إن أباه عم الرسول ﷺ خرج يقاتله ببدر فاسره أبو اليسر كعب بن عمرو الانصاري^(١) فأتى به رسول الله ﷺ، فاخذ فداه فقسمه بين المسلمين وإن اخاه وياه علي امير المؤمنين على البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين فاشترى به الجواري وزعم أن ذلك له حلال. وإن هذا ولآه اليمن فهرب من بسر بن ارطاة وترك ولده حتى قتلوا، وصنع الآن هذا الذي صنع»^(٢).

تجدد الاشارة إلى أن عبد الله بن عباس كان ذا علاقة وثيقة جداً بالإمام علي عليه السلام إلى درجة انه يعتبر تلميذ الإمام علي عليه السلام، ولما سئل عن مقدار علمه من علم الإمام علي عليه السلام، أكد أن نسبة علمه إلى علم الإمام علي عليه السلام كالقطرة إلى البحر المحيط^(٣)، وكان ابن عباس الناطق باسم الهاشميين جميعاً، والإمام علي عليه السلام خاصة في مناظراته مع الخليفين عمر بن الخطاب^(٤)، وعثمان بن عفان^(٥)، حيث تظهره الروايات بمظهر المدافع والمثبت لحق الهاشميين في الإمامة. ولما تولى الامام الخلافة كان لابن عباس دور مشهور في احداث خلافته، فهو رسول

(١) أنظر ترجمته: ابن حجر: الاصابة ٣/ ٣٠٠.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٤٢.

(٣) الشرح ١/ ١٩.

(٤) الشرح ١٢/ ٢٠-١، ٤٦، ٥٠-٥٥، ٧٨-٨٢. وانظر اخبار العباس، ص ٣٣، ١٢٨-٩.

البلاذري: انساب ٥/ ١٦-٧. يعقوبي: تاريخ ٢/ ١٤٦-٧. ابن عبد البر: الاستيعاب

٣/ ١١١٩-٢٠. الجويني: فرائد ١/ ٣٣٤-٦.

(٥) الشرح ٩/ ٨-٢٢.

٤٧٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الامام إلى كل من طلحة والزبير^(١)، ثم أم المؤمنين عائشة^(٢)، وبعد نهاية معركة الجمل أصبح والياً على البصرة للامام^(٣)، وأشار الطبري^(٤) أنه تولاها طيلة أيام خلافة الامام عليه السلام، وإذا ما طلبه الامام فكان يعين بدله والياً من قبله. وكان الامام قد عين على قضاء البصرة وبيت المال أبا الاسود الدؤلي.

اما في معركة صفين، فمسألة وجوده فيها معروفة، فكان هو الذي أشار على الامام أن يكون ممثله في التحكيم، إلا أن الاشعث واصحابه لم يوافقوا عليه قائلين للامام: كأنك تبعث نفسك، إذ لا يجدون فرقاً بين الامام وابن عباس، وكان ضمن الوفد الذي ارسل للتحكيم برئاسة أبي موسى الاشعري وانه كان ينصح أبا موسى ويحذره من مكيدة عمرو بن العاص^(٥).

ثم كان رسول الامام عليه السلام إلى الخوارج، حيث اوصاه الامام بأن يناظرهم بالسنة وليس بالقران وقد اوضحنا ذلك من قبل. وبعد ذلك عاد ابن عباس إلى البصرة.

وفي سنة ٣٨ هـ تمت لمعاوية السيطرة على مصر وتم تسليمها إلى عمرو بن العاص حسب الاتفاق المبرم، وقد قتل وإليها- من قبل الامام- محمد بن أبي

(١) الشرح ٢/١٦٦-١٧٠.

(٢) الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ٢١٥-٦. مؤلف مجهول: اخبار العباس وولده ١٢٥-١٢٧. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٣٢٨-٩.

(٣) الطبري ٤/٥٤٣.

(٤) تاريخ ٥/٩٣، ١٣٢، ١٥٥.

(٥) الشرح ٢/٢٤٦. وانظر: مؤلف مجهول: اخبار العباس ص ٣٦-٧. الطبري: ٥/٥١، ٦٧، ٧٠-٧١.

٧١. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٢-٣.

بكر^(١)، والواضح من الروايات أن الامام خص ابن عباس باهتمام كبير إذ كتب له رسالة يخبره بمقتل محمد بن أبي بكر موضحاً اثر ذلك في نفس الامام. مما دعا ابن عباس لاعادة الجواب معزياً الامام بمقتل محمد الذي هو ابن الامام من صلب أبي بكر^(٢)، ولم يكتف ابن عباس بذلك بل سار إلى الكوفة بنفسه لتعزية الامام تاركاً زياد بن أبيه في البصرة لادارة شؤونها، فاستغل انصار معاوية ذلك فارسلوا إلى معاوية يدعونه لاستغلال الفرصة، فأرسل معاوية ابن الحضرمي - مما دعا زياداً لمراسلة ابن عباس الذي اطلع امير المؤمنين عليه السلام وهنا لا نجد الروايات تشير لاي دور لابن عباس، فهو لم يرجع إلى البصرة بل إن الامام عليه السلام كان يكتب زياد، وزياد يشرح له الحال وارسل الامام من جانبه رسولين لمعالجة الوضع حتى تم قتل ابن الحضرمي بجهود زياد^(٣).

وفي السنة نفسها ٣٨هـ خرج الخريت بن راشد في بني ناجية^(٤) على سلطة الامام وتشير الروايات ان ابن عباس كان والياً على البصرة، فكتب له الامام عليه السلام بان يرسل من قبله رجلاً صليماً ومعه الفتي رجل لمساندة قائد الامام معقل بن قيس الذي تمكن من تصفية تمرد الخريت^(٥). وكان معقل قد اسر وسبى اناساً كانوا على دين النصرانية فاشتراهم والي الامام مصقلة بن هبيرة واعتقهم، فطالبه الامام بالمال، فجاء مصقلة إلى البصرة، فطالبه ابن عباس بالاموال، لأن عمال

(١) الشرح ٦/٦٥-١٠٠. وانظر: الطبري: تاريخ ٥/٩٤-١٠٥.

(٢) الشرح ٦/٥٣، ٩٢، ١٦/١٤٥. الطبري: تاريخ ٥/١٠٩. أبي هلال: الغارات ص ١٩٦.

(٣) الشرح ٤/٣٤-٥٣. وانظر الطبري ٥/١١٠-١١٣. أبي هلال: الغارات ٢٥٥-٢٨٤.

(٤) الشرح ٣/١٢٧-١٤٨. وانظر الطبري ٥/١١٣-١٢٩. أبي هلال: الغارات ٢١٩-٢٤٥.

(٥) الشرح ٣/١٣٦. وانظر الطبري ٥/١٢١.

٤٨٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

البصرة كانوا يحملون الاموال لابن عباس الذي يقوم بدوره بحمل الاموال إلى الامام عليه السلام، وثم سيره للامام علي عليه السلام^(١).

واشار الطبري ان خلافة الإمام علي - عليه السلام - واجهت تحدياً واضطرابات داخلية بعد معركة النهروان في بلاد فارس حيث اخرجوا والي الامام سهل بن حنيف فاشار ابن عباس على الامام بأن يرسل زياد بن أبيه، حيث يقول: فقال ابن عباس لعلي عليه السلام اكفيك فارس بزياد، فأمره الإمام علي عليه السلام أن يوجهه إليها، فقدم ابن عباس البصرة ووجه زياد إلى فارس في جمع كثير تمكن من تصفية التمرد في سنة ٣٩هـ^(٢).

واوضح الطبري ان ابن عباس في سنة ٣٩هـ لم يكن في البصرة «كان شخص عن عمله بالبصرة، فاستخلف زياداً على الخراج، واما الاسود على القضاء»^(٣) ولكن الطبري لم يوضح سبب شخوص ابن عباس، وربما طلبه الامام للمشاورة في أمر الاضطرابات في بلاد فارس وغيرها.

ثم تأتي السنة الأخيرة من خلافة الامام عليه السلام ٤٠هـ وهي السنة التي أشارت الروايات لاخذ ابن عباس اموال البصرة، والتي ادت لتلك المراسلات الشديدة اللهجة بين الطرفين، والتي لا تناسب علاقتها مع بعضها البعض، وتترك الروايات هذه العلاقة بهذا الوضع السلبي دون أن تضع لها نهاية، لكننا نجد روايات أبي الفرج توضّح أنه بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام كان ابن عباس ممن

(١) الشرح ٣/١٤٣-١٤٨. وانظر الطبري ٥/١٢٩.

(٢) الطبري: تاريخ ٥/١٢٢، ١٣٧.

(٣) الطبري: تاريخ ٥/١٣٦. الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ٢٣.

غسل الإمام (١)، وورثاه (٢)، ودعا إلى بيعة الحسن (٣)، وقد يكون هذا تصحيحاً وربما الذي قام بذلك هو اخوه عميد الله، لأننا نجد ابن عباس يكتب رسالة إلى الامام الحسن يدعوه للقيام بالأمر (٤)، ورسالته فيها دلالة على أن ما جاء في الرسائل المتبادلة بين الامام وابن عباس أمر مبالغ فيه، واوضحت الروايات ان معاوية لما تولى الخلافة كتب لابن عباس برسالة يهدده، فرد عليه ابن عباس برسالة مماثلة (٥).

واشار أبو الفرج أن معاوية دس جواسيساً في خلافة الحسن إلى الكوفة والبصرة، فقبض على الجواسيس، وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية يندد بفعله هذا (٦).

وذكر الطبري ان ابن عباس شخص إلى الكوفة وشهد الصلح بين الحسن ومعاوية ثم رجع للبصرة، فحمل اثقاله، وبعضاً من مال بيت المال وارتحل للحجاز (٧).

وهنا نطرح الحيثيات التالية:

أولاً: ما طبيعة العلاقة بين أبي الاسود الدؤلي وابن عباس؟ إن الوقوف

(١) الشرح ١٢٢/٦.

(٢) الشرح ١٢٥-١٢٦/٦.

(٣) الشرح ٢٢-٢٣، ٣٠-٣١/١٦.

(٤) الشرح ٢٣-٢٤/١٦.

(٥) الشرح ١٥٤/١٦.

(٦) الشرح ٣٢/١٦. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٣٤.

(٧) تاريخ ١٤٣/٥.

عليها قد يكون فيه اضاءة للموضوع؟ وهذا ما لم نجده.

ثانياً: ماهي ميول رواة تلك المراسلات وخروج ابن عباس وترك ولايته؟
ثالثاً: إن من يقرأ الالفاظ التي تبودلت بين الامام وابن عباس سيجد أنها لا
تتطابق مع تلك العلاقة الودية والحميمة وذلك الاعتقاد الذي يحمله ابن عباس
للامام علي عليه السلام.

فهل يعقل أن يكتب ابن عباس للامام: «والله لأن القى الله بما في هذه
الارض من عقيانها ولجينها وبطلاع من على ظهرها أحب إلي من أن القاه وقد
سفكت دماء الأمة لانال بذلك الملك والامارة»!؟

إذا كان ابن عباس يرى هذا الرأي، فلماذا نجده العضد الايمن للامام في
معاركه الثلاثة، وفي مناظراته مع خصوم الامام كان يحاول بما اوتي من قوة جدال
إثبات صحة مواقف الامام وامامته والتأكيد على خطأ خصومه. ولذلك نجد
الامام يرشحه ليمثله في التحكيم، ويرسله للخوارج، ومن قبل إلى طلحة والزبير
وام المؤمنين، وكل ذلك ليشير إلى مدى الثقة التي يكنها الامام لابن عباس.

ثم ان ابن عباس يجعل سر حروب الامام هو الوصول إلى الحكم والملك،
وهذا أمر لم يفعله خصوم الامام، فأثنى لابن عباس أن يعتقدده، وإذا كان
الإمام عليه السلام يريد الوصول إلى الحكم بأية طريقة، ولو بسفك الدماء، فما باله رفض
شرط عبد الرحمن بن عوف وهو يقول له: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله
وسيرة الشيخين^(١).

وقد علق المحمودي على ذلك قائلاً: «الظاهر أن هذا الكتاب وضعه بعض

اتباع الأموية كي يكثرُوا سواد معاوية وامثاله ممن باع الآخرة بالدنيا، واذهب طبياته في نيل الأرزُل والأدنى، ويلقوا في روع الناس واذهانهم أن حروب أمير المؤمنين عليه السلام وقيامه بالأمر، لم تكن دينية، وإنما كانت دنيوية محضة كي ينفرد بالملك وينال السلطة والرئاسة وكيف يمكن أن يكتب ابن عباس هذا إلى أمير المؤمنين ويعتقده مع أن احتجاجاته الكثيرة على النواصب والخوارج مشحونة بتبرير عمل أمير المؤمنين عليه السلام، وأنه كان في جميع أعماله على الحق وأن أعداءه على الباطل»^(١).

ثم كتب الامام لابن عباس «فلما رأيت الزمان على ابن عمك كلب... إلى نهايته» فيه من المبالغات مما لا يتناسب مع شخصية الامام ونظرته لابن عباس، منها قوله «فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم اموالهم، فأنت ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك، ولاضربنك بسيفي هذا الذي ما ضربت أحداً الا دخل النار».

هب أن ابن عباس أخذ الاموال فهل عقوبته القتل، ثم ان الروايات، لا تشير لاعادة ابن عباس الاموال، فهل هذا يعني أن الإمام عليه السلام يقول بأن ابن عباس من أهل النار!؟

رابعاً: إن طريقة خروج ابن عباس من البصرة حسبما توضحه الروايات، تشير إلى سلوك غير طبيعي لا يتناسب مع ابن عباس، وإنه طلب حماية الآخرين للخروج، وإذا فهو مقتنع بأن تصرفه غير صحيح، ولذا طلب معونة الآخرين من احواله، وقد بالغت الروايات في أمر المال المأخوذ وهو ستة ملايين، دون

(١) البلاذري: انساب الاشراف ٢/ ١٧١هـ (المحقق).

أن تحدد دراهم أو دنانير، وهذا شيء لا يمكن ان يقع من ابن عباس، ولم تترك الروايات خروج ابن عباس حتى جعلته وكأنه رغباً على أهل البصرة وبالقوة، رغم محاولات بني تميم الحيلولة دون ذلك.

خامساً: لماذا تصور الروايات ان بني تميم فقط اخذوا موقفاً متشدداً من ابن عباس فهل هذا يعود لتشدده مع بني تميم أبان ولايته إلى درجة أن كتب له الامام ينهائه عن ذلك لأن بني تميم كلما غاب منهم نجم ظهر لهم آخر حسب تعبير الامام^(١).

سادساً: لم تترك الروايات ابن عباس وامواله دون أن تحدد موارد صرفها التي لم تتجاوز (الجواري)، وكأن الروايات تريد أن تؤكد على دنيوية ابن عباس وميله للنساء، فأشارت لاسماء الجواري (حوراء وفنور وشادن) إلا إنها لم تشر الا إلى صرف ثلاثة آلاف دينار فقط.

سابعاً: تجدر الاشارة إلى أن معاوية كان يفتعل الكتب، وينشر الاخبار غير الصحيحة على السن اصحاب الامام في محاولة منه اما لجذبهم إليه أو تشويه سمعتهم، أو لادخال الشك في نفس الامام منهم، كما فعله مع قيس بن سعد^(٢) والاشتر، وغيرهما، اذن يا ترى ما باله لم يوظف هذا الشرخ الكبير الذي ظهر من ابن عباس خاصة وان ابن عباس هو الساعد الايمن للامام عليه السلام، فإننا لم نجد أي إشارة لا في خلافة الامام ولا بعده، ونحن نعلم بأن ابن عباس كان لسان الهاشميين في مجلس معاوية^(٣) ولم يتردد يوماً في الثناء على الامام والطعن

(١) الشرح ١٥/١٢٥.

(٢) الشرح ٦١/٦-٦٢.

(٣) الشرح ٦/٢٩٨-٣٠٤. وانظر: البيهقي: المحاسن والمساوي ص ٨٨-٩١.

على معاوية بل الاكثر من ذلك ان معاوية اشرك ابن عباس في اللعن مع الامام والحسن الحسين عليه السلام وجعل ابن عباس رابعهم^(١)!!؟.

ثامناً: إن رسالة ابن عباس للإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاد^(٢) الإمام علي عليه السلام، توضح أن ابن عباس كان يحمل ذلك الاعتقاد الراسخ والمعروف عنه للإمام، خاصة وأن رسالته جاءت بعد أشهر من مسالة أخذ الاموال إن صحت؟!؟

تاسعاً: إننا لا نستبعد أن يكون ابن عباس قد أخذ الاموال، فهو ليس معصوماً من الخطأ، ولا نستبعد موقف الامام هذا، فالمعروف عنه عليه السلام شدته في تطبيق الاحكام، ولو كان مع اقرب المقربين إليه، كأولاده مثلاً، ولكن هل إن غلظة الامام وشدته على ولاته توجب عليهم مفارقتة، فلماذا لم يفارقه عثمان بن حنيف وإليه على البصرة الذي حاسبه على استجابته لمأدبة طعام^(٣)، وقاضيه شريح القاضي الذي ندد به لشراءه داراً بثمانين ديناراً^(٤) إذن إذا كان الامام قد تشدد مع ابن عباس وهذا ما لا نستبعده فهذا لا يعني انه قد فارق الامام^(٥).

إن قراءتنا لما جاء لدى اليعقوبي حول هذه المسألة التي اطلنا الحديث فيها تعطينا انطباعاً إلى أي مدى بولغ في هذه المسألة؟ ولماذا بولغ؟ فلنقرأ ما جاء

(١) الشرح ١٣٧/٦ الطبري: تاريخ ٧١/٥

(٢) الشرح ١٦/٢٣-٢٤.

(٣) الشرح ١٦/٢٠٥ وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٧١٩/٢.

(٤) الشرح ١٤/٢٧-٢٨.

(٥) أنظر ميثم البحراني: شرح نهج البلاغة ٩٠/٥.

لدى اليعقوبي: «وكتب أبو الاسود الدئلي [كذا] كان خليفة عبد الله بن عباس بالبصرة إلى علي عليه السلام يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشرة الاف درهم فكتب إليه يأمره بردها فامتنع، فكتب يقسم له بالله لتردها، فلما ردها عبد الله أو رد اكثرها، كتب إليه علي عليه السلام: أما بعد فإن المرء يسرُّه ذرُّك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فما اتاك من الدنيا، فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها، فلا تكثر به جزعاً، واجعل همك لما بعد الموت، والسلام». فكان ابن عباس يقول: ما اتعظت بكلام قط اتعاطي بكلام امير المؤمنين»^(١).

والظاهر أن ابن عباس كان يعتقد ان له الحق في أخذ المال ولا ندرى بالضبط ما هو طبيعة اعتقاد ابن عباس هذا، حيث نجده يبرر للإمام أسباب اخذه المال بقوله: «إن حقي في بيت المال لا عظم مما اخذت»^(٢) فهل اعتقاد ابن عباس من باب العاملين عليها؟ أم من باب ذوي القربى؟ أم شيء آخر؟

هذا التخاذل من اصحاب الامام دفع معاوية لاستغلال الفرصة ومهاجمة عدد من الولايات اثاره للشغب والفتنة، كما فعل في رساله دعاة إلى مكة يدعون إلى طاعته، وتثييط الناس عن نصره امير المؤمنين عليه السلام ويوقعون في أنفسهم انه قاتل لعثمان أو خاذل، وان الخلافة لا تصلح فيمن قتل أو خذل، وينشرون عندهم محاسن معاوية وأخلاقه وسيرته، فكتب الامام عليه السلام لعامله على مكة قثم

(١) التاريخ ٢/ ١٩٣. وانظر ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/ ٣٢٧. ابن الاثير: المثل السائر ١/ ٣٩٤.

سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٥. محب الدين: الرياض ٢/ ٢٩٥.

(٢) البلاذري: انساب الاشراف ٢/ ١٧٥.

بن العباس^(١) ينبهه لذلك ليعتمد فيه ما تقتضيه السياسة^(٢).

وبعد معركة النهروان إراد الامام السير باصحابه صوب الشام اثر فشل التحكيم ولكنهم تقاعسوا وتحاذلوا، وعادوا للكوفة فلما علم معاوية بذلك ارسل الضحاك بن قيس^(٣) للاغارة على نواحي الكوفة، فتمكن من نشر الخوف، فدعا الامام أصحابه للخروج لكنهم ثاقلوا وخرج اخيراً حجر بن عدي الذي اضطر الضحاك للهرب^(٤).

وبعدها ارسل معاوية-النعمان بن بشير الانصاري^(٥) إلى عين التمر^(٦) فاستصرخ الامام أصحابه للخروج لنجدة وإليها مالك بن كعب الارجحي^(٧)

(١) أنظر ترجمته ابن الاثير: اسد الغابة ٤/١٩٧-٨ ابن حجر: الاصابة ٣/٢٢٦-٧.

(٢) الشرح ١٦/١٣٨-١٣٩.

(٣) هو من خواص معاوية حيث شارك في صفين وتولى الكوفة في ايامه ثم صلى على معاوية بعد وفاته واصبح صاحب شرطة يزيد ثم قتل في مرج راهط بعد وفاة يزيد. الطبري: ٥/١٢، ٧١، ٩٨، ١٣٥، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٩، ٣٢٣، ٣٢٧، ٥٣٠-٧.

(٤) الشرح ٢/١١٣-١٢٥. وانظر اليعقوبي: تاريخ ٢/١٢-١٨٣. الطبري: تاريخ ٥/١٣٥.

(٥) يقال هو أول مولود للانصار في الإسلام بعد الهجرة، وهو الذي حمل قميص عثان مخصباً بدمه إلى معاوية، وقد تولى الكوفة لمعاوية ويزيد، ثم عزل أيام يزيد في أمر الإمام الحسين عليه السلام وقاتل بعد وفاة يزيد. الطبري ٢/٤٠١، ٤/٤٣٠، ٥/٥٦٢، ٥/١٣٣-٤، ٣٣٨، ٣٣٩، ٥٣١، ٥٣١، ٤٨١، ٤٦٢، ٣٥٩.

(٦) حصن في العراق افتتحه خالد ابن الوليد وهو قريب من الانبار. الهمداني: مختصر كتاب البلدان ص ١٣٥/١٦٥ الحموي: معجم البلدان ٤/١٧٦-١٧٧. الحميري: الروض ص ٤٢٣.

(٧) من أهل الكوفة شارك في القادسية وشهد صفين مع الإمام علي عليه السلام ثم تولى له عين التمر. الطبري: تاريخ ٤/٩، ٥/٥٤، ٨-١٠٧، ١٣٣.

٤٨٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

دون جدوى، ولكن مالك تمكن بعد ذلك من صد غارة النعمان الذي عاد دون ان يحقق اهدافه^(١).

ومن الغارات التي ارسلها معاوية مستغلاً تحاذل اصحاب الامام، غارة سفيان بن عوف الغامدي^(٢) على الانبار، الذي تمكن من دخولها وقتل اميرها وحمل اموالها. ورغم دعوة الامام أصحابه إلا أنه لم يجد نفعاً وسار بعد ذلك سعيد بن قيس الذي لم يدرك سفيان^(٣).

ثم كان فتح مصر ومقتل محمد بن أبي بكر على يد عمرو بن العاص والمعروف ان مصر هي الشرط الذي اشترطه عمرو مقابل دخوله مع معاوية الصراع مع الإمام علي عليه السلام، فتمكن من اثاره الشغب في مصر، ثم دخولها، ومقتل وإليها محمد بن أبي بكر^(٤) وكان الامام قد ولى مصر أولاً قيس بن سعد ثم عزله وولى محمد بن أبي بكر، فاثار عزله انتقاداً لسياسة الامام، فاجاب عنه ابن أبي الحديد قائلاً: «ان ليس من الممكن ان يقال: ان محمد رحمه الله لم يكن باهل لولاية مصر، لأنه كان شجاعاً زاهداً فاضلاً، صحيح العقل والرأي، وكان مع ذلك من المخلصين في محبة امير المؤمنين عليه السلام، والمجتهدين في طاعته، ومن لا يتهم عليه ولا يرتاب بنصحه وهو ربيبه وخريجه، ويجري مجرى اولاده عليه السلام،

(١) الشرح ٣٠١/٢. وانظر اليعقوبي: تاريخ ١٨٢/٢. الطبري ١٣٣/٥-٤. أبي هلال: الغارات ص ٣١١-٧.

(٢) أنظر ترجمته. الطبري: تاريخ ١٣٤/٥، ٢٣٤. الحاكم: المستدرک ٥٠٥/٣

(٣) الشرح ٩٠-٨٥/٢. وانظر الطبري: تاريخ ١٣٤/٥.

(٤) الشرح ٦٥/٦-١٠١/١٦/١٤٢-١٤٣. وانظر الطبري ٤/٥-١٠٥. أبو هلال: الغارات ص ١٨٤-٧.

لترتيته له واشفاقه عليه»^(١).

وأضاف: «كان المصريون على غاية المحبة له، والايثار لولايته، ولما حاصروا عثمان، وطالبوه بعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عنهم، اقترحوا تأمير محمد بن أبي بكر عليهم. فكتب له عثمان بالعهد على مصر وصار مع المصريين حتى تعقبه كتاب عثمان إلى عبد الله بن سعد في امره وامر المصريين بما هو معروف^(٢). فعادوا جميعاً، وكان من قتل عثمان ما كان، فلم يكن ظاهر الرأي ووجه التدبير الا تولية محمد بن أبي بكر على مصر لما ظهر ميل المصريين إليه، وايتارهم له، واستحقاقه لذلك بتكامل خصال الفضل فيه، فكان الظن قوياً باتفاق الرعية على طاعته وانقيادهم إلى نصرته واجتماعهم على محبته فكان من فساد الأمر واضطرابه عليه حتى كان ما كان»^(٣).

وأردف قائلاً: «ليس ذلك بعيب على امير المؤمنين عليه السلام، فإن الامور إنما يعتمدها الامام على حسب ما يظن فيها من المصلحة، ولا يعلم الغيب الا الله تعالى، وقد تولى رسول الله ﷺ في مؤته جعفرًا فقتل، وولى زيدا فقتل، وولى عبد الله بن رواحة فقتل، وهزم الجيش، وعاد من عاد منهم إلى المدينة بأسوء حال، فهل لأحد ان يعيب رسول الله ﷺ بهذا ويطعن في تدبيره»^(٤).

واستغل انصار معاوية في البصرة غياب والي البصرة - عبد الله بن عباس - الذي ذهب للكوفة لتعزية الامام بمقتل محمد بن أبي بكر - فكتبوا للمعاوية، الذي ارسل - ابن

(١) الشرح ١٠/٢٤٨-٢٤٩.

(٢) إشارة إلى كتاب عثمان بقطع ايدي وارجل المصريين. الشرح ٢/١٤٩-١٥١. البلاذري: انساب

٥/٦٥-٧. الطبري: تاريخ ٤/٣٧٣. الجهشياري: الوزراء الكتاب ص ٢١-٢٢.

(٣) الشرح ١٠/٢٤٩.

(٤) الشرح ١٠/٢٤٩.

الحضرمي - لاثارة البصرة ضد الامام، إلا أنه اخفق في تأدية مهمته حيث قتل»^(١).
وافضع الغارات التي ارسلها معاوية هي غارة - بسر بن ارطأة - على
المدينة ومكة والطائف، واليمن، وكانت في السنة الأخيرة من خلافة الامام عليه السلام،
حيث تشير الروايات لعدد كبير من القتلى الذي طال حتى الاطفال^(٢) وادخل
الرعب والخوف في قلوب الناس، وقد وصف ابن أبي الحديد علاقة بسر
بمعاوية: «كان مسلم بن عقبة ليزيد، وما عمل بالمدينة في وقعة الحرة»^(٣) كما
كان بسر لمعاوية، وما عمل بالحجاز واليمن، ومن اشبه اباه فما ظلم^(٤).
ومع حالة التخاذل هذه، والتي نجم عنها التصعيد الذي قام به معاوية من شن
الغارات على الولايات الموالية للامام، لكن الامام عليه السلام لم يتخل عن فكرة ضم بلاد
الشام وأعادتها إلى حضيرة الدولة، لذا تشير الروايات انه في اواخر خلافته تمكن من
اعداد جيش كبير لاستعادة الشام، إلا أن استشهاده المفاجيء حال دون ذلك^(٥).
ان اعداد هذا الجيش فيه دلالة على ان ما تشير إليه بعض الروايات من ان الإمام
علي عليه السلام هادن معاوية على أن يكون العراق له، والشام لمعاوية^(٦) ليس له من الصحة
شيء.

(١) الشرح ٤/٣٤-٥٣. أبي هلال: الغارات ص ٢٥٥-٢٨٤.

(٢) أنظر قصة طفلي عبيد الله بن عباس. الشرح ٢/١٣ الطبري: تاريخ ٥/١٤٠.

(٣) وقعت في أيام يزيد بن معاوية في أهل المدينة لما رفضوا بيعته، أنظر تفاصيلها: الطبري: التاريخ
٥/٤٨٢-٤٩٤.

(٤) أي لم يضع الشيء في غير موضعه. الميداني مجمع الامثال ٢/٣٠٠.

(٥) الشرح ٢/٩٠، ٧/٩٣-٤. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٤/٢٤٢-٢٤٣.

(٦) الطبري: تاريخ ٥/١٤٠.

الفصل الخامس

الإمام علي

عليه السلام

مصدر الفكر

العربي الإسلامي

الفصل الخامس

الإمام علي عليه السلام

مصدر الفكر العربي الاسلامي

المبحث الأول

الإمام علي عليه السلام مدينة العلم

كانت تربية الإمام علي عليه السلام في بيت الرسالة البداية لتفتح ذهنيته وقدرتها على استيعاب حقائق الكون واسراره بعد الهجرة المباركة حيث كان عليه السلام مخصوصاً بخلوات يخلو بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، لا يطلع أحد من الناس على ما يدور بينهما، وكان عليه السلام كثيراً ما يسأل النبي صلى الله عليه وآله عن معاني القرآن ومعاني كلامه صلى الله عليه وآله وإذا لم يسأل ابتداءه النبي صلى الله عليه وآله بالتعليم والتثقيف^(١)، وروي انه قال: (كنت إذا سألت رسول الله اعطاني، وإذا سكت ابتدأني)^(٢).

(١) الشرح: ٤٨/١١.

(٢) الترمذي: الصحيح ١٢/١٧٠. ١٧٥. الحاكم: المستدرک ٣/١٣٥. ابن طلحة: مطالب السؤل

ص ٤٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠.

ولم يكن أحد من اصحاب النبي ﷺ كذلك، إذ كانوا اقساما:
منهم من يهاب الرسول ﷺ أن يسأله وهم الذين يحبون ان يأتي الاعرابي أو
الطارئ فيسأله وهم يسمعون.
منهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل المهمة في البحث والنظر.
منهم من كان مشغولا عن طلب العلم.
منهم المعاني اما بعبادة أو دنيا.
منهم المقلد الذي يرى أن فرضه السكوت وترك السؤال.
منهم المبغض الشائئ الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته
وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه (١).

واضيف إلى اختصاص الإمام علي عليه السلام بالنبي ﷺ (ذكاءه وفطنته، وطهارة
طينته واشراق نفسه وضوئها، وإذا كان المحل قابلا متهيئا، كان الفاعل المؤثر
موجودا، والموانع مرتفعة، حصل الاثر على أتم ما يمكن فلذلك كان عليه السلام كما
قال الحسن البصري (رباني هذه الأمة، وذا فضلها، ولذا تسميه الفلاسفة: امام
الأئمة وحكيم العرب) (٢).

فكان عليه السلام سيد أهل النظر كافة وامامهم حيث لم يكن عليه السلام مقتصرا على اوائل
الأدلة في تكليفه بالعقليات، وقد اشاد النبي ﷺ بمكانته العلمية إذ قال: (أنا

(١) الشرح: ٤٨/١١.

(٢) الشرح: ٤٨/١١. وانظر ما جاء لدى جورج جرداق: الإمام علي صوت العدالة الانسانية

مدينة العلم وعلي بابها، فمن إراد المدينة فليأتها من بابها^(١).

ومن هنا كان عليه السلام يؤكد على ضرورة أخذ العلم من مصدره الا وهو نفسه الشريفة، إذ يقول: (فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق). وهذا القول كناية عن نفسه عليه السلام فكان عليه السلام كثيرا ما يسلك هذا المسلك ويعرض هذا التعريض وهو الصادق الامين العارف بالاسرار الإلهية^(٢).

ولذا نجده الوحيد الذي تجرأ وقال: (سلوني قبل أن تفقدوني^(٣)) فلأنا بطرق

(١) الترمذي: صحيح ١٢/١٧١. الملطي: التنبيه والردص ٢٥. الطبراني: المعجم الكبير ١١/٥٥. ابن اخي تبوك: مناقب ص ٤٢٧. الحاكم: المستدرک: ٣/١٣٧-٨. الخطيب: تاريخ بغداد ٢/٣٧٧، ٤/٣٤٨، ٧/١٧٣، ١١/٤٩. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٢. ابن الاثير: اسد الغابة ٤/٢٢. البلوي: الف باء ١/٢٢٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٤٧-٤٨. النووي: تهذيب الاسماء ١/١/٣٤٨. الكنجي: كفاية الطالب ص ٢٢٠-٣. ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٣٥. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٨٧. الرياض ٢/٢٥٥. الجويني: فرائد السمطين ص ٩٨-١٠٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/١٢٣١. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٥٩. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١١٤. الدميري: حياة الحيوان ١/٥٥. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/٣٣٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠. الجامع الصغير ٣/٤٦. المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/٢٠١-٢١٢. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٠. المحمودي: ترجمة الإمام علي عليه السلام ٢/٤٥٧-٤٩٩.

(٢) الشرح: ٩/١٠٦-١٠٧.

(٣) أبو نعيم: حلية الاولياء ١/٦٧-٨. ابن عبد البر: جامع بيان العلم ١/١١٤. الخوارزمي: المناقب ص ٤٦-٤٧. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٢٧. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٩٣. ابن تيمية: منهاج السنة ٤/١٥٩. الجويني: فرائد ١/٣٤١. ابن حجر: الاصابة ٢/٥٠٩. تهذيب التهذيب ٧/٣٣٨. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧١-١٨٥.

٤٩٦الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

السماء أعلم مني بطرق الارض). وقد تأول البعض كلامه عليه السلام هذا (أراد أنا بالاحكام الشرعية والفتاوي الفقهية أعلم مني بالامور الدنيوية، فعبر عن ذلك بطرق السماء، لأنها احكام الهية، وعبر عن هذه بطرق الارض لأنها من الامور الارضية)^(١).

وكان عليه السلام يقول: (نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم، وينابيع الحكم...) أي الحكم الشرعي، فإنه وإن عني بها نفسه عليه السلام وذريته، فإن الأمر فيها ظاهر جدا كما نجده في حديث الرسول ﷺ أعلاه (أنا مدينة العلم وعلي بابها). وقوله ﷺ: (أقضاكم علي)^(٢). والمعروف أن القضاء يستلزم علوماً عدة^(٣).

وأشار ابن أبي الحديد^(٤) إلى عدد من الآيات القرآنية النازلة في حق الإمام علي عليه السلام في هذا المجال كقوله تعالى (وتعيها اذن واعية). قال ﷺ: سألت الله أن يجعلها اذنك ففعل^(٥). وقوله تعالى:

(١) الشرح: ١٣/١٠١.١٠٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٢/٣٣٨-٩. الحاكم: المستدرک ٣/١٤٥. ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠٢/٣. الخوارزمي: المناقب ص ٣٩-٤١. الشهرستاني: الملل ١/٢٢١. النووي: تهذيب الاسماء واللغات ١/٣٤٦. الجويني: فرائد ١/١٦٦. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٦٠. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/٣٣٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠. الهيثمي: الصواعق ص ١٢١.

(٣) الشرح: ٧/٢١٨-٢١٩.

(٤) الشرح: ٧/٢٢٠، ١٨/٢٣٥.

(٥) سورة الحاقة: ١٢. أنظر: الطبري: جامع البيان ٢٩/٥٥. الواحدي: أسباب النزول ص ٢٩٤. الطوسي: التبيان ١٠/٩٨. الزمخشري: الكشاف ٤/٦٠٠. القرطبي: الجامع ١٨/٢٦٤. الخوارزمي: المناقب ص ١٩٩. الكنجي: كفاية الطالب ص ١٠٨-٩. ابن تيمية: منهاج السنة ٤/٤٦، ٤٤٠. السيوطي: الدر المنثور ٦/٢٦٠.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

أنها نزلت في الإمام علي عليه السلام لما خص به من العلم^(١). وقوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾.

أن الشاهد هو الإمام علي عليه السلام^(٢).

وأكد هذا المعنى بعدد من الاحاديث النبوية كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام:

(زوجتك اقدمهم سلماً، واعظمهم حلماً، واعلمهم علماً). وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من أراد

أن ينظر إلى نوح في عزمه، وموسى في علمه، وعيسى في ورعه، فلينظر إلى علي

ابن أبي طالب)^(٣).

وإلى هذا المعنى كان عليه السلام يشير بقوله: (وعندنا - أهل البيت - ابواب الحكم،

وضياء الأمر). فالحكمة هنا الشرعيات والفتاوى، وضياء الأمر هي العقليات

والعقائد (وهذا مقام عظيم لا يجسر أحد من المخلوقين أن يدعيه سواه عليه السلام، ولو

أقدم أحد على ادعائه لكذب^(٤) وكذبه الناس)^(٥).

(١) سورة النساء، الآية: ٥٤. الطوسي: التبيان ٣/٢٢٧-٨. محمد الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٠٩.

(٢) سورة هود: ١٧. الطبري: جامع البيان ١٢/١٥. الطوسي: التبيان ٥/٤٦١.

(٣) الشرح: ٧/٢٢٠، ٩/١٦٨. الخوارزمي: المناقب ص ٤٠-٤١، ٢٢٠. ابن المغازلي: مناقب

ص ٢١٢. الكنجي: كفاية الطالب ص ١٢٢. محب الدين: الرياض ٢/٢٩٠. الجويني: فرائد

السمطين ١/١٧٢-٣. ابن كثير: البداية ٧/٣٥٧. الصفوري: نزهة المجالس ٢/٢٤٠.

المحمودي: ترجمة الإمام علي ٢/٥٠٦.

(٤) أنظر بعض ذلك في الشرح ١٣/١٠٧-٩. الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/١٦٣-١٦٦. الذهبي:

طبقات الحفاظ ٢/٧٥٥.

(٥) الشرح: ٧/٢٨٩.

وكان عليه السلام على درجة من اليقين إذ يقول: (وما شككت في الحق منذ أريته). فالإمام علي عليه السلام هنا يشير لنعمة الله عليه في أنه لم يشك بالله منذ عرفه، أو منذ عرف الحق في العقائد الكلامية، والاصولية والفقهية (وهذه مزية له ظاهرة على غيره من الناس فإن أكثرهم أو كلهم يشك في الشيء بعد أن عرفه وتعتربه الشبه والوساوس ويران على قلبه، وتحتلجه الشياطين عما ادي إليه نظره)^(١). لذا نجده عليه السلام يقول: (بل اندمجت على علم لو بحث به، لا اضطربتم اضطراب الارشية)^(٢) في الطوى البعيدة^(٣).

وقد انكر الإمام علي عليه السلام ادعاء البعض العلم دونه بقوله: (أين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، واعطانا وحرّمهم، وادخلنا واخرجهم، بنا يستعطي الهدى، ويستجلى العمى). وهذا الكلام كناية وإشارة لمن ينازعه الفضل، فهناك من يقال عنه أنه افرض، أو أقرأ، أو اعرف بالحلال والحرام^(٤)، مع تسليم الكل له عليه السلام، ولكنه لم يرض بذلك وعدّ هذا الكلام موضوعا حسدا^(٥).

لذا كان للإمام علي عليه السلام نعمتان على الصحابة نعمة الجهاد ونعمة (علومه

(١) الشرح: ٢٧٤ / ١٨.

(٢) الارشية: هي الحبال، والطوى البعيدة: البئر البعيدة القعر. الشرح ٢١٥ / ١.

(٣) الشرح: ٢١٣ / ١. وانظر سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٢٨. ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٣٩.

(٤) ابن ماجة: صحيح ٣١ / ١. الحاكم: المستدرک ٣ / ٣٠٥ - ٦. البيهقي: السنن الكبرى ٦ / ٢١٠. الشهرستاني: الملل ١ / ٢٢١. الهيثمي: مجمع الزوائد ١ / ١٣٥.

(٥) الشرح: ٨٤ / ٩.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٤٩٩

التي لولاها حكم بغير الصواب في كثير من الاحكام، وقد اعترف له عمر بذلك، والخبر المشهور، (لولا علي هلك عمر)^(١).

واجمالاً فحاله عليه السلام حال رفيعة لم يلحقه أحد ولا قاربه، لذا حَقَّ له عليه السلام أن يصف نفسه بأنه معادن العلم وينايع الحكم، فلا أحد احقَّ بها منه بعد الرسول ﷺ^(٢).

لذا اخذت كل فرقة تنتسب إليه وتتجاذبه كل طائفة لأنه رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها، وسابق مضارها، ومجل حليتها، فكل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى^(٣).

(١) الشرح: ١/١٤١.

(٢) الشرح: ٧/٢٢٠.

(٣) الشرح: ١/١٧.

المبحث الثاني

الإمام علي عليه السلام والعلم الالهي

العلم الالهي هو العلم الذي يختص بدراسة الذات الإلهية وصفاتها، لذا يعد اشرف العلوم لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه اشرف الموجودات، فكان هو اشرف العلوم^(١).

يعد الإمام علي عليه السلام امام المتكلمين، ولم يعرف علم الكلام^(٢) ممن سبقه من العرب، ولا نقل في ما جاء من الاكابر والاصاغر منه شيء، وهو فن انفرد به أولاً اليونان، اما من العرب فأول من خاض به منهم هو الإمام علي عليه السلام، ولهذا نجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبثوثة عنه في فرش كلامه وخطبه، ولا نجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك، ولا يتصورونه، بل حتى لو فهموه لم يفهموه^(٣).

وهذا الفن هو الذي بان به امير المؤمنين عليه السلام عن العرب في زمانه قاطبة،

(١) الشرح: ١٧/١. ٢٥٧/٩. وانظر: ابن خلدون: المقدمة ص ٨٢٦.

(٢) عن علم الكلام أنظر: صبحي احمد محمود: في علم الكلام ١/١-١٠١.

(٣) الشرح: ٦/٣٧٠. ١/١٠٦.

٥٠٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ولذا استحق التقدم والفضل عليهم اجمعين (وذلك لأن الخاصة التي يتميز بها الانسان عن البهائم هي العقل والعلم، ألا ترى انه يشاركه غيره من الحيوانات في اللحمية والدموية والقوة والقدرة، والحركة الكائنة على سبيل الارادة والاختيار فليس الامتياز الا بالقوة الناطقة، اي العاقلة العاملة، فكلمها كان الانسان أكثر خطأً منها كانت انسانيته أتم، ومعلوم أن هذا الرجل انفرد بهذا الفن، وهو اشرف العلوم، لأن معلومه اشرف المعلومات، ولم ينقل عن أحد من العرب غيره في هذا الفن حرف واحد، ولا كانت اذهانهم تصل إلى هذا، ولا يفهمونه بهذا الفن فهو منفرد فيه، وبغيره من الفنون، وهي العلوم الشرعية مشارك لهم وراجح عليهم، فكان اكمل منهم لأننا قد بينا أن الاعلم ادخل في صورته الانسانية وهذا هو معنى الافضلية)^(١).

وفي شرحه للخطبة رقم (٩٠) عقّب ابن أبي الحديد (لو سمع النظر ابن كنانة^(٢) هذا الكلام لقال لقائله، ما قاله علي بن العباس بن جريج^(٣)، لاسماعيل بن بلبل^(٤)).^(٥):

(١) الشرح: ٢٥٦-٢٥٧/٩.

(٢) النظر بن كنانة بن خزيمة أحد اجداد النبي ﷺ وسمي بالنظر لجماله. أنظر ابن حبيب: المحبر ص ٥٠. الطبري: تاريخ ٢/٢٦٤-٥. النويري: نهاية الارب ١٦/١٣-١٥.

(٣) هو الشاعر (ابن الرومي). ٢٢١-٢٨٣هـ أنظر ترجمته: المرزباني: معجم الشعراء ص ٢٨٩. الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/٢٣-٦. ابن خلكان: وفيات ٣/٣٥٨-٦٢.

(٤) هو كاتب الموفق العباسي سنة ٢٧٢هـ. الطبري: تاريخ ١٠/١٠. الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص ٢٣١.

(٥) الشرح: ٧/٣٢. لم أجد الأبيات في ديوان ابن الرومي .

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم كلاً، ولكن لعمرى منه شيبانُ
وكم أب قد علا بابن ذرى شرفٍ كما علا برسول الله عدنانُ

إذ كان يفخر به على عدنان وقحطان بل كان يقر به عين أبيه ابراهيم خليل الرحمن، ويقول له: إنه لم يعف ما شيدت من معالم التوحيد، بل اخرج الله لك من ظهري ولدا ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم تبدعه أنت في جاهلية النبط، بل لو سمع هذا الكلام ارسطو طاليس^(١)، القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات، لخشع قلبه ووقف شعره واضطرب فكره، ألا ترى ما عليه من الرواء والمهابة، والعظمة والفخامة، والمتانة والجزالة! مع ما قد اشرب من الحلاوة والطلاوة واللفظ والسلاسة، لا ارى كلاما يشبه هذا الا أن يكون كلام الخالق سبحانه، فإن هذا الكلام نبعه من تلك الشجرة وجدول من ذلك البحر، وجذوة من تلك النار وكأنه شرح قوله تعالى:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول (إن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية، ما عرفت الا من كلام هذا الرجل، وإن كلام غيره من اكابر الصحابة

(١) ارسطو طاليس: أنظر: ترجمته: ابن النديم: الفهرست ص ٣٤٥-٣٥٢. الشهرستاني: الملل والنحل ٣/٣٧-٥٣. القفطي: تاريخ الحكماء ص ٢٧-٥٣. ابن أبي اصيبعة: عيون الانباء ص ٨٦-١٠٥. ابن نباتة: سرح العيون ص ١٤١-١٤٤.

(٢) سورة الانعام الآية: ٥٩.

٥٠٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

لم يتضمن من ذلك اصلا، ولا كانوا يتصورونه ولو تصوروه لذكروه، وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام (١).

وقد اثار ذلك استغراب ابن أبي الحديد فعلق قائلا: (فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة! أن يكون غلام من ابناء عرب مكة، ينشأ بين أهله، لم يخالط الحكماء وخرج اعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من افلاطون (٢) وارسطو، ولم يباشر ارباب الحكم الخلقية والآداب النفسانية، لأن قريشا لم يكن أحد منهم مشهورا بمثل ذلك وخرج اعرف بهذا الباب من سقراط (٣) (٤).

ولهذا انتسب المتكلمون الذين لججوا في بحار المعقولات إليه خاصة دون غيره، وسموه استاذهم ورئيسهم، واجتذبتهم كل فرقة من الفرق إلى نفسها (فالمعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل وارباب النظر، ومنهم تعلم الناس هذا الفن، تلامذته واصحابه، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد

(١) الشرح: ٣٤٦/٦.

(٢) هو افلاطون بن ارسطو من فلاسفة اليونان. درس على يد سقراط وفيثاغورس وتلمذ على يديه ارسطو طاليس. أنظر ابن النديم: الفهرست ص ٣٤٣-٤. الشهرستاني الملل ٢/ ١٩٠-١٩٣. القفطي: تاريخ الحكماء ص ١٧-٢٧. ابن أبي اصيبعة: عيون الانباء ص ٧٩-٨٦. ابن نباتة: سرح العيون ص ١٤٠-١٤١. ابن منقذ: لباب الاداب ص ٤٤٧-٤٦٧.

(٣) من اهالي اثينا: ومن اوائل من تكلم بالفلسفة وقد قتله اليونانيون بسبب ارائه. أنظر ابن النديم: الفهرست ص ٣٤٣. الشهرستاني: الملل ٢/ ١٨٥-١٩٠. القفطي: تاريخ الحكماء ص ١٩٧-٢٠٦. ابن أبي اصيبعة: عيون الانباء ص ٧٠-٩.

(٤) الشرح: ١٤٦/١٦.

الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وابوه تلميذه عليه السلام^(١).

وقد أشار الحاكم الجشمي^(٢) إلى سند المعتزلة واتصاله بالإمام علي عليه السلام: (وبيان اتصاله (سند المعتزلة) بواصل وعمرو، أنه اخذه القاضي عن أبي عبد الله البصري وأبو عبد الله اخذه عن أبي اسحق بن عياش^(٣) وأبو اسحق اخذه عن أبي هاشم وطبقته، وأبو هاشم اخذه عن أبيه أبي علي الجبائي، وأبو علي اخذه عن أبي يعقوب الشحام، والشحام اخذه عن أبي الهذيل وأبو الهذيل اخذه عن عثمان الطويل^(٤)، وطبقته، وعثمان اخذه من واصل وعمرو، وهما اخذاه عن عبد الله بن محمد، وعبد الله اخذه عن أبيه محمد بن علي (ابن الحنفية)، ومحمد اخذه عن أبيه علي عليه السلام، وعلي عليه السلام اخذه عنه عليه السلام وسلم وما ينطق عن الهوى)^(٥).

وأما الأشعرية الذين ينتمون لأبي الحسن الأشعري^(٦) الذي هو تلميذ أبي علي الجبائي أحد كبار، رجال المعتزلة، وأبو علي تلميذ أبي يعقوب الشحام، والشحام تلميذ أبو الهذيل وأبو الهذيل تلميذ أبو عثمان الطويل، وأبو عثمان

(١) الشرح: ١/١٧/٦. ٣٧١/١٠. ٦٠/١٣. ٤٧.

(٢) هو من متأخري المعتزلة. أنظر: ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١١٦.

(٣) أنظر ترجمته: القاضي: فرق طبقات المعتزلة ص ١١٣.

(٤) أنظر ترجمته: ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٤٢.

(٥) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧.

(٦) كان معتزلياً ثم ترك الاعتزال مؤسساً مذهباً توفيقياً حيث أخذ أفكار التيار السلفي واثبتها بأدلة

التيار العقلي. محاضرات القاها د. محمد جواد الموسوي على طلبة الدكتوراه عام ١٩٩٩-٢٠٠٠.

وانظر ترجمته: السمعاني: الانساب ١/٢٦٦-٧. حمودي غرابة: أبو الحسن الأشعري ص ٢ وما

بعدها. الحفني: موسوعة الفرق ص ٦٦-٦٨.

٥٠٦الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

تلميذ واصل فعاد الأمر إلى انتهاء الأشعرية إلى علي عليه السلام^(١).

وأما الإمامية^(٢) والزيدية^(٣) والكيسانية^(٤) فانتماؤهم إليه ظاهر، وكذلك الخوارج، مع طعنهم فيه، لأنهم كانوا أصحابه، وانحرفوا عنه، بعد أن تعلموا منه، وهم انصاره في الجمل وصفين، ولكن الشيطان ران على قلوبهم واعمى ابصارهم^(٥).

وتنتهي مقالة الكرامية^(٦) إلى الإمام علي عليه السلام عن طريقين:

الأول: إنهم يسندون اعتقادهم عن شيخ بعد شيخ حتى ينتهون إلى سفیان الثوري وهو من الزيدية.

الثاني: إن مشايخ الكرامية ينتهون إلى علماء الكوفة من اصحاب الإمام

(١) الشرح: ١٧/١، ١٧١/٦، ٣٧١.

(٢) هم القائلين بامامة اثني عشر اماماً من الإمام علي عليه السلام إلى محمد بن الحسن العسكري: أنظر. الأشعري: مقالات الاسلاميين ١/٨٧-٨٨. البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٤٠. الشهرستاني: الملل والنحل ١/٢١٨-٢٢٤. ٢/٢-٥. الحفني: موسوعة الفرق ص ٨٩-٩٥.

(٣) هم القائلون بامامة زيد بن علي بن الحسين. أنظر الملطي: التنبيه والرد ص ٣٣. البغدادي: الفرق ص ٢٢-٢٦. الشهرستاني: الملل ١/٢٠٧-٢١٨.

(٤) هم القائلين بامامة محمد بن الحنفية. أنظر مؤلف مجهول: اخبار العباس ص ١٦٥. البغدادي: الفرق ص ٢٦-٣٤. الشهرستاني: الملل ١/١٩٦-٧.

(٥) الشرح: ١٧/١، ٣٧٢-٣٧١.

(٦) اصحاب محمد بن كرام: الأشعري: مقالات الاسلاميين ١/٢٠٥-٢١٥. البغدادي: الفرق ص ١٣٠-١٣٧. ابن حزم: الفصل ٢/٥، ١١١، ٣/٢٨٨، ٢٣٣، ٢٦٠. الشهرستاني: الملل والنحل ١/١٤٤-١٥٤. الحفني: موسوعة الفرق ص ٥٣٠-٥٣٢.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٠٧

علي عليه السلام وهم سلمة بن كهيل^(١) وحبه العرنى^(٢) وسالم بن الجعد^(٣) والفضل ابن دكين^(٤) وشعبة والاعمش^(٥) وعلقمة^(٦) وهبيرة بن مريم^(٧) وابي اسحق السبيعي^(٨) وغيرهم. وهؤلاء كلهم اخذوا عن الإمام علي عليه السلام فهو رئيس الجماعة واقوالهم منقولة عنه ومأخوذة منه^(٩).

(١) أنظر ترجمته: الطبري: المنتخب ص ٦٤٤. الكشي: رجال ص ٢٠٥.

(٢) هو حبه بن جوين بن علي بن عبد تميم العرنى. يعد من الصحابة. البرقي: رجال ص ٦. ابن حجر: الاصابه ١/٣٧٢-٣.

(٣) سالم بن الجعد الاشجعي الكوفي. أنظر: البرقي: رجال ص ٣٣. ابن داود الحلي: رجال ص ١٦٦.
(٤) هو من محدثي الكوفة ومن شيوخ البخاري ومسلم. أنظر ترجمته: الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/٣٤٦-٣٥٧. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٣٧٢-٣٧٣.

(٥) هو سليمان بن مهران الاعمش: الطبري: المنتخب ص ٦٥٢. أبو نعيم: حلية الاولياء ٥/٤٦-٦٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/١٥٤.

(٦) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الكوفي ت بين ٦١ - ٧٣ هـ. أنظر ترجمته: أبو نعيم: حلية الاولياء ٢/٩٨-١٠٢. الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/٢٩٦-٣٠٠. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٣/٢٧-٢٨. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٤٨-٤٩.

(٧) هبيرة بن مريم أو بريم الحميري. البرقي: رجال ص ٦.

(٨) أنظر ترجمته: الطبري: المنتخب ص ٦٤٧. أبو نعيم: حلية الاولياء ٤/٣٣٨-٣٥٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/١١٤.

(٩) الشرح: ٦/٣٧١-٣٧٢.

المبحث الثالث

الإمام علي عليه السلام مصدراً للتصوف الإسلامي

من خلال ما ورد في نهج البلاغة من اشارات إلى أحوال التصوف^(١) حيث (بين عليه السلام من مقامات العارفين التي يرمز إليها في كلامه ما لا يعقله الا العالمون ولا يدركه الا الروحانيون)^(٢) لذا عدّ ابن أبي الحديد الإمام علياً عليه السلام مصدراً للتصوف الإسلامي إذ يقول: (إن ارباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشبلي^(٣) والجنيد^(٤).....

(١) عن معنى التصوف أنظر عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي ص ٤٧٠-٤٧١. السامرائي: تاريخ الفكر العربي ص ٢٧٧-٨.

(٢) الشرح: ٥/١.

(٣) أبو بكر دلف بن جحدرت ٣٣٤هـ. نشأ في بغداد وتفقه على مذهب مالك. السلمى: طبقات الصوفية ص ٣٣٧-٣٤٨. أبو نعيم: حلية الاولياء ١٠/٣٦٦-٣٧٥. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٤٥٦-٤٦١. ابن فرحون: الديباج المذهب ص ١١٦-١١٧.

(٤) أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز اصله من نهاوند ت ٢٩٧هـ. السلمى: طبقات الصوفية ص ١٥٥-١٦٣. أبو نعيم: حلية الاولياء ١٠/٢٥٥-٢٨٧. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٤١٦-٢٤. السبكي: طبقات الشافعية ٢/٢٨-٣٧.

٥١٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

.....وسرى^(١) وأبو يزيد البسطامي^(٢) وأبو

محفوظ معروف الكرخي^(٣) وغيرهم، ويكفيك دلالة على ذلك الخرقه^(٤) التي هي شعارهم إلى اليوم وكونهم يسندونها باسناد متصل إليه عليه السلام^(٥).

وقال في شرحه لكلام الإمام علي عليه السلام في شعب الإيمان والكفر^(٦): (هذا الفصل اخذت منه الصوفية واصحاب الطريقة والحقيقة كثيرا من فنونهم في علومهم، ومن تأمل كلام سهل بن عبد الله التستري^(٧) وكلام الجنيد والسري وغيرهم رأى هذه الكلمات في فرش كلامهم تلوح كالكواكب الزاهرة)^(٨).

ومن خلال قوله عليه السلام: (إن من أحب عباد الله إليه عبد أعانه الله على نفسه،

(١) سري ابن المغلس السقطي من مدرسة بغداد الصوفية وامامها في وقته ت ٢٥١هـ. السلمي:

طبقات الصوفية ص ٤٨-٥٥. أبو نعيم: حلية الاولياء ١٠/١١٦-١٢٧. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣٧١-٣٨٦.

(٢) طيفور بن عيسى من أهل بسطام بلده بقومس ت ٢٦١هـ. السلمي: طبقات الصوفية ص ٦٧-٧٤. أبو نعيم: حلية الاولياء ١٠/٣٣-٤٠. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٤/١٠٧-١١٤.

(٣) معروف بن علي من كبار المتصوفة وهو استاذ السري. وكان قد أسلم على يد علي بن موسى الرضا عليه السلام توفي وقبره معروف ببغداد. أنظر: السلمي: طبقات الصوفية ص ٨٣-٩٠. أبو نعيم: حلية الاولياء ٨/٣٦٠-٨. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣١٨-٣٢٤.

(٤) عن الخرقه عند الصوفيه أنظر: الواسطي: طبقات خرقه الصوفية (الصفحات جميعها).

(٥) الشرح: ١٩/١.

(٦) الشرح: ١٨/١٤٢-١٤٣.

(٧) من أهل تستر ولد في ٢٠٠ هـ وتوفي ٢٨٣ هـ. أنظر: أبو نعيم. حلية الأولياء ١٠/١٨٩-٢١٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/٤٢٩-٤٣٠.

(٨) الشرح: ١٨/١٤٣.

فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه، واعدد القرى ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد، وهون الشديد).

من هذا الكلام أخذ اصحاب علم الطريقة والحقيقة علمهم، وهو تصريح بحال العارف، ومكانته من الله تعالى، والعرفان درجة حال رفيعة شريفة جدا مناسبة للنبوة ويختص الله تعالى بها من يقربه إليه من خلقه. والعارف هو الواصل إلى الله سبحانه بنفسه لا ببدنه، والباري سبحانه متمثل في نفسه تمثل المعشوق في ذات العاشق، ويستلزم أن يكون العارف زاهدا حيث لا يمكن تصور العرفان مع تعلق النفس بملاذ الدنيا. وقد يحصل بعض العرفان لبعض العلماء والفضلاء مع تعلقهم بشهوات الدنيا، لكنهم لا يكونون كاملين في احوالهم، لأن الحالة الكاملة قد تحصل لمن رفض الدنيا، والتي تستلزم أن يكون العارف عابدا عبادة ما، ولكن لا يشترط في حصول العرفان أن يكون على قدم عظيمة من العبادة، بل الاكثار من العبادة حجاب لكن لا بد من القيام بالفرائض وقليل من النوافل. والعارف هو العارف بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله وكتبه وبالْحِكْمَةِ المودعة في نظام العالم لاسيما الافلاك والكواكب وتركيب طبقات العناصر والاحكام وفي تركيب الابدان الانسانية^(١).

وأكد ابن أبي الحديد أن هذه الصفات والشروط التي ذكرها في شرح حال العارف إنما يعني بها نفسه عليه السلام فهذا من الكلام الذي له ظاهر وباطن، فظاهره ان يشرح حال العارف المطلق، وباطنه ان يشرح حال عارف معين، وهو نفسه عليه السلام. ثم ذكر ابن أبي الحديد هذه الصفات وهي ستة عشر آخرها العدالة وهي ملكة تصدر

٥١٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

بها عن النفس الافعال الفاضلة خلقا لا تخلقا، وهذه العدالة لها اقسام ثلاث هي الاصول وما عداها تعد من الفروع الاولى: الشجاعة ويدخل فيها السخاء لأنه شجاعة وتهوين المال، كما أن الشجاعة الاصلية تهوين للنفس، فالشجاع بالحرب جواد بنفسه، والجواد بالمال شجاع في انفاقه. ولهذا يقول أبو تمام الطائي^(١):
أيقنت أنّ من السّماحة شجاعة تدمى، وأنّ من الشجاعة جودا

والثانية: الفقه ويدخل فيها القناعة والزهد والعزلة، والثالثة: الحكمة وهي اشرفها^(٢).

يعد ابن أبي الحديد العدالة الكاملة لم تحصل لأحد من البشر بعد الرسول ﷺ الا للامام علي عليه السلام (ومن انصف علم صحة ذلك فإن شجاعته وجوده، وعفته وقناعته وزهده، يضرب بها الامثال. واما الحكمة والبحث في الامور الإلهية، فلم يكن من فن أحد من العرب، ولا نقل في جهاد اكابرهم واصاغرهم شيء من ذلك اصلا، وهذا فن كانت اليونان واوائل الحكماء واساطين الحكمة ينفردون به، وأول من خاض فيه من العرب علي عليه السلام ولهذا تجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبثوثة عنه في فرش كلامه وخطبه ولا تجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك ولا يتصورونه ولو فهموه لم يفهموه وأتى للعرب ذلك!)^(٣).

وأكد ابن أبي الحديد من خلال شرحه خطبة للامام أشار فيها إلى اولياء الله

(١) ديوانه. ص ١٨.

(٢) الشرح: ٦/٣٦٧-٣٧٠.

(٣) الشرح: ٦/٣٧٠-٣٧١.

بأن الامام هو مصدر التصوف إذ يقول (أعلم أن الكلام في العرفان لم يأخذه أهل الملة الاسلامية الا عن هذا الرجل، ولعمري لقد بلغ منه اقصى الغايات وابتعد النهايات، والعارفون هم القوم الذين اصطفاهم الله تعالى، وانتجبهم لنفسه واختصهم بأنسه، احبوه فاحبهم وقربوا منه وتقرّب منهم)^(١).

وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى مقامين من مقامات الصوفية وهما الولاية والمحبة بقوله: (يتواصلون بالولاية ويتلاقون بالمحبة)^(٢).

واشار ابن أبي الحديد أن مسألة (البروق اللامعة) التي يقول بها الحكماء والمتصوفة اخذوها عن الإمام علي عليه السلام ففي قوله: (قد احيا عقله، وامات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الابواب إلى باب السلامة، ودار الاقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الامن و الراحة بما استعمل قلبه، وارضى ربه)^(٣).

فقوله عليه السلام: (وبرق له لامع كثير البرق) هو حقيقة مذهب الحكماء وحقيقة قول الصوفية اصحاب الطريقة والحقيقة، وقد صرح به الرئيس أبو علي بن سينا فقال في ذكر السالك إلى مرتبة العرفان: (إنه إذا بلغت به الارادة والرياضة حدا ما عنت له خلسات من اطلاق نور الحق إليه لذيدة كأنها بروق تومض إليه ثم تحمد عنه، وهي التي تسمى عندهم اوقاتا، وكل وقت يكتنفه، وجد إليه، ووجد

(١) الشرح: ٧٢/١١.

(٢) الشرح: ٧٥/١١.

(٣) الشرح: ١٢٧/١١.

٥١٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

عليه... ثم انه لتبلغ به الرياضة مبلغا ينقلب له وقته سكينه فيصير المخطوب مألوفاً، والوميض شهاباً بيناً، ويحصل له معارف مستقرة، كأنها صحبة مستمرة، ويستمتع فيها بهيجته، فإذا انقلب عنها انقلب حيران اسفاً^(١).

قال ابن أبي الحديد: (فهذه الفاظ الحكيم أبي علي بن سينا في الاشارات، وهي كما تراها مصرح فيها بذكر البروق اللامعة للعارف)^(٢).

وأضاف: (وقال القشيري في الرسالة^(٣) لما ذكر الحال والأمر الواردة على العارفين قال: هي بروق تلمع ثم تخمد، وانوار تبدو ثم تخفى، ما احلاها لو بقيت مع صاحبها! ثم تمثل بقول البحري^(٤)):

خَطَرْتُ فِي النَّوْمِ مِنْهَا خَطْرَةَ خَطْرَةَ الْبَرْقِ بَدَأَ ثُمَّ اضْمَحَلُ
أَي زور لك لو قصدا سرى وملمم بك لو حقا فعمل

فهو كما تراه يذكر البروق اللامعة حسبها ذكره الحكيم وكلاهما يتبع الفاظ امير المؤمنين عليه السلام لأنه حكيم الحكماء، وعارف العارفين، ومعلم الصوفية، ولولا اخلاقه وكلامه وتعليمه للناس هذا الفن تارة بقوله، وتارة بفعله، لما اهتدى أحد من هذه الطائفة ولا علم كيف يورد ولا كيف يصدر)^(٥).

وبعد أن أورد نصوصاً للقشيري^(٦) علق في آخرها (أفلا ترى كلام القوم

(١) الشرح: ١١/١٣٧-٨. ابن سينا: الاشارات ٤/٨٢٨-٨٣٠.

(٢) الشرح: ١١/١٣٨.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٢٧٢.

(٤) ديوانه ٣/١٧١٥-١٧١٦.

(٥) الشرح: ١١/١٣٨-١٣٩.

(٦) الشرح: ١١/١٣٩-١٤١. الرسالة القشيرية ص ٦٧-٦٩.

كله مشحون بالبروق واللّمعان)^(١).

وقال ابن أبي الحديد في شرحه لأحد خطبه عليه السلام بأن ظاهر كلامه عليه السلام شرح حال القصاص، وارباب المواعظ في المجامع والطرق، والمتصددين لانكار القبائح، اما باطنه فهو شرح حال العارفين الذين هم صفوة الله تعالى من خلقه، وهو عليه السلام دائماً يكني عنهم ويرمز إليهم، على أنه في هذا الموقع قد صرح بهم في قوله (حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس، ويسمعون ما لا يسمعون). وقد ذكر من مقامات العارفين في هذا الفصل مقام الذكر، ومحاسبة النفس، والبكاء والنحيب، والندم والتوبة والدعاء والفاقة، والذلة، والحزن وهو الأسى الذي ذكرانه جرح قلوبهم بطوله^(٢).

(١) الشرح: ١١/١٤١.

(٢) الشرح: ١١/١٨٠.

المبحث الرابع

الإمام علي (عليه السلام) وعلم الفقه

الفقه لغة: فهم غرض المتكلم من كلامه^(١). قال تعالى:

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾^(٢).

اصطلاحاً: العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسبة من ادلتها التفصيلية وهو علم يستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل ولهذا لا يسمى الله فقيهاً، لأنه لا يخفى عليه شيء^(٣).

كان الإمام علي (عليه السلام) أصل علم الفقه واساسه، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه^(٤) وقد بدأت بواكير ذلك في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) حيث ارسله إلى اليمن داعياً له: (اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه) فقال الإمام

(١) الرازي: مختار الصحاح ص ٥٠٩. الجرجاني: التعريفات ص ٩٠.

(٢) سورة هود، الآية: ٩١.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص ٨٠٤. الجرجاني: التعريفات ص ٩٠. البهادلي: مفتاح الوصول ٢٤-٢٢/١.

(٤) الشرح: ١٨/١. وانظر: رد ابن تيمية على ذلك: منهاج السنة ٤/١٤٣-٤.

٥١٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

علي عليه السلام: (فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين) (١) ولذا قال عليه السلام: (اقضاكم علي)، كما مر بنا، والقضاء يحتاج صاحبه لأن يكون ملماً بالفرائض، والقران والحلال والحرام وغيرها (٢).

وكان عليه السلام يقول: (فلأنا أعلم بطرق السماء مني بطرق الارض). أي أنه عليه السلام أعلم بالاحكام الشرعية والفتاوى الفقهية من الامور الدنيوية فعبر عن تلك بطرق السماء لأنها احكام الهية، وهذه بطرق الارض لأنها من الامور الارضية (٣).

وأكد عليه السلام أن الاحكام الشرعية لا يجوز أن تنقض باجتهاد (٤) أو قياس (٥) بعد ثبوت الأدلة عليها عن طريق النص (القرآن والسنة) حيث (كل ما ورد به النص تتبع مورد النص فيه، فما استحللته عام أول، فهو في هذا العام حلال لك، وكذلك القول في التحريم). إذ يقول عليه السلام (إن ما احدث الناس لا يحل لكم شيئاً

(١) الشرح: ١٨/١. ٢٨٩/٧. واخرجه: ابن سعد: الطبقات ٢/٣٣٧. ابن ماجة: صحيح ٢/٣٣. أبو داود: سنن ٣/٣٠١. الحاكم: المستدرک ٣/١٤٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٠. الخوارزمي: المناقب ص ٤١. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٤٤. الجويني: فرائد السمطين ص ١٦٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/٣٣٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠. المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/٢٢٠. الهيثمي: الصواعق ص ١٢١.

(٢) الشرح: ٨٤/٩.

(٣) الشرح: ١٠١/١٣. ١٠٦.

(٤) هو بذل الجهد في استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية. مذکور: مناهج الاجتهاد ص ٣٣٧.

(٥) القياس هو التسوية بين الفرع والاصل في الحكم لاشتراكهما في علته. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٧-٨. ابن الطيب: المعتمد ٢/٦٩٧.

مما حرم عليكم، أي ما أحدثوه من القياس والاجتهاد، حيث يمنع من تقديم القياس على النص^(١).

وأشار عليه السلام أن الشرعيات مصلح للمكلفين، فإذا فعل سبحانه بنا ما فيه صلاحنا فقد أحسن إلينا، ومن جملة صلاحنا تعريفنا من الشرعيات ما فعله لطف ومفض إلى الثواب، وهذا ابلغ ما يكون من الاحسان، والمحسن يجب تعظيمه وشكره، والله سبحانه وتعالى لم يترك شيئاً الا وجعل له نصاً ظاهراً يدل عليه أو علماً يستدل به عليه، اما منصوص عليه صريحاً أو يمكن استنباط حكمه من القرآن اما بذكره أو بتركه، فيبقى على البراءة الاصلية^(٢) وحكم العقل، اما إذا لم ينص عليه صريحاً، بل هو في محل النظر فليس يجوز للعلماء أن يجتهدوا فيه، فيحلّه بعضهم ويجرمه آخرون، مع أن رضا الله واحد، وكذلك سخطه، فلا يجوز أن يكون شيء يفتي فيه البعض بالحل وآخرون بالحرمة، وهنا كأن الإمام علياً عليه السلام يقول بتحريم الاجتهاد ثم أن الله لا يرضى من عباده الاختلاف في الفتاوى والاحكام، كما اختلفت الامم السابقة، فسخط الله اختلافهم (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء^(٣))^(٤).

وقد استنتج ابن أبي الحديد من كلام للإمام علي عليه السلام^(٥) أنه يرد على أهل

(١) الشرح: ١/٢٩٠. ١٠/٣٠-٣١.

(٢) هي الوظيفة المؤمنة من قبل العقل عند عجز المكلف عن بلوغ حكم الشارع أو وظيفته.

البهادلي: مفتاح الوصول: ٢/٢٥١.

(٣) سورة الانعام، الآية: ١٥٩.

(٤) الشرح: ١٠/١١٨.

(٥) الشرح: ١/٨٨٢.

٥٢٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الاجتهاد في الاحكام الشرعية وافساد قول من قال: كل مجتهد مصيب.
ويتلخص احتجاجه عليه السلام في خمسة وجوه:

الأول: لما كان الاله واحداً، والرسول عليه السلام واحداً والكتاب واحداً وجب
أن يكون الحكم في الواقعة واحداً.

الثاني: لا يخلو الاختلاف الذي ذهب إليه المجتهدون أن يكون مأموراً به أو
منهياً عنه. والاول باطل حيث ليس في الكتاب والسنة ما يشير لذلك، والثاني
حق ويلزم منه تحريم الاختلاف.

الثالث: اما أن يكون دين الإسلام ناقصاً أو تاماً، فإن كان ناقصاً فإن الله سبحانه
استعان بالملكفين لاتمامه سواء على سبيل النيابة أو المشاركة، وهذا كفر، وإن كان
تاماً فإما أن يكون الرسول عليه السلام قصر عن تبليغه أو إنه بلغه على كماله وتمامه، والاول
كفر وإن كان الثاني بطل الاجتهاد لأن الاجتهاد إنما يكون فيما لم يتبين.

الرابع: الاستدلال بقوله تعالى:

﴿مَا قَرَّرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

وقوله:

﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

وقوله:

﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣).

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

ففيها دلالة على اشتغال الكتاب على كل الاحكام فكل ما ليس في الكتاب
وجب أن لا يكون في الشرع.

الخامس: قوله تعالى:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١).

فجعل الاختلاف دليلاً على أنه ليس من الله تعالى، لكن القرآن من عند الله
بالأدلة القاطعة الدالة على صحة النبوة فوجب أن لا يكون فيه اختلاف.

وخلص ابن أبي الحديد للقول (إن هذه الوجوه هي التي يتعلق بها الإمامية
وتفاهة القياس والاجتهاد في الشرعيات، وقد تكلم^(٢) عنها اصحابنا في كتبهم
وقالوا: ان امير المؤمنين عليه السلام كان يجتهد ويقيس، وأدعوا اجماع الصحابة على
صحة الاجتهاد والقياس ودفعوا صحته هذا الكلام المنسوب في هذا الكتاب
إلى امير المؤمنين عليه السلام وقالوا: إنه من رواية الإمامية، وهو معارض بما ترويه
الزيدية عنه وعن ابنائه عليه السلام في صحة القياس والاجتهاد ومخالطة الزيدية لأئمة

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) لكي نعرف موقف الإمامية من الاجتهاد يجب أن نعرف أن هذه الكلمة مرت بمصطلحات
عديدة في تاريخها، فقد كانت هذه الكلمة عند بعض المذاهب السنية تعني بالاصطلاح بما يرادف
الرأي (التفكير الشخصي) فيكون الاجتهاد عند ذلك دليلاً من أدلة الفقيه بعرض الأدلة الأخرى
كالقرآن والسنة وعلى هذا المصطلح نحمل الروايات الواردة عن أئمتنا في ذم الاجتهاد، ولكن
الكلمة (الاجتهاد) تطورت عند فقهاءنا العظام إلى ما دل اصطلاحاً على (الاستنباط) فخرج عن
كونه دليلاً إلى ما يعني بذل الجهد في استخراج الحكم الشرعي من أدلته وخرج عن كونه مصدراً
من مصادر الاستنباط إلى كونه نفس عملية الاستنباط وهو جائز بدهامة (أنظر الحلقة الأولى من
دروس في علم الأصول للشهيد الصدر، التمهيد).

٥٢٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

أهل البيت عليه السلام كمخالطة الإمامية لهم، ومعرفتهم بأقوالهم واحوالهم ومذاهبهم كمعرفة الإمامية لا فرق بين الفئتين في ذلك. والزيدية قاطبة جاروديتها^(١) وصالحيتها^(٢) تقول بالقياس والاجتهاد، وينقلون في ذلك نصوصا عن أهل البيت عليه السلام وإذا تعارضت الروايتان تساقطتا وعدنا إلى الأدلة المذكورة في هذه المسألة وقد تكلمت في اعتبار الذريعة للمرتضى^(٣) على احتجاجه في إبطال القياس والاجتهاد بما ليس هذا موضع ذكره^(٤).

واضطر ابن أبي الحديد إلى تخصيص كلام الإمام عليه السلام: (ما اختلفت دعوتان الا كانت احداها ضلالة). فقال: (ولا يحمل اصحابنا كلامه عليه السلام على عمومه لأن المجتهدين في فروع الشريعة، وان اختلفوا وتضادت اقوالهم، ليسوا ولا واحد منهم على ضلال). ولذا خصص ابن أبي الحديد كلامه عليه السلام هنا باختلاف الدعوة في اصول الدين^(٥).

كان الامام عليه السلام مرجع الصحابة في كثير من الاحكام الفقهية ومنهم الخليفة عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس، فأما الخليفة عمر فتواتر عنه رجوعه إليه

(١) اتباع أبي الجارود زياد بن أبي زياد إحدى فرق الزيدية. الملطي: التنبيه ص ٢٣-٢٤. البغدادي:

الفرق ص ٢٢-٢٤. الشهرستاني: الملل والنحل ١/٢١١-٤.

(٢) اتباع الحسن بن صالح بن حي: إحدى فرق الزيدية.. الشهرستاني: الملل والنحل ١/٢١٦-٨.

الجرجاني: التعريفات ص ٦٩.

(٣) كتاب الذريعة إلى اصول الشريعة للشريف المرتضى. شرحه ابن أبي الحديد في ثلاث مجلدات.

أنظر محي الدين: ابن أبي الحديد ص ٢٣٩.

(٤) الشرح: ١/٢٨٩-٢٩٠.

(٥) الشرح: ١٨/٣٦٧.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٢٣

في كثير من المسائل التي اشكلت عليه، وعلى غيره من الصحابة حتى قال مرارا (لولا علي لهلك عمر) ^(١) وقوله (لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن) ^(٢).
وقوله (لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر) ^(٣).

ومن فتاواه المشهورة فتواه في المرأة التي ولدت لستة أشهر فاراد الخليفة رجمها وقد استنبط الإمام علي عليه السلام من النص القرآني صحة الحمل حيث يقول تعالى:

﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ^(٤).

ثم جاءت آية أخرى حددت مدة الفطام:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ ^(٥).

(١) أنظر القاضي: المغني ٢٠/٢/١٣. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٣. الخوارزمي: مناقب ص ٣٩. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٤٧. ابن تيمية: منهاج السنة ٤/١٦٠. الجويني: فرائد السمطين ص ٣٣٧-٣٥١. ابن الصباغ: الفصول المهمة ص ١٧. المناوي: فيض القدير ٤/٣٥٧.
(٢) أنظر: ابن سعد: الطبقات ٢/٣٣٩. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٣. البلوي: الف باء ١/٢٢٢. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٣١٤. الاربلي: كشف الغممة ١/١١٦. الجويني: فرائد ص ٣٤٤-٥. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٥٩-٣٦٠. ابن حجر: الاصابة ٢/٥٠٩. تهذيب التهذيب ٧/٣٣٧. ابن الصباغ: الفصول المهمة ص ١٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧١. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٥. القسطلاني: إرشاد الساري ٣/١٩٥. قال ابن المسيب: ولهذا القول سبب وهو ان ملك الروم كتب إلى الخليفة عمر يسأله عن مسائل فلم يجد جوابا الا عند علي عليه السلام. أنظر نص المسائل في سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٣٣-١٤٧.

(٣) الشرح: ١٥/٢٤٧.

(٤) سورة الاحقاف، الآية: ١٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

٥٢٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

أي اربعة وعشرين شهرا، فيبقى ستة أشهر مدة الحمل. (١) وايضا فتواه في الحامل الزانية التي إراد رجمها فقال له الإمام علي عليه السلام هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها! فتركها حتى ولدت ثم رجمها (٢).

واراد الخليفة عمر أخذ حلي الكعبة لتوظيفها في الجهاد واستشار الإمام علياً عليه السلام فقال عليه السلام: (إن هذا القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وآله والاموال اربعة: اموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفيء وقسمه على مستحقيه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان حلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله على حاله، ولم يتركه نسيانا، ولم يخف عنه مكانا، فأقره حيث أقره الله ورسوله).

هذا الاستدلال قال المعتزلة بصحته إذ يمكن أن يورد بوجهين:

الأول: أصل الأشياء الحظر والتحريم كما هو مذهب أكثر معتزلة بغداد فلا يجوز التصرف في شيء من الأموال والمنافع إلا بإذن شرعي، ولم يوجد إذن شرعي في حلي الكعبة، فبقيت على الاصل.

(١) الشرح: ١٨/١-١٩. وانظر: المفيد: الإرشاد ص ٨٠. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٣.

البيهقي: السنن ٧/٤٤٢. الخوارزمي: مناقب ص ٥٠. الصنعاني: المصنف ٧/٣٤٩-٣٥١.

سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٤٨. محب الدين: ذخائر العقبي ص ٩٢. الرياض النظرة

٢/٢٥٦. الجويني: فرائد ص ٣٤٦-٧. السيوطي: الدررة المشورة ١/٢٨٨. ٦/٤٠. ابن الديبع:

تيسير الوصول ٢/٢.

(٢) الشرح: ١٨/١-١٩. وانظر: المفيد: الإرشاد ص ٨٠. الخوارزمي: مناقب ص ٣٩. القرطبي:

الجامع ١٦/١٩٣. ابن طلحة: مطالب السؤل ص ٣٦-٧. الاربلي: كشف الغمة ١/١١٠.

محب الدين: ذخائر العقبي ص ٩١. الجويني: فرائد ص ٣٥٠-٣٥١.

الثاني: إن حلي الكعبة مال مختص بها، ويجري مجرى ستورها وبابها، فكما لا يجوز التصرف في الستور والباب الا بنص، فكذلك حلي الكعبة، والجامع بينهما الاختصاص الجاعل كل واحد من ذلك كالجُزء من الكعبة^(١).

ويشار إلى أن الخليفة عمر خاطب الحجر الأسود: (إني لاعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك واستلمك لما قبلتك ولا استلمتك) فقال له الإمام علي عليه السلام: (إنه ليضر وينفع، ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت أن الذي أقول لك كما أقول، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٢).

فلما اشهدهم واقروا له أنه الرب عز وجل وأنهم العبيد كتب ميثاقهم في رق ثم القمه هذا الحجر، وإن له لعينين ولسانا وشفيتين، تشهد لمن وافاه بالموافاة فهو امين الله عز وجل في هذا المكان، فقال عمر: «لا ابقاني الله بارض لست بها يا أبا الحسن»^(٣).

اما ابن عباس فهو تلميذه وأكثر علمه مأخوذ عن الإمام علي عليه السلام سواء في الفقه أو تفسير القرآن^(٤).

(١) الشرح: ١٥٨/١٩-١٥٩. وانظر: الزمخشري: ربيع الابرار ٤/٢٦.

(٢) سورة الاعراف، الآية: ١٧٢.

(٣) الشرح: ١٠١/١٢. وانظر: ابن ماجه: صحيح ٢/١٦٠. ابن الجوزي: مناقب ص ١٢٢-٣.

الحلي: السيرة الحلبية ١/١٧٥-٦. القسطلاني: إرشاد الساري ٣/١٩٥.

(٤) الشرح: ٢٤٧/١٥.

(٣) البخاري: الصحيح ٥/٩٢.

٥٢٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وكان الإمام علي عليه السلام يذهب إلى مخالفة الصحابة في بعض الاحكام الشرعية كقطع يد السارق من رؤوس الاصابع، وبيعه امهات الاولاد، إلا أن الذي يمنعه من تغييرها انشغاله بالحرب أيام خلافته، ولذا كان يقول لقضاته: (اقضوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة). ولفظة (حتى) تعني أنه أباح لهم اتباع عاداتهم في القضايا والاحكام التي يعهدونها إلى أن يصير للناس جماعة (وحدة) وما بعد (إلى وحتى) ينبغي أن يكون مخالفا لما قبلها ويرى المعتزلة أن الإمام عليه السلام كان مجتهدا في احكامه ويجوز لغيره من المجتهدين مخالفتة^(١).

ومن فتاواه عليه السلام المسألة المنبرية^(٢) حيث سئل وهو على المنبر عن حصة امرأة معها ابوين وابنتين فقال: صار ثمنها تسعا (وهذه المسألة لو فكر فيها الفرضي

(١) الشرح: ١٦١/١٩. اما عند الإمامية فالإمام غير مجتهد وإنما لديه المعرفة بالأحكام الواقعية بعينها وأحكامه كأحكام الرسول ﷺ.

(٢) سأل رجل الإمام علي عليه السلام وهو على المنبر: ان ابنتي قد مات زوجها ولها من تركته الثمن وقد اعطوها التسع. فاسألك الانصاف. فقال عليه السلام: خلف صهرك بنتين. قال: نعم. قال: وابواه باقيان. قال: نعم. قال: قد صار ثمنها تسعا. فلا تطلب سواه ارثا. أنظر: ابن الاثير: النهاية ١٣٩/٣. الاربلي: كشف الغمة ١/١٣٠. ابن منظور: لسان العرب ١٣/٥١٢-٥١٣. التوحيدي: البصائر والذخائر ٢/١٤٨-٩. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٢١. ومن فتاواه أيضاً المسألة الدينارية حيث قالت له امرأة: يا أمير المؤمنين إن اخي مات وخلف ستمائة دينار. وقد دفعوا لي من ماله ديناراً واحداً. فقال عليه السلام: خلف اخوك بنتين؟ قالت: نعم. قال: لهما الثلثان اربعمائة. وخلف أمأ؟ قالت: نعم. قال: لها السدس مائة. وخلف زوجة؟ قالت: نعم. قال: لها الثمن خمسة وسبعون. وخلف معك اثني عشر اخا. قالت: نعم. قال: لكل اخ ديناران ولك دينار واحد. فقد أخذت حقا فانصر في. فسميت بالمسألة الدينارية. أنظر: الاربلي: كشف الغمة ١/١٣٠.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٢٧
طويلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهية،
واقترضه ارتجالاً^(١).

ومما يؤثر من احكام الإمام علي عليه السلام أن العبد التابع إلى بيت المال إذا سرق لا
تقطع يده، واما البعيد عنه فتقطع، وهذا مطابق لرؤية الإمامية في أن عبد المغنم
إذا سرق من المغنم لا تقطع يده، اما العبد الغريب إذا سرق منه فتقطع إذا كان
ما سرقه زائدا عما يستحقه من القيمة بمقدار النصاب الذي يجب فيه القطع،
وهو ربع دينار، وكذلك الحر إذا سرق من المغنم حكمه هذا الحكم بعينه فوجب
أن يحمل كلام الإمام عليه السلام على ان العبد المقطوع كان قد سرق ازيد من حقه من
القيمة بمقدار النصاب المذكور أو أكثر^(٢).

ومن خلال كتابه لقاضيه شريح القاضي^(٣) اوضح فيه كيفية بيع
الاملاك، أشار ابن أبي الحديد ان طريقته تطابق ما موجود في عصر ابن أبي
الحديد (وهذا يدل على أن الشروط المكتوبة الآن قد كانت في زمن الصحابة
تكتب مثلها أو نحوها الا أنا ما سمعنا من أحد منهم أنه نقل صيغة الشرط
الفقهي إلى معنى آخر، كما قد نظمه هو عليه السلام، ولا غرو فما زال سباقاً إلى

(١) الشرح: ١٨/١-١٩.

(٢) الشرح: ١٩/١٦٠.

(٣) أبو أمية شريح القاضي ادرك الجاهلية. ويعد من التابعين تولى القضاء في الكوفة منذ عهد
الخليفة عمر وحتى وفاته أيام الحجاج سنة ٨٧هـ مما يثير ذلك الاستغراب. أنظر ابن عبد البر:
الاستيعاب ٢/٧٠١-٢. ابن حجر: الاصابة ٢/١٤٦. وانظر الدوري: القاضي شريح وآراؤه
الفقهية. رسالة ماجستير ص ٥-٢٢٤.

العجائب والغرائب) (١).

وكان عليه السلام يميز اقامة وكيل عن الشخص في الخصومة وهو شاهد (٢) ويرى عليه السلام انه لا قرابة بالنوافل إذا اضرت بالفرائض، حيث لا يصح التنفل ممن عليه قضاء فريضة فاتته لا في صلاة ولا في غيرها (٣).

وبذلك أصبح الإمام علي عليه السلام أصل المذاهب الفقهية، فإن اصحاب الامام أبي حنيفة كابي يوسف (٤) ومحمد بن الحسن (٥) اخذوا عن أبي حنيفة. والشافعي قرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه لأبي حنيفة، اما احمد بن حنبل فقرأ على الشافعي، فيرجع أيضاً لأبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على الإمام جعفر الصادق عليه السلام، والصادق عليه السلام قرأ على أبيه محمد الباقر عليه السلام حتى ينتهي الأمر إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، اما مالك بن أنس فقد قرأ على

(١) الشرح: ٣١، ٢٧/١٤.

(٢) الشرح: ١٠٧/١٩.

(٣) الشرح: ١٥٨/١٨.

(٤) هو يعقوب بن ابراهيم الانصاري (١١٣-١٨٢هـ) تلميذ الامام أبي حنيفة وأول من نشر مذهبه. تولى القضاء حتى وفاته واشتهر بكتابة الخراج. أنظر ابن النديم: الفهرست ص ٢٨٦. القرشي: الجواهر المضية ٢/ ٢٢٠-٢. ابن قطلوبغا: تاج التراجم ص ٨١. اللكنوي: الفوائد البهية ص ٢٢٦.

(٥) تلميذ الامام أبي حنيفة وعن نشر مذهبه (١٣١-١٨٩) تولى القضاء ومات في الري. ابن النديم: الفهرست ص ٢٨٧-٨. الخطيب: تاريخ بغداد ٢/ ١٧٢-١٨٢. القرشي: الجواهر المضية ٢/ ٤٢-٤٤. اللكنوي: الفوائد البهية ص ١٦٣.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٢٩

ربيعة الرأي^(١)، وربيعه قرأ على عكرمة^(٢) وعكرمة قرأ على ابن عباس والمعروف ان ابن عباس هو تلميذ الإمام علي عليه السلام، وكذلك فإن الشافعي، درس من طريق آخر على مالك ومالك يرجع فقهه للإمام علي عليه السلام. واما فقه الشيعة فرجوعه إليه واضح^(٣).

هذه الاضاءات القليلة تنبئ على ان نهج البلاغة يعد مصدراً للفقيه الذي يرغب في أن يكون نافذ الفكر مستنير البصيرة^(٤).

(١) ربيعة بن فروخ التيمي ت ١٣٦هـ. لقب بريعة الراي لأنه يقول برأيه إذا لم يجد حديثاً. ابن النديم: الفهرست ص ٢٨٥. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١٧٧/٢. الخطيب: تاريخ بغداد ٤٢٠/٨. ابن خلكان: وفيات الاعيان ١/٢٨٨-٢٩٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/١٥٧-٨.

(٢) عكرمة بن عبد الله البربري مولى بن عباس (٢٥-١٠٥) من التابعين طاف البلدان. واستقر فترة في المغرب حيث الخوارج هناك ثم عاد ومات بالمدينة. ابن سعد: الطبقات ٢/٣٨٥. أبو نعيم: حلية الاولياء ٣/٣٢٦-٣٤٧.

(٣) الشرح: ١/١٨. طرحت العثمانية فكرة مغايرة لذلك وانتقدت القائلين بأسبقية الإمام عليه السلام في علم الفقه. أنظر رسائل الجاحظ السياسية ص ١٨٥-١٩٠. وقال أيضاً برأي العثمانية. ابن تيمية: منهاج السنة ٤/١٤٣-٤.

(٤) العزيزي: الإمام علي عليه السلام ص ٢٢٥.

المبحث الخامس

الإمام علي عليه السلام وعلوم القرآن

كان الإمام علي عليه السلام المنظور إليه في هذا الباب، حيث اتفق الكل على حفظه للقران على عهد النبي عليه السلام وهو أول من جمعه بعد وفاة النبي عليه السلام حيث يرى أهل الحديث انه تشاغل بجمع القرآن، وهذا يدل على أنه أول من جمعه، لأنه لو كان مجموعاً في حياة الرسول عليه السلام لما احتاج أن يتشاغل بجمعه^(١).

لقد اولى الإمام علي عليه السلام القرآن الكريم عنايته في التأكيد عليه، وايضاح اهميته ومكانته فمن اقواله فيه: (إن الله سبحانه وتعالى أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر، فخذوا بهج الخير تهتدوا، واصدقوا عن سمت الشر تقصدوا)^(٢).

وقال أيضاً: (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحداً إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، أو نقصان من عمى، واعلموا أنه ليس

(١) الشرح: ٢٧/١. ولزيد من التفاصيل عن علاقة الامام بالقرآن. أنظر التستري: بهج الصباغة

٩٤-١/١٣

(٢) الشرح: ٢٨٨/٩

٥٣٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من ادوائكم، واستعينوا به على آرائكم، فإن فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق، والغي والضلال، فأسالوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنه شافع ومشفع، وقائل ومصدق، وانه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنه ينادى منادٍ يوم القيامة: ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله، غير حرثه القرآن. فكونوا من حرثته واتباعه، واستدلوه على ربكم، واستنصحوه على انفسكم، واتهموا عليه آرائكم، واستشفعوا فيه اهوائكم^(١).

وقال أيضاً: (فالقرآن أمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه، أخذ عليهم ميثاقهم، وارتهن عليهم أنفسهم، أتم نوره، واكرم به دينه، وقبض نبيه ﷺ وقد فرغ إلى الخلق من احكام الهدى به)^(٢).

وقال بعد تلاوته لقوله تعالى:

﴿يَسِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣).

(وإن الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة)^(٤).

(١) الشرح: ١٨/١٠-١٩.

(٢) الشرح: ١٠/١١٥.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٦-٣٧.

(٤) الشرح: ١١/١٧٦.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٣٣

وقال أيضاً: (وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم أركانه، وعز لا تهزم اعوانه)^(١).

وقال: (كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالفه بصاحبه عن الله)^(٢).

هذه الملامح فيها إشارة إلى مدى العلاقة الوثيقة بين الامام والنص القرآني، وقد اتضحت في خصوصية فهمه عليه السلام إلى درجة يصورها في قوله لمن سأله: (هل عندكم شيء من الوحي؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا أن يعطي الله عبدا فهما في كتابه). وإنعام النظر في قوله عليه السلام يثبت أن أقل ما يدل عليه إن ما نقل عنه من اعاجيب المعارف الصادرة عن مقامه العلمي الذي يدهش العقول مأخوذ من القرآن الكريم، لذا أصبح عليه السلام دائرة معارف القرآن^(٣).

ومن خلال ملاحظة ما جاء في كلامه عليه السلام عن القرآن، نجد فيه احسن ما ورد في تعظيمه واجلاله^(٤). وقد شهد النبي صلى الله عليه وآله بتلك العلاقة الوثقى، بين القرآن والإمام علي عليه السلام بقوله: (علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض)^(٥).

(١) الشرح: ٢٧٣/٨.

(٢) الشرح: ٢٨٧/٨.

(٣) الاعرجي: منهج المتكلمين في فهم النص القرآني ص ١٨-١٩.

(٤) الشرح: ٢/١٠.

(٥) اخرجه: الحاكم: المستدرک ٣/١٣٤. الخوارزمي: المناقب ص ١١٠-١١١. الذهبي: تلخيص

المستدرک ٣/١٣٤. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٣. السيوطي: الجامع الصغير ٤/٣٥٦.

المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/٢٠٣. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٢. ١٢٤.

٥٣٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

لذا نجد الإمام علياً عليه السلام أصبح مصدراً لعلوم القرآن كعلم القراءات حيث أن أئمة القراءات يرجعون إليه مثل أبي عمرو بن العلاء^(١) وعاصم بن أبي النجود^(٢) وغيرهما لأنهما يرجعان لأبي عبد الرحمن السلمي^(٣) القارئ، وهو تلميذ الإمام علي عليه السلام وعنه أخذ القرآن فصار فن القراءات من الفنون التي تنتهي إلى الإمام علي عليه السلام^(٤).

أما في علم التفسير فكان المعول عليه، حيث عنه أخذ ابن عباس (وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه، وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط)^(٥).

وكان عليه السلام يقول: (لقد علمت تبليغ الرسالات، وإتمام العادات، وتمام الكلمات...) والمقصود بعلم تمام كلمات الله تعالى أي تأويلها وبيانها الذي يتم

(١) هوزبان بن العلاء المازني أخذ عنه مشايخ البصريين. أنظر ابن النديم: الفهرست ص ٤٢-٤٦. الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/٨٣.

(٢) الكوفي الاسدي بالولاء ت ١٢٧ أو ١٢٨ هـ. يعد في التابعين. أنظر ابن النديم: الفهرست ص ٤٣. الذهبي: العبر ١/١٢٨. الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/٧٣. ميزان الاعتدال ٢/٣٥٧-٨. الجزري: غاية النهاية ١/٣٤٦.

(٣) عبد الله بن حبيب الكوفي تصدر الاقراء أيام عثمان بن عفان حتى توفي سنة ٧٣ هـ. أبو نعيم: حلية الاولياء ٤/١٩١-١٩٥. السمعي: الانساب ٧/١٨١. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٥٨. الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/٤٥.

(٤) الشرح: ١/٢٧-٢٨.

(٥) الشرح: ١/١٩. ١٥/٢٤٧.

به، لأن في كلامه تعالى المجمل الذي لا يستغني عن متم ومبين يوضحه^(١).
ولما كان الإمام علي عليه السلام ملماً بأساليب القرآن لذا نصح رسوله للخوارج (ابن عباس) بان لا يجاجهم بالقران (لأن القرآن حمال ذو وجوه) حيث أنه كثير الاشتباه، فهناك آيات تفيد رؤية الله^(٢) واخرى تنفيها^(٣) آيات تشير إلى أن الهداية والضلالة من الله^(٤) واخرى تنسبها للانسان^(٥). ثم أن القرآن ناسخ ومنسوخ، ومن اجل ذلك دعا الإمام علي عليه السلام ابن عباس للمحاجة بالسنة النبوية لخلوها من هذه الاشكالات^(٦).

وفي علم أسباب النزول أشار الإمام علي عليه السلام إلى أن أول آية من سورة العنكبوت وهي (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا امنا وهم لا يفتنون...). إنها نزلت بعد معركة بدر، في الوقت الذي أشار المفسرون أنها مكية^(٧)، والملاحظ أن هذه الآية ربما تكون وحدها نزلت بعد معركة بدر، وكذا الحال في سورة النحل^(٨) التي هي مكية ما عدا الآيات الثلاث الأخيرة التي نزلت

(١) الشرح: ٢٨٩/٧.

(٢) كقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ. سورة القيامة، الآية: ٢٣.

(٣) كقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾. سورة الانعام، الآية: ١٠٣.

(٤) كقوله تعالى: ﴿فِيضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. سورة ابراهيم، الآية: ٤.

(٥) كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. سورة

الزلزال ٧-٨.

(٦) الشرح: ٧١/١٨-٧٣.

(٧) أنظر: الطوسي: التبيان ٨/١٨٥. القرطبي: الجامع ١٣/٣٢٣.

(٨) أنظر: الطوسي: التبيان ٦/٣٥٧. القرطبي: الجامع ١٠/٦٥.

بالمدينة بعد معركة أحد^(١).

وكان عليه السلام يؤكد معرفته بأسباب النزول بقوله: (سلوني عن كتاب الله، والله ما من آية إلا أنا أعلم إتيانها بليل نزلت أم بنهار أم بسهل نزلت أم بجبل)^(٢).

(١) الشرح: ٢٠٧/٩.

(٢) أنظر: ابن سعد: الطبقات ٢/٣٣٨. الأزرقى: اخبار مكة ١/٥٠. البلاذري: انساب ٢/٩٩.

ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٧. جامع بيان العلم وفضله ١/١١٤. الخوارزمي: المناقب

ص ٤٩. البلوي: الف باء ١/٢٢٢. محب الدين: الرياض النظرة ٢/٢٦٢. ابن حجر: الاصابة

٢/٥٠٩. تهذيب التهذيب ٧/٣٣٨. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٨٥. الهيثمي: الصواعق

المبحث السادس

الإمام علي عليه السلام والنحو والبلاغة

علم النحو:

يعد علم النحو من علوم اللغة العربية التي ابتدعها الإمام عليه السلام، فالمعروف أنه أُملي على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله التي منها: الكلام على ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف. والكلمة: إما نكرة أو معرفة. وتقسيم وجوه الإعراب من حيث الرفع والنصب والجر والجزم. إن هذا الإمام «يكاد يلحق بالمعجزات لأن القوة البشرية لا تنفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط».^(٣)

كان أبو الأسود الدؤلي أول من وضع علم النحو بإشارة من الإمام علي عليه السلام^(٤). قال الأنباري «وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى وغيره: أخذ أبو

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/ ٢٠. أبو هلال العسكري: الأوائل ص ٢٩٦-٢٩٨. الحموي: معجم الأدباء ١٤/ ٤٩-٤٢. ابن الأثير: المثل السائر ١/ ٦١. ابن تيمية: منهاج السنة ٤/ ١٤٢. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٨١.

(٤) أبو الطيب: مراتب النحويين ص ٢٠، أبو هلال: الأوائل ص ٢٦٧، ابن النديم: الفهرست ص ٤٥، المفيد: الفصول المختارة ص ٩١، القفطي: أنباه الرواة ١/ ٣٩-٤٠، المازنداني: شرح أصول الكافي ٢/ ٢٩٨، المجلسي: بحار الأنوار ٤١/ ١٤٢، الشيرازي: كتاب الأربعين ص ٤١٥.

الأسود النحو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه»^(١).

ويذكر الأنباري أيضا^(٢): «أعلم أيدك الله تعالى بالتوفيق، وأرشدك إلى سواء الطريق، أن أول من وضع علم العربية، وأسس قواعده، وحدّد حدوده، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واخذ عنه أبو الأسود... وسبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم، ما روى أبو الأسود، قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء - يعني الأعاجم - فأردت أن أضع لهم شيئا يرجعون إليه، ويعتمدون عليه، ثم ألقى إليه الرقعة، وفيها مكتوب، الكلام كله اسم، وفعل، وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ به، والحرف ما جاء لمعنى، وقال لي: انح هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك، وأعلم يا أبا الأسود، إن الأسماء ثلاثة، ظاهر، ومضمر، واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم المبهم.

قال أبو الأسود: فكان ما وقع إلي «إن» وأخواتها ما خلا «لكن». فلما عرضتها على علي رضي الله عنه، قال لي: وأين لكن؟ فقال: ما حسبتها منها، فقال: هي منها فألحقها، ثم قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت! فلذلك سمي النحو نحوا».

وذكر الأنباري أيضا «وروي أن سبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم

(١) الأنباري: نزهة الالباء في طبقات الأدباء ص ١٨ - ١٩.

(٢) الأنباري: نزهة الالباء في طبقات الأدباء ص ١٤ - ١٥.

أنه سمع أعرابيا يقرأ «لا يأكله إلا الخاطئين»^(١)، فوضع النحو^(٢).

وبعد أن يستعرض الأنباري الآراء في من هو صاحب الريادة في وضع علم النحو يخلص للقول: «والصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأن الروايات كلها تسند إلى أبي الأسود، وأبو الأسود يسند إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه روي عن أبي الأسود أنه سئل فقيل له: من أين لك هذا النحو؟ فقال: لفقت حدوده من علي بن أبي طالب رضي الله عنه»^(٣).

البلاغة:

البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، والمقصود بالمطابقة أن يكون الكلام مناسباً لحال السامع حيث إن الناس طبقات ولذلك تختلف أساليب الكلام تبعاً لاختلاف حال السامع، أما الفصاحة فهي أن تكون الألفاظ سهلة واضحة عذبة خفيفة الحركات جارية على القياس الصرفي، وليس هناك تنافر بين حروفها، وأن يكون التركيب (الكلام المؤلف) خالياً من الغموض والتعقيد والتكرار^(٤).

كان الإمام علي عليه السلام من الفصاحة بمكان فهو امام الفصحاء وسيد البلغاء

(١) الصحيح «لا يأكله إلا الخاطئون». سورة الحاقة، الآية: ٣٧.

(٢) الأنباري: نزهة الالباء في طبقات الأدباء ص ١٧.

(٣) الأنباري: نزهة الالباء في طبقات الأدباء ص ١٩-٢٠.

(٤) أنظر معاني متعددة في ابن رشيق: العمدة ١/ ٢٤١-٢٥٠. الجرجاني: التعريفات ص ٢٦.

الحلاوي: البلاغة والتطبيق ص ٧-٨.

٥٤٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وفي كلامه قيل (دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين). ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة حيث حفظ عبد الحميد بن يحيى الكاتب^(١) سبعيناً من خطبه عليه السلام. وحفظ ابن نباتة^(٢) (كنزاً لا يزيد الانفاق الا سعة وكثرة، حيث حفظ مائة فصل من مواضعه^(٣)).

وقد شهد معاوية له بهذا الامتياز فلما دخل عليه محفن بن أبي محفن قائلاً له: (جئتك من عند اعيان^(٤) الناس. فقال معاوية: ويحك! كيف يكون اعيان الناس! فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره)^(٥).

ويكفي كتاب نهج البلاغة في الاشارة على أنه عليه السلام لا يجارى في الفصاحة، ولا يبارى في الفصاحة، حيث لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة^(٦) العشر ولا نصف العشر مما دُون له، وقد حفظ الجاحظ أحد معتزلة البصرة، في كتابه

(١) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء اختص بمروان بن محمد وقتل معه، وكان يضرب به المثل في البلاغة، أنظر الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ٧٢-٨٣. ابن خلكان: الوفيات ٣/٢٢٨-٢٣٢. ابن نباتة: سرح العيون ص ١٦٢-٥.

(٢) عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الفارقي (٣٣٥-٣٧٤هـ) ولد في ميفارقين وسكن حلب ودخل في خدمة سيف الدولة الحمداني وكان الأخير كثير الغزوات فاكثر ابن نباتة من الخطب الجهادية. أنظر ابن خلكان: الوفيات ٣/١٥٦-٨. الذهبي: العبر ٢/١٤٣.

(٣) الشرح: ١/٢٤-٢٥.

(٤) العي ضد البيان أي ليست لديه القدرة على الكلام الفصيح، الرازي: مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٥) الشرح: ١/٢٤-٢٥، ١٥/٢٤٧.

(٦) قال المدائني: كان أبو بكر خطيباً وكان عمر خطيباً وكان عثمان خطيباً وكان علي خطيبهم، أنظر

الجاحظ: البيان والتبيين ١/٣٥٣.

البيان والتبيين^(١) الكثير من خطبه^(٢).

فلما أورد الجاحظ قوله عليه السلام: (قيمة كل امرئ ما يحسن) علق قائلاً: (لو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها شافية، ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية. واحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكأن الله عز وجل قد البسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله. فإذا كان المعنى شريفاً، واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه، ومنزهاً عن الاختلال، مصوناً عن التكلف، صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، اصحبها الله من التوفيق، ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة)^(٣).

لقد كان الإمام علي عليه السلام اوضح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين، الا كلام الله سبحانه وكلام رسوله ﷺ: (وذلك لأن فضيلة الخطيب والكاتب في خطابته وكتابه تعتمد على امرين هما: مفردات الالفاظ ومركباتها. اما المفردات، فأن تكون سهلة سلسلة غير وحشية ولا معقدة، والفاظه عليه السلام كلها كذلك، واما المركبات فحسن المعنى وسرعة وصوله إلى

(١) ١/٨٣، ٢٠٢، ٢٥٦، ٢٩٧، ١٤/٢، ٢٠-٢٢، ٥٠-٥٦، ٧٧-٧٨، ٨٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٦،
١٦٥، ١٧٢، ١٩٠، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٥، ٣١١، ٣١٦، ٣٥٠، ٣/٩٨، ١٤١،
١٤٨، ١٥٥، ٢١١، ٢٦٠، ٢٧٤-٥، ٢٨٥، ٣٠١، ٨/٩٣.

(٢) الشرح: ١/٢٥.

(٣) البيان والتبيين ١/٨٣. وانظر كلمة الامام لدى سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٥٤.

الافهام، واشتماله على الصفات التي باعتبارها فضل بعض الكلام على بعض، وتلك الصفات هي الصناعة التي سماها المتأخرون البديع من المقابلة والمطابقة، وحسن التقسيم، وردّ آخر الكلام على صدره، والترصيع^(١) والتسهيم^(٢) والتوشيح^(٣) والمماثلة، والاستعارة، ولطافة استعمال المجاز، والموازنة، والتكافؤ، والتسميط^(٤) والمشاكلة).

إن هذه الاساليب كلها موجودة في خطبه عليه السلام وكتبه مبثوثة ومتفرقة في فرش كلامه عليه السلام وليس يوجد هذان الامران في كلام أحد غيره، فإن كان عليه السلام قد تعلمها، وفكر فيها، واعمل رويته في رصفها ونثرها، فقد أتى بالعجب العجاب، لذا وجب أن يكون امام الناس في ذلك، لأنه المبتكر له، ولم يعرف من قبله، اما إذا كان قد اقتضبها ابتداء، وفاضت على لسانه مرتجلة، وجاش بها طبعه بديه، من غير روية، ولا احتمال فأعجب وأعجب! وعلى كلا الامرين فلقد جاء مجليا، والفصحاء تنقطع انفسهم على اثره (وأعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب، وصاحبه منسوب

(١) هو أن تكون الالفاظ مستوية الاوزان متفقة الاعجاز كقوله تعالى:

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.

أنظر ابن رشيقي: العمدة ٢/٢٦. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٤٧. الجرجاني: التعريفات ص ٣٠.

(٢) هو أن يكون معنى البيت مقتنيا قافيته وشاهدا بها دالا عليها. ابن رشيقي: العمدة ٢/٣٢-٣٤.

(٣) هو نفس التسهيم. ابن رشيقي: العمدة ٢/٣١.

(٤) هو تصيير كل بيت اربعة اقسام ثلاثتها على سجع واحد مع مراعاة القافية في الرابع حتى تنقضي

القصيدة، الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٦١. الجرجاني: التعريفات ص ٣١، ٧٠٠.

إلى السفه، وليس جاحد الامور المعلومة علماً ضرورياً، بأشد سفهاً مما رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها^(١) لقد اطلق على بعض خطبه عليه السلام اسماً لشهرتها، كخطبة الاشباح أي الملائكة، التي اثارته اعجاب ابن أبي الحديد فقال عنها: (هذا موضع المثل (إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل)^(٢) إذا جاء هذا الكلام الرباني واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب، وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه، كنسبة التراب إلى النضار الخالص، وحتى لو افترضنا أن العرب تقدر على الالفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الالفاظ لكن من أين لهم المادة التي عبرت هذه الالفاظ عنها! ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون للرسول ﷺ هذه المعاني الغامضة السائية، ليتها لها التعبير عنها! اما الجاهلية فإنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة، أو صفة جبال، أو فلوات، ونحو ذلك. اما بالنسبة للصحابة، فالمذكور منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة احدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة، إما في موعظة تتضمن ذكر الموت، أو ذم الدنيا، أو ما يتعلق بحرب أو قتال ترغيباً أو ترهيباً^(٣).

في حين ان الكلام في الملائكة وصفاتها، وصورها وعباداتها، وتسبيحها ومعرفتها بخالقها وحبها له، وولها إليه، وما جرى مجرى ذلك لما يتضمنه كلام

(١) الشرح: ٦/ ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) الميداني: مجمع الامثال ١/ ٨٨. نسبة إلى الصحابي معقل بن يسار المزني، حيث لما حفر زياد نهراً بالبصرة وأراد فتحه، أشهد معقل بن يسار فنسب النهر إليه. الزمخشري: ربيع الابرار ١/ ٢٢٦-٢٢٧.

(٣) الشرح: ٦/ ٤٢٥-٤٢٦.

٥٤٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الإمام في هذه الخطبة، فإذا لم يكن معروفًا عند الجاهلية ولا الصحابة تفصيل
بهكذا وقد يكونوا علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم ولا مرتبة هذا الترتيب،
بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم^(١).

أما من كان له علم بهذا الموضوع كعبد الله بن سلام^(٢) -أحد اليهود- وأممية
بن أبي الصلت^(٣) فلم تكن لهم هذه العبادة، ولا قدروا على هذه الفصاحة، إذن
ثبت أن هذه الأمور الدقيقة في مثل هذه العبادة الفصيحة، لم تحصل إلا للإمام عليه السلام
وحده «واقسم ان هذه الكلام إذا تأمله اللبيب، اقشعر جلده، ورجف قلبه،
واستشعر عظمة الله في روعه وجلده، وهام نحوه، وغلب الوجد عليه، وكاد أن
يخرج من مسكه شوقاً، وأن يفارق هيكله صباية ووجدا»^(٤).

كان عليه السلام على درجة من التمكن في استخدام الألفاظ في ما يناسبها، فيعطي
المتباعدات لفظه (مقرب)، لأن البعد بإزاء القرب ويعطي المتباينات لفظه
(مقارن) لأن البينونة بإزاء المقارنة، واعطى المتعاديات لفظه (مؤلف) لأن
الإتلاف بإزاء التعادي^(٥).

(١) الشرح: ٤٢٦/٦.

(٢) هو عبد الله بن سلام بن الحارث ممن أسلم من اليهود في عصر النبي ﷺ توفي سنة ٤٣ هـ. أنظر: ابن
سعد: الطبقات ٢/٣٥٢-١. مسلم: صحيح ١٦/٤١. الحاكم: المستدرك ٣/٤٦٧-٤٧١. ابن
عبد البر: الاستيعاب ٣/٩٢١. ابن حجر: الإصابة ٢/٣٢٠-٣٢١.

(٣) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، كان ممن نبذ عبادة الأصنام، وحرّم على نفسه
الخمر، وادرك الإسلام ولم يسلم. ت. ٥٥ هـ. ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٦٩-٣٧٢. النووي
تهذيب الاسماء ١/١٢٦/١ الألويسي: بلوغ الارب ٢/٢٥٣، ٣/٢١.

(٤) الشرح: ٤٢٦/٦.

(٥) الشرح: ١٣/٧٤-٧٥.

ووقف ابن أبي الحديد معجباً بأسلوب كتاب ارسله الامام لابن عباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر قائلاً «أنظر إلى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها، وتملكه زمامها، واعجب لهذه الالفاظ المنصوبة، يتلو بعضها بعضاً كيف تواتيه وتطاوعه، سلسلة سهلة، تتدفق من غير تعسف ولا تكلف، حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال «يوماً واحداً ولا التقي بهم أبداً» وأنت وغيرك من الفصحاء، إذا شرعوا في كتاب أو خطبه، جاءت القرائن أو الفواصل تارة مرفوعة، وتارة منصوبة، فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد. ظهر منها في التكلف أثر بيّن، وعلامة واضحة»^(١).

هذا الصنف من البيان هو أحد انواع الاعجاز القرآني، (أنظر إلى سورة الناس وبعدها سورة المائدة، الاولى منصوبة الفواصل والثانية ليس فيها منصوب اصلا ولو مزجت إحدى السورتين بالآخرى لم تمتزجا، وظهر أثر التركيب والتأليف بينهما)^(٢).

ثم إن هذه الفواصل في كلام الإمام علي عليه السلام تساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعي لا حسب الصناعة التكليفية. «ثم أنظر إلى الصفات والموصوفات في هذا الفصل كيف قال: (ولداً ناصحاً) و (عاملاً كادحاً) و (سيفاً قاطعاً) و (ركناً دافعاً) ولو قال: (ولداً كادحاً) و (عاملاً ناصحاً) وكذلك ما بعده لما كان صواباً، ولا في الموقع واقعا»^(٣).

إن هذه البلاغة جعلت من أبي الحديد يتعجب قائلاً (فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة، والخصائص الشريفة! أن يكون غلام من ابناء عرب

(١) الشرح: ١٦/١٤٥-١٤٦.

(٢) الشرح: ١٦/١٤٦.

(٣) الشرح: ١٦/١٤٦.

٥٤٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

مكة، ينشأ بين أهله... وخرج افصح من سبحان^(١) وقس^(٢)، ولم تكن قريش بافصح العرب، كان غيرها افصح منها، قالوا افصح العرب جرهم، وإن لم تكن لهم نباهة.... ولا غرو فيمن كان محمد ﷺ مربيه ومخرجه، والعناية الإلهية تمده وترفده أن يكون منه ما كان^(٣).

وكان عليه السلام أيضاً مقتدرا على التصرف في المعنى فعلى سبيل المثال نجده دائماً يذم الدنيا ولكنه أيضاً أحياناً يمدحها، وهو صادق في المدح والذم^(٤).

وقد لاقى كلامه عليه السلام استحسانا لدى من كان له باع مشهود في البلاغة حيث يقول الشريف الرضي عن الخطبة الحادية والعشرين: (إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه، وبعد كلام رسول الله ﷺ بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه سابقا)^(٥). ووصف الخطبة رقم (٤٨) بأن فيها (من غريب العبارات وعجيبها)^(٦). وقد خصص الشريف الرضي آخر كتابه نهج البلاغة^(٧) لقصار

(١) سبحان بن زفر بن اياس ت ٥٤هـ، أحد خطباء العرب. خطب امام معاوية من الظهر حتى العصر. أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال ١/٢٤٨-٩. ابن حجر: الاصابة ٢/١٠٩. الألويسي: بلوغ الارب ٣/١٥٦.

(٢) قس بن ساعدة الايادي أول من خطب على عصا، ت ٢٣ق هـ. الجاحظ: البيان والتبيين ١/٤٢-٣. ٥٢، ٤٥، ٣٠٨-٣٠٩. أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال ١/٢٤٩. المرزباني: معجم

الشعراء ص ٣٣٨.

(٣) الشرح: ١٤٦-١٤٧.

(٤) الشرح: ١٨/٣٢٦.

(٥) الشرح: ١/٣٠١.

(٦) الشرح: ٣/٢٠٠.

(٧) نهج البلاغة ص ٤٦٩-٥٥٩.

كلمات الامام والتي كانت على ايجازها في منتهى الفصاحة، وقد وصف ابن أبي الحديد هذا الباب بأنه: (كالروح من البدن، والسواد من العين، وهو الدرّة المكنونة التي سائر الكتاب صدفها)^(١). لذا نجده يعلق على بعض من هذه الكلمات بالثناء ومنها:

الصفحة	تعليق ابن أبي الحديد	كلام الإمام
١٢ / ٦	من فصيح الكلام يريد عليه السلام غلبي النوم.	ملكنتي عيني
٨١ / ٧	لقد اظرف عليه السلام وابدع، وذلك لأن للاديان سقماً وطباً وشفاءً، كما أن للابدان سقماً وطباً وشفاءً.	ونسأله المعافاة في الأديان كما نسأله المعافاة في الأبدان
٦٤ / ١٠	مقام رفيع جداً لا يصلح أن يقوله غيره.	افأعبد ما لا أرى!
٣٠٣ / ٩	هذا كلام شريف جداً.	العار أمامكم والجنة أمامكم.
٤١ / ١٧	هذا كلام شريف من كلام الحكماء.	فإن البخل والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله.

٣٥٣/١٨	هذه اللفظة لا نظير لها في الايجاز والدلالة على المعنى وهي من ألفاظه عليه السلام المعدودة.	المرء مخبوء تحت لسانه.
٣٤٠/١٩	هذه إحدى كلماته التي لا قيمة لها، ولا يقدر قدرها.	تكلّموا تُعرفوا، فإن المرء مخبوء تحت لسانه.
٣٥٥/١٨	هذه الكلمة من كلماته المعدودة.	هلك امرؤ لم يعرف قدره
٢٠٣/١٩	ما اوجز هذه الكلمة وما أعظم فائدتها!	ما أكثر العبر وأقل الاعتبار
٨٦/٢٠	هذه من ألفاظه الشريفة التي لا نظير لها.	الناس أعداء ما جهلوا
٨-١٦٧/١١	هذا كلام لطيف فصيح غامض، ومعناه أن غمرات الموت واهواله عظيمة جداً، لا تستقيم على العقول، ولا تقبلها إذا شرحت لها، ووصفت كما هي على الحقيقة بل تنبو عنها ولا تصدق بما يقال فيها فعبر عن عدم استقامتها على العقول، بقوله: (أو يعتدل) كأنه جعلها كالشيء المعوج عند العقل فهو غير مصدق به.	أو تعتدل على عقول أهل الدنيا

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٤٩

واحيانا يكون كلامه عليه السلام ليس بحاجة لتفسير، كما في كلامه (٢١٩) حيث أن معانيه ظاهرة، والفاظه الفصيحة تعطيها وتدل عليها بما لو إراد المفسر أن يعبر عنه بعبارة غير عبارته عليه السلام لكان لفظه عليه السلام أولى أن يكون تفسيرا لكلام ذلك المفسر^(١). وكذلك كلامه ذو الرقم (١٨٣) الذي هو من فصيح الكلام ونادره، ويتضمن من توحيد الله تعالى وتمجيده، والثناء عليه ما يشهد لنفسه^(٢).

وكان عليه السلام يستخدم الالفاظ المناسبة لبعضها البعض، بحيث لو ذكر غيرها لما انطبقت عليها، ولا استقرت في قرارها^(٣). وكان عليه السلام يكرر المعنى، ولكن بالفاظ مختلفة وذلك لاقتداره على العبارة وسعة مادة النطق عنده^(٤).

ومن اساليبه عليه السلام الجواب الاقناعي (وهي اجوبة إذا بحث عنها لم يكن وراءها تحقيق، وكانت ببادئ النظر مسكتة للخصم صالحة لمصادمته في مقام المجادلة)^(٥). فلما سئل عليه السلام: كم بين السماء والارض؟ أجاب: دعوة مستجابة. وسئل أيضاً: ما بين المشرق والمغرب؟ فقال: مسيرة يوم للشمس^(٦).

وهي اجوبة صحيحة لا ريب فيها لأن السائل سأل بحضور العامة، تحت المنبر فلو اجابه الامام بمقدارها عددا، لربما طالبه السائل بالدليل، والدليل

(١) الشرح: ١١/١٤٤.

(٢) الشرح: ١٠/٨٨.

(٣) الشرح: ٧/٢٧١-٢٧٢.

(٤) الشرح: ١٨/٣٦٠.

(٥) الشرح: ٢/١٧٢.

(٦) الشرح: ٢/١٧٢-١٧٣، ١٩/١٩٩. وانظر الجاحظ: البيان والتبيين ٣/٢٧٤-٢٧٥.

الزنجشيري: ربيع الابرار ١/٦٦٣.

٥٥٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

يصعب حصوله على البديهة، وحتى لو حصل لشق ايصاله إلى فهم السائل والحاضرين، ولصار فيها خلاف وربما فتنة، لذا عدل الامام إلى جواب اجمالي صحيح اسكت السائل واقتنع السامعون به واستحسنوه، وهذا من نتائج حكمته عليه السلام^(١).

ولما كان كلام الإمام علي عليه السلام متميزا عن سواه، لذا لم يجد ابن أبي الحديد مشقة في تمييزه عن غيره، ففي شرحه لخطبة الامام الرابعة قال: (هذه الكلمات والامثال ملتقطة من خطبة طويلة منسوبة إليه عليه السلام فقد زاد فيها قوم اشياء حملتهم عليها اهواؤهم، لا توافق الفاظها طريقته عليه السلام في الخطب، ولا تناسب فصاحتها فصاحته ولا حاجة إلى ذكرها فهي شهيرة، ونحن نشرح هذه الالفاظ لأنها كلامه عليه السلام لا يشك في ذلك من له ذوق ونقد ومعرفة بمذاهب الخطباء والفصحاء في خطبهم، ورسائلهم ولأن الرواية لها كثرة، ولان الرضي رحمة الله تعالى عليه قد التقطها ونسبها إليه عليه السلام وصححها وحذف ما عداها)^(٢).

ولما نسبت بعض خطبه وكلامه عليه السلام للغير تمكن علماء البيان من إعادة نسبتها للإمام عليه السلام فمثلا الخطبة رقم (٣٢) التي نسبتها من لا علم له إلى معاوية مع إنها من كلام الإمام عليه السلام الذي لا يشك فيه، إذ أين الذهب من الرغام! واين العذب من الاجاج! وقد دل على ذلك الخريت، ونقده الناقد البصير، عمرو بن بحر الجاحظ حيث ذكرها في كتابه البيان والتبيين^(٣)، وأشار إلى أن هناك من نسبتها لمعاوية ثم انكر ذلك قائلا: (وهذا الكلام بكلام علي عليه السلام أشبهه، وبمذهبه في تصنيف الناس، وفي

(١) الشرح: ١٩٩/١٩.

(٢) الشرح: ٢٠٨/١.

(٣) ٦١-٥٩/٢.

الاخبار عما هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقية والخوف أليق، ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ومذاهب العباد!)^(١).

ونسب الجاحظ خطبة الامام رقم (١١٠) إلى قطري بن الفجاءة^(٢) والمعروف أنها للإمام حيث رواها المرزباني في كتابه (المونق)^(٣) وهي بكلام الإمام عليه السلام اشبه، وليس يبعد عند ابن أبي الحديد أن يكون قطري خطب بها بعد أن اخذها من اصحاب الإمام عليه السلام الذين صاروا فيما بعد خوارج^(٤).

ومما يؤثر عن الامام عليه السلام قوله: (لا تظن بكلمة خرجت من أحد سوء، وأنت تجد لها في الخير محتملاً) إلا أن هناك من رواها للخليفة عمر بن الخطاب^(٥).

ونسب (أبو حامد الغزالي)^(٦) قوله عليه السلام: (من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها، ولا ينال ما عنده الا بتركها) إلى أبي الدرداء^(٧)، والصحيح

(١) الشرح: ١٧٥-١٧٦/٢، ونسبها لمعاوية أيضاً الأبي: نثر الدرر ٣/١٩-٢١.

(٢) هو قطري بن الفجاءة بن مازن التميمي من رؤساء الازارقة من الخوارج، وتولى امرة الخوارج ثلاث عشرة سنة، وقتل في حروبه. الجاحظ: البيان والتبيين ١/٣٤١-٢، ١٢٦/٢، ٩/٣١٠-١. ابن قتيبة: المعارف ص ٤١١. الطبري: تاريخ ٦/١٢٦-٧، ١٦٩، ٢٥٩، ٣٠٠-٣١٠، ٣١٨.

(٣) لم اعثر على هذا الكتاب.

(٤) الشرح: ٢٣٦/٧. وانظر الجاحظ: البيان والتبيين ٢/١٢٦-٩. ابن قتيبة: عيون الاخبار ٢/٢٥٠-١. النويري: نهاية الارب ٧/٢٥٠-٣. القلقشندي: صبح الاعشى ١/٢٢٣-٥.

(٥) الشرح: ١٩/٢٧٧.

(٦) لم أهتد إليها في كتابه إحياء علوم الدين.

(٧) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الانصاري الخزرجي أحد الصحابة الذين عرفوا بالعبادة، تولى القضاء للخليفة عمر في دمشق توفي سنة ٣٢هـ. أبو نعيم: حلية الاولياء ١/٢٠٨-٢٢٧. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٦٤٦-٨. الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/٣٨. ابن حجر: الاصابة ٣/٤٥-٤٦.

٥٥٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

أنها من كلام الإمام علي عليه السلام حيث ذكر ذلك الجاحظ^(١) وهو اعرف بكلام الرجال^(٢).

وذكر المبرد^(٣) خطبة الاعرابي بالبادية (وأكثر الناس يرون أنها من كلام الإمام عليه السلام ويجوز أن يكون الاعرابي حفظها وأوردها كما يورد الناس كلام غيرهم)^(٤).

ووجد ابن أبي الحديد كلمة الامام (نفس المرء خطاه إلى اجله) منسوبة إلى عبد الله بن المعتز^(٥) فعلق قائلاً: (فلا ادري هل هي لابن المعتز أم اخذها من امير المؤمنين عليه السلام! والظاهر أنها لأمير المؤمنين عليه السلام فإنها بكلامه اشبهه، ولأن الرضي قد رواها عنه، وخبر العدل معمول به)^(٦).

اساليب البيان:

البيان: هو النطق الفصيح المعرب، أي اظهار المعنى وايضاح ما كان مستورا قبله، ليتم اظهار المراد للسامع^(٧) وموضوع علم البيان هو الفصاحة

(١) لم اهتد إليها في أي من مؤلفات الجاحظ.

(٢) الشرح: ٣٢٦/١٩.

(٣) الكامل في اللغة والادب ١٠٨/٤.

(٤) الشرح: ٤-٣/١١.

(٥) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن الخليفة العباسي المتوكل كان شاعرا وله مجموعة من الكتب الادبية. تولى الخلافة بعد المقتدر يوماً وليلة ثم عزل وتوفي سنة ٢٩٦ هـ مخنوقاً، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٠/٩٥-١٠١. القفطي: المحمدون من الشعراء ص ٢٥٥. الكتبي: فوات الوفيات ٢/٢٣٩-٢٤٦.

(٦) الشرح: ٢٢١/١٨.

(٧) ابن رشيق: العمدة ١/٢٥٤. الجرجاني: التعريفات ص ٢٦، ٨٣.

والبلاغة^(١)، ويجب على صاحب علم البيان الأمام بعلوم تسمى (ادوات علم البيان) وهي: النحو والتصريف والفاظ اللغة وامثال العرب واياهمم (التاريخ) والاحاطة بالمؤلفات السابقة التي كتبت في علم البيان، والاحكام السلطانية وحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية^(٢).

لقد تنوعت اساليب البيان التي استخدمها الإمام علي عليه السلام في ثنايا كلامه ومنها:

أولاً: الاستعارة: نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليه^(٣) وقد استخدم الامام عليه السلام هذا الاسلوب على نطاق واسع.

- قوله عليه السلام: (شقوا امواج الفتن بسفن النجاة... وضعوا تيجان المفاخرة. افلح من نهض بجناح). قال ابن أبي الحديد: (إن احسن الاستعارات ما تضمن مناسبة بين المستعار والمستعار منه كهذه الاستعارات... وذلك لأن الفتن قد تتضاعف وتترادف فحسن تشبيهها بامواج البحر المضطربة. ولما كانت السفن الحقيقية تنجي من امواج البحر. حسن أن يستعار لفظ السفن لما ينجي من الفتن. وكذلك قوله (وضعوا تيجان المفاخرة) لأن التاج لما كان مما يعظم به قدر الانسان استعارة لما يتعظم به الانسان من الافتخار وذكر القديم. وكذلك استعارة النهوض بالجناح لمن اعتزل الناس، كأنه لما نفص يديه عنهم صار

(١) ابن الاثير: المثل السائر ١/ ٥١.

(٢) ابن الاثير: المثل السائر ١/ ٥٧-٨٦.

(٣) ابن رشيق: العمدة ١/ ٢٦٨. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٤٧. ابن الاثير: المثل السائر

١/ ٨٨. الجرجاني: التعريفات ص ١٣.

كالطائر الذي ينهض من الارض بجناحيه^(١).

وأكثر الامام من الاستعارة في خطبه له يصف اصحاب القبور إذ يقول (سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلطت الارض عليهم فيه، فاكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم، فاصبحوا في فجوات قبورهم جمادا لا ينمون، وضمارا لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الاهوال، ولا يجزهم تنكر الأحوال، ولا يحفلون بالرواجف، ولا يأذنون للقواصف، غيبا لا ينتظرون وشهودا لا يحضرون، وإنما كانوا جميعا فشتتوا، والافا فافترقوا، وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم، عميت اخبارهم وصمت ديارهم، ولكنهم سقوا كأسا بدلثهم بالنطق خرسا، وبالسمع صمما، وبالحركات سكونا، فكأنهم في ارتجال الصفة، صرعى سبات، جيران لا يتأنسون، واحياء لا يتزاورون، بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم أسباب الاخاء، فكلهم وحيدا وهم جميع وبجانب الهجر وهم أخلاء)^(٢).

قال ابن أبي الحديد: (هذه كلها استعارات لطيفة مستحسنة)، وإشارته للبرزخ أي الحاجز ويجوز أن يقصد به القبر لأنه حجز بين الميت واهل الدنيا ويجوز أن يقصد به الوقت الذي بين حال الموتى إلى حال النشور. ولفظنا (اكلت الارض من لحومهم وشربت من دمائهم). مستعارتان والمقصود بالفجوة أي الفرجة المتسعة بين الشيين. (وجمادا لا ينمون) أي خرجوا عن صورة الحيوانية إلى صورة الجماد الذي لا ينمى ولا يزيد وقوله: (لا يحفلون بالرواجف) أي لا

(١) الشرح: ٢١٥/١. وانظر نص كلام الإمام عليه السلام، سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٢٨.

(٢) الشرح: ١٥٠/١١.

يكثرثون بالزلزال، وقوله: (ولا يأذنون للقواصف) أي لا يسمعون الاصوات الشديدة، وقوله: (غيبا لا ينتظرون) أي شهود في الصورة وغير حاضرين في المعنى، وقوله: (وبالسمع صمما) أي لم يسمعوا فيها نداء المنادي ولا نوح النائح أو لم يسمع في قبورهم صوت منهم. وقوله: (كأنهم صرعى سبات) وهو النوم حيث لا فرق في الصورة بين الميت حال موته، والنائم المسبوق^(١).

- وقال عليه السلام: (وبادروا للموت وغمراته، وامهدوا له قبل حلوله) فامهدوا له اتخذوا مهادا وهو الفراش^(٢).

- وقال عليه السلام: (وأنا اطمع أن تلتحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشوا إلى ضوئي). شبه به عليه السلام من يلتحق به من أهل الشام بمن يعشوا ليلا إلى النار، وذلك لأن بصائرهم ضعيفة، فهم من الاهتداء بهداه عليه السلام كمن يعيشو ببصر ضعيف إلى النار في الليل^(٣).

- وقوله عليه السلام في الخفافيش: (يقبضها الضياء الباسط لكل شيء، ويسطها الظلام القابض لكل حي، وكيف عشيت أعينها من أن تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها، وتتصل بعلائية برهان الشمس إلى معارفها، وردعها بتلؤلؤ ضيائها، عن المضي في سبحات اشراقها). فعبارة (وتتصل بعلائية برهان الشمس) كلام جيد في مذاهب الاستعارة^(٤).

(١) الشرح: ١١/١٥٤-١٥٥.

(٢) الشرح: ١٣/١١٢.

(٣) الشرح: ٤/١٢-١٣.

(٤) الشرح: ٩/١٨١-١٨٢.

٥٥٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

- قوله عليه السلام: (وجلب اسيا فهم) أي ما جلبته اسيا فهم، وساقته إليهم، والجلب: المال المجلوب، وجناه الثمر ما يجنى منه. وهذه استعارة فصيحة^(١).

- قوله عليه السلام: (من أحدَّ سنان الغضب لله قوَي على قتل اشداء الباطل) وهذه الكلمة تتضمن استعارة تدل على الفصاحة^(٢).

- وفي خطبة الاشباح من حسن الاستعارة وبديع الصنعة ما لا خفاء به كقوله عليه السلام: (ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال). ووجه الاستعارة هنا، كأن الجبال لما اخرجت المعادن، شبهها بولادة الحيوان يتنفس فيخرج من صدره ورتته الهواء، وقوله: (وضحكت عنه الاصداف) أي تفتحت عنه وانشقت، يقال للطلع حيث ينشق: الضحك بفتح الضاد، وانما سمي الضاحك ضاحكا لأنه يفتح فاه^(٣).

وقوله في الخطبة أعلاه: (أنت الله الذي لم تتناه في العقول، فتكون في مهب فكرها مكيِّفاً). فعبارة مهب فكرها استعارة حسنة^(٤).

قال ابن أبي الحديد في نهاية شرحه لهذه الخطبة: (لما تأمل العلماء شعر امريء القيس ووجدوا فيه من الاستعارة بيتا أو بيتين نحو قوله يصف الليل^(٥):

فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ إِعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّكَلٍ

(١) الشرح: ١١/١٣.

(٢) الشرح: ٤٠٥/١٨.

(٣) الشرح: ٤٠٣/٦.

(٤) الشرح: ٤١٣/٦-٤١٥.

(٥) ديوانه ص ١٨.

وقوله (١):

وإن يكُ قد ساءتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ فسَلِّي ثِيَابِي مِن ثِيَابِكِ تَنسَلِي

ولم ينشدوا مثل ذلك في اشعار الجاهلية، حكموا له بأنه امام الشعراء ورئيسهم، وهذا الفصل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام قد اشتمل من الاستعارة العجيبة، وغيرها من ابواب البديع على ما لو كان موجودا في ديوان شاعر مكثر أو مترسل مكثر لكان مستحق التقديم بذلك. ألا تراه كيف وصف الامواج بأنها مستفحلة وأنها ترغو رغاء فحول الابل، ثم جعل الماء جماحا، ثم وصفه بالخضوع وجعل للارض كلكلا، وجعلها واطئة للماء به، ووصف الماء بالذل والاستخذاء لما جعل الارض متمعكة عليه كما يتمعك الحمار أو الفرس وجعل لها كواهل، وجعل للذل حكمة وجعل الماء في حكمه الذل منقاداً أسيراً وساجيا مقهورا، وجعل الماء قد كان ذا نخوة وبأو واعتلاء فردته الارض خاضعا مسكينا، وطأطأت من شموخ انفه وسمو غلوائه وجعلها كأعمة له، وجعل الماء ذا كظة بامتلائه، كما تعتري الكظة المستكثر من الاكل، ثم جعله هامدا بعد أن كانت له نزقات، ولابدا بعد أن كانت له وثبات، ثم جعل الارض اكتافا وعرانين وانوفا وخياشيم، ثم نفى النوم عن وميض البرق وجعل الجنوب مادية درد السحاب، ثم جعل للسحاب صدرا وبوانا، ثم جعل الارض مبتهاجة مسرورة مزدهاة، وجعل لها ريطاً من لباس الزهور وسموطاً تحلى بها (٢).

وأردف ابن أبي الحديد قائلاً: (فيا لله وللعجب من قوم زعموا أن الكلام

(١) ديوانه ص ١٣.

(٢) الشرح: ٦/ ٤٥١-٤٥٢.

٥٥٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

إنما يفضل بعضه بعضا لاشتماله على امثال هذه الصنعة فإذا وجدوا في مائة ورقة كلمتين أو ثلاثا منها، اقاموا القيامة ونفخوا في الصور وملئوا الصحف بالاستحسان لذلك والاستطراف ثم يمرون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعة على الطف وجه، وارصع وجه، وارشق عبارة وادق معنى واحسن مقصد ثم يحملهم الهوى والعصبية على السكوت عن تفضيله إذا اجملوا واحسنوا ولم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه! على أنه لا عجب، فإنه كلام علي عليه السلام وحظ الكلام حظ المتكلم وأشبه امرؤ بعض بزه^(١) ^(٢).

- ومن كلماته التي استخدم فيها الاستعارة قوله: (وخلق الاجال فاطالها وقصرها وقدمها وأخرها، ووصل بالموت اسبابها، وجعله خالجا لأشطانها، وقاطعا لمرائر اقرانها). والقرائن هي الحبال جمع قرن، ومرائر القرائن جمع مرير، وهو ما لطف وطال من الحبال واشتد فتله، وهذا الكلام من باب الاستعارة^(٣).

ثانيا: التجنيس: هو أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى ولا يكون احدهما حقيقة والآخر مجازا، بل يكونان حقيقيين، وهو سبعة اقسام.

منها التجنيس الحقيقي ويسمى (الجناس التام) وهو الذي تتساوى حروف الفاظه في تركيبها ووزنها كقوله تعالى:

(١) قاله سهيل بن عمرو أو ذو الاصبع العدواني. أبو هلال العسكري: جهرة الامثال ٢٥/١،

٥٠٤. ابن نباتة: سرح العيون ص ٢٨٨.

(٢) الشرح: ٤٥٢/٦.

(٣) الشرح: ٢/٧.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾^(١)،^(٢).

ومما ورد من هذا النوع في كلام الإمام علي عليه السلام قوله: (فالبصير منها شاخص والاعمى إليها شاخص). فهو من مستحسن التجنيس فالشاخص الأول الراحل والشاخص الثاني من شخص بصره بالفتح إذا فتح عينيه نحو الشيء مقابلا له، وجعل لا يطرق^(٣). أما الاقسام الستة الاخرى فهي من متشابه التجنيس ولم اجد لها نماذجا في شرح ابن أبي الحديد لكلام الإمام علي عليه السلام^(٤).

ثالثا: البديع: هو المطابقة بين المعاني وهو الجمع بين الشيء وضده كالسواد والبياض، والليل والنهار واسماه ابن الاثير مقابلة لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين، إما يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس ضده. والاول مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض ينقسم إلى قسمين، احدهما مقابلة في اللفظ والمعنى، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ. فمثال المقابلة في اللفظ والمعنى قوله تعالى:

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(٥)

وقول الإمام علي عليه السلام: (إن الحق ثقيل مري، والباطل خفيف وبني، وأنت رجل إن صدقت سخطت وإن كذبت رضيت). مقابل الحق بالباطل والثقيل

(١) سورة الروم، الآية: ٥٥.

(٢) الشرح: ٢٧٦/٨. وانظر ابن رشيق: العمدة ١/٣٢١-٢. ابن الاثير: المثل السائر ١/٣٧٩-٣٨٠.

(٣) الشرح: ٢٧٦/٨.

(٤) ابن الاثير: المثل السائر ١/٣٨٦-٣٩٧.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٨٢.

المري بالخفيف الوبي والصدق بالكذب، والسخط بالرضا. وهذه خمسة مقابلات في هذه الكلمات القصار^(١) وكذلك قوله عليه السلام للخوارج: (كلمة حق أُريد بها باطل)^(٢) وقوله عليه السلام في الخطبة الغراء: (الحمد لله الذي علا بحوله، ودنا بطوله، مانح كل غنيمة وفضل، وكاشف كل عزيمة وازل، احمده على عواطف كرمه، وسوابغ نعمه، وأؤمن به أولاً بادياً، واستهديه قريباً هادياً، واستعينه قاهراً قادراً، واتوكل عليه كافياً ناصراً)^(٣).

هذه الخطبة التي اعتبرها الشريف الرضي من خطب الامام العجبية فيها ضروب من البديع، فمنها ان لفظه (دنا) في مقابلة (علا) لفظاً ومعنى، وكذلك (حوله) و (طوله) ووجه المقابلة بين الحول والطول، لأن الحول هو القوة وهي مشعرة بالسطوة والقهر، ومنه منشأ الانتقام، والطول: الافضال والتكرم وهو نقيض الانتقام والبطش، ومنها ان (مانحا) في وزن (كاشف) و (غنيمة) بازاء (عظيمة) في اللفظ، وضدها في المعنى، وكذلك (فضل) و (ازل) ومنها ان (عواطف) بازاء (سوابغ) و (نعمة) بازاء (كرمه). ومنها -وهو الطف ما يستعمله ارباب هذه الصناعة- أنه جعل قريباً هادياً مع قوله (استهديته) لأن الدليل القريب منك اجدر بأن يهديك من البعيد النازح، ولم يجعله مع قوله (واستعينه) وجعل مع الاستعانة (قاهراً قادراً) لأن القادر القاهر يليق ان يستعان ويستخدم به، ولم يجعله قادراً قاهراً مع التوكل عليه، وجعل مع التوكل

(١) ابن الاثير: المثل السائر ٣/ ١٧١-١٧٣. الجرجاني: التعريفات ص ٨٣.

(٢) ابن الاثير: المثل السائر ٣/ ١٧٣.

(٣) الشرح: ٦/ ٢٤١.

(كافيا ناصرا) لأن الكافي الناصر أهل لأن يتوكل عليه^(١).

وفي قوله عليه السلام: (اتقوا الله تقاة من شمّر تجريدا، وجدّ تشميرا) فلو قال: (وجرد تشميرا) لكان قد أتى بنوع مشهور من انواع البديع لكنه لم يحفل بذلك، وجرى على مقتضى طبعه من البلاغة الخالية من التكلف والتصنع^(٢).

واشتملت خطبته الرقم (٢٣٦) على الكثير من صناعة البديع الرائقة المستحسنة البريئة من التكلف ما لا يخفى^(٣).

ومن انواع البديع (لزوم ما لا يلزم) وهو من اشبق هذه الصناعة مذهبا، وابعدها مسلكا، وذلك لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلزم، فإن اللازم في هذا الموضع وما جرى مجراه إنما هو للسجع الذي هو تساوي اجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها، وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا^(٤).

وفي ذلك قوله عليه السلام: (أحمدته استتما لنعتمته... فإنه ارجح ما وزن وأفضل ما خزن) فلفظتنا وزن وخزن بلزوم الزاي من باب لزوم ما لا يلزم^(٥).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول على أن فن البديع لا يوجد منه في كلام غير

(١) الشرح: ٢٤٢/٦-٢٤٣.

(٢) الشرح: ٣٠/١٩.

(٣) الشرح: ١١٤/١٣.

(٤) الشرح: ١٣٣/١. وانظر: ابن الاثير: المثل السائر ١/٤٠١-٢. وقد وضع أبو العلاء المعري

كتابا تحت عنوان (لزوم ما لا يلزم) جاء فيه بالجيد والرديء. الشرح: ١/١٣٥. المثل السائر:

١/٤٠٢. وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٩٦١.

(٥) الشرح: ١/١٣٣.

٥٦٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الإمام ممن تقدمه الا الفاظا يسيرة غير مقصودة، ولكنها واقعة بالاتفاق كما وقع التجنيس في القرآن العزيز اتفاقا غير مقصود كقوله تعالى:

﴿يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوسُفَ﴾^(١).

وقوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾^(٢).

على أنها ليست مقابلة في المعنى بل في اللفظ فقط^(٣).

ويقول باحث معاصر عن موقف ابن أبي الحديد من البديع عند الإمام علي: (يبدو ان موقفه من الإمام علي عليه السلام في جعله امام ارباب صنعة البديع، موقف نقدي انفرد به عن سبقه من النقاد)^(٤).

رابعا: الكناية: هي من اقسام المجاز، وهي ابدال لفظة عرض في النطق بها مانع بلفظة لا مانع من النطق بها^(٥). لقوله عليه السلام في الخوارج: (إنهم نطف في اصلاب الرجال وقرارات النساء) فإنه لما وجد الناس قد تواضعوا على استهجان لفظة (ارحام النساء) استخدم لفظة قرارات النساء كناية عن الارحام^(٦). وقوله عليه السلام: (فالتمسوا ذلك عند أهله) كناية عن نفسه عليه السلام حيث كان عليه السلام كثيرا

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٧.

(٣) الشرح: ٣٠ / ١٩.

(٤) حسن حميد محسن فياض: ابن أبي الحديد ناقداً. ص ٦٠-٦١.

(٥) الشرح: ١٥ / ٥، ٥٩. ابن رشيق: العمدة ١ / ٣١٣. ابن الاثير: المثل السائر ٣ / ٥٩، ٨٣.

الجرجاني: التعريفات ص ٩٩.

(٦) الشرح: ٥ / ٥٩.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٦٣

ما يسلك هذا المسلك ويعرض هذا التعريض وهو الصادق الأمين العارف بالأسرار الإلهية^(١) وقوله عليه السلام: (أحمدته استتماماً لنعمته، واستسلاماً لعزته، واستعصاماً من معصيته) فالفاظ (إستتماماً، إستسلاماً، إستعصاماً) من لطيف الكناية وبديعها، فسبحان من خصه بالفضائل التي لا تنتهي السنة الفصحاء إلى وصفها، وجعله امام كل ذي علم، وقدوة كل صاحب خصيصة^(٢).

خامساً: الاعتراض: هو كل كلام ادخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقى الأول على حاله^(٣). كقوله عليه السلام: (الا وفي غد- وسيأتي غد بما لا تعرفون- يأخذ الوالي من غيرها عما لها على مساوى اعمالها).

فقوله عليه السلام: (الا وفي غد) تمامه (يأخذ الوالي). وبين الكلام جملة اعتراضية وهي قوله (وسيأتي غد بما لا تعرفون) والمراد تعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه^(٤).

وقوله عليه السلام: (يتنافسون في دنيا دنية، ويتكالبون على جيفة مريجة، وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون عند اللقاء، ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف، والقاصمة الزحوف...)^(٥).

لما ذكر عليه السلام تنافس الناس على الجيفة المنتنة وهي الدنيا، أراد أن يقول بعدها

(١) الشرح: ١٠٧/٩.

(٢) الشرح: ١٣٣/١.

(٣) الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٦١. ابن الاثير: المثل السائر ٤٧/٣. الجرجاني: التعريفات ص ١٨.

(٤) الشرح: ٤١-٤٢/٩.

(٥) الشرح: ١٣٧/٩.

بلا فصل (ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف) لكنه عليه السلام لما تعجب من تزامم الناس وتكالبهم على تلك الجيفة، أراد أن يؤكد ذلك التعجب، فجاء بجملته اعتراضية بين الكلاميين، لتأكيد معنى تعجبهم منهم، فقال: إنهم على ما قد ذكرنا من تكالبهم عليها، عن قليل يتبرأ بعضهم من بعض، ويلعن بعضهم بعضا، وذلك أدعى لهم لو كانوا يعقلون- إلى أن يتركوا التكالب والتهارش على هذه الجيفة الخسيسة، ثم عاد عليه السلام إلى نظام الكلام فقال: (ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف)^(١).

سادسا: التلخص: هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه، فيكون بعضه آخذ برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما افرغ افرغا. وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه من اجل ان نطاق الكلام يضيف عليه، ويكون متبعا للوزن والقافية، فلا تواتيه الالفاظ على حسب ارادته، واما الناثر فهو مطلق العنان يمضي حيث شاء، فلذلك يشق التلخص على الشاعر أكثر من الناثر^(٢).

ومما جاء في كلام الإمام عليه السلام قوله في ذكر ملك الموت: (هل يحس به إذا دخل منزلا، أم هل تراه إذا توفي أحدا! بل كيف يتوفى الجنين في بطن امه! ايلج عليه من بعض جوارحها، أم الروح اجابته بإذن ربها، أم هو ساكن معه في احشائها!)^(٣).

(١) الشرح: ١٤٢/٩.

(٢) ابن الاثير: المثل السائر ٣/١٤٧.

(٣) الشرح: ٢٣٧/٧.

ثم خرج عليه السلام لأمر آخر أعظم وأشرف مما ابتدأ به، فقال: (كيف يصف الهه من يعجز عن وصف مخلوق مثله!). وإلى هذا الغرض كان يترامى، وإياه كان يقصد وإنما مهَّد حديث الملك والجنين توطئه لهذا المعنى الشريف، والسر الدقيق)^(١).

سابعاً: الالتفات: هو الانتقال في الكلام من صيغة إلى صيغة كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ، ويسمى (شجاعة عربية) لأن الشجاعة هي الإقدام، والرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، وكذلك الالتفات في الكلام فإن اللغة العربية تختص به دون باقي اللغات^(٢).

ومما ورد في كلام الإمام قوله عليه السلام: في توحيد الله تعالى: (كل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فعليه منقلبه) ثم انتقل من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب، فقال: (لم ترك العيون، فتخير عنك، بل كنت قبل الواصفين من خلقتك)^(٣).

ثامناً: باب حسن التوصيل بإيراد كلام غير مزعج، عوضاً عن لفظ يتضمن جبهاً وتقرباً، كقوله عليه السلام لأصحابه: (وقد رأيت جولتكم، وانحيازكم عن صفوفكم). فمراد الامام من جولتكم أي هزيمتكم، فأجمل عليه السلام في اللفظ وكنى

(١) الشرح: ٢٣٩/٧.

(٢) الشرح: ١٨١/٢. أنظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٦٠. ابن رشيقي: العمدة ٤٥/٢-٤٧.

ابن الاثير: المثل السائر ٨١/٢. الجرجاني: التعريفات ص ٢٠.

(٣) الشرح: ١٩٤-١٩٦/٧.

عن اللفظ المنفر، عادلا عنه إلى لفظ لا تنفير فيه، وكذلك قوله عليه السلام: وانحيازكم عن صفوفكم، كناية عن الهرب أيضاً، وهو مأخوذ من قوله تعالى:

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾^(١).

تاسعاً: الاستدراج: هو استمالة واستدراج المقابل إلى الاذعان والتسليم، ويرى ابن الاثير أن مدار البلاغة كلها عليه لأنه لا انتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة، دون أن تكون مجلية لبلوغ غرض المخاطب بها^(٢).

ومثال ذلك قول الامام لابن عباس لما ارسله للزبير: (يقول لك ابن خالك عرفني بالحجاز، وانكرتني بالعراق) وهو لطيف جدا من باب الاستمالة والاذكار بالنسب والرحم^(٣).

عاشراً: السجع: هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد، مثل (الغريب، القريب، النسب)^(٤)، وقد جاء السجع في كلام الإمام علي عليه السلام كقوله: (وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للانام، يردونه ورود الانعام، ويوهون إليه وله الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، واذعانهم لعزته، واختار من خلقه سماعاً اجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، ويجرزون الارباح في متجر عبادته، ويتبادرون إليه موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للاسلام علماً،

(١) سورة الانفال، الآية: ١٦.

(٢) ابن الاثير: المثل السائر ٢/٢٥٩.

(٣) الشرح: ٢/١٦٢-٣، ١٧٠.

(٤) الشرح: ٣/١٥٤. ابن الاثير: المثل السائر ١/٣٠٨. الجرجاني: التعريفات ص ٦٣.

وللعائدين حرما، وفرض حقه، واوجب حجه، وكتب عليكم وفادته^(١).

تجدر الاشارة إلى أن هناك من عاب السجع^(٢)، لأن الخطب الخالية منه برأيهم هي المستحسنة والخالية من التكلف، وهي خطب العرب كخطبة النبي ﷺ في حجة الوداع. ولكن إذا كان السجع عيبا لكان كلام الله (القرآن) معيبا لأنه مسجوع كله ذو قرائن وفواصل، ويكفي هذا دليلا في بطلان ما ذهب إليه هؤلاء، وكذلك فإن خطب الرسول ﷺ اكثرها مسجوع، كقوله ﷺ (ان مع العز ذلا، وان مع الحياة موتا، وإن مع الدنيا اخرة، وإن لكل شيء حسابا، ولكل حسنة ثوابا، ولكل سيئة عقابا، وإن على كل شيء رقيبا، وإنه لا بد من قرين يدفن معك هو حي وأنت ميت، فإن كان كريما اكرمك، وإن كان لثيما اسلمك، ثم لا يحشر إلا معك، ولا تبعث إلا معه، ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله الا صالحا، فانه ان صلح انست به، وإن فسد لم تستوحش إلا منه، وهو عمالك)^(٣).

فالملاحظ أن كلام النبي ﷺ أعلاه اكثره مسجوع، اما بالنسبة إلى السجع المذموم من التكلف فهو الذي تظهر سماجته وثقله للسامعين، في حين لا عيب في التكلف المستحسن، فالملاحظ أن الشعر لا بد فيه من تكلف اقامة الوزن، وليس يوجد من يطعن في ذلك. وكان مما احتج به عائبو السجع قوله ﷺ: (اسجعا كسجع الكهان) فقالوا: لولا أن السجع منكر لما انكر ﷺ سجع الكهان وامثاله والواقع أنه عليه السلام أنكر سجع الكهان لا مطلق السجع، وكان ﷺ قد ابطال الكهانة والتنجيم والسحر، ونهى عنها، ولو كان ﷺ أنكر السجع مطلقا لما قاله

(١) الشرح: ١/١٢٣.

(٢) ابن الاثير: المثل السائر ١/٣٠٨.

(٣) الشرح: ١/١٢٦-١٢٨.

كما هو واضح في خطبته أعلاه^(١).

حادي عشر: الموازنة: وهي أن تكون الفاظ الفواصل من الكلام المنشور، متساوية في الوزن وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه تساوي الالفاظ وزنا، والموازنة اخت السجع في المعادلة دون المماثلة، لأن في السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهي تماثل اجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد واما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع، ولا تماثل في فواصلها، فيقال إذا: (كل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعا) وعلى هذا فالسجع اخص من الموازنة^(٢). والموازنة مطلوبة في الكلام الذي يقصد فيه الفصاحة لأجل الاعتدال الذي هو مطلوب الطبع في جميع الاشياء^(٣).

ومثال الموازنة في القرآن قوله تعالى:

﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤).

وقوله:

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا * أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوَزُّهُمْ أَرُزًّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾^(٥)،^(٦).

(١) الشرح ١٢٨/١-١٢٩.

(٢) الشرح: ٣/١٥٤. ابن الاثير: المثل السائر ١/٤١٤-٤١٥. الجرجاني: التعريفات ص ١٢٤.

(٣) الشرح: ٣/١٥٤.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١١٨.

(٥) سورة مريم، الآيات ٨١-٨٤.

(٦) الشرح: ٣/١٥٤. ابن الاثير: المثل السائر ١/٤١٥.

اما في كلام الإمام عليه السلام ففي الخطبة رقم (٤٥) جاء بألفاظ (غير منقوطة) موازنا بلفظه (ولا مخلو) فكل واحدة منهما على وزن مفعول ولفظة (ولا مئوس) على وزن مفعول، لكنه في الفقرة الرابعة لم يمكنه من الاتيان بلفظه ما يمكنه في الاولى ف جاء بلفظه (ولا مستنكف) على وزن مستفعل وهو وإن كان خارجا عن الوزن، لكنه غير خارج عن المفعولية لأن (مستفعل) مفعول في الحقيقة، كقولك: (زيد مستحسن)، ثم وازن عليه بين قوله (لا تبرح) وقوله (لا تفقد) وبين (رحمة) و (نعمة) فاعطت هذه الموازات الكلام من الطلاوة والصنعة ما لا نجده عليه لو قال: (الحمد لله غير مخلو من نعمته، ولا مبعد من رحمته) لأن (مبعد) بوزن (مفعل) وهو غير مطابق، ولا مماثل لمفعول، بل هو بناء آخر، وكذلك لو قال: (لا تزول منه رحمة) فإن (تزول) ليست في المماثلة والموازنة لـ (تفقد) كـ (تبرح) حيث أنها معتلة، وتلك صحيحة! وكذلك لو قال: (لا تبرح منه رحمة ولا يفقد له إنعام) فإن (إنعام) ليس في وزن (رحمة) (١).

ثاني عشر: التقسيم: هو ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده من غير أن يترك منها قسم واحد، وإذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه. ولم يشارك غيره، فتارة يكون التقسيم بلفظة (إما) وتارة بلفظة (بين) كقولنا: (بين كذا وكذا) وتارة بلفظ (منهم) كقولنا (كذا ومنهم كذا) وتارة بأن يذكر العدد المراد أولا بالذكر ثم يقسم، كقولنا (فانشعب القوم شعبا اربعا، فشعبة ذهبت يمينا، وشعبة ذهبت شمالا، وشعبة وقفت بمكانها، وشعبة رجعت إلى ورائها) ومما جاء في القرآن من التقسيم (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم

نفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات^(١) (٢).

ومما جاء في كلام الإمام عليه السلام قوله: (طبيب دوار بطبه، قد احكم مراهمه، واحمى مراسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عمي، وأذان صم، والسنة بكم، متتبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة).

وهذا التقسيم صحيح حاصر، لأن الضلال ومخالفة الحق يكون بثلاثة امور: اما بجهل القلب، أو بعدم سماع المواعظ والحجج، أو بالامسك عن شهادة التوحيد وتلاوة الذكر، فهذه الضلال^(٣).

وقال عليه السلام في ذكر ملك الموت وكيفية قبضه لروح الجنين في بطن امه: (يلج عليه من بعض جوارحها، أم الروح اجابته بإذن ربه، أم هو ساكن معه في احشائها!). وهذا التقسيم حاصر لأنه مع فرضنا إياه جسماً يقبض الارواح التي في الاجسام، اما أن يكون مع الجنين في جوف امه لقبض روحه عند حضور اجله أو خارجاً عنها، والقسم الثاني ينقسم قسمين احدهما أن يلج جوف أمه لقبض روحه فيقبضها. والثاني: أن يقبضها من غير حاجة إلى الولوج إلى جوفها. وذلك بان تطيعه الروح وتكون مسخرة إذا إراد قبضها امتدت إليه فقبضها. وهذه القسمة لا يمكن الزيادة عليها، ولو قسمها واضع المنطق لما زاد^(٤).

ثالث عشر: التكرار: هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً وينقسم على قسمين

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٢) الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٤٨. ابن الاثير: المثل السائر ٣/ ١٩٥. الجرجاني: التعريفات ص ٣٤.

(٣) الشرح: ٧/ ١٨٣-١٨٤.

(٤) الشرح: ٧/ ٢٣٧-٢٣٩.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٧١

يوجد في اللفظ والمعنى، كقولك لمن تستدعيه (اسرع اسرع) والثاني يوجد في المعنى دون اللفظ، كقولك (اطعني ولا تعصني) فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية فحصل التكرار^(١).

وقد اشتبه ذلك على البعض وتصوروا أنه اطناب أو تطويل^(٢) كما أخذ على الإمام عليه السلام في ذكره كلمة الاجل مرتين، والملاحظ أنه عليه السلام استعمل هذه اللفظة في موضعين مختلفين المعنى، فقوله (استقربوا الاجل) يعني المدة وقوله: (فلاحظوا الاجل) يعني الموت^(٣).

رابع عشر: الامثال: المثل هو الشبه، لأن المثل يقارن بين الحادثة موضع الكلام وبين الحادثة التي ضرب من اجلها المثل^(٤).

أشار ابن أبي الحديد أن الإمام علياً عليه السلام سبق لاختراع ثلاثة امثال وإن كان قد سبق بمعناها، وهي قوله: (لا تجتمع عزيمة ووليمة) و (ما انقض النوم لعزائم اليوم) (أحى الظلم لتذاكير المهم)^(٥).

أورد الامام عليه السلام الغريب^(٦) من الالفاظ في كلماته ولما كان الشريف الرضي لم يورد الا القليل^(٧)، فأثر ابن أبي الحديد أن ينقل ما أثر من غريب كلام الإمام

(١) ابن رشيقي: العمدة ٢/٧٣-٧٨. ابن الاثير: المثل السائر ٣/٧. الجرجاني: التعريفات ص ٣٥.

(٢) ابن الاثير: المثل السائر ٣/٧.

(٣) الشرح ٧/٢٥٥.

(٤) ابن رشيقي: العمدة ١/٢٧٧-٢٨٦.

(٥) الشرح: ١١/١٤٣.

(٦) كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال. الجرجاني: التعريفات ص ٨٦.

(٧) نهج البلاغة ٥١٧-٥٢٠. الشرح: ١٩/١١٧.

٥٧٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

من المصنفات السابقة للشريف الرضي ككتاب غريب الحديثين لأبي عبيد القاسم بن سلام^(١) وكتاب غريب الحديث لابن قتيبة^(٢). فعلى سبيل المثال قوله عليه السلام (والله لا أكون كالضبع تسمع اللدم حتى تخرج فتصاد)، واللدم صوت الحجر^(٣) وقوله عليه السلام: (لا جمعة ولا تشريق الا في مصر جامع). والتشريق صلاة العيد لأنها بعد شروق الشمس^(٤).

وقد حفل كلام الإمام علي عليه السلام بكثير من المواعظ^(٥) الزهدية والزواجر الدينية، ففي شرحه للخطبة رقم (٢١٦) قال ابن أبي الحديد: (هذا موضع المثل - ملعا يا ظليم والا فالتخوية^(٦)) - من أراد أن يعظ ويخوف، ويقرع صفاة القلب، ويعرف الناس قدر الدنيا وتصرفها باهلها، فليأت بمثل هذه الموعدة في مثل هذا الكلام الفصيح، والا فليمسك، فإن السكوت استر، والعبي خير من منطلق يفضح صاحبه، ومن تأمل هذا الفصل علم صدق معاوية في قوله فيه: (والله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره) وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس، وتلى عليهم أن يسجدوا كما سجد الشعراء لقول عدي بن الرقاع قلم اصاب من الدواة مدادها^(٧)

(١) غريب الحديثين: ١٢٩/٢-١٥٩.

(٢) غريب الحديث: ٨٨/٢-١٥١.

(٣) الشرح: ١١٧/١٩. وانظر أبو عبيد: غريب الحديثين: ١٣٠/٢.

(٤) الشرح: ١٢٠/١٩. وانظر أبو عبيد: غريب الحديثين: ١٣٩/٢.

(٥) الوعظ: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب. الجرجاني: التعريفات ص ١٢٣-١٣٢.

(٦) لم اجد معنى هذا المثل في كتب الامثال.

(٧) لم اجده في ديوانه.

فلما قيل لهم في ذلك قالوا: إنا نعرف مواضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن^(١).

وقال أيضاً: (واقسم بمن تقسم به الامم كلها، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من الف مرة، ما قرأتها قط الا واحداثت عندي روعة وخوفا وعظمة، واثرت في قلبي وجيبيا، وفي اعضائي رعدة، ولا تأملتها الا وذكرت الموت من اهلي واقاربي، وارباب ودي، وخيلت في نفسي اني أنا ذلك الشخص الذي وصف عليه حاله)^(٢).

وأردف قائلاً: (وكم قد قال الواعظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى! وكم وقفت على ما قالوه وتكرر وقوفي عليه! فلم اجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي، فإما أن يكون ذلك لعقيدتي في قائله، أو كانت نية القائل صالحة، ويقينه كان ثابتا، واخلاصه كان محضاً خالصاً، فكان تأثير قوله في النفوس أعظم، وسريان موعظته في القلوب ابغ)^(٣).

ولما قرأ ابن أبي الحديد- في أيام صباه- وصية الإمام علي عليه السلام لولده الحسن على ابن الفرج محمد بن عباد^(٤)، حيث كان ابن أبي الحديد يحفظها، وقد تضمنت من المواعظ، فلما وصل إلى قوله عليه السلام (رويدا يسفر الظلام كأن قد وردت الاضعان! يوشك من اسرع أن يلحق!) فصاح أبو الفرج صيحة شديدة

(١) الشرح: ١١/١٥٢-١٥٣.

(٢) الشرح: ١١/١٥٣.

(٣) الشرح: ١١/١٥٣-١٥٤.

(٤) لم اعثر على ترجمته.

وسقط، وكان جبارا قاسي القلب^(١).

واستنكر ابن أبي الحديد شغف الناس في المواعظ بابن الشخباء العسقلاني^(٢) وهو كاتب محدث، وأورد له ابن أبي الحديد احسن ما وجدته له (ليعلم الفرق بين الكلام الاصيل والمولد) وعلق قائلا: (هذه احسن خطبة خطبها هذا الكاتب، وهي كما تراها ظاهرة التكلف بينة التوليد، تخطب على نفسها)^(٣).

إذن فرجل الوعظ المسلم الذي يريد أن يكون واسع الافاق محتاج إلى نهج البلاغة وإن لم يفعل فإنه ظلّام لنفسه، قليل الاحترام لعقله^(٤).

في الواقع إن كلامه عليه السلام الوارد في النهج ما هو الا شيء قليل جمعه الشريف الرضي لأنه كان يقصد إلى النادر من الفصيح من كلام الإمام، ولو أورد كل كلامه لجاء اضعاف كتاب النهج^(٥)، وقد أشار البحراني أحد شراح النهج: (قال قطب الدين الراوندي رحمه الله: سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول: إني وجدت بمصر مجموعا من كلام علي عليه السلام في نيف وعشرين مجلدا)^(٦).

لذا حاول ابن أبي الحديد أن يجمع ما استطاع من كلام الإمام وخطبه وقصار كلماته في ثنايا شرحه للنهج وفي ختامه للشرح قال: (ونحن الآن

(١) الشرح: ٩٠-٩١/٦.

(٢) هو الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني ت ٤٨٢ هـ له خطب ورسائل وديوان شعر، قتل بالقاهرة مسجوناً. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٢/٨٩-٩١.

(٣) الشرح: ١٠/١٢٦-١٢٧.

(٤) العزيزي: الإمام علي ص ٢٢٨.

(٥) الشرح: ٣/١٥٣.

(٦) البحراني: شرح نهج البلاغة ١/١٠١.

ذاكرون ما لم يذكره الرضي مما نسبه قوم إليه، فبعضه مشهور عنه، وبعضه ليس بذلك المشهور، لكنه قد روي عنه وعزي إليه، وبعضه من كلام غيره من الحكماء، ولكنه كالنظير لكلامه والمضارع لحكمته، ولما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافعة رأينا الانخلي هذا الكتاب منه، لأنه كالتكملة والتتمة لكتاب نهج البلاغة وقد عددنا ذلك كله فوجدناه الف كلمة) لكنه أورد ٩٩٨ فقط^(١).

إن هذه الفصاحة اصبحت موضع استشهاد واقتباس الاخرين لاشتقاق كلام آخر منها، فقد أورد المبرد خطبة لاعرابي هي في الواقع من خطب الإمام علي عليه السلام وكان هذا الاعرابي يحفظها^(٢). واقتبس زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف من الفاظ الامام في خطبه^(٣). واخذ عبد الله بن الزبير قوله عليه السلام: (لوددت والله ان معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم). فقال ابن الزبير على هذا المنوال: (فوالله لوددت ان لي بكل عشرة من أهل العراق واحدا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم).^(٤) واقتبس من كلامه أيضاً (اطرح عنك واردات الهمم بحسن الصبر وكرم العزاء) فقال ابن الزبير لما بلغه مقتل مصعب: (لقد جاءنا من العراق خبر احزننا واسرنا، جاءنا خبر مقتل مصعب فاما سرورنا فلأن ذلك كان له شهادة، وكان لنا إن شاء الله خيرة، واما الحزن فلوعة يجدها الحميم عند فراقه حميمه، ثم يرعوي بعدها ذوي الرأي إلى حسن الصبر وكرم العزاء)^(٥).

(١) الشرح: ٢٠/٢٥٢-٣٤٩.

(٢) الشرح: ١١/٣-٤. وانظر المبرد: الكامل في اللغة والادب ٤/١٠٨.

(٣) الشرح: ١/٢٧٨-٢٧٩.

(٤) الشرح: ٧/٥٧.

(٥) الشرح: ١٦/١١٧.

٥٧٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

واخذ الفرزدق قوله عليه السلام: (وصار دين احدكم لعقة على لسانه) فقال للإمام الحسين عليه السلام (اما قلوبهم فمعك واما سيوفهم فعليك، والدين لعقة على السنتهم، فإذا محصوا قل الديانون) (١).

واخذ يزيد بن المهلب (٢) لفظ الامام: «اعر الله جمجتك» فقال: «اعيروني سواعدكم ساعة» (٣). ونظر الحسن البصري إلى قوله عليه السلام: «من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن». فقال في مولود له: «لا مرحباً بمن إن كان غنياً فتنني، وإن كان فقيراً احزنني، وإن عاش كدني، وإن مات هدني» (٤). واخذ أيضاً قوله عليه السلام: «ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه، فإن في الله خلقاً من غيره، وليس من الله خلق في غيره». فقال لعمر بن هبيرة (٥) امير العراق: «إن الله مانعك من يزيد، ولم يمنعك يزيد من الله» (٦).

واخذ الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك: قوله عليه السلام: «على اثر الماضي من يمضي الباقي» فقال بعد موت مسلمة بن عبد الملك: «إن عقبي من بقي لحوق من مضى، وقد افتقد بعد مسلمة الصيد لمن رمى، واختل الثغر

(١) الشرح: ٢٤٩/٧.

(٢) هو أحد الامراء الأمويين في العراق والمشرق، ولكنه بعد ذلك ثار على يزيد بن عبد الملك وقتل في حروبه مع مسلمة بن عبد الملك. سنة ١٠٢هـ. الشرح ٤/١٤٤-٢٢٥. أنظر: اليعقوبي: تاريخ ٣/٤٤. الطبري: تاريخ ٦/٣٢٥-٦٠٤. صفحات متفرقة.

(٣) الشرح ١/٢٤٢.

(٤) الشرح ٦/٢٣٩.

(٥) هو أحد الامراء الأمويين، تولى العراق وخرسان والجزيرة. توفي سنة ١١٠هـ. أنظر الطبري: تاريخ ٦/٢٩٦-٩، ٥٢٣-٦٢٢، ٧/١٠-٤٠.

(٦) الشرح ١٥/١٦٧-١٦٨.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٧٧

فوهى، وارتج الطود فهوى، وعلى اثر من سلف ما يمضي من خلف، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى»^(١).

ومن دعائه عليه السلام: «اللهم إنا نشكو اليك غيبة نبينا، وكثرة عدونا وتشتت اهواءنا». اخذه سديف مولى أبي جعفر المنصور فقال: «اللهم أنا نشكو اليك غيبة نبينا، وتشتت اهوائنا، وما شملنا من زيغ الفتن، واستولى علينا من غشوة الحيرة، حتى عاد فيئنا دولة بعد القسمة». وقد وجد ابن أبي الحديد هذا الدعاء منسوباً إلى علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام^(٢)، ولعله من كلامه وكان سديف يدعو به^(٣).

ومن قوله «لا مرحباً بوجوه لا ترى الا عند كل سوء» اخذه المستعين بالله فقال لما دخل عليه ابن أبي الشوارب القاضي ومعه الشهود ليشهدوا عليه أنه قد خلع نفسه من الخلافة وباع للمعتز فقال: «لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى الا يوم سوء»^(٤).

واشهر من اقتبس من كلام الإمام عليه السلام، الخطيب عبد الرحيم بن نباته الذي قال: «حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الانفاق الا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب»^(٥). وقد أخذ من خطبة الامام رقم (٢٣٦) الكثير من الفاظها، وادعها خطبه، كقوله عليه السلام: «شديد كلبها، عال لجبها،

(١) الشرح ٨٣/٧.

(٢) لم اعثر عليه في الصحيفة السجادية.

(٣) الشرح ١١٢/١٥-١١٣.

(٤) الشرح ٢٠/١٩.

(٥) الشرح ٢٤/١.

٥٧٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ساطع لهبها، متغيظ زفيرها، متأجج سعيرها، بعيد خمودها، ذاك وقودها، مخوف وعيدها، عم قرارها، مظلمة اقطارها، حامية قدورها، فظيعة امورها». «فإن هذه الالفاظ كلها قد اختطفها، واغار عليها واغتصبها، وسمّط فيها خطبه، وشدّرها بكلامه»^(١).

واستفاد ابن نباته من قوله عليه السلام: «فلو مثلتهم بعقلك، أو كشف عنهم محبوب الغطاء لك». اخذه وقال: «فلو كشفتم عنهم اغطية الاجداث، بعد ليلتين أو ثلاث، لوجدتم الاحداق على الحدود سائلة، والالوان من ضيق اللحد حائلة، وهوام الارض في نواعم الابدان جائلة، والرؤوس الموسدة على الإيوان زائلة، ينكرها من كان لها عارفاً، ويفر عنها من لم يزل لها آلفاً»^(٢).

كان ابن نباته ملازماً لسيف الدولة^(٣) لذا كثرت خطبه في الجهاد، وكانت مشابهة لخطب الامام عليه السلام، إلا أن هناك فرقاً في بلاغة الامام عن ابن نباته، فحينما أورد ابن أبي الحديد خطبة ابن نباته في الجهاد^(٤) علق قائلاً: «هذه آخر خطبة ابن نباته، فانظر إليها وإلى خطبته عليه السلام بعين الانصاف، تجدها بالنسبة إليها كمخث إلى فحل، أو كسيف من رصاص بالاضافة إلى سيف من حديد، وانظر

(١) الشرح ١١٤/١٣.

(٢) الشرح ١٦٢/١١.

(٣) هو الامير علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الملقب بسيف الدولة (٣٠٣-٣٥٦)، عرف بالشجاعة وكثرة وقائعه مع الروم البيزنطيين. أنظر الثعالبي: يتميه الدهر ١/٣٧-٥٦. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٣/٤٠١-٤٠٦.

(٤) الشرح ٨٠-٨٢. وقارن خطبته بخطبة للامام. الشرح ٢/٧٤-٥. الجاحظ: البيان والتبيين

ما عليها من اثر التوليد، وشين التكليف، وفجاجة كثير من الالفاظ، ألا ترى إلى فجاجة قوله «كأن أسماعكم تمج ودائع الوعظ، وكأن قلوبكم بها استكبار على الحفظ». وكذلك ليس يخفى نزول قوله: «تندون من عدوكم نديد الابل، وتدرعون له مدارع العجز والفشل»^(١).

وفضلاً عن أن خطبة ابن نباته. يغلب عليها التوليد والتكلف، فإن الفاظها مسروقة من كلام امير المؤمنين عليه السلام: «ألا ترى إلى قوله عليه السلام: أما بعد فإن الجهاد باب من ابواب الجنة. وقد سرقه ابن نباته فقال: فإن الجهاد اثبت قواعد الإيمان، واوسع ابواب الرضوان، وارفع درجات الجنان. وقوله - عليه السلام -: من اجتمع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم. سرقه أيضاً، فقال: صرخ بهم الشيطان إلى باطله فجابوه، وندبكم الرحمان إلى حقه فخالتموه. وقوله عليه السلام: قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ... إلى آخره، سرقه أيضاً فقال: كم تسمعون الذكر فلا تعقلون! وتقرعون بالزجر فلا تقلعون، وقوله عليه السلام: حتى شنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الاوطان. سرقه أيضاً وقال: وعدوكم يعمل في دياركم عمله، ويبلغ بتخلفكم عن جهاده امله»^(٢).

ثم أكد ابن أبي الحديد أن باقي خطب ابن نباته مسروقة أيضاً من خطب أخرى للإمام ثم اوضح مقياساً للتمييز بين كلام الإمام عليه السلام وغيره قائلاً: «نسبة شعر أبي تمام والبحثري وابي نؤاس ومسلم^(٣) إلى شعر امريء القيس

(١) الشرح ٨٢/٢.

(٢) الشرح ٨٢/٢.

(٣) شعراء من العصر العباسي. أنظر تراجمهم في: ابن المعتز: طبقات الشعراء ص ١٩٣-٢١٧،

والنابغة وزهير والاعشى^(١)، هلا إذا تأملت اشعار هؤلاء واشعار هؤلاء، تجد نفسك حاكمة بتساوي القبيلتين! وبفضل أبي نؤاس واصحابه عليهم؟ ما اظن أن ذلك مما تقوله أنت ولا قاله غيرك، ولا يقوله الا من لا يعرف علم البيان، وماهية الفصاحة، وكنه البلاغة، وفضيلة المطبوع على المصنوع، ومزية المتقدم على المتأخر، فإذا اقررت من نفسك بالفرق والفضل، وعرفت فضل الفاضل ونقص الناقص، فأعلم أن نسبة كلام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هؤلاء هذه النسبة، بل اظهر، لأنك تجد في شعر امريء القيس واصحابه من التعجرف. والكلام الحوشي، واللفظ الغريب المستكره شيئاً كثيراً، ولا تجد من ذلك في كلام امير المؤمنين عليه السلام شيئاً، وأكثر فساد الكلام ونزوله إنما هو باستعمال ذلك»^(٢).

وأضاف قائلاً: «فان شئت ان تزداد استبصاراً فانظر إلى القرآن العزيز وأعلم أن الناس قد اتفقوا على أنه في أعلى طبقات الفصاحة، وتأمله تأملاً شافياً، وانظر إلى ما خصّ به من مزية الفصاحة والبعد عن التعجير والتعقيب^(٣)، والكلام الحوشي الغريب، وانظر كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فإنك تجده مشتقاً من الفاظه، ومقتضباً من معانيه ومذاهبه، ومحدوياً به حذوه، ومسلكاً به في منهاجه، فهو وإن لم يكن نظيراً ولا نداً، يصلح أن يقال أنه ليس بعده كلام افصح منه، ولا أجزل، ولا اعلى ولا افخم ولا انبل، إلا أن يكون كلام ابن عمه عليه السلام، وهذا أمر لا يعلمه الا من ثبتت له قدم راسخة في علم هذه الصناعة، وليس كل الناس يصلح لانتقاد

(١) شعراء من عصر ما قبل الإسلام. أنظر معلقاتهم، وتراجمهم في ابن قتيبة: الشعر والشعراء

١/٤٨-٨٨، ٩٢-١٠٩، ١٧٨-١٨٦.

(٢) الشرح: ٢/٨٣.

(٣) أي التعمق في الكلام والتشدد به. أنظر الجوهري: الصحاح ١/٢٠٤، ٢/٧٩٧.

الجوهر، بل ولا لانتقاد الذهب، ولكل صناعة أهل، ولكل عمل رجال»^(١).

ثم أورد ابن أبي الحديد خطبة أخرى لابن نباته في الجهاد، واخذ يقارن بينها وبين خطب الامام داعياً القارئ للتأمل حيث أن ابن نباته، وإن كان قد أخذ من صناعة البديع بنصيب، لكنه بالمقارنة مع بلاغة الامام نجد كلامه في حضيض الارض بينما كلام الإمام في اوج السماء، فلو قورن ما جاء في استخدام ابن نباته لزوم ما لا يلزم الذي نجده فيه مقتدراً قوة وكتابة نحو قوله «كنز» بازاء «حوز» و «عز» وقوله «مشاهدة» بازاء «مجاهدة» و «مغالبة» بازاء «محرابة» و «وحدوده» بازاء «تشيده»^(٢).

لكن هذا الكلام إذا قورن بكلام الإمام علي عليه السلام يكون كدار مبنية من اللبن والطين، مموهة الجدران بالنقوش والتصاوير مزخرفة بالذهب من فوق الجص والاستيداج، قياساً إلى دار مبنية بالصخر الاصم الصلد المسبوك بينه عمد الرصاص والنحاس المذاب، وهي مكشوفة غير مموهة ولا مزخرفة، حيث بين هاتين الدارين بوناً بعيداً وفرقاً عظيماً، فقد اقتبس ابن نباته من كلام الإمام عبارة: «ما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا»، فكانت هذه العبارة «تصبح من بين الخطبة صياحاً، وتنادي على نفسها نداءً فصيحاً، وتعلم سامعها أنها ليست من المعدن الذي خرج باقي الكلام منه، ولا من الخاطر الذي صدر ذلك السجع منه، ولعمر الله لقد جملت الخطبة وحسنتها وزانتها، وما مثلها فيها الا كآية من الكتاب العزيز يتمثل بها في رسالة أو خطبة، فإنها تكون كاللؤلؤة المضيئة تزهر

(١) الشرح ٨٣/٢.

(٢) الشرح ٨٤/٢.

وتنير، وتقوم بنفسها وتكتسي الرسالة بها رونقاً، وتكتب بها دياجة»^(١).
وأضاف: وإذا اردت تحقيق ذلك، فانظر إلى السجعة الثانية التي تكلفها ليوازنها بها، وهي قول: «ولا قعدوا عن صون ديارهم الا اضمحلوا» فانك إذا نظرت إليها وجدت عليها من التكلف والغثاثة ما يقوى عندك صدق ما قلته لك^(٢).
على أن بعض من كلام ابن نباته ليس بجيد: «وحرز طهر الله به اجسادكم» فإنه لا يقال في الحرز إنه يطهر الاجسام، وكان الأليق أن يقول: «حصن الله به اجسامكم». ولكنه ذكر «طهر» ليكون بازاء «وقر» واطهر» فأذاه حب التقابل إلى ما ليس بجيد^(٣).

ولما كان ابن نباته الفائز بقصبات السبق من الخطباء في عصره فكان للناس غرام بخطبه، لذا أورد ابن أبي الحديد فصولاً من خطبه بوصفه الخطيب الذي وقع الإجماع على خطابته وحسنها، وان مواعظه هي الغاية التي ليس بعدها غاية. وبعد ايراده لخطبة، قال ابن أبي الحديد: «فلي نظر المنصف هذا الكلام، وما عليه من اثر التوليد، أولاً بالنسبة إلى ذلك الكلام العربي المحض، ثم لينظر فيما عليه من الكسل والرخاوة، والفتور والبلادة، حتى كأن ذلك الكلام لعامر بن الطفيل، مستلماً كتته، راكباً جواده، وهذا الكلام للدلال المدني المخنث^(٤) أخذ زمارته، متباطأً دفة»^(٥). وأضاف: «والمح ما في قوله «بوق الرحيل» من السفسفة واللفظ

(١) الشرح ٢/٨٤-٨٥.

(٢) الشرح ٢/٨٥.

(٣) الشرح ٢/٨٥.

(٤) اسمه ناقد، وكنيته أبو زيد من أهل المدينة. أبو الفرج: الاغاني ٤/٢٦٦-٢٩٥.

(٥) الشرح ٧/٢١١-٢١٣.

العامي الغث، وأعلم انهم كلهم عابوا على أبي الطيب المنبهي قوله^(١):
فإن كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ ففي الناس بوقاتٌ لها وطبولٌ

وقالوا: لا تدخل لفظة «بوق» في كلام يفلح أبداً. والمخ ما على قوله:
«القهقري، القهقري» متكررة من المهجنة، واهجن منها (أم حبو كرى) وأين
هذا اللفظ الحوشي، الذي تفوح منه روائح الشيخ والقيصوم وكأنه من اعرابي
قح قد قدم من نجد لا يفهم محاوراة أهل الحضر، ولا أهل الحضر يفهمون
حواره؛ من هذه الخطبة اللينة الالفاظ التي تكاد أن تنثني من لينها، وتتساقط
من ضعفها!»^(٢).

ثم المخ هذه الفقرة والسجعات التي اولها «القرى» ثم «المرأ» ثم
«يفترى» ثم «الكرى» إلى قوله «عبرت لمن يرى» هل ترى تحت هذا الكلام
معنى لطيفاً، أو مقصداً وشيقاً! أو هل تجد اللفظ نفسه لفظاً جذلاً فصيحاً، أو
عذباً معسولاً! وإنما هي الفاظ قد ضم بعضها إلى بعض، والطائل تحتها قليل
جداً. وتأمل لفظة «مرا» فإنها محدودة في اللغة، فإن كان قصرها فقد ركب
ضرورة مستهجنة وإن إراد جمع مريّة، فقد خرج من الصناعة، لأنه يكون قد
عطف الجمع المفرد، فيصير مثل قول القائل «ما اخذت منه ديناراً ولا دراهم»
في أنه ليس بالمستحسن في فن البيان»^(٣).

وقال في وصفه كلاماً آخر لابن نباته: فليتأمل أهل المعرفة بعلم الفصاحة

(١) ديوانه ص ٢٢٥.

(٢) الشرح ٧/٢١٣.

(٣) الشرح ٧/٢١٣-٢١٤.

٥٨٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

والبيان هذا الكلام بعين الانصاف، يعلموا أن سطرًا واحدًا من كلام نهج البلاغة يساوي الف سطر منه، بل يزيد ويربى على ذلك، فإن هذا الكلام ملزق عليه اثار كلفة، وهجنة ظاهرة يعرفها العامي فضلاً عن العالم^(١).

وقال أيضاً: هل يجد من يتصفح كلام ابن نباته هذا عذوبة أو معنى يمدح الكلام لاجله؟ وهل هو الا الفاظ مضموم بعضها لبعض، ليس لها حاصل، كما قيل في شعر ذي الرمة^(٢)، «بعر ظباء ونقط عروس»^(٣) ويخلص للقول «إن كلام ابن نباته يتميز بالركاكة والتكلف، ولو قاله خطيب من خطباء السواد، لم يستحسن منه، بل ترك واسترذل»^(٤).

ولكن أليس مما يعاب عليه أن نوازن بين كلام الإمام علي عليه السلام وكلام ابن نباته، وما هذا الا بمنزلة القول: «السيف امضى من العصا». وفي هذا غضاضة على السيف!؟.

وفي الواقع انه قد اشتملت كتب المتكلمين على المقايسة بين كلام الله تعالى وبين كلام البشر ليينوا فضل القرآن، وزيادة فصاحته على فصاحة كلام العرب، نحو مقايستهم بين قوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٥).

(١) الشرح ٢١٤/٧.

(٢) هو غيلان بن عقبة بن نهبس بن مسعود العدوي (٧٧-٨٧) أحد الشعراء في العصر الأموي.

ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢/٤٣٧-٤٤٧. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٤/١١-١٧.

(٣) هو وصف جرير لشعر ذي الرمة. أنظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢/٤٣٧.

(٤) الشرح ٢/٢١٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

وبين قول القائل «القتل أنفى للقتل» وبين قوله تعالى:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١).

وبين قول الشاعر^(٢):

فإن عَرَضُوا بالشعرِ فاصفَحْ تَكْرُماً
وإن كَتَمُوا عنكَ الحديثَ فلا تَسَلْ

وكذلك عند مقايسة كلام مسيلمة، واحمد بن سليمان المعري، وعبدالله بن المقفع بالقرآن الكريم، لبيان أنه لا يبلغ كلامهم درجة القرآن، ولا يقاربهما. اذن فلا مانع من ذكر كلام ابن نباته مع كلام الإمام علي عليه السلام لتظهر فضيلة كلام الإمام عليه السلام، بالنسبة إلى هذا الخطيب الفاضل الذي اتفق على أنه اوحده عصره في فنه. وهذا أمر لا ينكر «ولكن قوماً من أهل العصبية والعناد، يزعمون أن كلامه يساوي كلام أمير المؤمنين عليه السلام ويماثله، وقد ناظر بعضهم في ذلك فاحسبت أن أبين للناس في هذا الكتاب انه لا نسبة لكلامه إلى كلام الإمام عليه السلام وأنه بمنزلة شعر الأبله^(٣) وابن المعلم^(٤) مقارنة بشعر زهير والنابغة^(٥)».

ويخلص ابن أبي الحديد للقول: «إن معرفة الفصيح والافصح، والرشيقي

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩.

(٢) لم يتسن لي معرفة قائله.

(٣) هو محمد بن بختيار بن عبدالله أحد شعراء بغداد ت ٥٧٩هـ، وسمي بالابله لقوة ذكائه. القفطي: المحمدون من الشعراء ص ٢٣٥-٦. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٤/٤٦٣-٥. الصفدي:

الوافي ٢/٢٤٢. ابن تغري: النجوم الزاهرة ٦/٩٥.

(٤) هو محمد بن علي بن فارس الهريثي من شعراء واسط، ت ٥٩٢هـ. ابن خلكان: وفيات الاعيان

٥/٩-٥. ابن تغري: النجوم الزاهرة ٦/١٠٢، ١٠٤.

(٥) الشرح ٧/٢١٥-٢١٦.

والارشق، والحلو والاحلى، والعالى والاعلى من الكلام أمر لا يدرك الا بالذوق^(١)، ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه، وهو بمنزلة جاريتين: احدهما بيضاء مشربة بحمرة دقيقة الشفتين، نقيه الثغر، كحلاء العينين، اسيلة الخد، دقيقة الانف، معتدلة القامة. والاخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن؛ ولكنها احلى في العيون والقلوب منها، واليق واصلح، ولا يدري لاي سبب كان ذلك، ولكنه بالذوق والمشاهدة يعرف ولا يمكن تعليقه، وهكذا الكلام. نعم يبقى الفرق بين الموضوعين إن حسن الوجوه وملاحظتها، وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة، واما الكلام فلا يعرفه الا أهل الذوق، ليس كل من اشتغل بالنحو واللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق، ومن يصلح لانتقاد الكلام؛ وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر، وصارت لهم بذلك دربة ومملكة تامة^(٢)، فالى اولئك ينبغي أن نرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض ان كنت عادماً لذلك من نفسك^(٣).

من خلال ما أشار إليه ابن أبي الحديد أعلاه يتضح أنه ليس باستطاعة أي شخص أن يرجع النص إلى النصوص السابقة عليه، التي أخذ منها، إذ أن شخصاً مثل هذا يجب أن يكون واسع المعرفة والاطلاع والحفظ، ومتمكناً قابلية ذوق عالية كي يكشف النصوص المعدلة، وهذا النوع من النقاد هو الذي يتمكن من كشف المصادر التي استعان بها مؤلفو النصوص دون الاشارة إليها، إذ كثيراً ما يسرق بعض المؤلفين نصوصاً كاملة دون التنبيه إلى مصدرها الاصيلي، ومعرفة

(١) عن معنى الذوق عند ابن أبي الحديد أنظر: حامد الظالمي: ابن أبي الحديد ص ٧٢-٧٦.

(٢) أنظر حامد الظالمي: ابن أبي الحديد ص ٧٣-٧٥.

(٣) الشرح ٢١٦/٧-٢١٧.

هذه النصوص المسروقة من اهم ما يجب على الباحث معرفته لئلا يقع في خطأ الاستنتاج وإن الانتباه لهذه النصوص المسروقة يعود أولاً للتطابق التام بين النصوص. ولكنه احياناً يسرق الثاني من الأول نصاً معيناً يحاول إخفاء هذه السرقة بتعديل أو تغيير الالفاظ في النص، وقد لاحظنا ابن أبي الحديد قد قارن بين النصوص، وأكد على وجود التناص الموجود بينهما، والتناص هو التقاطع والتعديل المتبادل بين وحدات عائدة لنصوص مختلفة وقد استخدم ابن أبي الحديد عدة الفاظ تدل على وجود التناص أو السرقة وهي «سرقة، مصاله، اخذه، بعينه، اختطفها، أغار عليها، اغتصبها» وهذه الكلمات تطلق على اقبح انواع السرقات حيث لمح ابن أبي الحديد أن السارق كان ياخذ النص بعينه أو بمعناه^(١).

- واخذ الحريري^(٢) ت ٥١٦ هـ كلمته عليه السلام: «كم من اكلة تمنع اكالات» فقال في المقامات «رب اكلة هاضت الآكل، ومنعته مآكل»^(٣) - وأثبت ابن أبي الحديد معنى قوله عليه السلام: «أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام» في رسالة كتبها إلى أحد اصدقائه يعزیه فقال: «لو تأمل الناس احوالهم، وتبينوا مآلهم، لعلموا ان المقيم منهم بوطنه، والساكن إلى سكنه، أخو سفر يسري به وهو لا يسري، وراكب بحر يجري به وهو لا يدري»^(٤).

- اما الشعراء فقد اقتبسوا من كلامه عليه السلام ووظفوه في شعرهم فقد نظر

(١) حامد الظالمي: ابن أبي الحديد وجهوده النقدية ص ٥٦-٥٧.

(٢) هو القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري (٤٤٦-٥١٦ هـ) صاحب المقامات الحريرية ومؤلفات آخر. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٤/٦٣-٦٨. السبكي: طبقات الشافعية ٤/٢٩٥-

٧. البغدادي: خزنة الأدب ٣/١١٧-١١٨.

(٣) الشرح ١٨/٣٩٧. وانظر المقامات ص ٤٣.

(٤) الشرح ١٨/٢٠٩.

الفرزدق ت ١١٠ هـ إلى قوله عليه السلام: ((وفروا إلى الله من الله)) فقال يمدح سعيد بن العاص^(١):

اليك فَرَرْتُ مِنْكَ وَمِنْ زِيَادٍ وَلَمْ أَحْسَبْ دَمِي لَكُمْ حَلَالاً

- ومن قوله عليه السلام: «وظهرت آثار صنعته، ودلائل حكمته في مخلوقاته فكانت وهي صامته في الصورة ناطقة في المعنى بوجوده وربوبيته سبحانه» فنظر إلى ذلك أبو العتاهية ت ٢١١ وقال^(٢):

فَوَا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجِدُهُ الْجَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

ونظر أبو العتاهية أيضاً لقوله عليه السلام: «وقد مضت اصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب اصله» فصرح بنفس معناه قائلا^(٣):

كُلُّ حَيَاةٍ إِلَى مَمَاتٍ وَكُلُّ ذِي جِدَةٍ يَحْوُلُ
كَيْفَ بَقَاءِ الْفُرُوعِ يَوْمًا وَقَدْ ذَوَتْ قَبْلَهَا الْأَصُولُ!

وكذلك نظر لقوله عليه السلام: «لا جاء يرد ولا ماض يرتد» فقال أبو العتاهية^(٤):

فَلَا أَنَا رَاجِعٌ مَا قَدْ مَضَى لِي وَلَا أَنَا دَافِعٌ مَا سَوْفَ يَأْتِي

ومن قول الامام عليه السلام يعزي الاشعث بن قيس «يا اشعث! إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وان جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور» فقال

(١) الشرح ١/١٣٣. وانظر ديوان الفرزدق ٢/٠٧.

(٢) الشرح ٦/٢١٤. وانظر ديوان أبي العتاهية ص ٢٢١.

(٣) الشرح ٩/٣٩. لم اجده في ديوان أبي العتاهية.

(٤) الشرح ٦/٦٥٢. لم اجده في ديوان أبي العتاهية.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٨٩

أبو العتاهية لمن يعزیه فی ولده: ولا بد من جریان القضاء اما مثاباً واما اثماً^(١).

ولما قال عليه السلام لمن سأله: ما أكثر حب الناس للدينا! فقال عليه السلام: هم ابناؤها؛

ايلام الانسان على حب امه. فقال محمد بن وهب الحميري ت ٢٢٥هـ^(٢):

ونحنُ بنو الدنيا خُلِقنا لغيرها وما كنت منه فهو شيءٌ محببٌ

ومن قوله عليه السلام للاشعث: إن صبرت صبر الاكارم، والا سلوت سلو البهائم.

قال أبو تمام ت ٢٣١^(٣):

وقال عليٌّ في التعازي لاشعثٍ وخافَ عليه بعضُ تلك المائمِ

اتصبرُ للبلوى عزاءً وحِسبةً فتؤجرُ أم تسلو سلو البهائمِ

ونظر البحري لقوله عليه السلام: «علا بحوله، ودنا بطوله» فقال^(٤):

دنوتَ تواضعاً وعلوتَ قدراً فشانك انخفاضٌ وارتفاعُ

كذلك الشمسُ تبعُدُ إن تسامى ويدنو النورُ منها والشعاعُ

-واخذ أبو العلاف^(٥) الشاعر ت ٣١٨هـ كلمته عليه السلام «كم من اكلة تمنع

اكلات» فقال يرثي سنوره^(٦):

أردت أن تأكلَ الفِراخَ ولا يأكلُك الدهرُ أكلَ مضطهدِ

(١) الشرح ١٩٢/١٩. لم اجدہ فی ديوان أبي العتاهية.

(٢) الشرح ٢٩٠/٨.

(٣) الشرح ٥/٢٠. وانظر إلى ديوان أبي تمام ص ٢٨٢.

(٤) الشرح ٢٤٢/٦. وانظر ديوان البحري ١٢٤٧/٢.

(٥) هو أبو بكر هبة الله بن الحسين. أنظر: الثعالبي: يتيمة الدهر ٣/ ٤٨٥ - ٤٨٧.

(٦) الشرح ٣٩٧/١٨. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٤/ ٤٢٨ - ٩.

يَا مَنْ لَذِيذُ الْفِرَاحِ أَوْقَعَهُ
وَيَحْكُ هَلَّا قَنَعْتَ بِالْقَدْرِ
كَمْ أَكَلَتْ خَارْتٌ حَشَا شَرِّهِ
فَأَخْرَجَتْ رَوْحَهُ مِنَ الْجَسَدِ

واقتبس المتنبي من قوله عليه السلام «واكتحلت ابصارهم بالتراب» فقال (١):

وَيَدْفَنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَمْشِي
أَوْاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْإِوَالِي
وَكَمْ عَيْنٌ مَقْبَلَةَ النَّوَاصِي
كَحَيْلٍ بِالْجِنَادِلِ وَالرَّمَالِ
وَمَغْضٍ كَانَ لَا يُغْضِي لِحَطْبٍ
وَبَالٍ كَانَ يَفْكَرُ فِي الْهَزَالِ

وكذلك نظر لقوله عليه السلام: «مقاربة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم»

فقال (٢):

وَحِلَّةٌ فِي جَلِيسٍ اتَّقِيهِ بِهَا
كَيْمَا يَرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهْنِ
وَكَلِمَةٌ فِي الطَّرِيقِ خِفْتُ أَعْرِبُهَا
فِيهِتَدِي لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحْنِ

ومن وصفه عليه السلام للدنيا: «أولها عناء وآخرها فناء» اقتبس الشريف الرضي

ت ٤٠٦ هـ فقال (٣):

وَأَوْلُنَا الْعِنَاءَ إِذَا طَلَعْنَا
إِلَى الدُّنْيَا وَأَخْرُنَا الذَّهَابُ

وكذلك اقتبس من كلامه: «لكل امرئ في ماله شريكان: الوارث

والحوادث». فقال (٤):

(١) الشرح ١١/١٦٣. وانظر ديوانه ص ٢٠٤.

(٢) الشرح ٢٠/٣٠. وانظر ديوانه ص ٣٤٩-٣٥٠.

(٣) الشرح ٦/٢٣٨. وانظر ديوانه ١/١٠١.

(٤) الشرح ١٩/٢٥١. وانظر ديوانه ١/٢٢٨.

حُذِّ من تُراثِكَ ما استطعتَ فإنها شركاؤك الأيامُ والوراثُ
لم يقضِ حقَّ المالِ إلا معشرُ نظروا الزمانَ يُعثُ فيه فعاثوا

واخذ الطغرائي (١) قوله عليه السلام: «خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلمها، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها». فقال الطغرائي (٢):

الجودُ والاقدامُ في فتيانهم والبخلُ في الفتياتِ والإشفاقُ
والطعنُ في الاجداثِ دابُّ رُماتهم والرّامياتُ سهامُها الأحداقُ

اما ابن أبي الحديد فقد أشار لعدة اقتباسات له من كلام الإمام عليه السلام وتوظيفه في شعره، فمن قوله عليه السلام: «ومن ابصر بها بصرتي، ومن ابصر إليها اعتمته». فقال ابن أبي الحديد (٣):

دنياكُ مثلُ شمسٍ تُدني اليك الضوءَ لكن دعوةَ المهلكِ
إن أنتَ ابصرتَ إلى نورها تعش وإن تُبصر به تُدرِكِ

ومن قوله عليه السلام: «لا يزهّدنك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشكره عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد يدرك من شكر الشاكر أكثر مما اضاع الكافر،

(١) هو الحسين بن علي بن محمد (٤٥٥-٥١٣) شاعر ومن الوزراء والكتّاب لدى السلاجقة في

الموصل. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٢/١٨٥-١٩٠. الأعلام: الزركلي ٢/١٤٦.

(٢) الشرح ١٩/٦٥. أنظر ديوان الطغرائي ص ٢٦١.

(٣) الشرح ٦/٢٣٩.

والله يحب المحسنين». فقال ابن أبي الحديد^(١):

لا تُسَدِّينَ إِلَى ذِي اللُّؤْمِ مَكْرُمَةً فَإِنَّهُ سَبِخٌ لَا يُنْبِتُ الشَّجَرَا
فَإِنْ زَرَعْتَ فَمَحْفُوظٌ بِمَضِيعَةٍ وَآكُلُ زَرْعِكَ شُكْرَ الْغَيْرِ إِنْ كَفَّرَا

ومن قوله عليه السلام: «إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة

عليه» فقال ابن أبي الحديد^(٢):

إِنَّ الْإِمَانِيَّ أَكْسَابُ الْجَهُولِ فَلَا تَقْنَعُ بِهَا وَارْكَبِ الْأَهْوَالَ وَالْخَطَرَا
وَاجْعَلِ مِنَ الْعَقْلِ جَهْلًا وَأَطْرَحْ نَظْرَا فِي الْمَوْبِقَاتِ وَلَا تَسْتَشْعِرِ الْحَذْرَا
وَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُتَنَصِّرًا فَاشْكُرْ بَعْفُوكَ عَنْ أَعْدَائِكَ الظَّفْرَا

ومن قوله عليه السلام «والله إن امرءاً يمكن عدوه من نفسه، يعرق لحمه ويفري

جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره، أنت فكن ذاك

إن شئت، فاما أنا فوالله دون أن اعطى ذلك ضرباً بالمشرفية...» قال ابن أبي

الحديد^(٣):

إِنْ امْرَءًا امْكَنَ مِنْ نَفْسِهِ عَدُوَّهُ يَجِدُحُ آرَابَهُ
لَا يَدْفَعُ الضَّيْمَ وَلَا يَنْكُرُ الدُّ لَ وَلَا يَحْصِنُ جَلْبَابَهُ
لِفَائِلِ الرَّأْيِ ضَعِيفُ الْقَوَى قَدْ صَرَّمَ الْخِذْلَانَ أَسْبَابَهُ
أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ فَإِنِّي امْرُؤٌ لَا يَرْهَبُ الْخُطْبَ إِذَا نَابَهُ

(١) الشرح ٢٤/١٩. وانظر عبد الجبار سالم عبد الكريم: شعر عبد الحميد هبة الله ص ٢٠٢.

(٢) الشرح ١٠٩/١٨.

(٣) الشرح ١٨٩/٢، ١٩٢. عبد الكريم: شعر عبد الحميد بن هبة الله ص ١٤٨.

إن قالَ دهرٌ لم يُطعِ اوشحا له فم ادرد انيابهُ
أو سامه الخسف أبي وانتضى دون مرام الخسف قرضابهُ
اخزر غضبان شديد السطا يقدر أن يترك ما رابه

وكذلك اقتبس من قولين للإمام احدهما: «فاعل الخير خير منه، وفاعل الشر شر منه» والآخر: «ليس شيء بشر من الشر الا عقابه، وليس شيء بخير من الخير الا ثوابه». فقال ابن أبي الحديد^(١):

خيرُ البضائعِ للانسانِ مكرمةٌ تُنمي وتزكو إذا بارت بضائِعُهُ
فالخيرُ خيرٌ وخيرٌ منه فاعلُهُ والشرُّ شرٌّ وشرٌّ منه صانعُهُ

ومن وصيته عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «اياك ومصادقة الاحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك». قال ابن أبي الحديد^(٢):

حياتك لا تصحبنَّ الجهول فلا خيرَ في صحبةِ الاخرق
يظنُّ أخو الجهلِ أنَّ الضلالَ عينُ الرشادِ فلا يتقي
ويكسبُ صاحبَهُ محمَّه فيسرقُ منه ولا يسرق
واقسمُ أنَّ العدوَّ اللبيبَ خيرٌ من المشفقِ الأحمقِ

واشار ابن أبي الحديد إلى اقتباس عدد من الشعراء من كلمات الامام وتوظيفها في اشعارهم، لكنه لم يذكر اسماء الشعراء.

فمن قوله عليه السلام في مصقلة بن هبيرة أحد ولاته حينما هرب لمعاوية: «قبح الله

(١) الشرح ٧/٢٥٧، ١٨/١٤٩. وانظر عبد الكريم: شعر عبد الحميد هبة الله ص ٢١٩.

(٢) الشرح ١٨/١٥٧. وانظر عبد الكريم: شعر عبد الحميد هبة الله ص ٢٢٥.

مصقلة! فعل فعل السادة وفرّ فرار العبيد، فما انطق مادحه حتى اسكته، ولا صدق واصفه حتى بكته، ولو اقام لآخذنا ميسورة، وانتظرنا بما له موفورة». اقتبس أحد الشعراء^(١):

يَا مَنْ مَدَحْنَاهُ فَأَكْذَبَنَا بِفِعَالِهِ وَأَثَابَنَا خَجَلًا
بَرْدًا قَشِيْبًا مِنْ مَدَائِحِنَا سَرِبَلْتُ فَارْدُدُهُ لَنَا سَمَلًا
إِنَّ التَّجَارِبَ تَهْتِكُ الْمُسْتَوْرَ مِنْ ابْنَائِهَا وَتُبْهَرِجُ الرَّجُلَا

ونظر أحد الشعراء لقوله عليه السلام «في حلالها حساب وفي حرامها عقاب»، فقال^(٢):

الدَّهْرُ يَوْمَانِ فَيَوْمٌ مَضَى عَنْكَ بِمَا فِيهِ وَيَوْمٌ جَدِيدٌ
حَالٌ يَوْمِيكَ حِسَابٌ وَفِي حَرَامِ يَوْمِيكَ عَذَابٌ شَدِيدٌ
تَجْمَعُ مَا يَأْكُلُهُ وَارِثٌ وَأَنْتَ فِي الْقَبْرِ وَحِيدٌ فَرِيدٌ
إِنِّي لَغَيْرِي وَاعْظُ تَارِكٌ نَفْسِي وَقَوْلِي مِنْ فَعَالِي بَعِيدٌ
حَلَاوَةُ الدُّنْيَا وَلذَاتِهَا تَكَلَّفُ الْعَاقِلُ مَا لَا يَرِيدُ

وقال أحد الشعراء مقتبساً من قوله عليه السلام «يجمع ما لا ياكل، ويبيني ما لا يسكن»^(٣):

اموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبيها

(١) الشرح ١١٩/٣.

(٢) الشرح ٢٣٩/٦.

(٣) الشرح ٢٥٦/٦.

ومن قوله عليه السلام: «ما اقرب الحي من الميت للحاق به، وما ابعد الميت من الحي لانقطاعه عنه» اقتبس أحد الشعراء فقال^(١):

يا بعيد عني وليس بعيداً من لحاقي به سميع قريب
حُدَّتْ بَيْنَ السُورَى غريباً كما إِنَّكَ تَحْتَ الثرى وحيدٌ غريبٌ

واخذ شاعر قوله عليه السلام في الحرب: (حلواً رضاعها، علقماً عاقبتها) فقال^(٢):

الحربُ أول ما تكونُ فتيةً تسعى بزيتها لكلِ جهولِ
حتى إذا اشتعلتْ وشبَّ ضرائمها عادت عجوزاً غير ذاتِ حليلِ
شمطاءً جزّت رأسها وتنكرتْ مكروهةً للشمِّ والتقبيلِ

ومن قوله عليه السلام: «جديد بلى» أخذ شاعر فقال^(٣):

يا دارُ غادرتي جليلَ بلاكِ رثَّ الجديدُ فهل ربتِ لذاكِ

وقال شاعر مقتبساً من كلامه عليه السلام: «شتان ما بين عمليين، عمل تذهب لذته،

وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤونته، ويبقى اجره»^(٤):

تَفَنَى اللدَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ بُغْيَتَهُ من الحرامِ ويبقى الاثمُ والعارُ
تَبْقَى عواقبُ سوءٍ في مَغْبَتِهَا لا خَيْرَ في لَذَّةٍ من بعدها النارُ

وقال عليه السلام ساعة دفنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الصبر لجميل الا عنك وإن الجزع لقبيح

(١) الشرح ٢٥٦/٦-٢٥٧.

(٢) الشرح ١٢/٩، ٤١/١١٩.

(٣) الشرح ١١/١٦٣.

(٤) الشرح ١١/١٦٣.

الا عليك، وإن المصاب بك لجليل وإنه بعدك لقليل». فقال أحد الشعراء^(١):

امسّت بجفنيّ للدموعِ كُلُّومٌ حُزناً عليكِ وفي الخدودِ رسومٌ
والصبرِ يُحمّدُ في المواطنِ كُلِّها إلّا عليكِ فإنه مَدمومٌ

وقال احدهم مقتبساً من كلامه عليه السلام: «ما لابن آدم والفخر! اوله نطفة،
وآخره جيفة، لا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه»^(٢).

ما بآل من اوله نطفةٌ وجيفةٌ اخره يَفْخَرُ
يُصبحُ ما يملكُ تقديرَ ما يرجو ولا تأخيرَ ما يحذُرُ

لقد كان مصدر الإمام عليه السلام الأول في هذه القمّة من الفصاحة هو كلام الله وكلام
رسوله ﷺ، فكان عليه السلام كثيراً ما يستشهد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية، ويوظفها
في خطبه ورسائله، وقد أكد على ذلك الشريف الرضي بقوله: «لأن كلامه عليه السلام
الذي عليه مسحة من العلم الالهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي»^(٣).

فعلى سبيل المثال قوله عليه السلام: «وما كل ذي قلب بليب، ولا كل ذي سمع
بسميع، ولا كل ذي ناظر ببصير». فانه مأخوذ من قوله تعالى:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا
يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^(٤)،^(٥).

(١) الشرح ١٩/١٩٥. ونسبها المبرد الى محمد بن عبد الله العتبي مع اختلاف باللفظ. الكامل ٤١/٢.

(٢) الشرح ٢٠/١٥٠.

(٣) الشرح ١/٤٥.

(٤) سورة الاعراف، الآية: ١٧٩.

(٥) الشرح ٦/٣٨٥-٣٨٦.

وقوله عليه السلام: «فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم وانقطاعكم عن اوصال إخوانكم». مأخوذ من قوله تعالى:

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ
وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (١)، (٢).

ومن قوله تعالى:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا
نَكِدًا﴾ (٣). اقتبس عليه السلام فقال: «فاعلم ان لكل ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب
ظاهره، طاب باطنه، وما خبث ظاهره، خبث باطنه» (٤).

اما قوله عليه السلام: «وقد ادبرت الحيلة، واقبلت الغيلة، ولات حين مناص». فالعبارة الأخيرة لفظة قرآنية بعينها (٥). وكذلك قوله عليه السلام:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ﴾ (٦).

وقوله عليه السلام: «كن سمحاً ولا تكن مبذراً، وكن مقدراً ولا تكن مقترراً». مأخوذ من قوله تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٤٥.

(٢) الشرح ٧/ ٢٨٢-٢٨٣.

(٣) سورة الاعراف، الآية: ٥٨.

(٤) الشرح ٩/ ١٧٨.

(٥) سورة ص، آية: ٣. الشرح ١/ ١٢٥.

(٦) سورة الدخان ٢٩. الشرح ١٣/ ١٢٦.

مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿١﴾ .

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٢) .

اما اقتباساته من كلام الرسول ﷺ . فعلى سبيل المثال قوله عليه السلام «فليعمل العامل منكم في أيام مهله، قبل ارهاق اجله، وفي فراغه قبل اوان شغله، وفي متنفسه قبل ان يؤخذ بكظمه، وليعهد لنفسه وقدمه، وليتزوج من دار طعنه لدار اقامته». فهذا مأخوذ من خطبة للرسول ﷺ: «ايها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وان لكم غاية فانتهوا إلى غايتكم. إن المؤمن بين محافتين، بين اجل قد مضى لا يدري ما لله صانع به، واجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد قبل الموت، فوالذي نفس محمد بيده، ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار» (٣) .

ولما تحدث عن الملائكة ذكر «منهم في حظائر القدس» (٤) وهي لفظة وردت في حديث النبي ﷺ (٥) . وقوله عليه السلام: «إني احذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة» (٦) مأخوذ من قوله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون!» (٧) .

(١) سورة الاسراء ٢٧ .

(٢) سورة الاسراء ٢٩ .

(٣) الشرح ٦/٣٥٠-٣٥١ .

(٤) الشرح ٦/٤٢٦ .

(٥) لم اهتمد إليه في كتب الحديث .

(٦) الشرح ٧/٢٢٨ .

(٧) اخرجه الجاحظ: البيان والتبيين ٢/٢١ . مسلم: الصحيح ٤/٢٠٩٨ . يعقوبي: التاريخ ٢/٨٠ .

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٩٩

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد. اللهم أنت الصاحب في السفر، وأنت الخليفة في الأهل». وقد دعا به لما عزم على المسير إلى الشام، ولكنه اضاف إليه: «ولا يجمعها غيرك، لأن المستخلف لا يكون مستصحبا، والمستصحب لا يكون مستخلفا»^(١).

اما في نطاق الشعر، فقد كان الامام عليه السلام على معرفة بالشعر والشعراء ففي محاورة بينه وبين أبي الاسود الدؤلي حول اشعر الشعراء، وكان رأي الأخير أنه أبو دواد الايادي^(٢). اما الامام فيرى أن اشعرهم هو الذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة، الملك الضليل ذو القروح امرؤ القيس^(٣).

وقد احتوى شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد على طائفة من الأبيات الشعرية، قرر ابن أبي الحديد صحة نسبة بعضها للإمام، فيما شكك البعض الآخر، وبعضها جاء على شكل اراجيز في الحرب. وسوف نرتب هذا الشعر على اساس القوافي:

قافية الباء

لقد أتانا كاشفاً عن نابه يهبط الناس على اعتذابه

فليأتنا الدهر بما أتى به^(٤)

(١) الشرح ٣/ ١٦٥-١٦٦. وذكر الشريف الرضي هذا الدعاء للنبي ﷺ المجازات النبوية ص ١٤١.

(٢) هو جارية بن الحجاج أو حنظلة بن الشرفي من قبيلة ايام من شعراء قبل الإسلام ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/ ١٦١-١٦٣.

(٣) الشرح ٢٠/ ١٥٣-٤. وانظر ابن رشيق: العمدة/ ٤١-٤٢. الزمخشري: ربيع الابرار ٤/ ٢٧٢.

(٤) قاله لما رأى نزول معاوية في صفين. الشرح ٣/ ٣١٤. أنظر المنقري: صفين ص ١٥٩.

أنا عليُّ وابنُ عبدِ المطلبِ نحنُ لعمُرِ الِ اولىِ بالكتبِ
مِنَا النبيِ المصطفى غيرُ كَذِبِ أهلُ اللواءِ والمقامِ الحُجْبِ
نحنُ نصرناه على كلِّ العربِ^(١)
فإن كنتَ بالشورى ملكتَ أمورَهُم فكيف بهذا والمشيرونَ غُيْبِ
وإن كنتَ بالقُربى حجتَ خصيمهم فغيرك اولىِ بالنبيِ واقربِ^(٢)
ومن لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتبع جاهداً كلَّ عشرة يجدها ولا يسلم له الدهر صاحبِ^(٣)
ألم تر قومي ان دعاهم اخوهمهم اجابوا، وان يغضب على القوم يغضبوا
حفظوا غيبي كما كنت حافظاً لقومي أخرى مثلها ان يغيبوا
بنو الحرب لم تقعد بهم امهاتهم وآباؤهم آباء صدق فانجبوا^(٤)

قافية الدال

إطعن بها طعن ابيك محمد لا خير في الحرب إذالم توقد

بالمشرفي والقنا المسدد^(٥)

(١) قاله يوم صفين لما برز إلى حريث مولى معاوية: الشرح ٥/٢١٥-٢١٦. وانظر المنقري: صفين ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) قاله يوم السقيفة. الشرح ١٨/٤١٦. الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٥٠٣.

(٣) الشرح ١٩/٣٤.

(٤) قاله في جواب له على كتاب لمعاوية. الشرح ٣/٣١٤. المنقري: صفين ص ١٦٠.

(٥) قاله لولده محمد بن الحنفية يوم الجمل حيث كان يحمل اللواء. الشرح ١/٢٤٣. وانظر:

يا شاهدا الله علي فاشهد إني على دين النبي أحمد

من شك في الله فإني مهتد^(١)

قافية الراء

من أي يوم من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر
فيوم لا يقدر لا ارهبه ويوم قد قدر لا يغني الحذر^(٢)

كنت السواد لناظري فبكي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت احاذر^(٣)

لقد عثرت عثرة لا أعتذر سوف اكيس بعدها واستمر

وأجمع الأمر الشتيت المنتشر^(٤)

يا عجباً لقد سمعت منكرا كذباً على الله يشيب الشعرا

البغدادى: الفرق ص ٢٦. الخوارزمي: المناقب ص ١١٩.

(١) قاله للخوارج لما طلبوا منه أن يقر بالكفر ويعلن توبته. الشرح ٢/ ٢٧٨. وانظر المبرد: الكامل

٣/ ١٨٩. المرزباني: معجم الشعراء ص ٢٨٠.

(٢) قاله يوم صفين حينما حمل على أهل الشام. الشرح ٥/ ١٣٢، ٨/ ٥٥. أنظر المنقري: وقعة صفين

ص ٣٩٢. ابن عبد ربه: العقد الفريد ١/ ١٢٣.

(٣) قاله يوم وفاة الرسول ﷺ. الشرح ١٩/ ١٩٧.

(٤) قاله بعد إن علم أن الكتاب الذي كتبه لمحمد بن أبي بكر وقع بيد معاوية بعد مقتل محمد بن

أبي بكر. الشرح ٦/ ٧٣. بينما ذكر الطبري انه قاله بعد مبايعته بالخلافة. تاريخ ٤/ ٤٣٦-٤٣٧.

وانظر: ابن تيمية: منهاج السنة ٤/ ١٨٠.

يسترق السمع ويغشي البصرا ما كان يرضي أحمداً لو اخبرنا
 أن يقرنوا وصيه والأبترنا شاني الرسول واللعين الأخرنا
 كلاهما في جنده قد عسكرا قد باع هذا دينه فأفجرا
 من ذا بدنيا بيعه قد خسرا بمُلكٍ مصر إن أصاب الظفرا!
 إني إذا الموتُ دنا وحضرا شمَّرتُ ثوبي ودعوتُ قنبرا
 قدم لوائي لا تؤخر حذرا لا يدفعُ الحذارُ ما قد قُدرنا
 لما رأيتُ الموتَ احمرنا عبأتُ همدانَ وعبوا حميرا
 حي يمان يعظمون الخطرا قرن إذا ناطح قرن كسرا
 قل لابن حرب لا تدب الخمرنا أرود قليلاً أبد منك الضجرا
 لا تحسبنَّ يا ابن هندٍ عمرا وسل بنا بدراً معاً وخيبرنا
 يوم جعلناكم ببدر جزرا لو أن عندي يا ابن هندٍ جعفرنا
 أو حمزة القرم المهام الأزهرنا رأَت قريش نجم ليل ظُهراً (١)
 فإن للحرب عراما شررا إن عليها قائداً عشترا
 ينصف من أحجر أو تنمرنا على نواصيها مزجاً زمجرا

إذا ونين ساعة تغشمرا (٢)

ألا ترون قد حفرتُ حفرا إني رأيتُ أمراً منكرا

(١) قاله بعد إن علم بالاتفاق الذي جرى بين معاوية وعمرو بن العاص على حربته. الشرح ١/١٤٨،

٦٩-٧٠. وانظر: المنقري: صفين ص ٤٣-٤٤.

(٢) قاله في جواب له على كتاب معاوية. الشرح ٣/٣١٤. المنقري: صفين ص ١٥٩.

أوقدت ناري ودعوت قنبرا^(١)

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريحه المنظرة

أوفيهم بالصاع كيل السندرة^(٢)

قافية الزاي

لا تعجلنّ فقد أتا كـ مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّة وبصيرة يرجو الغداة نجاة فائز
إني لأرجو أن أقيـ م عليك نائحة الجنائز
من ضربة تفنى ويبـ قى ذكرها عند الهزاهز^(٣)
يخوض اناس في الكلام ليوجزوا وللصمت في بعض الاحايين أوجز
إذا كنت عن أن تحسن الصمت عاجزاً فأنت عن الابلاغ في القول أعجز^(٤)

قافية الصاد

لأوردن العاصي بن العاصي سبعين الفا عاقي النواصي
مستحقبين حلق الدلاص قد جنبوا الخيل مع القلاص

(١) قاله بحق الغلاة الذين أهوه. الشرح ٥/٥، ٥/٨، ١٩. الملطي: التنيه والرد ص ١٨. ابن تيمية:

منهاج السنة ١/٧.

(٢) قاله يوم خيبر لما برز إلى مرحب إلهودي. الشرح ١/١٢، ١٩/١٢٧. وانظر: الطبري: تاريخ

١٣/٣. الحاكم: المستدرک ٣/٤١. المرزباني: معجم الشعراء ص ٢٨٠. ابن المغازلي: مناقب

ص ١٧٨، ١٨٢. الكنجي: كفاية الطالب ص ١٠٢.

(٣) قاله في معركة الخندق سنة ٥هـ لما برز إلى عمرو بن عبد ود العامري. الشرح ١٣/٢٩٢،

١٩/٦٣. وانظر الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٤) قاله في معنى الكلام والصمت. الشرح ١٩/٢٦٥.

اسود غيل حين لا مناص (١)

قافية العين

اتأمرني بالصبر في نصر أحمد ووالله ما قلت الذي قلت جازعاً
ولكنني أحبيت أن ترى نصرتي وتعلم أنني لم أزل لك طائعاً
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعاً (٢)

قافية الكاف

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك (٣)

قافية اللام

غرجهولاً أمله يموت من جا أجله
ومن دنامن حتفه لم تغن عنه حيله
ما بقاء آخر قد غاب عنه أوله
والمراء لا يصحبه في القبر إلا عمله (٤)
سمحت بأمر لا يطاق حفيظة وصدقا وإخوان الوفاء قليل

(١) قاله يوم صفين رداً على عمرو بن العاص. الشرح ٦٦٩/٣. المنقري: صفين ص ١٣٦-١٣٧.

الطبري: تاريخ ٥٦/٤.

(٢) قاله لأبيه أبي طالب لما امره أباه بنصرة النبي ﷺ. الشرح ٦٤/١٤.

(٣) في معنى الاخوة. الشرح ١١٣/١٨.

(٤) في إتباع الهوى وصدده عن تذكر الآخرة. الشرح ٣٢٠/٤.

- جزاك اله الناس خيراً فإنه
لعمرك فضل ما هناك جزيلاً (١)
- يا مرحباً بالقائلين عدلاً
وبالصلاة مرحباً واهلاً (٢)
- يا حار همدان من يمت يرني
من مؤمن أو منافق قبلاً (٣)

قافية الميم

- فلو أني اطعت عصمت قومي
إلى ركن اليمامة أو شمام
ولكنني متى أبرمت أمراً
منيت بخلف آراء الطعام (٤)
- دعوت فليأتي من القوم عصابة
فوارس من همدان ليسوا بعزلاً
بكل رديني وغصب تخاله
إذا اختلف الاقوام شعل ضرام
- لهمدان أخلاق كرام تزينهم
وجد وصدق في الحروب ونجده
متى تأتهم في دارهم تستضيفه
تبت ناعماً في خدمة وطعام
- مجزى الله همدان الجنان فانها
فوارس من همدان غير لئام
سسام العدا في كل يوم زحام

(١) قاله يوم صفين إلى عبد العزيز بن الحارث الجمحي. الشرح ٢٤٣/٥. المتقري: صفين ص ٣٠٨.

(٢) قاله يوم صفين في مدح أصحابه. الشرح ١٤/٨. المتقري: صفين ص ٣٣٠.

(٣) خاطب به الحارث بن عبدالله الهمداني وهو من أصحاب الإمام. الشرح ٤٣/١٨.

(٤) قاله بعد خديعة معاوية لأصحابه في الارتحال من أماكنهم خوف الغرق. الشرح ١٩/٤. وانظر:

المتقري: وقعة صفين ص ١٩١.

- فلو كنت بواباً على باب جنة
جزى الله خيراً عصبة أسلمية
يزيد وسعدان وبشر ومعبد
وعروه لا يبعد ثناه وذكره
أفطمها السيف غير ذميم
لعمري لقد جاهدت في نصر أحمد
أخوك الذي إن اجرضتك ملمة
وليس أخوك بالذي ان تشعبت
يا رب إن الحارث بن الصمة
قد ظل في مهامه مهمة
- لقلت لهمدان ادخلوا بسلام (١)
صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
وسفيان، وابنا معبد ذي المكارم
إذا اخترت يوماً خفاق الصوارم (٢)
فلست برعديد ولا بلئيم
وطاعة رب بالعباد رحيم (٣)
من الدهر لم يبرح لها الدهر واجماً
عليك أمور ظل يلحاك لائماً (٤)
كان رفيقاً وبنا ذا ذمة
يلتمس الجنة فيها شمة (٥)

(١) قاله في مدح همدان يوم صفين. الشرح ٥/٢١٧، ٨/٧٨. المنقري: وقعة صفين ص ٢٧٤. ابن رشيقي العمدة ١/٣٤-٣٥.

(٢) قاله في قتل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص يوم صفين وكان من اصحاب الامام. الشرح ٨/٣٥. المنقري: وقعة صفين ص ٣٥٦.

(٣) قاله للسيدة فاطمة الزهراء -عليها السلام- بعد معركة أحد. الشرح ١٥/٣٥. ابن هشام: السيرة ١٠٦/٣. الطبري: تاريخ ٢/٥٣٣. الحاكم: المستدرک ٣/٢٧. المرزباني: معجم الشعراء ص ٢٨٠. الخوارزمي: المناقب ص ١٠٧. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٦٤-١٦٥.

(٤) في معنى الاخوة. الشرح ١٨/١١٤.

(٥) قاله يوم أحد بعد ان ذهب الحارث يلتمس حمزة بأمر الرسول ﷺ. الشرح ١٥/١٦. أنظر: الواقدي: المغازي ١/٢٨٩.

محمد النبي اخي وصهري
وحمزة سيد الشهداء عمي
سبقتكم إلى الإسلام طرا
غلاماً ما بلغت اوان حلمي (١)

قافية الياء

أضربهم ولا أرى معاوية
الأخزر العين العظيم الحاوية

هوت به النار بأمرهاوية (٢)

هذا هو كل ما جاء في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة من شعر الإمام علي عليه السلام، والملاحظ ان ابن أبي الحديد كان معجباً بشعر الامام إلى درجة إنه لما أورد شعراً فصيحاً نادراً للشريف الرضي علق عليه قائلاً: «لا عجب لأن هذه الورقة من تلك الشجرة، وهذا القبس من تلك النار». (٣)

(١) الشرح ٤/١٢٢. وانظر: الطبرسي: الاحتجاج ١/١١٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٧-

١٠٨. الحموي: معجم الادباء ١٤/٤٨. الجويني: فرائد السمطين ص ٤٢٧.

(٢) قاله يوم صفين. الشرح ٨/٥٩. وانظر: المنقري: وقعة صفين ص ٤٠٤. الطبري ٥/٤٢. وقد

نسبه ابن أبي الحديد في موضع آخر لمجزأة بن ثور. الشرح ٥/٢٤٠. وانظر المنقري: وقعة صفين

٣٠٥. المازندراني: مناقب ٢/١٩.

(٣) الشرح ١١/٢٦٦.

إشكالية نهج البلاغة والوضع

تجدر الإشارة إلى أن هناك رؤية لدى البعض بخصوص كتاب نهج البلاغة فحواها ان هذا الكتاب كلاً أو جزءاً ليس للإمام علي - (عليه السلام) بل هو من وضع الشريف الرضي أو اخيه الشريف المرتضى، هذه الرؤية التي اقدم من وجدنا يثيرها هو ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) إذ قال في ترجمة الشريف المرتضى: «وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - هل هو جمعه؟! أم جمع أخيه الرضي؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام عليّ، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه. والله أعلم»^(١) وقد ذكر الياضي^(٢) نص ابن خلكان هذا حرفياً. وأشار له ابن كثير^(٣). وجاء الذهبي فقال في ترجمة الشريف المرتضى: «وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة وله مشاركة قوية في العلوم، ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم انه مكذوب على امير المؤمنين علي رضي الله عنه ففيه ... من التناقض والاشياء الركيكة

(١) وفيات الاعيان ٣/٣١٣.

(٢) مرآة الجنان ٣/٥٥.

(٣) البداية والنهاية، ١٢/٥٣.

٦١٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل»^(١) ومن أشار لذلك الصفدي في الوافي بالوفيات^(٢)، وابن حجر في لسان الميزان^(٣).

وقد ايد هذا الرأي من المحدثين بروكلمان^(٤). وجرجي زيدان^(٥)، وشوقي ضيف^(٦). والملاحظ أن هذه التهمة، سابقة لابن خلكان، حيث كانت ماثلة لدى ابن أبي الحديد، ولكننا لم نجد في المصادر السابقة له، التي ترجمت للشريف المرتضى من أشار لذلك كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي^(٧)، والمتنظم لابن الجوزي^(٨)، وانباه الرواة للقفطي^(٩).

هذه التهمة جوبهت بالنقد الشديد من قبل مجموعة من الباحثين يأتي في مقدمتهم ابن أبي الحديد الذي اتخذ موقفاً متشدداً حيال القائمين بالتهمة، إذ قال: «إن كثيراً من ارباب الهوى يقولون: إن كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث،

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ١٢٤. ونوّه بالفكرة أيضاً في كتابة تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٠٩.

(٢) حيث قال (والناس يزعمون أن نهج البلاغة من أنشأه (الرضي)، سمعت الشيخ الامام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية يقول: ليس كذلك بل الذي فيه من كلام علي بن أبي طالب معروف والذي فيه للشريف الرضي معروف) ٢/ ٣٧٥.

(٣) ٤/ ٢٢٣..

(٤) تاريخ الأدب العربي ٢/ ٦٤.

(٥) تاريخ اداب اللغة العربية ١/ ١٨٩، ٢/ ٥٩٨-٥٩٩..

(٦) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٦٢.

(٧) ١١/ ٤٠٢-٣..

(٨) ٨/ ١٢٠-١٢٦..

(٩) ٢/ ٢٤٩-٢٥٠..

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦١١

صنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره، وهؤلاء قوم اعمت العصبية اعينهم، فضلوا عن النهج الواضح، وركبوا بنيات الطريق، ضلالة وقلة معرفة باساليب الكلام».

ثم قال: ((وأنا اوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط. فأقول: لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً، أو بعضه، والاول: باطل بالضرورة لانا نعلم بالتواتر صحة اسناد بعضه إلى امير المؤمنين عليه السلام وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم، والمؤرخون كثيراً منه، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك.

والثاني: يدل على ما قلناه، لأن من قد أنس بالكلام والخطابة وشدا طرفا من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والافصح، وبين الاصيل والمولّد، وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء، أو لاثنين منهم فقط، لا بد أن يفرق بين الكلامين، ويميز بين الطريقتين. ألا ترى أن مع معرفتنا بالشعر ونقده، لو تصفحنا ديوان أبي تمام، فوجدناه قد كتب في اثنا عشر قصائد أو قصيدة واحدة لغيره، لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه، وطريقته ومذهبه في القريض، ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه، لمباينتها لمذهبه في الشعر، وكذلك حذفوا من شعر أبي نؤاس شيئاً كثيراً، لما ظهر لهم أنه ليس من الفاظه، ولا من شعره وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك الا على الذوق خاصة».

طبقاً لذلك قال ابن أبي الحديد: ((وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماءً واحداً، ونفساً واحداً، واسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعض

من ابعاضه مخالفاً لباقي الابعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز، اوله كاوسطه واوسطه كآخره، وكل سورة منه، وكل اية مماثلة في المآخذ والمذهب والفن والطريقة والنظم لباقي الآيات والسور، ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم ان هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى امير المؤمنين عليه السلام.

ثم اضاف: ((وأعلم ان قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له به لأننا متى فتحنا هذا الباب، وسلطنا الشكوك على انفسنا في هذا النحو، لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله ﷺ وسلم أبداً، وساغ لطاعن أن يطعن ويقول: هذا الخبر منحول، وهذا الكلام مصنوع، وكذلك ما نقل عن أبي بكر وعمر من الكلام، والخطب والمواعظ والادب وغير ذلك كل أمر جعله هذا الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبي ﷺ، والائمة الراشدين، والصحابه والتابعين، والشعراء والمرسلين، والخطباء، فلناصرى أمير المؤمنين عليه السلام أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره وهذا واضح^(١))).

هنا يمكن القول بما أن ابن أبي الحديد كان معتزلياً يعتمد تحكيم العقل في النصوص، ويعتمد التجربة، والممارسة، والذوق في النقد لذا نراه يبعد كل نص يبعده العقل أو التجربة، والذوق المنطلق من الممارسة والمران، لا الذوق العادي بل المستند إلى الخبرة. فهو هنا لا يقصد بالذوق الذوق الفطري الساذج، بل الذوق العلمي الذي اصلته الممارسة والدربة، وكثرة الرواية والحفظ. والواضح أن المقياس العقلي والذوقي ليسا في مرتبة المقياس النقلى في درجة اقرب إلى

(١) الشرح ١٢٦/١٠-١٢٩..

اليقين. وهذا المقياس الذوقي قد اشترك مع المقياس التصنيفي كما في قوله «إما أن يكون كل النهج مصنوعاً أو بعضه، والأول باطل بالضرورة». وذلك بسبب التواتر. اذن المقياس الذوقي هنا استند إلى أساس المقياس العقلي التصنيفي ثم الاستدلال بالمقياس النقلي وجاء فيما بعد دور المقياس الذوقي^(١).

وعلينا الآن طرح بعض الحثيات في المسألة أعلاه:

أولاً: إن من يستطيع أن يضع مثل هذا الكلام، والذي له هذا القدم الثابت في العلم بالله واياته، كيف تطاوعه نفسه ان يحلي بمثل هذا الكلام غيره، ويعطل نفسه، بحيث يبقى هو مهماً في زوايا الخمول، إلا أن يكون مصاباً في عقله، والمصاب في عقله عن صنع مثل هذا الكلام ووضع اعجز، وعن الورود في شرعة هذه الفلسفة المتعالية ابعده^(٢).

ثانياً: إن كتاب نهج البلاغة هو مجموعة من الخطب والحكم والمواعظ، الواضح عليها أنها قيلت في مناسبات مختلفة، فمنها ما كان جواباً لسؤال، أو خطاباً للأصحاب أو وصفاً للجنة والنار أو موعظة وغير ذلك، فهل تتبع جامعه كل هذه الحوادث والمناسبات واحصاها ووضع لكل حادثة خطبة أو كلاماً يلائمها^(٣).

ثالثاً: إن تصفحاً لمؤلفات الشريف الرضي تعطينا دليلاً على أن الشريف الرضي هو الجامع لنهج البلاغة ولا دخل للشريف المرتضى بذلك، وأن دور الشريف الرضي هو مجرد تجميع هذه النصوص وترتيبها اخذاً بنظر الاعتبار اكثرها بلاغة.

(١) الظالمي: ابن أبي الحديد ص ٥٥.

(٢) الطباطبائي: علي والفلسفة الإلهية ص ٣٧.

(٣) مغنية: فضائل الإمام علي عليه السلام ص ٧٣ - ٧٤.

وفي كتابه- المجازات النبوية. ذكر الرضي كتاب نهج البلاغة خمس مرات وهي:

١. عند كلامه على قوله عليه السلام «أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من صلاة»- قال «ويبين ذلك قول أمير المؤمنين علي عليه السلام في كلام له: «تحققوا تلحقوا» وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بـ «نهج البلاغة» الذي أوردنا فيه مختار جميع كلامه»^(١).

٢. في كلامه عن الحديث «أسرعن لحاقاً بي، اطولكن يداً» قال: ومثل ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام «ومن يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة»... وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم «بنهج البلاغة»^(٢)

٣. في قوله عليه السلام: «الا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة». قال: ((ويروى هذا الكلام على تغيير في الفاظه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام وقد أوردناه في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة وهو المشتمل على مختار كلامه عليه السلام في جميع المعاني والاعراض، والاجناس والاعراض»^(٣).

٤. في كلامه عن القرآن: «إن القرآن يتقلب وجوهاً، ويحتمل من التأويلات ضرورباً كما وصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام في كلام له فقال: «القرآن حمال

(١) ص ٣٩-٤٠ الشرح ١/ ٣٠١. الشريف الرضي: خصائص الأئمة، ط النجف، ص ٨٧. نهج البلاغة ص ٦٢-٦٣.

(٢) ص ٦٧. الشرح ١٩/ ٥٩. نهج البلاغة، ص ٥٠٩.

(٣) ص ١٩٩. الشرح ٢/ ٩١. نهج البلاغة، ص ٧١.

ذو وجوه» أي يحتمل التصريف على التأويلات، والحمل على الوجوه المختلفة، وقد ذكرنا هذا الكلام في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة. (١)

٥. قوله عليه السلام: «القلوب أوعية بعضها أوعى من بعض». قال «بما نسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام على خلاف في لفظه، وقد ذكرنا في جملة كلامه لكميل بن زياد النخعي في كتاب نهج البلاغة» (٢).

ومثلها أشار مؤلف المجازات النبوية بأنه مؤلف نهج البلاغة فان مؤلف نهج البلاغة قد أشار إلى أن له كتاباً باسم المجازات النبوية (٣)، إذاً فصاحب المجازات النبوية وهو صاحب نهج البلاغة ألا وهو الشريف الرضي، ولا دخل للمرتضى هنا.

ومن كتب الشريف الرضي كتاب حقائق التأويل الذي لم يصل إلينا منه إلا الجزء الخامس، وقد وردت فيه إشارة إلى نهج البلاغة، إذ قال في اشارته لعلو بلاغة القرآن: «لو كان كلام يلحق بغيره أو يجري في مضماره بعد كلام رسول الله ﷺ لكان ذلك كلام أمير المؤمنين عليه السلام، إذ كان منفرداً بطريقة الفصاحة، لا تزاحم عليه المناكب، ولا يلحق فيها الكادح الجاهد، ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه فليمعن النظر في كتابنا الذي ألفناه ووسمناه بـ (نهج البلاغة)، ويشمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، في جميع الأنحاء والأغراض، والأجناس والأنواع، من خطب وكتب، وموعظ وحكم، وبوبناه

(١) ص ٢٥١. الشرح. ٧١/١٨. نهج البلاغة ص ٤٦٥.

(٢) ص ٣٩١، الشرح. ٣٤٦/١٨. نهج البلاغة ص ٤٩٥.

(٣) الشرح ١٨٦/٢٠. نهج البلاغة ص ٥٥٧.

٦١٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

أبواباً ثلاثة تشتمل على هذه الأقسام مميزة مفصلة، وقد عظم الانتفاع به وكثر الطالبون له، لعظيم ما ضمنه من عجائب الفصاحة وبدائعها، وشرائف الكلم ونفائسها...»^(١).

وللشريف الرضي كتاب رابع يسمى «الخصائص» وهو خاص بخصائص الإمام علي عليه السلام، وقد وردت الإشارة لهذا الكتاب مرتين في كتاب نهج البلاغة، مما يدل على أن مؤلف الخصائص هو نفسه مؤلف النهج، ففي المرة الأولى قال مؤلف النهج في المقدمة: «فإني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليه السلام يشتمل على محاسن اخبارهم، وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته امام الكلام ولما فرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين علياً صلوات الله عليه وعاقبت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام...»^(٤٨).

اما المرة الثانية فقد أشار إليه عند قوله - عليه السلام - «تخففوا تحلقوا» إذ قال: فما سمع كلام أقل منه مسموعاً، ولا أكثر محصولاً، وما ابعده غورها من كلمة وانفع نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها^(٢).

رابعاً: هل إن ما ورد في نهج البلاغة من خطب الإمام وكلامه لم يرد في مصادر أخرى؟ في الواقع إن ما ورد في نهج البلاغة ما هو إلا يسير مما ورد في مصادر التراث العربي الاسلامي ولذلك قام عدد من الباحثين بجمع خطب الامام وكلماته من هذه المصادر وفي مقدمة أولئك كان ابن أبي الحديد الذي

(١) حقائق التأويل ص ١٦٧.

(٢) الشرح ٣٠١/١.

اتخذ منهجاً في شرحه للنهج الا وهو ذكر المصدر الذي وردت فيه الخطبة فعلى سبيل المثال بالنسبة إلى الخطبة الشقشقية^(١)، فقد قال في آخر شرحها: «حدثني شيخي أبو الخير مصدقاً بن بيب الواسطي في سنة ثلاث وستائه، قال: قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله بن احمد المعروف بابن الخشاب^(٢)، المتوفى سنة خمسمائة وثمان وستين هذه الخطبة... وكان ابن الخشاب صاحب دعاية وهزل، قال: فقلت له: أتقول إنها منحولة؟! فقال: لا والله وإني لأعلم إنها كلامه كما أعلم انك مصدق، قال: فقلت له: ان كثيراً من الناس يقولون: إنها من كلام الرضي - (رحمة الله تعالى) - فقال: إني للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الاسلوب؟! قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنشور وما يقع من هذا الكلام في خل ولا خمر. ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضي بهائتي سنة، ولقد وجدت مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء واهل الأدب قبل ان يخلق النقيب أبو احمد الرضي. قلت [ابن أبي الحديد]: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة. وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة^(٣)، أحد متكلمي الإمامية وهو

(١) مأخوذة من قوله -عليه السلام- تلك شقشقة هدرت ثم قرئت، الشرح ١/ ٢٠٣.

(٢) أحد علماء اللغة العربية في عصره وله المام بالفلسفة والحساب والهندسة. توفي ٥٦٧ هـ. أنظر: الشرح: ١/ ٢٠٥، ٧/ ٢٦٥، ١٠/ ٦٧، ١١/ ١٣٥، ١٩/ ٢٥١. الخوانساري: روضات الجنات ٥/ ٢٢.

(٣) أنظر ترجمته، ابن النديم: الفهرست: ص ٢٥٠.

٦١٨الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف، وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي (ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي-رحمة الله- موجوداً)^(١). ثم قام مجموعة من الباحثين بالبحث عن مصادر نهج البلاغة كما فعل عبد الزهراء الحسيني الخطيب في كتابة مصادر نهج البلاغة واسانيده والذي صدر في أربعة أجزاء وقسم هذه المصادر على أربعة أقسام: أولاً: مصادر الفت قبل سنة ٤٠٠هـ، وهي سنة صدور نهج البلاغة. ولا زالت موجودة إلى الآن.

ثانياً: مصادر الفت قبل سنة ٤٠٠هـ، ولكنها فقدت، وتم النقل عنها بالواسطة.

ثالثاً: كتب ألفت بعد زمان الرضي ولكنها روت كلام الإمام علي عليه السلام- بإسناد متصل دون المرور بالشريف الرضي ولا على كتابه نهج البلاغة.

رابعاً: كتب صدرت بعد زمان الرضي ولكنها نقلت كلام الإمام علي عليه السلام بصورة تختلف عما في نهج البلاغة مما يعتقد أن مصدرها غير نهج البلاغة^(٢).

ثم استدرك مجموعة من الباحثين قديماً وحديثاً على نهج البلاغة وذكروا خطباً ورسائل وكلاماً للإمام لم يرد في نهج البلاغة، كما فعل عبد الله بن اسماعيل بن أحمد الحلبي^(٣) في كتابه «التذييل على نهج البلاغة»^(٤) والشيخ هادي آل

(١) الشرح ١/ ٢٠٥-٢٠٦. وانظر كذلك ابراهيم الخوئي: الدررة النجفية ص ٦١، ٦٢.

(٢) عبد الزهراء الخطيب: مصادر نهج البلاغة واسانيده ١/ ٢٦-٢٧، ٤٨-٩٢.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) الشرح ١٨/ ٢٢٥.

كاشف الغطاء في كتابه مستدرک نهج البلاغة^(١)، والشيخ محمد باقر المحمودي في كتابه - نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة، وهو في ثمانية مجلدات^(٢).

خامساً: اما بالنسبة إلى الاشكالات التي أثرت حول بعض مما ورد في نهج البلاغة فقد تكفل بالاجابة عنها عدد من الباحثين يأتي في مقدمتهم ابن أبي الحديد^(٣)، ومن المعاصرين عبد الزهراء الخطيب^(٤)، وحسن آل ياسين^(٥)، والشهرستاني^(٦)، وهادي آل كاشف الغطاء^(٧) ومغنية^(٨)، وحسين بستانة^(٩)، والفرطوسي^(١٠)، والصائغ^(١١)، والأبياري^(١٢).

(١) ص ٢ وما بعدها.

(٢) طبع في بيروت ١٩٧٦.

(٣) أنظر مثلاً ١/٦٠٠٠٠، ١٠/١٢٦-١٢٩.

(٤) مصادر نهج البلاغة واسبابه ١/١٣٣-٢٢٢.

(٥) نهج البلاغة.. لمن؟ ص ٣١-٤٩.

(٦) ماهو نهج البلاغة؟ ص ٥٢-٦١.

(٧) مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه ص ١٩٥-٢٦٨.

(٨) فضائل الإمام علي ص ٧٣-٧٧. وايضاً له: في ضلال نهج البلاغة ١/٨-١٠.

(٩) أدب الإمام علي بن أبي طالب ونهج البلاغة ص ١٩٥-٢٠٣.

(١٠) غرر الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضى دراسة منهجية ص ٢٠-٢٢.

(١١) علي - عليه السلام - بين أمه وأبيه ص ١٠٥-١١٠.

(١٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، مجلة تراث الانسانية مج ٢، ص ١٣٣-٤.

المبحث السابع

الإمام عليّ - عليه السلام - وعلم الفلك

من خلال شرحه لنهج البلاغة اثبت ابن أبي الحديد أن الامام عليه السلام سبق الفلكيين في التوصل لبعض المسائل الفلكية. كإشارته إلى أن منطقة الابله هي ابعده موضع في الارض عن السماء. فقد جاء في خطبة له عن البصرة إنها: «بعيدة عن السماء» فأكد أن الامام يشير إلى ما توصل إليه علماء الفلك في أن ابعده موضع في الارض عن السماء هو «الابله». ومعنى البعد هنا، هو بعد تلك الارض المخصوصة عن دائرة معدل النهار والبقاع، والبلاد تختلف في ذلك، وأكد ابن أبي الحديد أن الالات الفلكية والارصاد دلت على ان ابعده موضع في المعمورة عن دائرة معدل النهار هو الابله. (١)

إن الاشارة أعلاه تعد من خصائص امير المؤمنين - عليه السلام - لأنه أخبر عن أمر لا تعرفه العرب، ولا تهتدي إليه، وهو أمر خاص بالمدققين من الحكماء، لذا عدت هذه الاشارة من اسراره وغرائبه البديعة. (٢)

(١) الشرح ١/٢٦٧. وعن الابله، أنظر الحموي: معجم البلدان ١/٧٦-٧٨.

(٢) الشرح ١/٢٦٨. وانظر كلام الإمام في: الزمخشري: ربيع الابرار ١/٣٠٨.

وفي قوله عليه السلام: «الحمد لله الذي لا توارى عنه سماء سماء، ولا ارض ارضاً». فإنه يدل على إثبات ارضين بعضها فوق بعض كالسموات السبع. لكن القرآن الكريم لم يشر لعدد الارضين حيث قال تعالى: «الله الذي خلق سبع سموات، ومن الارض مثلهن»^(١)، ولذا قيل أنها ارض واحدة، ولكنها على سبعة اقاليم، فالمثلية التي أشار لها القرآن الكريم من هذا الوجه، وليس من تعدد الارضين وقد يحمل كلام الإمام على ذلك، فيقصد عليه السلام أنها ارض واحدة، لكنها اقطار واقاليم مختلفة، وهي كروية الشكل، فمن كان على حذبة الكرة لا يرى من تحته، والذي تحت لا يرى من فوق، والذي على أحد الجانبين لا يرى من على الجانب الآخر^(٢).

ولاحظ ابن أبي الحديد أنه لا منافاة بين قول الإمام عليه السلام: «سماء ذات ابراج» وبين ما يقوله الحكماء والمتكلمين ان السماء كرة لا زاوية فيها ولا ضلع، لأن الفلك وإن كان كرة لكنها فيه من المتمات ما يجري مجرى اركان الحصن أو السور. فصح اطلاق لفظة الابراج عليه، والمتمات اجسام في حشو الفلك تخف في موضع، ولا مانع من حمل لفظة الابراج على ما يقوله الحكماء إن الفلك يقسم لاثني عشر قسماً كل قسم يسمى برجاً، والإمام عليه السلام - أخذ اللفظة من القرآن في قوله تعالى: «والسماء ذات البروج»^(٣).^(٤)

اما بالنسبة إلى موقفه عليه السلام من التنجيم فهو ذو شقين الأول: إذا كان الهدف

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٢) الشرح ٣٠٤/٩.

(٣) سورة البروج، الآية: ١.

(٤) الشرح ٣٩٣/٦.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٢٣

من التنجيم معرفة الطرق البرية والبحرية فهذا لا بأس به، الثاني: إذا كان لأغراض أخرى فهو محرم، حيث يقول عليه السلام: «اياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدي به في بر أو بحر، فإنَّها تدعو إلى الكهانة؛ المنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار». وأشار عليه السلام أنه من صدق المنجمين فقد كذب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله، ثم أنه سيحمد المنجم بدل الله سبحانه وتعالى. (١)

(١) الشرح ٦/١٩٩.

المبحث الثامن

الإمام عليّ عليه السلام وعلم الحيوان

ابدى الإمام عليّ عليه السلام بعض الآراء في عدد من الطيور مثل الخفاش الذي يبصر ليلاً ولا يبصر نهاراً، ثم إن طيرانها باجنحة من لحم وليس من ريش، وهي تحمل ولدها ملاصقاً لها فلا يقع حتى يكبر. وقد اتى عليه السلام بالعلم الطبيعي في عدم ابصارها نهاراً، وهو انفعال حاسة بصرها عن الضوء الشديد، وقد يعرض مثل ذلك لبعض الناس، وهو المرض المسمى (روز كور)، أي اعمى النهار، ويكون ذلك عن افراط التحلل في الروح النوري فإذا لقي حر النهار، اصابه قمر، ثم يستدرك ذلك برد الليل فيزول، فيعود الابصار. (١)

واشار إلى الطاووس وكيفية لقاحه الانثى مشيراً أن وصفه جاء لمعاينته عليه السلام للطاووس، وقد اثار ذلك طعن البعض إذ أين رأى الإمام عليّ عليه السلام الطاووس؟ والواقع أنه عليه السلام رآه بالكوفة وليس بالمدينة، حيث كانت الكوفة عاصمة الدولة العربية الاسلامية تجبى لها الاموال والهدايا من الاصقاع. (٢)

(١) الشرح ١٨٣/٩. وانظر نص كلام الإمام عليه السلام في بداية هذا الفصل.

(٢) الشرح ٢٦٨/٩

وقد رد عليه عليه السلام: «من يزعم أنه يلحق بدمعة تسفحها مدامعه، فتقف في ضفتي جفونه، وأن اثنائه تطعم ذلك، ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس، لما كان ذلك باعجب من مطاعمة الغراب».

حيث يرى البعض أن الذكر تدمع عينه، فتقف الدمعة بين اجفانه، فتاتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة^(١). وقد انكر الإمام عليه السلام ذلك بالنسبة للطاووس، ولكنه أشار إلى مطاعمة الغراب، حيث يرى البعض أن لقاح الغراب يكون بانتقال جزء من الماء الموجود في قانصة الذكر إلى الانثى عن طريق مناقرها.^(٢)

وأشار عليه السلام إلى بعض الحشرات كالنملة التي قال فيها: «انظروا إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبّت على ارضها، وصبّت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعدّها في مستقرها، تجمع في حرها إلى بردها، وفي وردها لمصدرها؛ مكفول برزقها، مرزوقة بوقتها، لا يغفلها المنان، ولا يجرمها الديان، ولو في الصفا اليابس، والجحر الجامس، ولو فكرت في مجاري اكلها، وفي علوها وسفلها، وما في الجوف، من شراسيف بطنها، وما في الراس من عينها واذنها لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعبا».^(٣)

تجدد الاشارة ان للجاحظ تحليلاً للنملة ربما يكون أخذ فكرته من الامام عليه السلام

(١) الجاحظ: الحيوان ٣/١٧٧، ٤٦٤. ويرى الديميري أن الغراب يتستر في لقاحه الانثى. حياة

الحيوان الكبرى ٢/١٧٣.

(٢) الشرح ٩/٢٦٨-٢٧٠.

(٣) الشرح ٣/٥٥. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٤/٤٨١-٤٨٢.

وزاد في تحليله. (١)

وتطرق الإمام علي عليه السلام للجراة فقال عنها:

«خَلَقَ لها عينين حمراوين، واسرج لها حدقتين قمرأوين، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونايين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض، يرهبها الزراع في زرعهم، ولا يستطيعون ذبها ولو اجلبوا بجمعهم، حتى ترد الحرث في نزواتها، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون اصبعاً مستدمة». (٢)

(١) الشرح ١٣/٥٧-٦٣. وانظر الجاحظ: الحيوان ٥/٥٤٢-٥٧٣.

(٢) الشرح ١٣/٥٦-٦٦. وانظر الجاحظ: الحيوان ٥/٥٤٣-٥٧٣. الزمخشري: ربيع الابرار

المبحث التاسع

الإمام علي عليه السلام وعلم التاريخ

كان الإمام علي عليه السلام يوجه عناية فائقة إلى الاستفادة من التاريخ حتى أصبح التاريخ عنصراً بارزاً في مختلف الموضوعات التي اثارته اهتمامه وعنايته عليه السلام ولكنها ليست كعناية القاص أو السياسي الباحث عن الحيل السياسية واساليب التمويه ليعالج بها تدمير الشعب، وانما هي عناية رجل الرسالة والعقيدة والقائد الحضاري والمفكر المستقبلي. فهو يبحث ليجد في التاريخ جذور المشكل الانساني، وينفض جهود الانسانية على التكامل الروحي والمادي، ويعزز قدرته في تأمين قدر من السعادة مع الحفاظ على الطهارة الانسانية. ولذا فهو لم يتوقف عند جزئيات الوقائع الا بمقدار ما تكون شواهداً ورموزاً، وانما تناول المسألة التاريخية بنظرة كلية شمولية والامام - عليه السلام - ليس مؤرخاً لذا لا نجد عنده نظرة المؤرخ واسلوبه في سرد الوقائع، وتحليلها والحكم عليها، وانما هو رجل دولة وحاكم، ورجل عقيدة ورسالة فهو يتعامل مع التاريخ باعتباره حركة تكون شخصية الانسان الحاضرة والمستقبلية، ولذا فهي تشكل حيزاً هاماً، على درجة

كبيرة من الخطورة في عملية التربية والتحرك السياسي.^(١)

وتتضح عنايته عليه السلام بالتاريخ من خلال وصيته لولده الحسن عليه السلام إذ يقول: «أي بني ؛ اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم، وفكرت في اخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عدت كاحدهم، بل كأني بما انتهى الي من امورهم، قد عمرت من اولهم إلى اخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره»^(٢).

واوضح عليه السلام الهدف من دراسة التاريخ: «احي قلبك بالموعظة ... واعرض عليه اخبار الماضين، وذكره بما اصاب من كان قبلك من الأولين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعمما انتقلوا، واين حلوا ونزلوا، فانك تجدهم قد صرت كاحدهم»^(٣).

ولكن يا ترى من أين استقى الإمام علي عليه السلام معرفته التاريخية؟ من خلال نصوص النهج وسيرة الإمام علي عليه السلام يتضح ان مصادره كانت متنوعة وهي:

أولاً: القرآن الكريم: حيث تضمن القرآن دعوى لدراسة التاريخ «قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلكم»^(٤). ثم شمول القرآن لمادة تاريخية مثلت ثلث القرآن حيث أشار القرآن لقصة خمسة وعشرين نبياً، وإلى عدد من الاقوام السابقة وبعض الشخصيات، ثم اشارته لاحداث العرب قبل الإسلام ولما كان عليه السلام على علم بالقرآن، حيث قال عليه السلام:

(١) محمد مهدي شمس الدين: حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام. ص ٣١-٣٢.

(٢) الشرح ١٦/٦٧.

(٣) الشرح ١٦/٦٢. وانظر: الشريف الرضي: نهج البلاغة ٣٩٢.

(٤) سورة الروم ٤٢.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٣١

«علي مع القرآن، والقرآن مع علي»^(١). وقال عليه السلام: «ولا تسألوني عن آية ابليل نزلت أم بنهار أم بسهل أم بجبل»^(٢).

ولذا نجد التأثير القرآني واضحاً في فكر الامام التاريخي منهجاً وموضوعاً.^(٣)

ثانياً: تربية الإمام علي عليه السلام في بيت النبي كان لها الاثر في ثقافته التاريخية حتى تميز من بين أصحابه بأنه يملك تسعة اعشار العلم^(٤)، وشارك الآخرون في العشر العاشر، وقد قال فيه عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» كما مر بنا أول الفصل.

ثالثاً: السنة النبوية الشريفة: اشتملت السنة النبوية على مادة تاريخية متنوعة شكلت مصدراً افاد الامام في المعرفة التاريخية.

رابعاً: قراءات الامام لما وجد من مؤلفات سواء باللغة العربية أو غيرها وخاصة في تنقلاته بين الحجاز والعراق واليمن.^(٥)

خامساً: الاثار القديمة: مر الامام عليه السلام في تنقلاته بين الاقاليم ببعض الاثار القديمة وهذا واضح من كلامه «وسرت في اثارهم» وكان عليه السلام قد عاش في اربعة اقاليم، وهي الحجاز واليمن والعراق وسوريا، فالحجاز هو مهده الأول حيث

(١) أنظر مصادره فيما سبق من هذا الفصل.

(٢) أنظر مصادره في مبحث الإمام علي وعلوم القرآن.

(٣) محمد المهدي: حركة التاريخ عند الإمام علي ص ٣٤.

(٤) اخرجه ابن المغازلي: مناقب ص ٢٨٦-٢٨٧ ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١١٠٤. البلوي: الف باء ١/ ٢٢٢. النووي: تهذيب الاسماء ١/ ١/ ٣٤٦. ابن كثير: البدايه والنهايه ٧/ ٣٦٠..

(٥) محمد المهدي: حركة التاريخ ص ٣٤-٣٧.

٦٣٢ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

مكة والمدينة وما حوالئيهما في خيبر و الطائف وغيرها من مدن وسط الجزيرة .
اما اليمن ففي اثناء ولايته قضاءها أيام النبي صلى الله عليه وآله . في حين كان العراق أيام
خلافته متنقلاً بين البصرة والكوفة واخيراً سوريا في اثناء حرب صفين .^(١)

سادساً: لقاءاته مع علماء الثقافات الاخرى ومناظراته معهم شكلت
مصدراً للإمام . ففي شرحه لخطبة الامام «ولا همامه نفس اضطرب فيها»
قال ابن أبي الحديد: «فيه رد على المجوس والثنوية القائلين بالهامة، ولهم فيها
خبط طويل يذكر اصحاب المقالات، وهذا يدل على صحة ما يقال: ان امير
المؤمنين عليه السلام كان يعرف آراء المتقدمين والمتأخرين، ويعلم العلوم كلها، وليس
ذلك ببعيد من فضائله ومناقبه عليه السلام»^(٢) .

لقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى سنة من سنين التاريخ الإلهية «سنة الله في الذين
خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً»^(٣) . فإشارته عليه السلام ان الذنب لا يلزم من
اقتربه فقط، بل يشمل من رضى به، ولذلك إذا نزل العذاب شمل الجميع كما
حصل لقوم ثمود لما عقروا الناقة، فكان العاقر شخصاً واحداً، ولكنهم رضوا
به لذا شملهم العذاب، يقول عليه السلام «ايها الناس ؛ إنما يجمع الله بالعذاب لما عموه
بالرضا»^(٤) .

ومن اشاراته التاريخية الاجمالية، أشار إلى هذه الاقوام القديمة كالعالمقة^(٥) ،

(١) محمد المهدي: حركة التاريخ ص ٣٧-٣٨ .

(٢) الشرح ١/ ٨٠ .

(٣) سورة الاحزاب ٦٢ .

(٤) الشرح ١٠/ ٢٦١-٢٦٤ .

(٥) الشرح ١/ ٩٣-٩٤ .

والفراغة^(١)، واصحاب مدين^(٢). وكان هدفه عليه السلام من اشاراته اهذه الاقوام هو العظة والعبرة بحالهم إذ يقول: «وان لكم في القرون السالفة لعبرة! أين العمالقة، وابناء العمالقة! أين الفراغة، وابناء الفراغة! أين اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين، واطفئوا سنن المرسلين، واحيوا سنن الجبارين! أين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا الالوف، وعسكروا العساكر، ومدنوا المدائن»^(٣).

والمح عليه السلام في إحدى خطبه حياة العرب قبل الإسلام. كيف كانوا تحت تسلط الاكاسرة والقياصرة، حيث يبعدون العرب عن الارض ذات الخصب والزرع، فازاح الاكاسرة العرب عن بحر العراق (دجلة والفرات)، وطرد القياصرة عرب الشام عن مراعي ومنتجعات الشام، فالجؤهم إلى منابت الشيخ - وهو من نباتات الصحراء- وإلى ضيق العيش وقلته، فكان ذلك له اثره في تركهم فقراء، ليس لهم الا الاعتماد على الجمل والضأن، مما جعلهم «اذل الامم داراً»، وفيه إشارة لعدم وجود معاقل وحصون منيعة فيها، «واجدهم قراراً» لعدم الزرع والشجر والنخل بها. وعلل -عليه السلام- سبب فرقة العرب لعدم وجود دعوة دينية أو غيرها يتمون إليها، ولا هناك «ظل الفه يعتمدون على عزها»، وهذا أدى إلى «الأحوال مضطربة، والايدي مختلفة، والكثرة متفرقة» وهذا ترك آثاراً سلبية كان من جملتها: «بلاء ازل، واطباق جهل، من بنات مؤودة، واصنام معبودة، وارحام مقطوعة، وغارات مشنونة»^(٤).

(١) الشرح ٩٤/١٠.

(٢) الشرح ٩٤-٩٥/١٠.

(٣) الشرح ٩٢/١٠.

(٤) الشرح ١٧١-١٧٧/١٣.

٦٣٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

واشار إلى معتقدات العرب قبل الإسلام حيث يقول: «واهل الارض يومئذ ملل متفرقة». فاوضح ابن أبي الحديد^(١) مراد الامام عليه السلام في شرحه لعقائد العرب قبل الإسلام حيث قسمهم إلى العرب المعطلة وغير المعطلة. فكان المعطلة يقسمون إلى:

١- من انكر الخالق والبعث والاعادة. وقالوا: «ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر»^(٢)، حيث جعلوا الجامع لهم الطبع والمهلك الدهر.

٢- من اعترف بالخالق وانكر البعث، وهم الذين قال عنهم القرآن «قال من يحيي العظام وهي رميم»^(٣). وقال احدهم^(٤):

ايخبرنا ابن كبشه ان سنحيا وكيف حياة اصداء وهام
إذا ما الرأس مال بمنكبيه فقد شبع الانيس من الطعام
ايقتلني إذا ما كنت حياً ويحيني إذا رمت عظامي

٣- من اقر بالخالق ونوع من الاعادة، وانكروا الرسل، وعبدوا الاصنام، وزعموا إنها شفعاء عند الله في الآخرة، وحجوا لها ونحروا الهدى، وقربوا

(١) الشرح ١/١١٧ - ١٢٠. وانظر الشهرستاني: الملل: ٣/٢١٩. الآلوسي: بلوغ الارب: ٢/١٩٧ - ٢٥٢.

(٢) سورة الجاثية ٢٤.

(٣) سورة يس ٧٨.

(١٦٦).

(٤) قالها شداد بن الاسود في رثاء قتلى معركة بدر. ابن هشام: السيرة ٣/٢٩. الشهرستاني:

الملل ٣/٢٢١.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٣٥

القرابين، وحلوا وحرموا وهم جمهور العرب الذين قال عنهم القرآن «وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق»^(١)، وكانوا للاصنام ذوي آراء مختلفة فمنهم من يجعلها شريكة لله، فيقولون في التلبية: «اللهم ليك، لا شريك لك، الا شريكا هو لك، تملكه وما ملك». ومنهم من لا يطلق عليه لفظ الشريك، ويجعلها وسائل وذرائع إلى الله سبحانه، وهم الذين قالوا: «وما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى»^(٢).

٤- المشبهة والمجسمة: ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي من شعره:

من فوق عرش جالس قد حط رجليه إلى كرسيه المنصوب^(٣)

٥- ومنهم من يعتقد بالتناسخ، وتنقل الارواح في الاجساد، ومنهم ارباب الهامة، والهامة شيء يخرج من القبر على شكل صوت، وقد انكره الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا عدوى ولا هامة ولا صفر»^(٤). وهذا الاعتقاد بقي سارياً حتى العصر الأموي.^(٥)

٦- ومن العرب من مال إلى اليهودية كجماعة من التبابعة^(٦)، وملوك اليمن. أو إلى النصرانية كبنو تغلب، والعبادين رهط عدي بن زيد، ونصارى

(١) سورة الفرقان ٧.

(٢) سورة الزمر ٣.

(٣) الشرح ١/١١٩. وانظر ديوانه ص ١٦٤.

(٤) اخرجه ابن ماجه: صحيح ١/٢١، ٢/٢٧٠. الطحاوي: شرح معاني الآثار ٤/٣٠٧-٣٠٨.

الشهرستاني: الملل والنحل ٣/٢٢١.

(٥) الشرح ١/١١٩. وانظر ديوان توبة بن حمير ص ٤٨. السيوطي: شرح شواهد المغني ٢/٦٤٤.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن التبابعة أنظر: محسن مشكل الحجاج: دولة التبابعة ص ٩ وما بعدها.

نجران، ومنهم من مال للصابئة والقول بالنجوم.^(١)

اما غير المعطلة فهم المتأهون اصحاب الورع والتحرج عن القبائح وهم عبد المطلب وولديه عبدالله وأبو طالب، وزيد بن عمرو بن نفيل^(٢)، وقس بن ساعدة الايادي وغيرهم.^(٣)

واشار عليه السلام إلى حي من احياء العرب عرف بالشجاعة وهم «بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة»^(٤). حيث تمنى عليه السلام أن يكون له الف فراس منهم بدلاً من كل هذه الالوف التي معه. ومن بني فراس كان حامي الضعن حياً وميتاً وهو - ربيعة بن مكدم بن حرتان بن جذيمة بن علقمة بن فراس». حيث لم يحم الحريم ميتاً غيره، فبعد ان اصيب نصب رمحاً واتكأ عليه، و اشار على الضعائن بالرواح، ومات، وتصور اعدائه انه حي فلم يهاجموا الضعائن حتى سلمت.^(٥)

والمح عليه السلام إلى بعض من سيرة الاشعث بن قيس، حيث اسر مرتين الاولى قبل الإسلام حيث اسره بنو الحارث بن كعب، وتم فداؤه بثلاثة الاف بعير. والثاني: اسر في الإسلام، وذلك لما ارتدت بنو وليعة.، وهزمو امام زياد بن ليبيد والي الخليفة أبو بكر فذهبوا مستنجدين بالاشعث فابى مساعدتهم إلا أن يملكوه عليهم، فملكوه عندها سار إلى زياد فانهزم امام زياد، وطلب الامان له

(١) الألويسي: بلوغ الارب ٢/١٩٧-٢٥٢.

(٢) أحد الاحناف قبل الإسلام. أنظر الشهرستاني: الملل والنحل ١٣/٢٢٧، ٢٣٥.

(٣) الألويسي: بلوغ الارب ٢/٢٢٣-٢٢٤.

(٤) هم انجد العرب، والواحد يعدل بعشرة. ابن عبد ربة: العقد الفريد ١/١٣٦.

(٥) الشرح ١/٢٣٣، ٣٤١-٢. وانظر المبرد: الكامل ٤/٨٩. أبو الفرج: الاغاني ١٦/٦٦.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٣٧

ولعشرة من أصحابه، مقابل تسليم الحصن، فقبل زياد وارسله إلى الخليفة الذي عفا عنه وزوجه اخته أم فروة، ولذلك عرف الاشعث بعرف النار وهو اسم للغادر عند قومه^(١).

وقد قال الامام بحقه «ان امرؤ دل على قومه السيف، وساق إليهم الحنف، لحري ان يملكته الاقرب، ولا يأمنه الا بعد»^(٢).

(١) الشرح ١/٢٩٢-٢٩٧.

(٢) الشرح ١/٢٩١.

المبحث العاشر

الإمام علي عليه السلام والغيبيات

الغيب لغة: ما غاب عنك^(١). والغيبيات هي الحوادث التي تقع في المستقبل. أما علم الغيب فهو العلم الذي يلم به إنسان تنقشع من أمام عينيه حجب القرون، وتنطوي المسافات فيقرأ المستقبل البعيد أو الحاضر المحجوب كما يقرأ في كتاب مفتوح، ويعي حوادثه كأنها بنت الساعة التي هو فيها.^(٢)

وقد جاء في كلام الإمام عليه السلام - إشارات مستقبلية تنبأ بها؛ إذ أن كلامه عليه السلام. «داخل في باب المعجزات المحمدية لإشتغالها على الاخبار الغيبية وخروجها عن وسع الطبيعة البشرية»^(٣).

إن معرفة الأمور الغيبية أمر غير مستحيل فبعض الأنفس يمكن أن تختص بخاصية تدرك بها المغيبات، ولكن ليس كل المغيبات، لأن القوة المتناهية لا تحيط بأمور غير متناهية، وكل قوة في نفس فهي حادثة فهي متناهية، إذن وجب

(١) الرازي: مختار الصحاح ص ٤٨٥. ابن منظور: لسان العرب ١٤٧/٢.

(٢) محمد المهدي شمس الدين: دراسات في نهج البلاغة ص ١٢.

(٣) الشرح ١/٤-٥.

٦٤٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

أن يحمل كلام الإمام -عليه السلام- في معرفته الغيب لا على إنه يريد به العالمية، بل يعلم أموراً محدودة من المغيبات مما اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى تأهله لعلمه، وكذا الحال بالنسبة إلى الرسول ﷺ^(١).

ويقول ابن أبي الحديد: «أنا لا ننكر أن يكون في نوع البشر أشخاص يخبرون عن الغيوب ولكن كل ذلك مستند إلى الباري سبحانه باقداره وتمكينه، وتهيئة أسبابه، فان كان المخبر عن الغيوب ممن يدعي النبوة لم يخبر أن يكون ذلك الا بان الله سبحانه وتمكينه وأن يريد به تعالى أستدلال المكلفين على صدق مدعي النبوة، لأنه لو كان كاذباً لكان يجوز أن يمكن الله تعالى الجن من تعليمه ذلك إضلالاً للمكلفين وكذلك لا يجوز ان يمكن الله سبحانه الكاذب في ادعاء النبوة من الأخبار عن الغيب بطريق السحر، وتسخير الكواكب^(٢) والطلسمات^(٣) ولا بالزجر^(٤) ولا بالقيافة^(٥) ولا بغير ذلك من الطرق المذكورة لما فيه من

(١) الشرح ١٠/١٢-١.

(٢) أي ما عرف بعلم احكام النجوم وهو علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية من اوضاعها، على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد من أحوال الجو والمعادن والنبات والحيوان. أنظر طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة: ١/٣٣٧.

(٣) معنى الطلسم: عقد لا ينحل، وهو علم يبحث عن كيفية تمزيق القوى السماوية الفعالة بالقوى الارضية المنفعلة في ازمته مناسبة مع بخورات مناسبة قوية جالبة لروحانية ذلك الطلسم. طاش كبرى: مفتاح السعادة ١/٣٣٩-٤٠.

(٤) الزجر عكس الفأل ويراد منه طلب الهرب عن الأمر وهو تشاؤم الانسان بشيء يراه أو يسمعه. خاصة في سفره أو اقدمه على أمر. طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة: ١/٣٦٢-٣.

(٥) علم يبحث عن تتبع اثار الاقدام أو الاستدلال بهيئات اعضاء الانسان على صحة نسبه. طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة: ١/٣٥٣-٤.

استفساد البشر وإغوائهم، وأما إذا لم يكن المخبر عن الغيوب مدعياً للنبوة نظر في حاله، فإذا كان ذلك من الصالحين الأتقياء نسب ذلك إلى إنه كرامة أظهرها الله تعالى على يده ابانة له وتمييزاً من غيره كما في حق علي عليه السلام وان لم يكن كذلك امكن أن يكون ساحراً أو كاهناً أو نحو ذلك، وبالجملة فصاحب هذه الخاصية أفضل واشرف ممن لا تكون فيه، من حيث اختصاصه بها، فان كان للانسان منها مزية أخرى يختص بها توازيها، أو تزيد عليها، فترجع إلى التمييز والترجيح بينهما، والا فالمختص بهذه الخاصية ارجح واعظم من الخالي منها على جميع الأحوال^(١).

كان عليه السلام يخبر عن امتلاكه المعرفة بحوادث ومستقبل الأيام إذ يقول: (فاسألوني قبل ان تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة الا انبأتكم بناعقها، وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها، ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً، ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الامور وحواذب الخطوب لاطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين)^(٢).

وقال أيضاً: (والله لو شئت ان أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف ان تكفروا في برسول الله ﷺ). ولذلك اضطر عليه السلام إلى أن يبلغه فقط إلى (الخاصة ممن يؤمن ذلك منه)^(٣) وكان عليه السلام يكيل العلم كيلاً بلا

(١) الشرح: ١٢/٥-١٣.

(٢) الشرح: ٤٤/٧. وانظر المفيد: الإرشاد ص ١٧. الطوسي: آمالي الطوسي ط. النجف ١/٥٨.

الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٤.

(٣) الشرح: ١٠/١٠.

ثمن، ولكنه لا يجد حملة لهذا العلم^(١).

قد اسند الإمام عليه السلام غيبياته إلى الرسول ﷺ باعتباره المصدر الإصيل له، حيث بعد أن أشار إلى بعض الغيبات قام إليه أحد أصحابه وقال: (لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب!) وهنا ضحك الإمام عليه السلام وأوضح للسائل ما اشكل عليه، قائلاً: «ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة، وما عند الله سبحانه وتعالى بقوله: «ان الله عنده علم الساعة...»^(٢) فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد الا الله، وما سوى ذلك فعلم علمه الله لنبيه فعلمنيه، ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي»^(٣).

ولكن لماذا ضحك الإمام عليه السلام من قول الرجل: لقد اوتيت علم الغيب؟ الا يعد هذا زهواً في النفس وعجباً بالحال؟

واقعا ان ذلك حدث للنبي ﷺ حينما دعا الله سبحانه وتعالى ان يسقيهم فكثر المطر في المدينة، فأخذ ﷺ يشير على السحاب لينساب عن المدينة، فأخذ ﷺ يضحك سرورا بنعمة الله سبحانه وتعالى عليه^(٤)، حيث ان السرور احيانا يؤدي إلى الضحك وذلك ليس بمذموم إذا خلا من التيه والعجب، وقد قال تعالى في صفة اوليائه:

(١) الشرح: ٦/ ١٣٤. وانظر ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/ ٣٣٠.

(٢) سورة لقمان ٣٤. وتكملتها (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير).

(٣) الشرح: ٨/ ٢١٥.

(٤) الشرح: ١٤/ ٨٠-٨١. وانظر ابن هشام: السيرة ١/ ٣٠٠.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١)»^(٢).

وكان من جملة الأمور الغيبية الخمسة التي أشار لها القرآن: «وما تدري نفس ماذا تكسب غداً» أفلا يتعارض هذا بما كان يعلمه النبي ﷺ من الله تعالى عن أمور سيكسبها مستقبلاً كفتح مكة، واعلامه ﷺ للإمام بقتاله للناكثين والقاسطين والمارقين. إن المراد بالآية بأنه لا تدري نفس جميع ما تكسبه في مستقبل زمانها، وذلك لا ينفي جواز ان يعلم الانسان بعض ما يكسبه في مستقبل زمانه.^(٣)

لم يُعرف أحد قال: «سلوني قبل ان تفقدوني» لا من الصحابة ولا غيرهم سوى الإمام علي عليه السلام حتى ان أحد الوعاظ قال ذلك على المنبر فتعرض للسخرية والاستهزاء^(٤). وقد أكد عليه «فانا أعلم بطرق السماء مني بطرق الارض» فيه إشارة إلى ما اختلف به من العلم بمستقبل الامور لا سيما الملاحم والدول، وقد صدق هذا القول عنه ما تواتر من الاخبار الغيبية لا مره ولا مائه مرة، حتى زال الشك والارتياب في انه اخبار عن علم وليس اتفاقاً.^(٥)

ولكن قصور أدراك بعض الناس جعلهم يشكون بل ويكذبون الامام عليه السلام، وقد صار حوه بذلك مراراً، فكان عليه السلام يرد على تكذبيهم فقال: «لقد بلغني انكم

(١) سورة آل عمران ١٧٠.

(٢) الشرح: ٢١٧/٨.

(٣) الشرح: ٢١٧/٨-٢١٨.

(٤) الشرح: ١٠٧/١٣-١٠٩. وانظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/١٦٣-١٦٦. الذهبي: تذكرة

الحفاظ ٢/٧٥٥. الدميري: حياة الحيوان الكبرى ٢/٣٦٨.

(٥) الشرح: ١٠٦/١٣.

تقولون: علي يكذب، قاتلكم الله تعالى، فعلى من اكذب! اعلى الله فانا أول من امن به، أم على نبيه؟ فانا أول من صدق به». ثم قال عليه السلام: «كلا والله، لكنها لهجة غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها». ويحتمل ان الامام يقصد لهجة رسول الله صلى الله عليه وآله بتعليمه إياه، أو يقصد لهجته هو عليه السلام فيقول: «إنها لهجة غبتم عن منافعها، واعدتم انفسكم ثمن مناصحتها»^(١). وقال أيضاً: «لا تتراموا بالابصار عندما تسمعون مني، فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ان الذي انبأكم به عن النبي الامي صلى الله عليه وآله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع»^(٢).

بل ان وجهات نظر سامعيه قد تناقضت بعد ما سمعوا كلامه فحينما قال: «لو كسرت لي وسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما من اية في كتاب الله انزلت في سهل أو جبل الا وأنا عالم متى انزلت، وفيمن نزلت». فقال رجل: يا الله والدعوة الكاذبة! وقال آخر: أشهد انك أنت رب العالمين. وقال قوم: لله ابوه ما افصحه كاذباً.^(٣)

وبعد إن أوضح عليه السلام مصدر معلوماته قال لهم: «ولتعلمن نبأه بعد حين»^(٤)، وفيه إشارة إلى أن هذه الحقائق التي يخبر بها الإمام لا يدرك حقائقها الناس في حياته وإنما بعد وفاته^(٥). قال ابن أبي الحديد «لقد إمتحننا إخباره فوجدناه

(١) · الشرح: ٦/ ١٣٣.

(٢) · الشرح: ٧/ ٩٨.

(٣) · الشرح: ٦/ ١٣٦. وانظر المفيد: الإرشاد ص ١٧.

(٤) · سورة ص ٨٨.

(٥) · الشرح: ٦/ ١٣٤.

موافقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة... وكم له من الأخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى بما لو أردنا استقصائه، لكسرنا له كراريس كثيرة وكتب السير تشتمل عليها مشروحة»^(١).

اذن هذه النصوص صريحة بأن علمه عليه السلام بالمغيبات مأخوذ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن هل يمكن التصور إنه صلى الله عليه وآله وسلم أفضى للإمام عليه السلام بتفاصيل كل الحوادث، فالظرف الزماني الذي جمع النبي بالإمام لا يسع ذلك فالإمام عليه السلام يقول: «فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة، وتظل مائة، إلا أنبأتكم...»^(٢) ويقول: «فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الارض...»^(٣) ويقول: «والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت...»^(٤) فهذا علم واسع لا يسعه الظرف الزماني الذي قضاه الإمام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الإمام يصرح بأن علمه مستقى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف التوفيق في ذلك؟

الظاهر إنه صلى الله عليه وآله وسلم أفضى للإمام عليه السلام بكليات الأمور، ثم كان نشاط القوة الخفية المدوذة للإمام فتكشف له ما محجوب من أحشاء الزمان وثنايا المكان، لأن الإمام عليه السلام كان على درجة من الصفاء العقلي والطهارة الروحية والنقاء الوجداني وهذه القوى أنشط في النفوذ إلى المغيب المحجوب، وكان صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أوضح للإمام عليه السلام الكليات هداه للسبل التي تؤدي به إلى أرفع درجات الحالة الروحية

(١) الشرح: ٤٨/٧-٥٠.

(٢) الشرح: ٤٤/٧.

(٣) الشرح: ١٠١/١٣.

(٤) الشرح: ١٠/١٠.

٦٤٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

التي تتيح لقواه الخفية ان تعمل عملها الخارق فيعي بسببها تفصيل ما اجمله الرسول ﷺ^(١).

وفي تحليله للخطب التي يرد فيها ذكر الامور الغيبية (الملاحم) وجد ابن ابي الحديد ان هناك خطبا تجوز نسبتها للإمام عليه السلام وأخرى لا يجوز لذا لم يوردها^(٢).
ومن هذه الخطب والتنبؤات^(٣):

أولاً: في خلافته عليه السلام:

- لما طلب منه عليه السلام الناس البيعة بعد مقتل الخليفة عثمان قال: «دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمرا له وجوه والوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت». فكلامه هذا له باطن وغور عميق ومعناه الأخبار عن غيب يعلمه عليه السلام هو ويجهلونهم، وهو الإنذار بحرب المسلمين بعضهم لبعض، وإختلاف الكلمة وظهور الفتنة^(٤).

_ وخطب عليه السلام في الجمعة الثالثة من خلافته فقال: «وإن محمداً... خلف فينا راية الحق... دليلها مكيث الكلام... فإذا أتم التتم له رقابكم، وأشرتم إليه بأصابعكم، جاءه الموت فذهب به...». هنا عليه السلام كنى عن نفسه، وإعلمهم بأنه سيفارقهم، بعد إجتماعهم عليه وطاعتهم له، وهكذا وقع الأمر فان أهل

(١) محمد المهدي شمس الدين. دراسات في نهج البلاغة ص ١٣٨-١٤١.

(٢) الشرح: ١٤/١٠.

(٣) لقد نقل الهاشمي أكثر ما جاء لدى ابن ابي الحديد في موضوع المغيبات. عند شرح الأول نهج البلاغة كتاب اسماها منهاج البراعة. أنظر ٤/٣٤٠-٥٠، ٧/٨٢-٤، ١٧١-٢، ٢١٥-٤٤، ٢٩٨، ٨/٩٣، ٢٠٤، ٢١٠، ٣٤٦، ٣٦١، ٩/١٦٥، ١٠/١٨٣، ٧، ٣٤٧.

(٤) الشرح: ٧/٣٣-٣٤.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٤٧

العراق لم يكونوا أشد اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل فيه، حيث عقد لابنه الحسن على عشرة الاف، ولأبي ايوب الانصاري على عشرة الاف حتى اجتمع له مائة الف، واخرج مقدمته للشام فضربه ابن ملجم فانفضت تلك الجموع^(١).

_ وفي أثناء مراسلاته مع معاوية قبيل معركة صفين كتب الإمام قائلاً: «كأني بجماعتك يدعونني جزعا من السيف إلى كتاب الله». وهذا أما أن يكون فراسة نبوية صادقة وهذا عظيم، أو أخبار عن غيب مفصل وهو أعظم وأعجب وعلى كلا الأمرين فهو غاية العجب^(٢).

_ وفد غالب بن صعصعة^(٣) على الإمام عليه السلام ومعه ولده الفرزدق فقال له الإمام: يا أبا الاخطل^(٤) من هذا الغلام معك؟ قال: ابني وهو شاعر، قال: علمه القرآن فهو خير له من الشعر.

فتحت قوله عليه السلام: (يا أبا الأخطل) قبل أن يعلم إن ذلك الغلام ولده وهو شاعر، سر غامض، ويكاد يكون أخباراً عن غيب^(٥).

_ كان عليه السلام جالساً في مسجد الكوفة فأقبلت امرأة مختمرة لا تعرف، فقالت

(١) الشرح: ٨٤/٧، ٩٣-٩٤.

(٢) الشرح: ٨٣/١٥.

(٣) هو ابن صاحب المواقف المعروفة في مسألة وأد البنات. فكان ابوه صعصعة يشتري البنت من أبيها لذا قال الفرزدق:

وجدي الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوأد

ديوان الفرزدق ١/١٧٣.

(٤) الاخطل: هو الخفيف السريع، والمتنوه في القول. ابن منظور: لسان العرب ١٣/٢٢١-٢.

(٥) الشرح: ١٠/٢١-٢٢. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٢/٧٨.

٦٤٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

للإمام عليه السلام: يا من قتل الرجال، وسفك الدماء، وايتم الصبيان، وارمل النساء! فقال عليه السلام: وإنما هي هذه السلققة^(١) الجلعة^(٢) المجعة^(٣)، وإنما هي هذه شبيهة الرجال والنساء! التي ما رأيت دما قط. فولت هاربة منكسة رأسها، فتبعها أحدهم فقال لها: لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل فادخلي منزلي حتى أهب لك واكسوك، فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها وكشفها ونزع ثيابها لينظر صدق قول الإمام عليه السلام فبكت وسألته الا يكشفها، وقالت: أنا والله كما قال لي، لي ركب النساء، وانثيان كأنثى الرجال، وما رأيت دما قط. فتركها ورجع للإمام واخبره، فقال الإمام عليه السلام: إن خليلي رسول الله ﷺ أخبرني بالمتمردين علي من الرجال والنساء حتى تقوم الساعة^(٤).

ثانياً: مصير أصحابه:

كان للإمام عليه السلام عدد من الإصحاب يفضي إليهم بأسراره وعلومه لذا كان السبيل لوصول بعض معارف الإمام عليه السلام إلينا، وأولئك الصحابة كانوا موضع انتقام من الدولة الأموية التي استلمت مقاليد الحكم. لذلك كان الإمام عليه السلام قد تنبأ بمصيرهم:

قال عليه السلام لعمر بن الحمق الخزاعي^(٥): «إنك لمقتول بعدي، وان رأسك

(١) من السلق وهو شدة القول باللسان، قال تعالى (سلقوكم بالسنة جداد) سورة الأحزاب (١٩).

الرازي: مختار الصحاح ص ٣١٠. ابن منظور: لسان العرب ٢٥/١٢.

(٢) هي المرأة التي تترك الحياء وتتكلم بالقبیح. ابن منظور: لسان العرب ٤٠٢/٩.

(٣) هي المرأة المتكلمة بالفحش والقليلة الحياء. ابن منظور: لسان العرب ٢١٠/١٠.

(٤) الشرح: ٢٨٨/٢.

(٥) أسلم بعد الحديبية وهاجر إلى المدينة، وقد شهد حروب الإمام علي عليه السلام. أنظر ابن قتيبة: المعارف =

لمنقول، وهو أول رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك! اما انك لا تنزل بقوم الا اسلموك برمتك، الا هذا الحي من بني عمرو بن عامر من الازد، فانهم لن يسلموك ولن يخذلوك، قال: فوالله ما مضت الا أيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في بعض احياء العرب، خائفا مذعورا حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فاسلموه، فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام وهو أول راس حمل من بلد إلى آخر في الإسلام»^(١).

قال عليه السلام: لجويرية بن مسهر العبدي^(٢): «أما والذي نفسي بيده لتعتلن إلى العتل الزنيم، فليقطعن يدك ورجلك وليصلبنك تحت جذع كافر، قال: فوالله ما مضت إلا أيام على ذلك حتى أخذ زياد بن أبيه جويرية، فقطع يده ورجله وصلبه»^(٣).

وقال عليه السلام لميثم التمار^(٤): «إنك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني أبتدر منخراك وفمك دما، حتى تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث طعنت بحربة يقضى عليك فانتظر ذلك، والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو

= ص ٢٩١. الطبري: تاريخ ٤/٣٢٦، ٣-٣٧٢، ٤-٣٩٣، ٥/١٧٩، ٢٣٦، ٢٥٨-٩، ٢٦٥.

الكشي: رجال ص ٤٦-٤٨. ابن حجر: الاصابة ٢/٥٣٢-٣.

(١) الشرح: ٢/٢٨٩-٢٩٠. وانظر ابن حبيب: المحبر ص ٤٩٠. البيهقي: المحاسن والمساوي ص ٣٦٦.

(٢) أنظر ترجمته: الكشي: رجال ص ٩٨.

(٣) الشرح: ٢/٢٩٠-٢٩١. وانظر ابن المفيد: الإرشاد ص ١٢٠. الطبري: اعلام الورى ص ١٧٢.

(٤) هو ميثم التمار الاسدي، كان مولى لأميرة فاشتره الإمام علي عليه السلام واعتقه واصبح من اخلص أصحابه. أنظر: ابن حجر: الاصابة ٣/٥٠٤-٥.

٦٥٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ابن حريث^(١)، انك لعاشر عشرة أنت اقصرهم خشبة واقربهم إلى المطهرة-
يعني الأرض - ولأرينك النخلة التي تصلب على جذعها».

وقد قبض على ميثم أيام ولاية عبيد الله بن زياد الكوفة، فلما رفع على
الخشبة أجمع الناس حوله على باب دار عمرو بن حريث، فأخذ ميثم يحدثهم
بفضائل آل البيت، فأمر ابن زياد بإلجامة، فكان أول مخلوق يلجم في الإسلام،
فلما كان في اليوم الثاني فاضت منخراه وفمه دما، فلما كان في اليوم الثالث طعن
بحربة فمات.^(٢)

وقبض زياد بن أبيه على رشيد الهجري^(٣) فقال له زياد: ما قال خليلك
لك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني. فقال زياد: اما والله لاكذب
حديثه. ثم قال: ردوه لا نجد شيئا اصلح مما قال لك صاحبك، انك لا تزال
تبغي لنا سوءاً إن بقيت، أقطعوا يديه ورجليه، ثم قال: اصلبوه خنقا في عنقه،
ثم قطعوا لسانه.^(٤)

وكان مزرع^(٥)، أحد أصحاب الإمام عليه السلام يحدث في أيام معاوية؛ ليؤخذ
رجل فليقتلن، وليصلبن بين شرفتين من شرف المسجد، ف قيل له: انك لتحدث

(١) عمرو بن حريث من أهل الكوفة روى عن النبي ﷺ. ابن حجر: الإصابة ٢/٥٣١.

(٢) الشرح: ٢/٢٩١-٢٩٤. وينظر ابن المفيد: الإرشاد ص ١٢٠-١٢١. الطبرسي: اعلام الوري
ص ١٧٢-١٧٤.

(٣) رُشيد بضم الراء. أنظر، الكشي: رجال ص ٧١-٧٣.

(٤) الشرح: ٢/٢٩٤. وانظر ابن المفيد: الإرشاد ص ٣٦. الطوسي: الامالي ١/١٦٧-١٦٨.
الطبرسي: اعلام الوري ص ١٧٤.

(٥) هو مزرع بن عبد الله أحد اصحاب الإمام علي عليه السلام. المفيد: الإرشاد ص ١٢١-١٢٢.

بالغيث. فقال: حدثني الثقة علي بن أبي طالب - قال: فما أتت جمعة حتى أخذ مزرع وقتل وصلب بين شرفتين من شرف المسجد^(١).

- كان مالك بن ضمرة الرؤاسي^(٢) يدعو: اللهم لا تجعلني أشقى الثلاثة، فيقال له: وما الثلاثة؟ فيقول: رجل يرمى من فوق طمار ورجل تقطع يده ورجلاه ولسانه ويصلب، ورجل يموت على فراشه، فكانت الناس تستهزأ به وتقول: هذا من أكاذيب أبي تراب، لأنه كان من خواصه، وان هانيء بن عروة قد رمي من قصر طمار^(٣) لوقوفه مع مسلم بن عقيل سفير الحسين عليه السلام إلى الكوفة أيام عبيد الله بن زياد، ورؤيد الهجري قطع وصلب، أما مالك بن ضمرة فهات على فراشه^(٤).

ثالثاً: الدولة الأموية:

تنبأ الإمام علي عليه السلام بقيام الدولة الأموية من بعده، حيث قال لأصحابه «أما إنه سيظهر عليكم من بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، إلا إنه سيأمركم بسبي والبراءة مني،

(١) الشرح ٢/ ٢٩٤-٢٩٥. وانظر المفيد: الإرشاد، ص ١٢١-١٢٢.

(٢) ينظر ابن حجر: الاصابة ٣/ ٣٨٣-٤.

(٣) هو قصر بالكوفة. البغدادي: مرصد الاطلاع ٢/ ٩٨٢. وإلى ذلك يقول الشاعر في مسلم بن

عقيل وهانيء بن عروة الشيباني:

إلى هانيء في السوق وابن عقيل

إذا كنت لاتدرين ما الموت فأنظري

واخر يهوي من طمار قتيل

إلى بطل قد هشم السيف وجهه

مقاتل الطالبيين: ص ٧٢.

(٤) الشرح ٢/ ٢٩٥.

٦٥٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

فاما السب فسبوني، فإنه لي زكاة ولكم نجاة، واما البراءة فلا تتبرؤا مني، فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة»^(١).

والإمام هنا يقصد تولى معاوية للحكم، حيث كان موصوفاً بالنعيم وكثرة الأكل، وكان بطيئاً يقعد بطنه إذا جلس على فخذيته، وكان يجب كثرة الأكل، حتى قال فيه الشاعر^(٢):

وصاحبٌ لي بطنُهُ كالهواية كأن في أحشائه معاوية

هذا التنبؤ قد وقع، حيث لما تولى معاوية الحكم أمر في جميع الأقاليم بسب الإمام والبراءة منه، وإستمر ذلك حتى خلافة عمر بن عبد العزيز^(٣)، ولذلك مدحه الشريف الرضي^(٤):

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من أمية لبكيتك
غير أني أقول إنك قد طبّت وإن لم يطب ولم يزل بيتك
أنت نزهتنا عن السب والقذف فلو أمكن الجزاء جزيتك

واستمر خلفاء بني أمية وولاتهم على هذا المنوال^(٥).

قال الاسكافي - أحد معتزلة بغداد-: ((إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه، والبراءة

(١) الشرح ٤/٥٤، ١٠٨. وانظر أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين. ص ٤٤. الطبرسي: أعلام الوري ص ١٧٢..

(٢) الشرح ٤/٥٤-٥٥. الميداني: مجمع الامثال ١/٨٧.

(٣) الشرح ٤/٥٦-٦٣. وانظر كتاب سليم بن قيس ص ١٤٤-١٤٩.

(٤) الشرح ٤/٦٠. لم أجده في الديوان المطبوع.

(٥) الشرح ٤/٥٦-٦٣.

منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله. فاختلفوا ما أرضاه، منهم عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير»^(١).

وتنبأ عليه السلام لوصول مروان بن الحكم إلى تولي الحكم إذ يقول عليه السلام: «يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه، وإن له امرء كلعة الكلب انفه، وهو أبو الأكبش الأربعة. وستلقي الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر»^(٢).

إن ما أشار إليه الإمام عليه السلام قد وقع، فمروان وصل للحكم بعد ان بلغ الخامسة والستين، وقد فسر البعض - الأكبش الأربعة - بأولاد عبد الملك الأربعة الذين تولوا الخلافة - الوليد، سليمان، يزيد، هشام - فيما يرى ابن أبي الحديد إن الأكبش الأربعة هو أولاد مروان لصلبه وهم عبد الملك، وعبد العزيز، وبشر، ومحمد، حيث تولى عبد الملك الخلافة، وأما عبد العزيز فتولى مصر، فيما تولى بشر العراق، في حين تولى محمد إقليم الجزيرة^(٣).

— وتنبأ عليه السلام لعبد الملك بن مروان حيث جاء في إحدى خطبه: «لكأني أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام، وفحص براياته في ضواحي كوفان، فإذا فغرت فاغرتة، واشتدت شكيمته، ونقلت في الأرض وطأته، وعضت الفتنة أبناءها بأنبيائها، وماجت الحرب بأمواجها، وبدأ من الأيام كلوحها، ومن الليالي كدوحها فإذا أئع زرعه، وقام على ينع، وهدرت شقائقه، وبرقت بوارقه، عقدت رايات

(١) الشرح ٤/٦٣.

(٢) الشرح ٦/١٤٦. وانظر: ابن سعد: الطبقات ٥/٤٣. الشريف الرضي: نهج البلاغة. ص ١٠٢. الطبرسي: اعلام الوری ص ١٧٢.

(٣) الشرح ٦/١٤٧-١٤٨.

الفتن المعظلة، وأقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم»^(١).

كلام الإمام أعلاه كناية عن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٤-٨٦هـ)، لأن هذه الصفات والإمارات فيه أتم منها في غيره- لأنه قام في الشام حين دعا إلى نفسه، وهو معنى نعيقه وفحصت راياته بالكوفة. تارة حين شخص بنفسه إلى العراق، وقتل مصعباً، وتارة لما أستخلف الإمراء على الكوفة كبشر من مروان أخيه وغيره حتى أنتهى الأمر إلى الحجاج وهو زمان أشتداد شكيمة عبد الملك وثقل وطأئه، وحينئذ صعب الأمر جداً، وتفاقت الفتن مع الخوارج وعبد الرحمن بن الأشعث، فلما كمل أمر عبد الملك- وهو معنى «أينع زرعه» هلك، وعقدت رايات الفتن المعظلة من بعده، كالحروب التي دارت بين أولاده وبين بني المهلب، وزيد بن علي، وفتن الكوفة أيام يوسف بن عمرو وخالد القسري وعمر بن هبيرة وغيرهم، وما جرى من استئصال الأموال والأنفس^(٢).

ونفى ابن أبي الحديد أن يكون قصد الإمام أعلاه هو معاوية لأن الأخير كان في أيام الإمام نعق بالشام، ودعاهم لنفسه، والكلام يدل على إنسان ينعق فيما بعد، حيث يقول عليه السلام: «كأني أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام»^(٣).

وأكد ابن أبي الحديد ذلك بكلام آخر للإمام أشار به إلى عبد الملك إذ قال عليه السلام: «كأني به قد نعق بالشام، وفحص براياته في ضواحي كوفان، فعطف عليهما عطف الضروس وفرش الارض بالرؤوس، قد فغرت فاغرته، وثقلت

(١) الشرح ٩٨/٧.

(٢) الشرح ٩٩/٧.

(٣) الشرح ١٠٠/٧.

في الأرض وطأته، بعيد الجولة، عظيم الصولة والله ليشردنكم في أطراف الأرض حتى لا يبقى منكم إلا قليل كالكحل في العين، فلا تزالون كذلك حتى تؤوب إلى العرب عواذب أحلامها»^(١).

وهذا إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام، وملكه بعد ذلك العراق، وما قتل من العرب فيها أيام عبد الرحمن بن الأشعث ومصعب بن الزبير^(٢).

- ودل كلامه «أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال، يأكل خضرتكم ويذيب شحماتكم، أية أبا وذحة». على الحجاج فهو غلام ثقيف، وكان -عليه السلام- يعلم من حال الحجاج ونجاسته بالمعاصي والذنوب، التي لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشاة، لذا كناه «أبا وذحة»، وهذه الكنية إما لدمايته في نفسه، وحقارة منظره، وتشويه خلقتة، حيث كان قصيراً ذمياً نحيفاً، أخفش العينين معوج الساقين، قصير الساعدين، مجدور الوجه، أصلع الرأس، فكانه الإمام عليه السلام بأحقر الأشياء وهو البعرة^(٣).

- وحينما كان الإمام عليه السلام يخطب بذكر بعض الملاحم، قال له أعشى همدان^(٤)

(١) الشرح ٤٦/٩-٤٧.

(٢) الشرح ٤٧/٩، ٨٩.

(٣) الشرح ٢٧٧/٧-٢٨٠، ٢٨١.

(٤) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث، يكنى أبا المصباح، شاعر من أهل الكوفة في العصر الأموي، خرج مع ابن الأشعث فوق أسيراً بيد الحجاج وقتله صبواً. أبو الفرج: الاغانى

٦٥٦الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

«يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة»^(١) فقال عليه السلام: «إن كنت أتماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجال فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك الله حرمة إلا انتهكها يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها، قالوا: يقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه». وفعلاً فقد أسر أعشى همدان بعد خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث، وأمر به الحجاج فقتل»^(٢).

- وتنبأ عليه السلام لما قام به عبد الله بن الزبير في الحجاز بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام فقال: «صنب صنب، يروم أمراً، ولا يدركه، ينصب حباله الدين لإصطياد الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش»^(٣).

_ وأشار عليه السلام إلى الوالي الأموي - يوسف بن عمرو الثقفي بقوله: «... يأتكم صاحب اليمن، حتى يحل بين أظهركم، فيأخذ العمال وعمال العمال، رجل يقال له يوسف بن عمرو، ويقوم عند ذلك رجل منا أهل البيت فانصروه فإنه داع إلى الحق». وقيل إن قصد الإمام هذا هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليه السلام -^(٤).

(١) هو رجل من عذرة استهوته الجن، ولما رجع أخذ يكلم عنهم فكذب وسمي حديثه حديث خرافة: الميداني: مجمع الامثال ١/١٩٥.

(٢) الشرح ٢/٢٨٩. ابن حبيب: اسماء المغتالين ٧/٢٦٥-٧ وذكرها أبو الفرج مع الاشعث: مقاتل الطالبين ص ٢٠.

(٣) الشرح ٧/٤٨.

(٤) الشرح ٢/٣٠٦. روي الاصفهاني أن الإمام علياً - عليه السلام - قال: يخرج بظهر الكوفة رجل يقال له=

– وصف عليه السلام الولاية الأمويين: «اثرُوا عاجلاً، وأخروا آجلاً وتركوا صافياً، وشربوا أجناً، كأني أنظر إلى فاسقهم، وقد صحب المنكر فألفه، وبسى به ووافقه، حتى شابت عليه مفارقه، وصبغت به خلائقه، ثم أقبل مزبداً كالتيار لا يبالي ماغرق أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق»^(١).

ثالثاً: كربلاء:

كانت كربلاء قد شغلت آل البيت كثيراً لأنه رغم تعدد الفجائع التي حلت بآل البيت النبوي، لم يشهدوا فاجعة كفاجعة كربلاء، إذ تعرض بيت زعيم الدولة الإسلامية للسبي في دولته، وكأنهم في ذلك يجازون النبي مقابل تبليغه للدعوة. «أقل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى»^(٢) ومثلما تنبأ النبي ﷺ بأحداث كربلاء^(٣). نجد الإمام علياً عليه السلام تشغله تلك الفاجعة فيذكرها بمزيد من الألم.

– فلما توجه إلى صفين وقف عليه السلام في موضع كربلاء وقال: ذات كرب وبلاء. وأوماً بيده إلى مكان، فقال: ها هنا موضع رحالهم، ومناخ ركا بهم، ثم أوماً إلى

= زيد في أبهة (والإهبة الملك) لا يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل عمله، يخرج يوم القيامة هو وأصحابه معهم الطوامير أو شبه الطوامير حتى يتخطوا أعناق الخلائق فتلقاهم الملائكة فيقولون هؤلاء خلف الخلف ودعاة الحق، ويستقبلهم رسول الله ﷺ فيقول: يا بني قد عملتم ما أمرتم به فادخلوا الجنة بغير حساب. مقاتل الطالبين ص ٨٨ وانظر الصاحب بن عباد: عنوان المعارف ص ٥٠.

(١) الشرح ٨٨/٩.

(٢) سورة الشورى، ٢٣. وأنظر تفسيرها القرطبي: الجامع ١٦/٢١-٢٣.

(٣) أنظر في ذلك المحب الطبري: ذخائر العقبى ص ١٥٦-١٥٨. وأنظر الحاكم: المستدرک ٣/١٩٤،

١٩٦. المتقي الهندي: كنز العمال ١٣/١٠٨، ١١١-١١٤.

٦٥٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

مكان آخر، فقال: ها هنا مراق دمائمهم. فسأله رجل: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: ثقل لآل محمد ينزل ها هنا، فويل لهم منكم، وويل لكم منهم، فقال الرجل: ما معنى ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار^(١).

- لما نزل الإمام كربلاء أخذ من ترابها فشمها ثم قال: واهاً لك يا ثرى! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، فسمعه هرثمة بن سليم، فلما كان أيام ابن زياد كان ضمن الجيش الخارج لحرب الحسين - عليه السلام -، فلما وصل كربلاء عرف المكان وتذكر قول الإمام - عليه السلام - فترك الجيش وأنسحب^(٢).

- وفهم ابن أبي الحديد من قول الإمام عليه السلام «فالأرض لكم شاغرة وأيديكم فيها مبسوطة وأيدي القادة عنكم مكفوفة، وسيوفكم عليهم مسلطة، وسيوفهم عنكم مقبوضة» بأنه عليه السلام يرمز إلى ما سيقع من قتل الحسين عليه السلام وأهله، وكأنه يشاهد ذلك عياناً، ويخطب عليه ويتكلم على الخاطر الذي سنح له، والأمر الذي كان أخبر به^(٣).

- قال عليه السلام للبراء بن عازب^(٤): يا براء: أيقتل الحسين وأنت حي فلا تنصره!

(١) الشرح ٣/ ١٧٠-١، ٤٨/٧. وأنظر: المنقري: صفين ١٤١-٢. المفيد: الإرشاد ص ١٢٣. ابن

طاووس: الملاحم والفتن ص ٩٢-٩٣. المحمودي: نهج السعادة ١/ ١٣١-١٣٢.

(٢) الشرح ٣/ ١٦٩-١٧٠. المنقري: صفين ص ١٤٠-١٤١. المفيد: الإرشاد ص ١٢٣.

(٣) الشرح ٧/ ١١٧، ١٢٠. وأنظر النص في نهج البلاغة ص ١٥١.

(٤) هو من الأنصار ويعد من الصحابة، غزا مع الرسول ﷺ أربع عشرة غزوة، وفتح الري، وشهد

الجمل وصفين والنهروان مع الإمام علي - عليه السلام - ومات أيام مصعب بن الزبير: الكشي: رجال

٤٥-٤٦. ابن حجر: الاصابة ١/ ١٤٢-٣.

فقال البراء لا كان ذلك يا أمير المؤمنين. فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك: ويقول: أعظم بها حسرة! إذ لم أشهده وأقتل دونه (١).

- وخطب عليه السلام قائلاً: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تفضل مئة أو تهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقها وسائقها، ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله، وجميع شأنه». فقام إليه - تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمي - فقال: فكم في رأسي طاقة شعر؟ فقال عليه السلام: أما والله إني لأعلم ذلك، ولكن أين برهانه لو أخبرتك به؟ ولقد أخبرت بقيامك ومقالك، وقيل لي: إن على كل شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك وشيطان يستفزك واية ذلك ان في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله ﷺ ويحضر على قتله.

إن ما أخبر به الإمام عليه السلام قد وقع حيث كان وقتها لتميم ولد يدعى - حصين (٢) - طفلاً يرضع اللبن، وأصبح فيما بعد صاحب شرطة عبيد الله بن زياد فأرسله الأخير إلى عمر بن سعد يأمره بمحاربة الحسين عليه السلام فقتل الحسين عليه السلام صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته (٣).

_ ولما قال عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني» قال له أنس النخعي: أخبرني ما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر، فقال عليه السلام: «والله لقد حدثني خليلي إن على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وان كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، وان في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله ﷺ، ولقد كان ابنه سنان (٤)

(١) الشرح ١٥/١٠. وانظر المفيد: الإرشاد ص ١٢٣. الاربلي: كشف الغمة ١/ ٢٨٢.

(٢) ينظر الطبري: تاريخ ٣٧٢/٥ - ٣٩٢ - ٤٠٥، ٤٣٤، ٤٤٩ (متفرقة).

(٣) الشرح ١٥-١٤/١٠. وانظر: الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٤.

(٤) ينظر: الطبري: تاريخ ٤٥/٥ - ٤٦٨/٤.

يومها صغيراً وهو من اشترك في قتل الحسين عليه السلام^(١).

— قال رجل للإمام عليه السلام: «يا أمير المؤمنين، إني مررت بوادي القرى^(٢)، فوجدت خالد بن عرفطة^(٣) قد مات، فاستغفر له». فقال عليه السلام والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمار، فقام رجل وقال: يا أمير المؤمنين: أنا حبيب بن حمار، واني لك شيعة ومحِب. فقال عليه السلام أنت حبيب بن حمار؟ قال: نعم. فقال له ثانية: والله انك لحبيب بن حمار؟ فقال: أي والله. قال عليه السلام: أما والله إنك لحاملها ولتحمّلنها، ولتدخلن بها من هذا الباب— وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة. قال الراوي: فوالله ما مت حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته، وحبيب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل^(٤).

رابعاً: الخوارج:

حفل كلام الإمام الوارد في نهج البلاغة بالإشارات لمستقبل الخوارج منذ

(١) الشرح ٢/٢٨٦. وانظر المفيد: الإرشاد ص ١٢٣. الطبرسي: اعلام الوري ص ١٧٤-١٧٥.
(٢) وادي القرى: بين المدينة والشام وهو من اعمال المدينة، الحموي: معجم البلدان ٣٣٨-٩، ٣٤٥/٥.

(٣) هو من بني عذرة وحالف بني زهرة، شارك في القادسية. الطبري، تاريخ ٣/٤٨٩، ٥٣٠-٢، ٥٣٧، ٥٦٥، ٥٧٤، ٥٧٨، ٦١٩، ٥٣/٤، ٢٦٨/٥، ١٩/٦، ٨٤/٧. الحاكم: المستدرک ٣/٣١٦. ابن حجر: الاصابة ١/٤١٠.

(٤) الشرح ٢/٢٨٦-٧. وانظر المفيد ص ١٢٢-١٢٣. الطبرسي: اعلام الوري ص ١٧٥. ابن طاووس: الملاحم ص ٩٢. ابن حجر: الاصابة ١/٤١٠ وذكر الاصفهاني على إنها راية معاوية لما دخل الكوفة. مقاتل الطالبين ص ٤٦-٤٧.

عصره عليه السلام إلى العصر العباسي.

- في لقاءه عليه السلام بالخوارج يوم النهروان، قال له أصحابه: ان القوم قد عبروا جسر النهروان فقال: مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة^(١).

هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة بالإشتهار ونقل الناس كافة له، لذا أصبح من معجزات الإمام عليه السلام، وأخباره المفصلة عن الغيوب، والأخبار تنقسم على قسمين، فهناك الأخبار المجملة التي لا أعجاز فيها كما يفعل الملوك والإمراء عادة حيث يعدون أصحابهم بالنصر، فلا يدل وقوع ذلك على اخبار عن غيب يتضمن إعجازاً، أما الأخبار المفصلة عن الغيوب مثل هذا الخبر، فانه لا يحتمل التليس لتقيده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج، وقد وقع الأمر بعد المعركة كما أخبر به - عليه السلام - من غير زيادة أو نقص «وذلك أمر الهي عرفه من جهة رسول الله ﷺ وعرفه رسول الله ﷺ من جهة الله سبحانه وتعالى والقوة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره»^(٢).

- بعد معركة النهروان أمر أصحابه بالبحث عن جثة - المخدج ذي الثدية فلم يجده أصحابه، فقال: «ما كذبت ولا كذبت» وهذه إشارة لما أخبره الرسول ﷺ: «إنك مقاتلهم، وقاتلهم، وإن المخدج ذا الثدية منهم، وأنك ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين فلما إستبطن الإمام عليه السلام وجود

(١) الشرح ٣/٥. وانظر: المفيد: الإرشاد ص ١١٨-١١٩. الشريف الرضي: نهج البلاغة. ص

٩٣. الخوارزمي: المناقب ص ١٨٥.

(٢) الشرح ٥/٣-٤، ٧/٤٨.

٦٦٢ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

المخدج مع القتلى، وأشفق من دخول شبهه على أصحابه لما كان أخبرهم بقتله قال: «ما كَذَّبْتُ ولا كُذِّبْتُ» أي ما كذبت على رسول الله ﷺ. ولا كذبتني رسول الله ﷺ (١).

- وقال عليه السلام للخوارج: «أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيافاً قاطعاً، وأثره يتخذها الظالمون فيكم سنة». إن هذا الأخبار عن مستقبل الخوارج قد وقع، حيث سلط الله عليهم بعد الإمام الذل الشامل، والسياف القاطع، والأثر من السلطان، وما زال حالهم يضمحل، حتى فني أكثرهم بسيف المهلب وبنيه (٢).

ولما قال أصحاب الإمام بعد النهروان «هلك القوم بأجمعهم» فقال عليه السلام: «كلا والله، إنهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء وكلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين» (٣).

وهذا إخبار صحيح فإن الخوارج لم يهلكوا جميعهم في النهروان، وإن دعوتهم سيدعو بها قوم لم يخلقوا أيام الإمام، وتحققت أيضاً نبوءة الإمام بأن آخرهم لصوصٌ سلابين، فإن دعوتهم اضمحلت، وفني رجالهم، حتى انقضى الأمر بهم إلى أن صاروا قطاعاً للطرق متظاهرين بالفساد والفسوق مثل الوليد

(١) الشرح ٦/١٣٠. وانظر: الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٠.

(٢) الشرح ٤/١٣٢. ولمزيد من التفاصيل الشرح ٤/١٣٢-٢٧٨، ٥/٨٠-١٢٩. وانظر المبرد: الكامل ٣/٤٠٣-٤١٤، الطبري التاريخ ٦/١١٩-١٢٧، ١٧٤، ١٩٥-١٩٩، ٢١١-٢١٥، ٢١٦-٢٥٦، ٢٥٧-٢٨٤، ٣٠٠-٣١١.

(٣) الشرح ٥/١٤. وانظر المحمودي: نهج السعادة ٢/٣١٦.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٦٣

ابن طريف الشيباني أيام الرشيد^(١)، وابن عمرو الخثعمي^(٢) أيام المتوكل (٢٣٢-٢٤٧) الذي ذمه البحري^(٣) في إحدى قصائده^(٤).

قال ابن أبي الحديد: «ومن المشهورين برأي الخوارج الذين تم بهم صدق قول أمير المؤمنين عليه السلام: (إنهم نطف في اصلاب الرجال، وقرارات النساء): عكرمة مولى ابن عباس^(٥)... والمنذر بن الجارود العبدي^(٦) ومنهم يزيد بن أبي مسلم^(٧) مولى الحجاج... ومنهم صالح بن عبد الرحمن^(٨) صاحب ديوان العراق. ومن ينسب إلى هذا الرأي من السلف جابر بن زيد^(٩) وعمرو بن

(١) الشرح ٥/٧٣-٤. وانظر: الطبري: تاريخ ٨/٢٥٦. ابن خلكان: وفيات ٦/٣١-٣٤.

(٢) الشرح ٥/٧٤-٧٦.

(٣) ديوان البحري ٢/١٣٧٣.

(٤) الشرح ٥/٧٤-٧٦.

(٥) ذكر الشهرستاني انه من الخوارج. الملل ١/٢٨٥.

(٦) الشهرستاني: الملل ١/٢١٨. الطوسي: الفهرست ص ٧٠. الكشي: رجال ص ١٩٩.

(٧) هو مولى الحجاج وتولى خراج الكوفة والبصرة أيام الوليد بن عبد الملك سنة ٩٥ حتى عزله

سليمان سنة ٩٦ وقتل في افريقيا سنة ١٠٢ هـ الطبري: ٦/٣٧٤، ٤٩٣، ٥٠٦، ٦١٧.

(٨) وولاه سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ على خراج العراق: الطبري ٦/٥٠٦، ٥٠٨، ٥٢٢-٣، ٥٢٥.

(٩) الطبري: المنتخب ص ٦٤٦، ٦٧٩. أبو نعيم: حلية الاولياء ٣/٨٥-٩١. الطوسي: الفهرست

ص ٧٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ص ١/٧٢.

٦٦٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

دينار^(١) ومجاهد^(٢) وأبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي^(٣)، يقال: إنه كان يرى رأي الصفرية^(٤)، ومنهم اليهان بن رباب^(٥)، وكان على رأي البيهسية^(٦)، وعبد الله بن يزيد^(٧)، ومحمد بن حرب^(٨) ويحيى بن كامل^(٩)، وهؤلاء

(١) هو راو وفقهه وعن خرج على الحجاج مع ابن الاشعث. الطبري: تاريخ ١/١١٥، ٢٢٥، ٣٤٤، ٣٦٦، ٢/٢١٩، ٣٨٤، ٣٨٩-٩٠، ٣/٣٢، ٢٤٠، ٤/٣٩، ٥/٣٤٥، ٦/٤٨٨.

(٢) هو مجاهد بن جبر من الرواة في الفقه والتفسير، خرج على الحجاج مع ابن الاشعث، فحبسه الحجاج حتى مات الحجاج. وشارك في غزوة القسطنطينية عام ٩٨ مع مسلمة. الطبري ٦/٤٨٨، ٥٣٠.

(٣) هو صاحب المؤلفات في اللغة والأخبار. ابن قتيبة: المعارف ص ٥٤٣. الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/١٨٤. ابن النديم: الفهرست ص ٧٩-٨٠. ابن خلكان: وفيات ٥/٢٣٥-٢٤٣.

(٤) هي إحدى فرق الخوارج تنسب إلى زياد بن الاصفر. الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/١٦٩. الملطي: التنبيه والرد ص ٥٢، ١٧٨. الشهرستاني: الملل ١/١٨٣-٥.

(٥) هو من زعماء الخوارج وله مؤلفات في ذلك أكثرها ردود على مخالفيين. أنظر ابن النديم: الفهرست ص ٢٥٨. الشهرستاني: الملل ١/١٨٥.

(٦) نسبة إلى أبي بيهس الهيصم بن جابر الذي قتل أيام الوليد. الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/١٧٧-١٨٢. الملطي: التنبيه ص ١٨٠. الشهرستاني: الملل ١/١٦٩-١٧٢.

(٧) هو من الخوارج الأباضية، وله كتب في الرد على المعتزلة. ابن النديم: الفهرست ص ٢٥٨. الشهرستاني: الملل ١/١٨٥.

(٨) هو من متكلمي الخوارج وله مؤلفات. ابن النديم: الفهرست ص ٢٥٨. الشهرستاني: الملل ١/١٨٥.

(٩) كان مرجئاً ثم أصبح خارجياً وله مؤلفات في الرد على المخالفيين. ابن النديم: الفهرست ص ٢٥٨. الشهرستاني: الملل ١/١٨٥.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٦٥

اباضية^(١). وقد نسب إلى هذا المذهب أيضاً من قبل أبو هارون العبدي^(٢)، وأبو الشعثاء^(٣)، واسماعيل بن سميع^(٤) وهبيرة بن بريم^(٥).... ونسب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد^(٦)، إلى رأي الخوارج لاطنابه في كتابه المعروف بـ-الكامل- في ذكرهم وظهور الميل منه إليهم^(٧).

خامساً: زوال الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية

في أكثر من نص نجد الإمام قد أشار إلى أن الدولة الأموية ستزول وتقوم مقامها الدولة العباسية، ومنها:

- «إن لبني أمية مروداً يجرون فيه، ولو قد اختلفوا فيما بينهم، ثم لو كادتهم الضباع لغلبتهم».

إن الأخبار أعلاه هو عن غيب صريح، فالأمويون لم يزل ملكهم منتظماً حينما لم يكن هناك اختلاف بينهم، بل حروبهم مع غيرهم كحرب معاوية للإمام في صفين، وحرب يزيد لأهل المدينة في موقعة (الحرّة)، وعبد الله بن الزبير في

(١) نسبة إلى عبد الله بن اباض وهي إحدى فرق الخوارج. الشهرستاني: الملل: ١/ ١٨٠-١٨٢. الملطي: التنبيه ص ١٧٨، ٥٢.

(٢) الشهرستاني: الملل ١/ ١٨٥.

(٣) هو جابر بن زيد. الطبري ٥/ ٢٢٤، ٢٣٧، أبو نعيم: حلية الاولياء ٣/ ٨٥-٩١. الشهرستاني: الملل ١/ ١٨٥.

(٤) هو اسماعيل بن سميع. الطبري: تاريخ ٥/ ٧٣. الشهرستاني: الملل ١/ ١٨٥.

(٥) ترجمناه ص ٢٥٣ في نهاية موضوع الإمام علي عليه السلام والعلم الالهي.

(٦) هو صاحب كتاب -الكامل في الأدب- وقد تحدث كثيراً عن الخوارج لذا اعتمده ابن أبي الحديد كمصدر عن الخوارج. أنظر الكامل ٣/ ١٦٤ ٤١٤.

(٧) الشرح ٥/ ٧٦-٧٧.

مكة، وحرب مروان بن الحكم للضحاك، وحرب عبد الملك بن مروان مع ابن الأشعث وابن الزبير، وحرب يزيد بن عبد الملك لبني المهلب، وحرب هشام بن عبد الملك لزيد بن علي، لكنه لما تولى الوليد بن يزيد وخرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد وقتله، أختلفت بنو أمية فيما بينها وجاء الوعد، وصدق من وعد به، فإنه منذ قتل الوليد دعت دعاة بني العباس بخراسان، وأقبل مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة، فخلع إبراهيم بن الوليد، وقتل قوماً من بني أمية، وكان زوال ملكهم على يد أبي مسلم، وكان في بدايته أضعف خلق الله، وأعظمهم فقراً ومسكنة، وفي ذلك تصديق قوله - عليه السلام - ثم لو كادتهم الضباع لغلبتهم (١).

- وقال عليه السلام بالمعنى نفسه: «فأقسم بالله يا بني أمية عما قليل لتعرفنها في أيدي غيركم، وفي دار عدوكم». وقد وقع الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام، فان الخلافة بقيت بأيديهم تسعين سنة ثم عادت للهاشميين، وإنتم الله منهم بأيدي أشد الناس عداوة لهم (٢).

- وأشار ثالثة: فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا وأدخله الظلمة ترحة، وأدلجوا فيه نقمة، فيومئذ لا يبقى لهم في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر... فأقسم ثم أقسم لتتخمنها أمية من بعدي كما تلفظ النخامة، ثم لا تذوقها ولا تتطعم بطعمها أبداً، ما كرّ الجديدان.

وهذا النص أيضاً إخبار عن الدولة الأموية، وزوال أمرهم بعد تفاقم

(١) الشرح ٢٠/١٨٢-١٨٣.

(٢) ٧/١١٧، ١٢٠-١٢١. وانظر المحمودي: نهج السعادة ١/٢٢٢-٣.

أحوالهم. (١).

_ وفي نص تنبأ الإمام لزوال الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية إذ يقول: «ألا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها، وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها، وأيم الله لتجدون بني أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس، تعذب بفيها، وتخبط بيدها، وتزين برجلها، وتمنع درها، ولا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم، أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا مثل انتصار العبد من ربه، والصاحب من مستصعبه ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية، وقطعاً جاهلية، ليس فيها منار هدى ولا علم يرى، نحن أهل البيت منها بنجاة، ولسنا فيها بدعاة، ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الاديم، بمن يسومهم خسفاً، ويسوقهم عنفاً، ويسقيهم بكأس مصبرة لا يعطيهم إلا السيف، ولا يجلسهم إلا الخوف، فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يروني مقاما واحداً، ولو قدر جزر لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطوني» (٢).

_ إنَّ كلام الإمام أعلاه إشارة إلى أن فتنة بني أمية، سوف تعم الكل من حيث كانت رياسة شاملة لكل أحد، وحظ أهل البيت وشيعتهم من بلاءها أعظم، والذين لا يزالون بالناس قتلاً حتى لا يتركوا الأيمن ينفعهم أبقاؤه، أو لا يضرهم تركه، حتى يكون إنتصار الناس منهم كانتصار العبد من مولاه، هذا يعني انهم لا ينتصرون منهم لأن العبد لا ينتصر من مولاه

(١) الشرح ٢١٨/٩.

(٢) الشرح ٤٥/٧.

٦٦٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

أبداً. ولا يزال الأمر كذلك حتى ينفرج عنكم بمن يسومهم خسفاً ويوليهم ذلاً، وهذا الكلام أخبر عن ظهور المسودة ورايات بني العباس، وانقراض الدولة الأموية، وقد وقع الأمر كما أخبر - عليه السلام - وصدق في قوله «لقد تود قريش...» حيث إن الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد قال يوم الزاب لما شاهد عبد الله بن علي بإزائه في صف خراسان: لوددت أن علي بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى^(١).

_ وبعد أن أشار عليه السلام إلى «ضليل قد نعق بالشام» وهو إشارة إلى عبد الملك ابن مروان قال: «وعن قليل تلتف القرون بالقرون، ويحصد القائم، ويحطم المحصود». وهو كناية عن ظهور الدولة العباسية، وقوله عليه السلام (يحصد القائم ويحطم المحصود) كناية عن قتل الأمراء الأمويين في الحرب، وقتل المأسورين صبراً، فحصد القائم هو قتل المحاربة، وحطم الحصيد هو القتل صبراً، وهكذا وقعت الحال مع عبد الله بن علي والسفاح^(٢).

سادساً: الدولة العباسية:

- ويرى بعض المعتزلة أن قوله عليه السلام «لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها» في هذا إشارة إلى خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور، حيث أزالوا الدولة الأموية، وبهم عطفت الدنيا على بني عبد المطلب عطف الضروس^(٣).

_ أخبر عليه السلام عبد الله بن عباس بانتقال الأمر لأولاده، حيث لما ولد لعبد الله

(١) الشرح ٥٣/٧-٥٧.

(٢) الشرح ٩٨/٧، ١٠١.

(٣) الشرح ٢٩/١٩.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٦٩

حنكه الإمام بتمرة قد لأكها ثم دفعه لأبيه قائلاً: «خذ اليك أبا الأملاك»^(١).

_ أشار عليه السلام إلى مقتل محمد ذي النفس الزكية في «إنه يقتل عند أحجار الزيت»^(٢). وقوله عن أخيه ابراهيم قتيل باخرى^(٣) «يقتل بعد أن يظهر، ويقهر بعد أن يقهر» وقوله فيه أيضاً «يأتيه سهم غرب يكون فيه منيته فيا بؤساً للرامي: شلت يده ووهن عضده»^(٤).

_ وتنبأ للأئمة من ولده في طبرستان^(٥) كالناصر^(٦) والداعي^(٧) وغيرهما بقوله: «وإن لآل محمد بالطالقان^(٨) كنزاً سيظهره الله إذا شاء، دعاؤه حق، يقوم بأذن الله فيدعو إلى دين الله»^(٩).

(١) الشرح ٤٩/٧-٥٠. وانظر: مؤلف مجهول: اخبار العباس، ص ١٣٤.

(٢) احجار الزيت: موضع بالمدينة المنورة. الحموي: معجم البلدان ١/١٠٩.

(٣) باخرى: موضع بين الكوفة وواسط. الحموي: معجم البلدان ١/٣١٦.

(٤) الشرح ٤٨/٧. وانظر ٣/٣٠٧-٣١٢. الاصفهاني: مقاتل الطالبين ١٥٧-٢٥٦.

(٥) طبرستان: من أقاليم بلاد فارس فتحت مدنها منذ عهد الخليفة عثمان. الحموي: معجم البلدان ٤/١٣-١٦. الحميري: الروض ص ٣٨٣-٥.

(٦) هو الداعي ناصر الحق الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن الحسين بن علي. ابن النديم.

الفهرست ص ٢٧٣-٤. الشهرستاني: الملل ١/٢١٨. ابن المرتضى طبقات المعتزلة ص ١١٧.

(٧) هو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسين بن الحسن بن الحسين بن علي أنظر: الهمداني:

تكملة تاريخ الطبري ص ٣٤٤. ابن النديم: الفهرست ص ٢٧٤. الشهرستاني: الملل ١/٢١٨.

ابن المرتضى: طبقات المعتزلة، ص ١١٧.

(٨) الطالقان: بلدتان في خراسان. الحموي: معجم البلدان ٤/٦-٨. الحميري: الروض ص ٣٨٠-١.

(٩) الشرح ٤٨/٧.

– وأشار إلى قتلى-وج^(١)-وقولهم فيهم «هم خير أهل الارض». (٢)
– وتنبأ عليه السلام لقيام الدولة الفاطمية^(٣)، وأشار ابن أبي الحديد أن الإمام عليه السلام
صرح بذكر قبيلة كتامة^(٤) التي كان لها الدور الأكبر في مناصرة الدولة الفاطمية-
إلا أنه لم يشر إلى النص الذي ذكرها- وقوله عليه السلام في أبي عبد الله المهدي: «ثم
يظهر صاحب القيروان الغض البض، والنسب المحض، المنتجب من سلالة ذي
البداء، المسجى بالرداء». وقد كان عبيد الله المهدي أبيض مترفاً مشرباً بحمرة،
وخص البدن، ناء الاطراف، أما ذو البداء فهو اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام
وهو المسجى بالرداء، لأن أباه الصادق عليه السلام قد سجاه بردائه لما مات، وادخل إليه
وجوه أصحابه ليعلموا موته وتزول الشبهة عليهم في امره^(٥).

(١) أسم يطلق على الطائف قديما، نسبة إلى وج بن عبد الحي من العمالقة، ولما أحاطها قسي وهو
تثيف بطوف سميت الطائف. أنظر: الهمداني: مختصر كتاب البلدان، ص ٢٢. الشريف الرضي:
المجازات النبوية ص ٦٣. الحموي: معجم البلدان ٩/٤، ٥/٣٦١. الحميري: الروض المعطار
ص ١٧، ٣٧٩، ٦٠٨.

(٢) الشرح ٤٨/٧. لم يتسن لي معرفة قصد الإمام، ولم يوضح ابن أبي الحديد مراد الإمام من قتلى-
وج-، وقد ذكر أبو عدي عبد الله بن عمر بن عبد الله العجلي الأموي القرشي ت ١٤٥، وهو شاعر
مخضرم في الدولتين الأموية والعباسية، ومن أهل المدينة، وكان في أيام الدولة الأموية يذمهم
ويميل لبني هاشم ولما آل الأمر إلى العباسيين اكرموه. وقد ذكر «وج» في شعر له إذ = يقول:

وقتلى بوج وباللابتين
من يشرب خيرا ما انفس

أبو الفرج: الأغاني ٤/٣٣٢-٣. ولم يتضح لي المقصود بقتلى وج.

(٣) لمزيد من التفاصيل عنها، أنظر: المقرئ، أتعاط الخلفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا. المقرئ:

الخطط ١/٣٤٨-٤٩٦. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية.

(٤) إحدى القبائل المغربية، أنظر موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية.

(٥) الشرح ٤٨/٧-٤٩.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٧١

– وتنبأ عليه السلام لبعض الحركات في العصر العباسي كحركة القرامطة بقوله: «ينحلون لنا الحب والهوى، ويضمرون لنا البغض والقلبي، واية ذلك قتلهم وارثنا وهجرهم احداثنا».

إن ما أخبر به عليه السلام قد وقع – لأن القرامطة قتلت من آل بني طالب عدداً كثيراً. ويذكر أن-أبا طاهر سليمان بن الحسن الجنابي^(١) - مر بجيشه بارض الغري^(٢) والحائر^(٣)، ولم يزر اياً منها ولا دخل ولا وقف. وأشار-عليه السلام- إلى ما يفعلونه بالحجر الاسود: «كأني بالحجر الأسود منصوباً هاهنا، ويجهم إن فضيلته ليست في نفسه، بل في موضعه واسمه، يمكث ها هنا برهة- وأشار إلى البحرين- ثم يعود إلى مأواه، وام مثواه» وقد وقع الأمر في الحجر الاسود حسبما أخبر به عليه السلام^(٤).

-وفي كلامه عليه السلام للأحنف بن قيس أشار لبعض ما سيجري في البصرة، ومنها اشارته إلى ظهور حركة^(٥) الزنج «يا احنف، كأني به وقد سار بالجيش

(١) هو أحد زعماء القرامطة. أنظر ترجمته: أبن خلكان: وفيات الاعيان ٢/١٤٨-١٥٠. ابن تغري: النجوم الزاهرة ٣/٢٢٥.

(٢) هو القطعة من الجبل، والشيء الحسن، وسمي الموقع الذي فيه مرقد الإمام علي عليه السلام. بالغري. الحموي: معجم البلدان ٤/١٩٨-٢٠٠.

(٣) هو الموضع الذي يتحير فيه الماء. وسمي مرقد الحسين -عليه السلام- بالحائر. الحموي: معجم البلدان ٢/٢٠٨-٩.

(٤) الشرح ١٠/١٣-١٤. وعن اخذهم الحجر الاسود ثم ارجاعه أنظر: الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص ٢٦٣-٤، ٣٧١.

(٥) لمزيد من التفاصيل أنظر الطبري: تاريخ ٩/٤١٠-٦٦١. ناجي: تاريخ الطبري مصدرأً عن ثورة الزنج ص ٣٧-٩٢. التنظيم العسكري لجيش صاحب الزنج ص ١١٦-١٥٧. صاحب =

الذي لا يكون له غبار ولا لب، ولا قعقة لحم، ولا حمحة خيل، يثيرون الارض بأقدامهم كأنها اقدام النعام» أشار الشريف الرضي: ان الامام يقصد بذلك حركة الزنج التي ظهرت في العصر العباسي (٢٥٥-٢٧٠)، وقد ترك ظهورها اثاراً سلبية على مدينة البصرة حيث يقول الامام: «ويل لسككم العامرة، والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور! وخراطيم كخراطيم الفيلة؛ من اولئك الذين لا يندب قتلهم، ولا يفقد غائبهم»^(١).

وتنبأ عليه السلام بفتن تترك اثار سلبية على مدينة البصرة^(٢) إذ يقول: «فتن كقطع الليل المظلم، لا تقوم لها قائمة، ولا ترد لها راية، تأتيكم مزومة مرحولة يحفزها قائدها، ويجندها راكبها، أهلها قوم شديد كلبهم، قليل سلبهم، يجاهدكم في الله قوم اذلة على المتكبرين، في الارض مجهولون، وفي السماء معروفون فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله! لا رهج له ولا حس، وسيبتلى اهلك بالموت الاحمر، والجوع الاغبر».

وقد اختلفت الآراء في طبيعة هذا الجيش، ورأى البعض أن الإمام يقصد به حركة الزنج. ولكن ابن أبي الحديد لا يرى ذلك، لأن جيش الزنج كان ذا حس ورهج خلاف ما وصفه الإمام أعلاه، ولأنه انذر البصرة بهذا الجيش عند حدوث تلك الفتن، حيث لم يكن قبل خروج صاحب الزنج فتن شديدة على

=الزنج، ص ١١-٢٣. فوزي: التاريخ الاسلامي ص ٣٢٣-٣٦٦.

(١) الشرح ٨/ ١٢٥. ابن طاووس: الملاحم ص ١٠١، ١٠٩. تجدر الاشارة إلى أن ابن أبي الحديد تحدث بالتفصيل عن حركة الزنج واقتبس ما جاء لدى الطبري ولكن يشار إلى انه حذف كثيراً مما جاء لدى الطبري ولم يأت بشي جديد ولم يبد أي تحليل للموضوع لذا فلا فائدة مما جاء به خاصة وان الطبري موجود لدينا. أنظر: الشرح ٨/ ١٢٦-٢١٤. ناجي: تاريخ الطبري ص ٨١-٨٢.

(٢) ينظر سنن أبي داود ٤/ ١١٣-٤.

الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام^(١).

— وتنبأ عليه السلام لظهور البويهيين بقوله: «يخرج من ديلمان بنو الصياد» حيث كان أبوهم صياد سمك وهي مهنته التي يتقوت منها، فأخرج الله من صلبه ثلاثة ملوك، وأنشرت ذريته، ثم أشار عليه السلام لزيادة أمرهم «ثم يستشري أمرهم حتى يملكوا الزوراء، ويخلعوا الخلفاء». فقال له قائل: فكم مدتهم يا أمير المؤمنين؟ قال: مائة أو تزيد قليلاً. وقال عليه السلام فيهم: «المترف ابن الأجدم، يقتله ابن عمه على رجله» وفي هذا إشارة إلى عز الدولة بختيار^(٢) بن معز الدولة أبي الحسين، وكان معز الدولة أقطع اليد، قطعت يده للنكوص في الحرب، وكان ابنه عز الدولة بختيار مترفاً، صاحب لهو وشرب قتله - عضد الدولة فننا خسرو - ابن عمه بقصر الجص على دجلة في الحرب، وسلبه ملكه^(٣). واما خلعهم للخلفاء العباسيين، فقد خلع معز الدولة - الخليفة العباسي المستكفي ورتب بدله المطبع^(٤)، وبهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة خلع الطائع ووضع مكانه القادر، أما مدة حكمهم فكان كما ذكر - عليه السلام - بلغت مائة سنة وثلاث عشرة (٣٣٤-٤٤٧)^(٥).

— وقد تنبأ عليه السلام لظهور التتار بقوله «كأني اراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة، يلبسون السرق والديباج، ويعتقبون الخيل العتان، ويكون هناك استحرار

(١) الشرح ١٠٤/٧.

(٢) عن بختيار أنظر: ابن الاثير: الكامل ٨/٥٧٥-٦، ٦-٦٣١، ٦٤٣، ٦٥١، ٦٩١. الثعالبي:

تيمية الدهر ٢/٢٦٠، أبو حيان: الامتاع والمؤانسة، ٣/٧٨، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٧.

(٣) ينظر ذلك في ابن الاثير: الكامل ٨/٦٩١.

(٤) ينظر ذلك في ابن الاثير: الكامل ٨/٤٥٠-٤٥١.

(٥) الشرح ٤٩/٧.

قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت أقل من المأسور»^(١).

قال ابن أبي الحديد: «وأعلم أن هذا الغيب الذي أخبر عليه السلام عنه قد رأيناه نحن عياناً، ووقع في زماننا، وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام، حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا وهم التتار»^(٢).

وقد استنتج ابن أبي الحديد من كلام الإمام «ويكون هناك استحرار قتل» بأن الإمام أتى بالكاف، حيث إذا وقعت عقيب الإشارة أفادت البعد، فنقول للقريب هنا، وللبعيد هناك كما هو في لغة العرب إذ لو كان لهم استحرار قتل في العراق فلا يقول: هناك، بل المفروض أن يقول: هنا لأنه -عليه السلام- خطب خطبته هذه في البصرة وهي وبغداد ضمن بلد واحد وهو العراق. وعلق قائلاً: «فليمح هذا الموضوع فإنه لطيف»^(٣).

إن ابن أبي الحديد كان وقت إحاطة المغول لبغداد يكتب شرح نهج البلاغة، وقد لاحظ أن جند بغداد قد حققوا بعض الانتصارات على المغول مما أدى لانسحاب المغول عن بغداد قبيل عام ٦٤٩هـ وهي السنة التي انتهى بها من الشرح. وقد تناسى ابن أبي الحديد أن بغداد أيام الإمام لم تكن موجودة، وأنه لا

(١) الشرح ٨/ ٢١٥. وانظر التفاصيل الشرح ٨/ ٢١٨-٢٤٣. وورد كذلك في سنن أبي داود ٤/ ١١٢.

ابن طاووس: الملاحم ص ١٠٩. وتجدر الإشارة ان ابن أبي الحديد اعتمد في ما جاء لديه عن التتار على ما جاء لدى ابن الاثير في الكامل في التاريخ وإن كان ابن أبي الحديد قد اغفل الإشارة عنها في ذلك، وادعى أنه لم يسبقه أحد للكتابة عن التتار، وبعد المقارنة وجدنا ابن أبي الحديد ينقل مادته من ابن الاثير حتى سنة ٦٢٧هـ، اما ما جاء في الفترة (٦٢٧-٦٤٣) وهي قليلة جداً فلم يشر للمصادر ويمكن أن يكون هو مصدرها. قارن: الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٨-٥٠٤.

(٢) الشرح ٨/ ٢١٨.

(٣) الشرح ٨/ ٢٤١.

يمكن استخدام ضمير الإشارة القريب لمكان يبعد حوالي (٦٠٠) كم عن البصرة.

— وتنبأ عليه السلام لغرق مدينة البصرة بقوله: «كأني أنظر إلى قريبتكم هذه قد طبقتها

الماء، حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر»^(١).

قال ابن أبي الحديد في شرحه: «أما أخباره عليه السلام بأن البصرة تغرق عدا المسجد

الجامع بها، فقد رأيت من يذكر إن كتب الملاحم تدل على أن البصرة تهلك بالماء

الأسود ينفجر من أرضها فتغرق ويبقى مسجدها. والصحيح إن المخبر به قد

وقع، فإن البصرة غرقت مرتين، مرة في أيام القادر بالله، ومرة في أيام القائم بأمر

الله غرقت باجمعها ولم يبقَ منها إلا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطائر،

حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع

المعروف الآن بجزيرة الفرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام^(٢)،

وخربت دورها، وغرق كل ما في ضمنها، وهلك كثير من أهلها وأخبار هذين

الغرقين معروفة عند أهل البصرة، يتناقلها خلفهم من سلفهم»^(٣).

— وتنبأ عليه السلام لظهور العناصر الأجنبية وكثرتها بعد بناء مدينة بغداد، وما

يتبع ذلك من تطور في الجوانب العمرانية إذ يقول: «إذا كثرت فيكم الأخلاط،

وأستولت الأنباط، دنا خراب العراق، ذلك إذا بنيت مدينة ذات أثل وأنهار،

فإذا غلت فيها الأسعار، وشيد فيها البنيان، وحكم فيها الفساق، وأشدت البلاء،

وتفاخر الغوغاء؛ دنا خسوف البيداء، وطاب الهرب والجللاء، وستكون قبل

الجللاء أمور يتشيب منها الصغير، ويعطب الكبير، ويخرس الفصيح، وييهت

(١) الشرح ١/ ٢٥١. الخوارزمي: المناقب، ص ١٢١. ابن طاووس: الملاحم ص ١٠٢.

(٢) هو جبل قريب من البصرة، الحموي: معجم البلدان ٣/ ٢٦٠.

(٣) الشرح ١/ ٢٥٣. وانظر، الخوئي: الدرّة النجفية ص ٧١.

الليبي، يعاجلون بالسيف صلتا، وقد كانوا قبل ذلك في غصارة من عيشهم يمرحون، فيالها مصيبة حينئذ! من البلاء العقيم، والبكاء الطويل، والويل والعيول، وشدة الصريخ، في ذلك أمر الله - وهو كائن»^(١).

- وإشارته عليه السلام إلى ما يجري في مستقبل الزمان مما يكون سبباً في عدم الأمان: «ذلك عند تمرد الإشرار، وطاعة أولى الخسار، ذاك أو ان الحتف والدمار، ذاك ادبار أمركم، وإنقطاع أصلكم، وتشتت الفتكم؛ وإنما كان ذلك عند ظهور العصيان، وانتشار الفسوق، حيث يكون الضرب بالسيف اهون على المؤمنين من اكتساب درهم حلال؛ حين لا تنال المعيشة إلا بمعصية الله في سبائه، حين تسكرون من غير شراب، وتحلفون من غير اضطرار، وتظلمون من غير منفعة وتكذبون من غير إحراج. تتفكهون، وتبادرون بالمعصية، قولكم البهتان، وحديثكم الزور، واعمالكم الغرور، فعند ذلك لا تأمنون البيات، فياله من بيات ما أشد ظلمته! ومن صائح ما افظع صوته! ذلك بيان لا ينمي صاحبه، فعند ذلك تقتلون، وبانواع البلاء تضربون، وبالسيف تحصدون، وإلى النار تصيرون، ويعظكم البلاء كما يعرض الغارب القتب»^(٢). «ياعجباً كل العجب، بين جمادى ورجب»^(٣). من جمع أشتات، وحصد نبات، ومن أصوات بعدها أصوات... سبق القضاء.. سبق القضاء»^(٤).

_ وأشار أنه سيأتي على الناس زمان تتقلب فيه الأمور الدينية إلى أضدادها

(١) الشرح ٦/١٣٤-١٣٥.

(٢) الغارب: كاحل البعير. والقتب: رحل صغير على قدر السنام: ابن منظور: لسان العرب ٢/١٣٦.

(٣) أول من قالها عاصم بن المقشعر. حيث لما قتل الحسين بن حشرم الشيباني أخو عاصم وأسمه أبيده، في آخر يوم من أيام جمادى الأخرى، أراد عاصم أن يقتل الحسيني قبل هلال رجب فأدركه وقتله وقال المثل الميداني: مجمع الأمثال ٢/٢٤.

(٤) الشرح ٦/١٣٥.

ونقائضها، وقد شهد ذلك ابن أبي الحديد في عصره إذ يقول عليه السلام «سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الإسلام كما يكفأ فيه الإناء بما فيه»^(١). وقال أيضاً: «انه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس منه شيء أخفى من الحق. ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه...» وقد وقعت هذه المواصفات على عصر ابن أبي الحديد وعصر من كان قبله بشهادته.^(٢)

وقال عليه السلام أيضاً: «يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل ولا يظرف فيه إلا الفاجر، ولا يضعف فيه إلا المنصف، يعدون الصدقة فيه عزماً، وصله الرحم مناً، والعبادة أستطالة على الناس، فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الإماء، وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان»^(٣). -وتنبأ- عليه السلام - لخروج جيش حتى إذا كان بالبيداء خسف به^(٤).

سابعاً: الإمام المهدي:

شغلت فكرة الإمام المهدي^(٥) حيزاً في كلام الإمام علي عليه السلام وهو عليه السلام وإن لم

(١) الشرح ٧/١٠٠-١١٣.

(٢) الشرح ٩/١٠٤-١٠٥.

(٣) الشرح ١٨/٢٦٠. وانظر الخوئي: الدررة النجفية ص ٣٦٢.

(٤) الشرح ٢/٢٩٥. وانظر: أبي داود: سنن ٤/١٠٨. ابن طاووس: الملاحم ص ٥٣.

(٥) عن فكرة المهدي: أنظر أبي داود: سنن ٤/١٠٦-١٠٩. الطبرسي: اعلام الورى ص ٣٨٠-

٤٧٨. سبط ابن الجوزي: تذكرة ٣٦٣-٥. ابن طاووس: الملاحم ص ١٣-١٥٠. الاربلي:

كشف الغمة ٣/٢٣٣-٢٦٣. ابن كثير: البداية والنهاية ١/٣٧-٤١. الهيثمي: الصواعق

المحرقة ص ١٦٠-١٦٧. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٣٣-١٤٨. الشبلنجي: نور الابصار

ص ١٦٨-١٧٢.

يصرح به ولكن أشار له بالرمز، وقد وظف ابن أبي الحديد كلام الإمام بما يطابق وجهة نظر الاعتزال وإذا ما أشكل عليه يلجأ إلى التأويل أو طرح الاحتمالات. ومن النصوص الواردة في النهج بخصوص الإمام المهدي:

- «وبنا تختم لا بكم»^(١).

- «فيا بن حرة الاماء، متى تنتظر، أبشر بنصر قريب من رب رحيم إلا فويل للمتكبرين، عند حصاد الحاصدين وقتل الفاسقين، عصاة ذي العرش العظيم، فبأبي وأمي من عدة قليلة أسماؤهم في الأرض مجهولة. قد دنا حينئذ ظهورها»^(٢).

- «فأنصروا أهل بيت نبيكم، فإن لبدوا فألبدوا، وإن أستنصروكم فأنصروهم، فليفرجن الله الفتنة برجل منا أهل البيت، بأبي ابن خيرة الإمام، لا يعطيهم الا السيف، هرجاً هرجاً، موضوعاً على عاتقه ثمانية أشهر، حتى تقول قريش: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا يغريه الله ببني أمية حتى يجعلهم حطاماً ورفاتاً، ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلاً، سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً»^(٣)^(٤).

وبعد أن أشار الإمام - عليه السلام - إلى نفسه كناية قال: «فلبثتم بعده ما شاء الله، حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم شركم»^(٥).

(١) الشرح ١/ ٢٨١.

(٢) الشرح ٦/ ١٣٥.

(٣) مأخوذة من قوله تعالى في سورة الاحزاب اية ٦٢.

(٤) الشرح ٧/ ٥٨. وانظر سليم ص ٢١١-٢١٢.

(٥) الشرح ٧/ ٨٤. وانظر سليم ص ٢١٢.

«يعطف الهوى على الهدى، إذا عطفوا الهدى على الهوى ويعطف الرأي على القرآن، إذا عطفوا القرآن على الرأي»^(١).

يا قوم هذا إبان ورود كل موعود، ودنو من طلعة ما لا تعرفون. ألا وإن من أدركها منا يسري فيها بسراج منير، ويحذر فيها على مثال الصالحين، ليحل فيها ربقاً، ويعتق منها رقاً، ويصدع شعباً، ويشعب صدعاً، وفي ستره على الناس لا يبصر القائف^(٢) أثره، ولو تابع نظره^(٣).

«قد لبس للحكمة جنتها، واخذها بجميع ادبها، من الاقبال عليها، والمعرفة بها، والتفرغ لها، فهي عند نفسه ضالته التي يطلبها، وحاجته التي يسأل عنها، فهو مغترب إذا اغترب الإسلام، وضرب بعسيب ذنبه، والصق الارض بجرانه، بقيه من بقايا حجته وخليفة من خلائف انبيائه»^(٤).

«إن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله أمام الحق من آل محمد ﷺ»^(٥).

«لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها»^(٦).

«فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه، فيجتمعون الي كما يجتمع فزع

(١) الشرح ٤/٩.

(٢) هو الذي يتبع الاثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل باخيه وابيه. ابن منظور: لسان العرب.

٢٠٢/١١.

(٣) الشرح ١٢٦/٩.

(٤) الشرح ٩٥/١٠.

(٥) الشرح ٤٥/١٣. وانظر أبو الفرج: مقاتل الطالبين ٤٤..

(٦) الشرح ٢٩/١٩. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار، ١/٨٠..

الخریف»^(١).

من خلال النصوص السابقة يطرح ابن أبي الحديد وجهة نظر المعتزلة في فكرة المهدي، فهو من ولد فاطمة الزهراء عليه السلام اسمه اسم الرسول ﷺ، ولكنه لم يخلق بعد- كما تقول الإمامية^(٢) - وإنما سيخلقه الله آخر الزمان^(٣). ومن صفاته انه من ولد الحسين عليه السلام وانه اجلى^(٤) الجبين، اقنى^(٥) الانف، ضخم البطن، أزيل^(٦) الفخذين، أبلج الثنايا، بفخذه الأيمن شامة^(٧)، اما أمه فهي أم ولد حيث يقول عليه السلام «يا بن خيرة الاماء»^(٨).

إنَّ الفترة السابقة لظهور المهدي تتميز بالفتن والإضطرابات كخروج دابة الأرض، وفتنة الدجال، وظهور السفيناني^(٩)، ولذا نجد الإمام المهدي في بدء أمره

(١) الشرح ١٩/١٠٤..

(٢) عن رؤية الإمامية للمهدي أنظر المفيد: الإرشاد ص ٢٤٠-٢٥٤.

(٣) الشرح ١/٢٨١، ٧/٥٩، ٩٤، ١٠/٩٦، ١٦/٤٥، ١٩/٢٩، ١٠٥.

(٤) الاجلي: الخفيف الشعر والذي انجلى الشعر عن جبهته. ابن منظور: لسان العرب ٨/١٦٤-١٦٥.

(٥) هو ارتفاع في اعلى الانف، واحدياب في وسطه وسبوغ في طرفه. ابن منظور: لسان العرب ٢٠/٦٥.

(٦) الازل: هو الخفيف الوركين، ابن منظور: لسان العرب ١٣/٣٢٨.

(٧) الشرح ٢٨١-٢. وانظر: ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/١١٧. أبي داود: سنن ٤/١٠٧. ابن

طاووس: الملاحم ص ١١٣. ابن منظور: لسان العرب ١٨/١٦٤. ابن كثير: نهاية البداية

والنهاية ١/٣٩..

(٨) الشرح ٧/٥٨.

(٩) الشرح ٦/١٣٤-٥، ٩/١٢٨ وانظر أبي داود: سنن ٤/١١٥١٨. وابن كثير: نهاية البداية

والنهاية ١/٥٠-١٦٥، ١٩٠.

مستتراً فترة من الزمن، وهذا ما يذهب إليه الإمامية، ولكن ابن أبي الحديد يرى أن هذا الإستتار يتكون في آخر الزمان بعد أن يخلق إذ يقول: «ليس ذلك بنافع للإمامية في مذهبهم، إن ظنوا أنه تصريح بقولهم، وذلك لأنه من الجائز أن يكون هذا الإمام يخلقه الله تعالى في آخر الزمان، ويكون مستتراً مدة وله دعاء يدعون إليه، ويقدرين امره ثم يظهر بعد ذلك الاستتار. ويملك المالك: ويقهر الدول ويعهد الارض»^(١).
أكد الإمام علي عليه السلام ان المهدي لا يبصره القائف، ولا يعرف اثره حتى لو تابع النظر والتأمل^(٢).

وفي إشارته إلى أن المهدي سيقضي على الأمويين يأتي التساؤل: وهل هناك وجود لبني أمية آخر الزمان؟ هنا ابن أبي الحديد يطرح رؤيتين: الاولى: رؤية الإمامية. حيث يقولون بالرجعة^(٣)، ويرون إنه سيعاد قوم باعياهم إلى الدنيا من الأمويين وغيرهم، إذا ظهر المهدي فيقطع أيدي وارجل البعض ويسمل عيون آخرين ويصلب ويتنقم من أعداء ال البيت -عليه السلام-.

الثانية: رؤية الاعتزال: إنَّ المهدي يظهر بعد ظهور السفياي الوارد في الأخبار الصحيحة^(٤) وهو من ولد أبي سفياي بن حرب بن أمية فيسيطر على كثير من ممالك الإسلام، فيظهر المهدي ويقتله ويقتل أنصاره، ثم ينزل السيد المسيح عليه السلام وتبدو أشراط الساعة، وتظهر دابة الأرض، ويبطل التكليف-

(١) الشرح ٩/١٢٨-٩.

(٢) الشرح ٩/١٢٦.

(٣) عن فكرة الرجعة، أنظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٨.

(٤) عن السفياي أنظر. سنن أبي داود ٤/١٠٧-١٠٨.

ويتحقق قيام الأجساد عند النفخ في الصور^(١).

ويشير الإمام علي عليه السلام إلى أن أمر المهدي يكون أولاً مضطرباً ثم يستقر وفي هذا ما يؤيد رؤية الإمامية، إلا أن ابن أبي الحديد يرى، «لا يبعد على مذهبنا أن يكون الإمام المهدي الذي يظهر آخر الزمان مضطرب الأمر، منتشر الملك في أول مرة لمصلحة يعلمها الله تعالى ثم بعد ذلك يثبت ملكه وتنتظم اموره»^(٢).

وقد اطلق الامام لفظة حجة على المهدي وهو أيضاً ما يطابق رؤية الإمامية، فيما يرى ابن أبي الحديد إن لفظة (حجة) غير مقتصرة على الإمامية، بل يطلقها أهل التصوف على اصحابهم، ويستخدمها أيضاً الفلاسفة، اما المعتزلة فيطلقوها على العلماء المؤمنين في كل عصر، لأنهم حجج الله^(٣).

وأشار عليه السلام إلى بعض من سياسة المهدي، ومنها العمل بالقرآن وترك الرأي والقياس^(٤) وقد أنفقت الفرق الاسلامية على أن الدنيا والتكليف لا تنقضي إلا بعد ظهور المهدي^(٥).

تجدر الاشارة إلى أن بعض ما تنبأ به الإمام - عليه السلام - وفسره ابن أبي الحديد، لم يشير إلى مصدر معلوماته، ولم يشير للدليل الذي يثبت قصد الإمام - عليه السلام - بأن هذا عبد الملك، أو الزنج أو التتار.

(١) الشرح ٥٩/٧.

(٢) الشرح ١٠٥/١٩.

(٣) الشرح ٩٨-٩٩/١٠. وانظر رد ابراهيم الخوئي: الدرّة النجفية ص ٢١٢-٢١٣.

(٤) الشرح ٤٠/٩.

(٥) الشرح ٩٦/١٠.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٨٣

وبعد هذا العرض لفكر الإمام علي - عليه السلام - يخلص ابن أبي الحديد (١) للقول: «إن قيل جهاد وحرب فهو سيد المجاهدين والمحاربين، وإن قيل وعظ وتذكير، فهو أبلغ الواعظين والمذكرين، وإن قيل: فقهه وتفسيره فهو رئيس الفقهاء والمفسرين وإن قيل عدل وتوحيد فهو إمام أهل العدل والموحدين» (٢).

ليس على الله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد

(١) الشرح ٧/٢٠٣.

(٢) بيت لأبي نؤاس: ديوان أبي نؤاس ص ٤٥٤. الثعالبي: التمثيل والمحاضرة ص ٨٠..

ملحق رقم (١)

قصيده لابن أبي الحديد

في مدح الإمام علي عليه السلام

يارسم لارسمتك ربح زعزُعُ
لم الف صدري من فؤادي بلقعا
جارى الغمام مدامعي بك فأثنت
لايمحك الهتن الملت فقد محا
ما تم يومك وهو أسعد أيمن
شروى الزمان يضيء صبح مسفر
لله درك والضلال يقودني
يقتادني سكر الصبابه والصبأ
دهرا تقوض راحلا ما عيب من
يأيهالوادي أجلك واديا
واسوف تريك صاغرا وأذل
وسرت بليل في عراصك خروُعُ
الا وأنت من الاحبة بلقُعُ
جون السحائب فهي حسرى ضلعُ
صبري دثورك مذ محتك الادمعُ
حتى تبدل فهو أنكد أشنعُ
فيه فيشفعه ضلام أسفعُ
بيد الهوى فأنا الحرون فأتبِعُ
ويصيح بي داعي الغرام فأسمعُ
عقباه إلا أنه لايرجعُ
وأعز إلا في حماك فأخضعُ
في تلك الربى وأنا الجليلد فأخنعُ

(أسفي على مغناك إذ هو غابة
 أيام أنجم قضعب دربه
 والبيض تورد في الوريد فترتوي
 والسابقات اللاحقات كأنها
 والربع أنور بالنسيم مضمخ
 ذاك الزمان هو الزمان كأنها
 وكأنها هوروضة ممطوره
 قد قلت للبرق الذي شق الدجى
 يابرق إن جئت الغري فقل له
 فيك ابن عمران الكليم وبعده
 بل فيك جبريل وميكال واسد
 بل فيك نور الله جل جلاله
 فيك الإمام المرتضى فيك الوصي
 الضارب الهام المقنع في الوغى
 والسهمريه تستقيم وتنحني
 والمترع الحوض المددع حيث لا
 ومبدد الأبطال حيث تألبوا
 والحبر يصدع بالمواعظ خاشعا
 حتى إذا أستعر الوغى متلظيا
 متجلبيا ثوبا من الدم قانيا

وعلى سبيلك و هي لب مهيعُ
 في غير اوجه مطلع لا تطلعُ
 والسمر تشرع في الوتين فتشرعُ
 العقبان تردى في الشكيم وتمزعُ
 والجو أزهر بالعبير مردعُ
 قيظ الخطوب به ربيع ممرعُ
 أو مزنه في عارض لاتقلعُ
 فكأن زنجيا هناك يجدعُ
 أتراك تعلم من بارضك مودع
 عيسى يقفيه وأحمد يتبعُ
 رافيل والملا المقدس أجمعُ
 لذوي البصائر يستشف ويلمعُ
 المجتبى فيك البطين الانزعُ
 بالخوف للبهم الكماة يقنعُ
 فكأنها بين الاضالع أضلعُ
 واد يفيض و لا قلب يترعُ
 ومفرق الاحزاب حيث تجموا
 حتى تكاد لها القلوب تصدعُ
 شرب الدماء بغله لا تنقعُ
 يعلوه من نقع الملاحم برقعُ

أودى به كسرى وفوز تبع
 عدم وسر وجوده المستودع
 خلقاء هابطه واطلس أرفع
 وتضج تيهاء وتثفل يولع
 كانت بجبهة آدم تتطلع
 رفعت له لالاؤه تتشسع
 بنظيرها من قبل إلا يوشع
 خوض الحمام مدجج ومدرع
 عجزت أكف أربعون وأربع
 الأرواح في الاشباح والمنتزع
 الأرزاق تقدر في العطا وتوسع
 فيها لجثتك الشريفه مضجع
 بنفوذ امرك في البريه مولع
 وأنا الخطيب الهزبري المصقع
 حاشا لمثلك أن يقال سمدع
 في العالمين وشافع ومشفع
 اغرار عزمك أم حسامك اقطع
 هل فضل علمك أم جنابك اوسع
 فليصغ ارباب النهى وليسمعوا
 حر الصباية فاعذلوني أو دعوا

زهده المسيح وفتكة الدهر الذي
 هذا ضمير العالم الموجود عن
 هذي الأمانه لايقوم بحملها
 تأبى الجبال الشم عن تقليدها
 هذا هو النور الذي عذباته
 وشهاب موسى حيث أظلم ليله
 يامن له ردت ذكاء ولم يفرز
 يهازم الاحزاب لاينيه عن
 يا قالع الباب الذي عن هزها
 لولا حدوثك قلت انك جاعل
 لولا ممالك قلت انك باسط
 ما العالم العلوي الاتربة
 ما الدهر إلا عبدك القن الذي
 أنا في مديحك الكن لا اهتدي
 أقول فيك سمدع كلا ولا
 بل أنت في يوم القيامة حاكم
 ولقد جهلت وكنت احذق عالم
 وفقدت معرفتي فلست بعارف
 لي فيك معتقد ساكشف سره
 هي نفثة المصدر يطفىء بردها

والله لولا حيدرٍ ما كانت
 من أجله خلق الزمان وضوئ
 علم الغيوب إليه غير مدافع
 وإليه في يوم المعاد حسابنا
 هذا إعتقادي قد كشفت غطاءه
 يا من له في أرض منزلي منزل
 أهواك حتى في حشاشة مهجتي
 وتكاد نفسي ان تذوب صبابه
 ورأيت دين الإعتزال و أنني
 ولقد علمت أنه لا بد من
 يحميه من جند الإله كتائب
 فيها لال أبي الحديد صوارم
 ورجال موت مقدمون كأنهم
 تلك المنى اما اغب عنها فلي
 ولقد بكيت لقتل آل محمد
 عقرت بنات الاعوجيه هل درت
 وحریم آل محمد بين العدا
 تلك الضعائن كالاماء متى تسق
 من فوق أقطاب الجبال يشلها
 مثل السبايا بل أذل تشق من

الدنيا ولا جمع البريه جمع
 شهب كنسن وجن ليل أردع
 والصبح ابيض مسفر لايدفع
 و هو الملاذ لناغدا والمفزع
 سيضر معتقدا له أو ينفع
 نعم المراد الرحب و المستربع
 نار تشب على هواك و تلذع
 خلقا وطبعاً لا كمن يتطبع
 أهوى لأجلك كل من يتشيع
 مهديكم وليومه اتوقع
 كاليم اقبل زاخر ايتدفع
 مشهوره ورماع خط شرع
 اسد العرين الربد لا تتكععع
 نفس تنا زعني وشوق ينزع
 بالطف حتى كل عضو مدمع
 ما يستباح بها وماذا يصنع
 نهب تقاسمه اللئام الرضع
 يعنف بها والسياط تقنع
 لكع على حنق وعبد اكوع
 ههن الخمار ويستباح البرقع

وكريمة تسبي وقرط ينزغ
 تحت السنابك بالعراء موزغ
 بالخضر من فردوسه يتلفغ
 والأرض ترجف خيفة وتضعغ
 والدهر مشقوق الرداء مقنع
 أيدي أمية عنوة وتضيع
 خير الورى من أن يطل ويمنع
 لُ لعبئها إذ كل عود يضلغ
 والسيف غضب والفؤاد مشيع

فمصفد في قيده لايفتدي
 تالله لا أنسى الحسين وشلوه
 متلفعا حمر الثياب وفي غد
 تطأ السنابك صدره وجبينه
 والشمس ناشرة الذوائب تاكل
 لهفي على تلك الدماء تراق في
 بأبي أبو العباس أحمد أنه
 فهو الولي لثارها وهو الحمو
 الدهر طوع والشبيبة غضة

فَهْرَس
المَصَادِر
والمَرَاجِع

فهرس

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

- القرآن الكريم
١. الإنجيل، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط ٤، بيروت، ١٩٩٣
الآبي: أبو سعيد منصور بن الحسين ت ٤٢١ هـ.
 ٢. نثر الدرر، تح: محمد علي قرنة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٤.
ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠ هـ.
 ٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ب. محق. المكتبة الإسلامية، طهران، ب. ت.
 ٤. الكامل في التاريخ، ب. محق. دار صادر، بيروت، ١٩٦٥.
 ٥. اللباب في تهذيب الأنساب، ب. محق. القاهرة، ١٣٨٦ هـ. ابن الأثير:
أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم ضياء الدين الشيباني ٥٥٨-٦٣٧ هـ.
 ٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: احمد الحوفي-بدوي طبانة، ط ٢، دار
الرفاعي، الرياض، ٨٣-١٩٨٤/١٤٠٣-١٤٠٤.
 - ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ٥٤٤-٦٠٦ هـ.

- ٦٩٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر احمد الزاوي - محمود الطناحي، ط١، القاهرة، ١٩٦٣.
- ابن أخي تبوك: أبو الحسين عبد الوهاب بن محمد بن الوليد ت ٣٩٦هـ.
٨. مناقب علي بن أبي طالب، تح، محمد باقر البهبودي، المكتبة الاسلامية، طهران، ١٣٩٤هـ.
- الاربلي: أبو الحسن علي بن عيسى ت ٦٩٣هـ.
٩. كشف الغمة في معرفة لأئمة، مط النجف، ١٣٨٤هـ.
- الازدي: أبو زكريا يزيد بن محمد ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥هـ.
١٠. تاريخ الموصل، تح: علي حبيبه، القاهرة، ١٩٦٧.
- الأزرقى: أبو الوليد محمد بن عبد الله (كان حيا في ٢٤٨هـ)
١١. أخبار مكة، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، مكة المكرمة، ١٣٨٥هـ.
- ابن إسحاق: محمد ت ١٥١هـ.
١٢. السير والمغازي، تح: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، دمشق، ١٩٧٨.
- الاسكافي: أبو جعفر محمد بن عبد الله ت ٢٤٠هـ.
١٣. نقض العثمانية منشور مع كتاب العثمانية للجاحظ، تح: محمد عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٥.
- الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٣٣٤هـ
١٤. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، ١٩٥٠.
- ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم ت ٦٦٨هـ.

- فهرس المصادر والمراجع ٦٩٥
١٥. عيون الأنباء في طبقات الأطباء: شرح وتحقيق: د. نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥.
- الآلوسي: أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني ١٢١٧ - ١٢٧٠ / ١٨٠٢ - ١٨٥٤.
١٦. شرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية، ب. محق. ط حجرية، شرحها في ١٢٧٠ هـ. ب. مكاب. ت.
- امريء القيس بن حجر بن الحارث ٨٠ ق. هـ / ٥٤٥ م.
١٧. ديوان امرؤ القيس، تح: محمد أبو الفضل، ط ٢، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨.
- ابن أنس: الإمام مالك (٩٣ - ١٧٩) هـ.
١٨. الموطأ، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، بيروت، ١٩٩٧.
- الأنصاري: حسان بن ثابت ت ٥٤ هـ / ٦٧٤ م.
١٩. ديوان حسان بن ثابت، ب. محق، بيروت، ١٩٦٦.
- الأنصاري: كعب بن مالك ت ٥٠ هـ / ٦٧٠ م.
٢٠. ديوان كعب بن مالك، دراسة وتح، سامي مكي العاني، بغداد، ط ١، ١٩٦٦.
٢١. الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب ت ٤٠٣ هـ.
٢٢. البحري: تصحيح: الأب ريتشارد يوسف مكارثي اليسوعي، بيروت، ١٩٥٧.
- البحري: الوليد بن عبید ٢٠٤ - ٢٨٤ هـ.
٢٣. ديوان البحري، تح: حسن كامل الصيرفي، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

- ٦٩٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
- البحراني: ميثم بن علي ت بعد ٦٨١هـ / ١٢٨٢م.
٢٤. شرح نهج البلاغة، ب. محق، مؤسسة النصر، طهران، ١٣٧٨ - ١٣٨٤هـ.
- البحراني: يوسف بن أحمد ت ١١٨٦هـ.
٢٥. لؤلؤة البحرين: تح: محمد صادق بحر العلوم، مط النعمان، النجف، ب. ت.
- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (١٩٤ - ٢٥٦هـ).
٢٦. الصحيح، الطباعة المنيرية، مصر، ب. ت.
- البرقي: أبو جعفر احمد بن أبي عبد الله ت ٢٧٤هـ / ٨٨٧م.
٢٧. الرجال، تح: السيد كاظم الميامي، طهران، ١٣٨٣هـ.
- البغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر ت ٤٢٩هـ.
٢٨. الفرق بين الفرق، تح: محمد زاهد الكوثري، ب. مكا. ١٣٢٧هـ.
- البغدادي: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ.
٢٩. البغدادي: لواع، تح: علي محمد البجاوي، ط ١، القاهرة، ١٩٥٥،
- البغدادي: عبد القادر بن عمر ١٠٣٠ - ١٠٩٣هـ.
٣٠. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط ١، بولاق، ب. ت.
- ابن بكار: الزبير (١٧٢ - ٢٥٦هـ)
٣١. جمهرة نسب قريش وأخبارها، تح: محمود محمد شاكر، مط المدني، القاهرة،
- ١٣٨١هـ.
٣٢. الأخبار الموفقيات، تح: سامي مكى العاني، بغداد، ١٩٧٢.
- البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ.
٣٣. معجم ما أستعجم، تح: مصطفى السقا، ط ١، القاهرة، ١٩٤٥ - ١٩٤٩.
- البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ.

فهرس المصادر والمراجع..... ٦٩٧

٣٤. أنساب الأشراف، ج ١، تح: محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، ب. ت.

٣٥. انساب الأشراف، ج ٢، تح: محمد باقر المحمودي، ط ١، مؤسسة الاعلمي،

بيروت، ١٩٧٤.

٣٦. انساب الأشراف، ج ٣، تح: محمد باقر المحمودي، ط ١، بيروت، ١٩٧٧.

٣٧. انساب الأشراف، ج ٥، تح: جوتن، بريس، ١٩٣٦.

٣٨. فتوح البلدان، تح: علي بهجت، ط ١، القاهرة، ١٩٠١.

البلخي: أبي القاسم الكعبي ت ٣١٩هـ.

٣٩. باب ذكر المعتزلة من كتاب مقالات الإسلاميين، تح: فؤاد سيد، تونس،

١٩٧٤.

٤٠. البلوي: أبو الحجاج يوسف بن محمد ٥٢٩ - ٦٠٤هـ / ١١٣٥ - ١٢٠٧.

٤١. ألف باء، ب. محق، المطبعة الوهبيه، مصر، ١٢٨٧هـ.

البيضاوي: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر ت ٧٩١هـ.

٤٢. تفسير البيضاوي، ب. محق، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

البيهقي: إبراهيم بن محمد ق ٤هـ.

٤٣. المحاسن والمساوي، ب. محق، بيروت، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

البيهقي: أبو بكر احمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨هـ.

٤٤. السنن الكبرى. بلا محقق، ط ١، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٥٢هـ.

الترمذي: محمد بن عيسى (٢٠٩ - ٢٧٩).

٤٥. صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي، ب. محق. ط ١، الأزهر، ٣١-

١٩٣٤.

التستري: محمد تقي

- ٦٩٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٤٦. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، طهران، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف ٨١٣-٨٧٤هـ
٤٧. النجوم الزاهرة، ط ١، تح: احمد العدوي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٩-١٩٥٦.
- أبو تمام الطائي: حبيب بن أوس ت ٢٣١هـ/٨٤٦م.
٤٨. ديوان أبي تمام، شرح وتعليق: د. شاهين عطية، ط ١، بيروت، ١٩٦٨.
- التهانوي: محمد أعلى بن علي ت ١١٥٨.
٤٩. كشاف اصطلاحات العلوم، بيروت، ١٩٦٦.
- ابن تيمية: أبو العباس احمد بن تيمية الحراني ت ٧٢٨هـ.
٥٠. منهاج السنة النبوية، ط ١، المطبعة الأميرية بولاق، مصر، ١٣٢١هـ.
- الثعالبي: أبو منصور عبد الملك (٣٥٠-٤٢٩هـ).
٥١. تمة يتيمة الدهر، شرح وتح: مفيد محمد قميحة، ط ١، بيروت، ١٩٨٣.
٥٢. التمثيل والمحاضرة، تح: عبد الفتاح الحلو، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.
٥٣. يتيمة الدهر، شرح وتح: مفيد محمد قميحة، ط ١، بيروت، ١٩٨٣.
- الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ت ٨٧٥هـ.
٥٤. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ب. محق، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ب. ت.
- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠-٢٥٥هـ)
٥٥. البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط ٥، القاهرة، ١٩٨٥.
٥٦. الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ط ١، مصر، ١٩٣٨-١٩٤٥.
٥٧. رسائل الجاحظ، تح: السندوبي، ط ١، القاهرة، ١٩٣٣.

- ٥٨ . رسائل الجاحظ السياسية، تح: علي أبو ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.
- ٥٩ . رسائل الجاحظ الكلامية، تح: علي أبو ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.
- ٦٠ . رسالة استحقاق الإمامة، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، تح: علي أبو ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.
- ٦١ . رسالة الأوطان والبلدان، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تح: علي أبو ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.
- ٦٢ . رسالة الحكمين، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تح: علي أبو ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.
- ٦٣ . رسالة صناعة الكلام، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، تح: علي أبو ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.
- ٦٤ . رسالة العثمانية، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تح: علي أبو ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.
- ٦٥ . رسالة في فضل بني هاشم على عبد شمس، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تح: علي أبو ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.
- ٦٦ . رسالة في فضل بني هاشم على بني عبد شمس، ضمن رسائل الجاحظ للسندوي، ط ١، ١٩٣٣، ص ٦٧ ١١٦.
- ٦٧ . رسالة في خلق القرآن، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، تح: علي أبو ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.
- ٦٨ . رسالة في النابتة، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، تح: علي أبو ملحم، ط ١، بيروت، ١٩٨٧.
- ٦٩ . العثمانية، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، مصر

- ٧٠٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
- ١٩٥٥.
- الجرجاني: أبو الحسن علي بن محمد بن علي ٧٤٠-٨١٦هـ / ١٣٤٠-١٤١٣م.
٧٠. التعريفات، ب. محق. الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧١.
- الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ت ٨٣٣هـ
٧١. غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره بر جستر اسر، ١٣٥٢هـ م ١٩٣٣م.
- الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبد ربه ت ٣٣١هـ / ٩٤٣م.
٧٢. الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا وآخرين، ط ١، القاهرة، ١٩٣٨.
- ابن الجوزي: جمال الدين: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت ٥١٠-٥٩٧هـ
٧٣. صفة الصفوة، تح: محمود فاخوري محمد رواسي قلعه جي، ط ٢، دار المعرفة، ١٩٧٩.
٧٤. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تح: زينب القاروط، ط ١، بيروت، ١٩٨٠.
٧٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ب. محق، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩٠.
- الجوهري: إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م.
٧٦. الصحاح، تح: احمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٦.
- الجويني: إبراهيم بن محمد ت ٦٤٤-٧٣٠هـ
٧٧. فرائد السمطين، تح: محمد باقر المحمودي، ط ١، بيروت؛ ١٩٧٨م.
- ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن ت ٣٢٧هـ
٧٨. كتاب الجرح والتعديل، ط ١، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥٢ ١٩٥٣.
- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦١هـ.
٧٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح: محمد شرف الدين

فهرس المصادر والمراجع ٧٠١

بالتقايا رفعت بيلكه الكلبيسي، ب.مكا، ١٩٤١.

الحاكم الجشمي: أبو السعد المحسن بن محمد ت ٤٩٤هـ

٨٠. الطبقتان الحادية عشره والثانية عشرة من كتاب سرح العيون، نشر مع كتاب

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح: فؤاد سيد، تونس، ١٩٧٤.

الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله ٣٢١-٤٠٥هـ/٩٣٣-١٠١٤.

٨١. المسحبيب: لى الصحيحين، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١،

بيروت، ١٩٩٠.

ابن حبيب: محمد البغدادي تما بعد ٢٧٩هـ

٨٢. أساء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، منشور ضمن نوادر

المخطوطات، المجموعة السادسة، تح: عبد السلام هارون، ط١، القاهرة،

١٩٥٤ ص ١٠٦-٢٣٥.

٨٣. المحبر، تح: أيلزه ليختن شتير، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت،

١٩٤٢.

٨٤. المنمق، تح: خورشيد احمد فاروق ؛ ط١، حيدر اباد الدكن -الهند،

١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي ت ٧٧٣-٨٥٢هـ.

٨٥. الاصابة في تمييز الصحابة، ط١ مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٨هـ

٨٦. تقريب التهذيب، ت؛ عبد الوهاب عبد اللطيف، المدينة المنورة، ١٣٨٢هـ.

٨٧. تهذيب التهذيب، ط١، ب.محق، حيدر اباد - الدكن، الهند، ١٣٢٥

١٣٢٧هـ

٨٨. لسان الميزان، ب.محق، ط١، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٣٣٠-١٣٣١هـ.

- ٧٠٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٨٩. ابن أبي الحديد: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٥٧٦ ٦٥٦هـ)
٩٠. شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل، ط ١، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٧.
٩١. القصائد السبع العلويات، شرح: محمد صاحب المدارك، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٥.
- الحريري: أبو القاسم بن علي ت ٤٤٦ - ٥١٦هـ
٩٢. المقامات، تح: عيسى سابا، بيروت، ١٩٦٥.
- ابن حزم: ابو محمد بن أحمد ت ٤٥٦هـ
٩٣. جمهرة انساب العرب، ت؛ عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.
٩٤. الفصل في الملل والاهواء والنحل، تح: محمد ابراهيم نصر عبد الرحمن عميرة، ط ١، الرياض، ١٩٨٢.
- الخلبي: علي بن برهان الدين الشافعي ٩٧٥ ١٠٤٤هـ / ١٥٦٧ - ١٦٣٥م.
٩٥. السيره الخلبية، ب. محق، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٧١.
- الخلي: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر (٦٤٨ - ٧٢٦هـ)
٩٦. رجال العلامة الخلي، تح: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط ٢، النجف، ١٩٦١.
٩٧. كشف اليقين، ط ١، وزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي، ١٤١١هـ.
- الحموي: ياقوت ٦٢٦هـ
٩٨. معجم الادباء، ط الاخير، مكتبة عيسى الخلي، مصر ١٩٣٦.
٩٩. معجم البلدان، ب. محق، ب. ط. بيروت، ١٩٥٥ - ١٩٥٧.
- الحميدي: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح (٤٢٠ ٤٨٨هـ)

- فهرس المصادر والمراجع.....٧٠٣
١٠٠. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، تح: ابراهيم الأبياري، ط٢، بيروت، ١٩٨٩.
- ابن حمير: توبة ت ٨٥هـ
١٠١. ديوان توبة بن حمير، تح: خليل العطييه، بغداد، ١٩٦٨.
- الحميري: السيد إسماعيل بن محمد (١٠٥ ١٧٣هـ)
١٠٢. ديوان السيد الحميري، جمع وتح: شاكرهادي شكر، دارمكتبة الحياة، بيروت، ب. ت.
- الحميري: محمد بن عبد المنعم ت ٧٢٧هـ
١٠٣. الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، بيروت، ١٩٧٥.
- ابن حنبل: أبو عبد الله احمد (١٦٤ - ٢٤١هـ)
١٠٤. المسند، ب. محق. القاهرة، ١٨٩٦ م.
- الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد ت ١٠٨٩هـ.
١٠٥. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ب. محق. مكتبة القدسي، ١٣٥٠
- ١٣٥١هـ
- أبو حيان التوحيدي: علي بن محمد ت نحو ٤٠٠هـ
١٠٦. الامتاع والمؤانسة، صححه: احمد امين و احمد الزين، بيروت، ١٩٥٠
- ١٩٥١.
- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣هـ
١٠٧. تاريخ بغداد، ب. محق. مط السعادة، القاهرة، ١٩٣١.
- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦ م.
١٠٨. العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٩.

- ٧٠٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
- ١٠٩ . المقدمة، ب. محق. ط ٢، بيروت، ١٩٦١.
- ابن خلكان: أبو العباس احمد بن محمد (٦٠٨-٦٨١هـ).
- ١١٠ . وفيات الاعيان، تح: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ٦٨-١٩٧١.
- الخوارزمي: أبو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف ٣٨٧هـ
- ١١١ . مفاتيح العلوم، ب. محق. ط ١ مصر، ١٣٤٢هـ.
- الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن احمد بن محمد البكري (ت القرن السادس الهجري)
- ١١٢ . المناقب، قدم له: محمد رضا الخراسان، النجف، ١٣٨٥هـ.
- الخوانساري: محمد باقر الموسوي ت ١٣١٣هـ.
- ١١٣ . روضات الجنات، تح: أسد الله إسماعيليان، بيروت، ١٣٩٠-١٣٩١هـ.
- الخطاط: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد (ت ٣٠٠هـ)
- ١١٤ . الانتصار، تصحيح: نيرج، بيروت، ١٩٥٧.
- ابن داود الحلبي: تقي الدين الحسن بن علي (فرغ من الكتاب ٧٠٧هـ).
- ١١٥ . الرجال، نشر: جلال الدين الحسيني، طهران، ١٣٨٣هـ.
- أبو داود: سليمان بن الأشعث (٢٠٢-٢٧٥هـ)
- ١١٦ . سنن أبي داود، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، ب. ت.
- الداودي: شمس الدين محمد بن علي بن احمد ٩٤٥هـ
- ١١٧ . طبقات المفسرين، ط ١، بيروت، ١٩٨٣.
- دحلان: احمد زيني ت ١٣٠٤/١٨٨٦م.
- ١١٨ . أسنى المطالب في نجاة أبي طالب، تعليق: علي بن الحسين الهاشمي، طهران، ١٣٨٢هـ
- ١١٩ . السير النبوية والآثار المحمدية، بهامش السيرة الحلبية، ب. محق. القاهرة،

١٩٧١.

الدميري: كمال الدين ت ٨٠٦هـ.

١٢٠. حياة الحيوان الكبرى ب.محق. المكتبة التجارية، مصر، ١٩٥٦.

الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن ت ٩٦٦هـم ١٥٥٩م.

١٢١. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، ١٢٨٣هـ.

ابن الديبع: عبد الرحمن بن علي ت ٩٤٤هـ

١٢٢. تيسير الوصول إلى جامع الاصول، ب.محق.مصر، ١٩٣٤.

الديلمي: الحسن بن أبي الحسن ت ٨٤١هـ

١٢٣. إرشاد القلوب، دار الشريف الرضي، ١٤١٢هـ.

الديلمي: مهيار ت ٤٢٨هـ

١٢٤. ديوان مهيار الديلمي، تح: احمد نسيم، ط١، القاهرة، ١٩٢٥.

الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد ٧٤٨هـ/١٣٤٧م.

١٢٥. تذكرة الحفاظ، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمس، ط٤، دار إحياء التراث

العربي، ١٩٧٤.

١٢٦. تجريد أسماء الصحابة، بمحق، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.

١٢٧. تلخيص المستدرك على الصحيحين، ط١، بهامش المستدرك، تح مصطفى

عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

١٢٨. دول الإسلام، ب.محق، ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٦٤هـ.

١٢٩. العبر في خبر من غبر، تح: ابوهاجر محمد السعيد بيروت، دار الكتب

العلمية، ب.ت.

١٣٠. معرفة القراء الكبار، تح: محمد سيد جاد الحق، ط١، القاهرة،

- ٧٠٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
- ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م.
١٣١. ميزان الاعتدال، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٣.
- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت بعد ٦٦٦هـ/١٢٦٨م.
١٣٢. مختار الصحاح. ب. محق، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٢
- الراوندي: قطب الدين ت ٥٧٣هـ.
١٣٣. الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ب.ت.
١٣٤. أبو رشيد النيسابوري: سعيد بن محمد بن سعيد ت حوالي ٤٠٠هـ.
١٣٥. المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين، تح: د.معن زياده رضوان السيد، ط١، بيروت، ١٩٧٩.
- ابن رشيقي: أبو علي الحسن ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م.
١٣٦. العمدة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٢.
- ابن زباله: محمد بن الحسن ت ١٩٩هـ.
١٣٧. منتخب من كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وآله تح: اكرم ضياء العمري، ط١، المدينة المنورة، ١٩٨١.
- الزيري أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (١٥٦-٢٣٦هـ)
١٣٨. نسب قريش، تح: ليفي برو فنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣.
- أبو زرعه الرازي: عبيد الله بن عبد الكريم ٢٠٠-٢٤٦هـ/٨١٥-٨٧٨م.
١٣٩. الضعفاء، دراسة وتح: سعدي الهاشمي، ط١، المدينة المنورة، ١٩٨٢.
- الزخشري: جار الله محمود بن عمر ت ٥٢٨هـ
١٤٠. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تح: سليم النعيمي، مط العاني، بغداد،

- فهرس المصادر والمراجع.....٧٠٧
- ١٩٨٢.
١٤١. الفائق في غريب الحديث، تح: علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، القاهرة، ١٩٤٥-١٩٤٨.
١٤٢. كتاب الامكنة والمياه، تح: ابراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٤٧.
١٤٣. الكشف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الاقاويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ب. ت.
- زين العابدين: علي بن الحسين ٣٨-٩٥هـ
١٤٤. الصحيفة السجادية، بخط الحاج يحيى سلوم السامرائي، بغداد، ب. ت.
- ابن الساعي: أبو طالب علي بن أنجب ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م.
١٤٥. الجامع المختصر، تح: مصطفى جواد، بغداد، ١٩٣٤.
- سبط ابن الجوزي: يوسف بن قرا غلي بن عبد الله البغدادي ٥٨١-٦٥٤هـ.
١٤٦. تذكرة الخواص، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، النجف، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.
- السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ت ٧٧١هـ
١٤٧. طبقات الشافعية الكبرى، ب. محق. ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٢٤هـ.
- ابن سعد: محمد ت ٢٣٠.
١٤٨. الطبقات الكبرى: تح: احسان عباس، بيروت، ١٩٧٨.
- السكرتواري: علي دده بن مصطفى الملقب بشيخ التربة، ت ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م.
١٤٩. محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر، ب. محق. ط١، المطبعة العامرية الشرقية، ١٣١١هـ.
- السلمي: عرام بن الاصينغ ت نحو ٢٧٥هـ / ٨٨٨م.

- ٧٠٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
١٥٠. أساء جبال تهامة وسكانها، تح: عبد السلام هارون، ط١، ١٩٥٥، منشور ضمن نواذر المخطوطات، المجموعه الثامنة، ص ٣٧٤-٣٨٨.
- السلمي: ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين ت ٤١٢هـ
١٥١. طبقات الصوفية، تح: نور الدين شريفة، ط١ دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.
- السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م.
١٥٢. الانساب، تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط١، حيدر آباد الدكن، لهند، ١٩٦٢-١٩٧٨.
- السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ٥٠١-٥٨١هـ.
١٥٣. الروض الآنف، مط الجمالية، مصر، ١٣٣٢هـ/١٩١٤.
- ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله (٣٧٠-٤٢٨هـ/٩٨٠-١٠٧٣م).
١٥٤. الاشارات والتنبيهات، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥-١٩٥٨.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن ت ٨٤٩-٩١١هـ
١٥٥. الإتيقان في علوم القرآن، ب. محق، القاهرة، ١٣٦٨هـ.
١٥٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط١، تصحيح: محمد أمين الخانجي، القاهرة، ١٣٢٦هـ
١٥٧. تاريخ الخلفاء، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، بيروت، ١٩٥٢.
١٥٨. التعظيم والمثنة في أن أبوي رسول الله في الجنة، ب. محق. ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٤هـ.
١٥٩. الجامع الصغير، شرح: محمد عبد الرؤوف المناوي، ط١، مصر، ١٩٣٨م.

- فهرس المصادر والمراجع ٧٠٩
١٦٠. الخصائص الكبرى، تح: محمد خليل هواس، مط المدني، مصر، ١٩٦٧.
١٦١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ب. محق. بغداد، ١٣٧٧هـ.
١٦٢. الدرج المنيفة في الابهاء الشريفة، ب. محق، ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٤هـ.
١٦٣. السبل الجلية في الابهاء العلية، ب. محق. ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٤.
١٦٤. شرح شواهد المغني، تعليق: احمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، ب. مكاء، ب. ت.
١٦٥. مسالك الحنفا في والدي المصطفى ﷺ، ب. محق. ط٢، حيدر اباد الدكن الهند، ١٣٣٤هـ.
١٦٦. المقامه السندسية في النسبة المصطفوية، ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٤هـ.
١٦٧. الوسائل الى مسامرة الاوائل، ب. محق. مط النجاح، بغداد، ١٩٥٠.
١٦٨. نشر العلمين المتيقن في إحياء الابوين، ب. محق. ط٢، حيدر آباد الدكن الهند، ١٣٣٤هـ.
- الشابشتي: أبو الحسن علي بن محمد ت ٣٣٨هـ/ ٩٩٨م.
١٦٩. الديارات، تح: كوركيس عواد، مط المعارف، بغداد، ١٩٥١م.
- الشافعي: محمد بن ادريس (١٥٠ ٢٠٤هـ)
١٧٠. الام، تصحيح: محمد النجار، ط٢، بيروت، ١٩٧٣.
- أبو شامه المقدسي: شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل ت ٦٦٥هـ.
١٧١. ذيل الروضتين، تح: محمد زاهد الكوثري، ط١، دار الكتب الملكيّه، القاهرة، ١٩٤٧.

- ٧١٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
- الشريف الرضي: أبو الحسن بن الحسين (٣٥٩-٤٠٦هـ / ٩٧٠-١٠١٥م).
١٧٢. حقائق التاويل في متشابه التنزيل، شرح: محمد رضا آل كاشف الغطاء، بيروت، ب. ت.
١٧٣. خصائص الأئمة، ب. محق، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
١٧٤. خصائص الأئمة، ب. محق، النجف، ١٣٩٦هـ.
١٧٥. ديوان الشريف الرضي، ب. محق، بيروت، ١٩٦١.
١٧٦. المجازات النبوية، تح: طه محمد الزيني، القاهرة، مؤسسة الحلبي، ١٩٦٧.
١٧٧. نهج البلاغة، ضبط نصه: صبحي الصالح، ط ١، بيروت، ١٣٨٧ / ١٩٦٧.
- الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسين علم الهدى (٣٥٥-٤٣٦هـ)
١٧٨. تنزيه الأنبياء والأئمة، ط ٣، النجف، ١٩٧٤.
١٧٩. الشافي في الامامة، ب. محق. ط حجرية، ب. مكا، ١٣٠١هـ.
١٨٠. القصيدة المذهبة للسيد الحميري، تح: محمد الخطيب، ط ١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠.
- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ
١٨١. الملل والنحل، بهامش الفصل في الملل والاهواء والنحل، ب. محق. ب. مكا. ب. ت.
- الصاحب بن عباد اسماعيل (٣٢٦-٣٨٥هـ) ١٧٧.
١٨٢. ديوان الصاحب بن عباد، تح: محمد حسن آل ياسين، ط ١، بغداد، ١٩٦٥.
١٨٣. عنوان المعارف وذكر الخلائف، منشور ضمن نفائس المخطوطات ص ٦١ -٦٣) تح: محمد حسن آل ياسين ط ٢، بغداد، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م،
١٨٤. نصره مذاهب الزيدية، تح: ناجي حسن، بغداد، ١٩٧٥.

ابن الصباغ المالكي: نور الدين علي بن محمد (٧٨٤-٨٥٥هـ/١٣٨٣-١٤٥١م).

١٨٥. الفصول المهمة. ب. محق، ط٢، النجف، ب. ت.

الصبان: محمد بن علي ت ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م.

١٨٦. اسعاف الراغبين، بهامش: نور الابصار للشبلنجي، بيروت، ب. ت.

الصدوق: ابو جعفر محمد بن علي (٣٠٥-٣٨١هـ).

١٨٧. الامالي. ب. محق. ط١، النجف، ١٩٧٠.

١٨٨. علل الشرائع، مكتبة الداودي، قم، ب. ت.

١٨٩. معاني الاخبار، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٣هـ.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ.

١٩٠. الوافي بالوفيات، ج١، ط٢، باعثناء: هلموترتر، فيسبادن،

١٣٨١هـ/١٩٦١.

١٩١. الوافي بالوفيات، ج٢، باعثناء: س. دريدينغ، مط وزارة المعارف، استانبول،

١٩٤٩.

١٩٢. الوافي بالوفيات، ج٣، باعثناء: س. دريدينغ، مط الهاشمية، دمشق، ١٩٥٣.

١٩٣. الوافي بالوفيات، ج٤، باعثناء: س. دريدينغ، مط الهاشمية، دمشق، ١٩٥٩.

الصفوري الشافعي: عبد الرحمن بن عبد السلام ٨٩٤هـ/١٤٨٩م.

١٩٤. نزهة المجالس ومنتخب النفايس، ب. محق، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٣٤٦هـ.

ابن أبي الصلت: أمية

١٩٥. ديوان اميه ابن أبي الصلت، دراسة وتح: بهجة الحديثي، ط٢، بغداد،

١٩٩١.

- ٧١٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
- الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام ت ٢١١هـ/ ٨٢٧م.
١٩٦. المصنف، تح: حبيب عبد الرحمن الاعظمي، ط ١، بيروت، ١٩٧٠-١٩٧٢.
- الطائي: حاتم ت ٦٠٥م.
١٩٧. ديوان حاتم الطائي، تح: كرم البستاني، بيروت، ١٩٦٣.
- طاش كبرى زادة: احمد بن مصطفى ت ٩٦٨هـ/ ١٥٦١م.
١٩٨. مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تح: كامل كامل بكري عبد الوهاب ليو
النور، دار الكتب الحديثه، ب. ت.
- أبو طالب بن عبد المطلب ت ٣ قهـ.
١٩٩. ديوان أبي طالب، جمع: ابي هفان عبد الله بن احمد المهزومي العبدي،
تصحيح: محمد صادق ال بحر العلوم، النجف، ١٣٥٦هـ.
٢٠٠. ديوان أبي طالب، صنعه: علي بن حمزة البصري ت ٣٧٥هـ، تح: محمد حسن
آل ياسين، ب.مكا، ب.ت.
- ابن طاووس: رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى الحسيني ت ٦٦٤هـ
٢٠١. الملاحم والفتن، ط ٤، مط الحيدرية النجف، ١٩٧٢
- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن احمد (٢٦٠-٣٦٠هـ)
٢٠٢. المعجم الكبير، تح: حمدي السلفي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي الاسلامي،
الموصل، ١٩٨٦.
- الطبرسي: عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم ت بعد ٥٥٣هـ
٢٠٣. بشارة المصطفى، ط ٢، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٣.
- الطبرسي: ابي منصور: احمد بن علي بن أبي طالب نحو ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م.
٢٠٤. الاحتجاج، ب.محق، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ب.ت.

- فهرس المصادر والمراجع..... ٧١٣
- الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨هـ.
٢٠٥. إعلام الوري بأعلام الهدى، قدم له: السيد محمد مهدي، ط ٣، النجف، ١،
١٩٧٠
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ.
٢٠٦. تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ٤، دار المعارف، ٦١
- ١٩٦٨. ٢٠٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ب. محق، ط ٣، ١٩٧٨.
٢٠٧. المنتخب من كتاب ذيل المذيل، ط ٢، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار
المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.
- الطحاوي: أبو جعفر احمد بن محمد ت ٣٢١هـ.
٢٠٨. شرح معاني الاثار، تح: محمد زهدي النجار، ط ١، دار الكتب العلمية،
بيروت، ١٩٧٩.
٢٠٩. مشكل الاثار، ب. محق، ط ١، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٣٣٣هـ. الطغرائي:
أبو اسماعيل الحسين بن علي (٤٥٣ - ٥١٥هـ)
٢١٠. ديوان الطغرائي، تح: علي جواد الطاهر يحيى الجبوري، بغداد، ١٩٧٢.
- ابن الطفيل: عامر ت ١١هـ.
٢١١. ديوان عامر بن الطفيل، تح: كرم البستاني، بيروت، ١٩٦٣.
- ابن الطقطقي: محمد بن علي طباطبات ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م.
٢١٢. الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية، ب. محق، بيروت، ١٩٦٠.
- ابن طلحه الشافعي: كمال الدين أبو سالم محمد ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م.
٢١٣. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ب. محق، النجف، ب. ت.
- الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م.

- ٧١٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٢١٤. الامالي، قدم له: السيد محمد صادق بحر العلوم، مط النعمان، النجف،
١٩٦٤.
٢١٥. الامالي، ب. محق، دار الثقافة للنشر، قم، ١٤١٤هـ.
٢١٦. التبيان في تفسير القرآن، تح: احمد حبيب العاملي، دار الاندلس، بيروت،
ب.ت.
٢١٧. تلخيص الشافي، تح: السيد حسين آل بحر العلوم، النجف،
١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
٢١٨. الرجال، تح: محمد صادق ال بحر العلوم، ط١، النجف، ١٩٦١.
٢١٩. الرسائل العشر، تح: واعظ زادة الخراساني، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٤هـ.
٢٢٠. الفهرست، صححه وعلق عليه: محمد صادق ال بحر العلوم، ط٢، النجف،
١٩٦٠.
٢٢١. مصباح المتهجد، ب. محق، بيروت، ١٤١١هـ. ابن الطيب البصري: أبو
الحسن محمد بن علي ت ٤٣٦هـ.
٢٢٢. المعتمد في اصول الفقه، تح: محمد حميد الله، وآخرين، دمشق، ٦٤-١٩٦٥.
- العامري: عماد الدين يحيى بن أبي بكر (٨١٦-٨٩٣هـ)
٢٢٣. بهجة المحافل وبغية الامائل، ب. محق، المدينة المنورة، ١٣٣١هـ.
- ابن عبد البر: أبو بكر يوسف ت ٤٦٣هـ.
٢٢٤. الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح: علي محمد الجاوي، القاهرة، ١٩٦٠.
٢٢٥. جامع بيان العلم وفضله، ب. محق، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ب.ت.
- ابن عبد ربه: أبو عمر احمد بن محمد ت ٣٣٤هـ.
٢٢٦. العقد الفريد، تح: احمد امين وآخرين، القاهرة، ١٩٤٠.

- أبو عبيد: القاسم بن سلام الهروي ت (١٥٧-٢٢٤هـ / ٧٧٤-٨٣٨م)
٢٢٧. غريب الحديثين، ب. محق، بيروت، ١٩٦٤.
- أبو العتاهيه: اسماعيل بن القاسم ت ٢٢١هـ / ٨٢٦م.
٢٢٨. ديوان أبي العتاهيه، تح: كرم البستاني، بيروت، ١٩٦٤.
- ابن عدي: أبو احمد عبد الله الجرجاني (٢٧٧-٣٦٥هـ)
٢٢٩. الكامل في ضعفاء الرجال، تح: عادل احمد عبد الموجود وآخرين، ط ١، دار
الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- ابن عذاري: أبو العباس احمد بن محمد (كان حيا في ٧١٢هـ / ١٣١٢م).
٢٣٠. البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تح: كولان بروفنسال، ط ٢،
بيروت، ١٩٨١.
- العراقي: الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم (٧٢٥-٨٠٦هـ)
٢٣١. طرح التثريب في شرح التثريب، بيروت، دار إحياء الكتاب العربي، ب. ت.
- ابن العربي المالكي: محمد بن عبدالله (٤٦٨-٥٤٣هـ)
٢٣٢. صحيح الترمذي بشرح ابن العربي، ب. محق. ط ١، المطبعة المصرية بالازهر،
١٩٣٤-٣١.
- ابن عطاء: واصل (٨٠-١٣١هـ)
٢٣٣. كتاب خطبة واصل بن عطاء، منشور ضمن نواذر المخطوطات، المجموعة
الثانية، ط ٢، ١٩٧٣، تح: عبد السلام محمدهارون، ص ١١٨-١٣٦.
- أبو العلاء المعري: احمد بن عبد الله بن سليمان (٣٦٣-٤٤٩هـ / ٩٧٣-١٠٥٧م)
٢٣٤. شروح سقط الزند، تح: مصطفى السقا وآخرين، نسخة مصورة عن نسخة
دارالكتب، ١٩٦٤.

- ٧١٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٢٣٥. لزوم ما لا يلزم، ب. محق، بيروت، ١٩٦١.
- العمري: عبد الباقي (١٢٠٤ - ١٢٧٨هـ).
٢٣٦. ديوان عبد الباقي العمري، تصحيح: الحافظ عثمان الموسلي، الموصل، ١٣١٦هـ.
- ابن عنبه: السيد جمال الدين احمد بن علي الحسيني ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م.
٢٣٧. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، دار الاندلس، النجف، ١٣٥٨هـ.
- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥هـ
٢٣٨. المستقصى من علم الاصول، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ب. ت.
- ابن فارس: أبو الحسن احمد ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م.
٢٣٩. المجمل، دراسة وتح: زهير عبد المحسن سلطان، ط ١، بيروت، ١٩٨٤.
- الفتال: أبو جعفر محمد بن الحسن ت ٥٠٨هـ
٢٤٠. روضة الواعظين، ب. محق، دار الرضي، ب. ت.
- أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ت ٧٣٢هـ
٢٤١. المختصر في اخبار البشر، ب. محق، ط ٢، المطبعة الحسينيه، ب. ت.
- أبو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م.
٢٤٢. الاغانى، شرح: عبد علي وسمير جابر، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦.
٢٤٣. مقاتل الطالبين، ب. محق، مط الديواني، بغداد، ١٩٦٥.
- ابن فرحون: برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد ت ٧٧٩هـ / ١٣٩٧م.
٢٤٤. الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، ط ١، مصر، ١٣٥١هـ.
- الفرزدق: همام بن غالب ت ١١٤هـ / ٧٣٣م.

فهرس المصادر والمراجع.....٧١٧

٢٤٥. ديوان الفرزدق، تح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ.

٢٤٦. تحفة الأبييه فيمن نسب إلى غير أبيه، منشور ضمن نوادر المخطوطات،

المجموعة الاولى، تح: عبد السلام هارون، ط ٢، ١٩٧٢. ص ٩٧-١١٠.

٢٤٧. القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣.

الفيروز آبادي:

٢٤٨. فضائل الخمسة من الصحاح الستة، النجف، ١٣٨٣ ١٣٨٤هـ.

٢٤٩. القاضي عبد الجبار عماد الدين أبي الحسن بن احمد ت ٤١٥هـ.

٢٥٠. شرح الاصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، ط ١، القاهرة، ١٩٦٥.

٢٥١. فرق وطبقات المعتزلة، تح: علي سامي النشار و عصام الدين محمد علي،

الاسكندرية، ١٩٧٢.

٢٥٢. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، تح: فؤاد

السيد، تونس، ١٩٧٤.

٢٥٣. المختصر في اصول الدين، ضمن رسائل العدل والتوحيد، تح: محمد عماره،

دار الهلال، ١٩٧١.

٢٥٤. المغني في ابواب العدل والتوحيد، تح: عبد الحليم النجار وسليمان دينا،

الدار المصرية، ب.ت.

٢٥٥. القالي: أبو علي اسماعيل بن القاسم (٢٨٨-٣٥٦هـ / ٩٠١-٩٦٧م)

٢٥٦. ذيل الامالي والنوادر، ب. محق، دار الفكر للطباعة والنشر، ب.ت.

ابن قتيبه: ابو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ.

٢٥٧. الامامة والسياسة (المنسوب)، ب. محق، القاهرة، ب.ت.

- ٧١٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٢٥٨. الشعر والشعراء، ب. محق، دار الثقافة، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
٢٥٩. عيون الاخبار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٥- ١٩٣٠.
٢٦٠. غريب الحديث، تح: عبد الله الجبوري، ط١، بغداد، ١٩٧٧.
٢٦١. المعارف، تح: ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩.
- القرشي: عبد القادر بن محمد ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م.
٢٦٢. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٢هـ.
- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م.
٢٦٣. الجامع لاحكام القرآن، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٠.
- القسطلاني: احمد بن محمد بن أبي بكر ت ٨٥١- ٩٢٣هـ.
٢٦٤. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ب. محق، بولاق، ١٢٩٣هـ.
- القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (٣٧٦- ٤٦٥هـ)
٢٦٥. الرسالة القشيرية في علم التصوف، ب. محق. بغداد. ب. ت.
- ابن قطلوبغا: أبو العدل زين الدين قاسم ت ٨٧٩هـ.
٢٦٦. تاج التراجم في طبقات الحنفية، ب. محق، بغداد، ١٩٦٢.
- القفطي: جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ت ٤٤٦هـ/ ١٢٤٨م.
٢٦٧. إنباه الرواة على أنباء النحاة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٥٠- ١٩٥٥.
٢٦٨. تاريخ الحكماء، تح: يوليوس ليرت، لايبزك، ١٩٠٣.
٢٦٩. المحمدون من الشعراء، تح: رياض عبد الحميد مراد، دمشق، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- القلقشندي: أبو العباس احمد بن علي ت ٨٢١هـ

٢٧٠. صبح الاعشى في صناعة الانشا، ب. محق، القاها، ١٩٦٣.
- اللكنوي الهندي: أبو الحسنات محمد عبد الحي
٢٧١. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ط ١، مصر، ١٣٢٤هـ.
٢٧٢. الكتبي: محمد بن شاكر
٢٧٣. فوات الوفيات، تح: احسان عباس، بيروت، ١٩٧٣ ١٩٧٤.
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي ت ٧٦٤هـ.
٢٧٤. البداية والنهاية، ط ٢، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٧.
٢٧٥. تفسير ابن كثير، ب. محق، دار احياء الكتب العربية، ب. ت.
٢٧٦. نهاية البداية والنهاية، تح: محمد فهميم، ط ١، الرياض، ١٩٦٨.
- الكتبي: أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م.
٢٧٧. الرجال، تح: السيد احمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي، كربلاء، ب. ت.
- الكنجي الشافعي: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد (استشهد في ٦٥٨هـ).
٢٧٨. كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، تح: محمد هادي الأميني، ط ٢، النجف، ١٩٧٠
- الكندي: أبي عمر محمد بن يوسف ٢٨٣-٣٥٠هـ
٢٧٩. الولاة والقضاة، تصحيح: رفن كست، بيروت، ١٩٠٨.
- ابن ماجه: محمد بن يزيد (٢٠٩ ٢٧٣هـ).
٢٨٠. صحيح سنن ابن ماجه، تح: محمد ناصر الالباني، ط ١، بيروت، ١٩٨٦.
- المازندراني: رشيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي (٤٨٩-٥٨٨هـ)
٢٨١. معالم العلماء، ب. محق، ط ٢، النجف، ١٩٦١.
٢٨٢. مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م.

٧٢٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

المبرد: أبي العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ

٢٨٣. الكامل في اللغة والادب، تح: محمد أبو الفضل والسيد شحاته، دار النهضة، القاهرة، ب.ت.

المتقي الهندي: علاء الدين بن علي ت ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م.

٢٨٤. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، ط ٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥٠
-١٩٦٧.

المتنبي: أبو الطيب ت ٣٥٤هـ

٢٨٥. ديوان المتنبي، شرح: عبود احمد الخزرجي، بغداد، ١٩٨٨.

ابن متويه: أبو محمد الحسن بن احمد ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م.

٢٨٦. التذكرة في احكام الجواهر والاعراض، تح: سامي نصر فيصل عون، القاهرة، ١٩٧٥.

مؤلف مجهول (ق ٣هـ)

٢٨٧. اخبار العباس وولده، تح: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطليبي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١.

٢٨٨. العيون والحدائق في اخبار الحقائق، تح: دي غويه، بريل، ١٨٧١.

٢٨٩. كتاب الحوادث وهو الكتاب المسمى وهما بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة والمنسوب لابن الفوطي، تح: بشار عواد معروف و عماد عبدالسلام رؤوف، ط ١، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٧.

المجلسي: محمد باقر ت ١١١١هـ

٢٩٠. بحار الأنوار، دار الرضا، بيروت، ب.ت.

محب الدين الطبري: أبو جعفر احمد بن عبد الله ٦١٥ ٦٩٤هـ.

- فهرس المصادر والمراجع ٧٢١
٢٩١. ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، تقديم ومراجعته: جميل ابراهيم حبيب، بغداد، ١٩٨٤.
٢٩٢. الرياض النضرة، تح: سليمان حسن عبد الوهاب، ط٢، مصر، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.
- ابن المرتضى: احمد بن يحيى ت ٨٤٠هـ.
٢٩٣. طبقات المعتزلة، تح: مؤسسة ديفلد فلزر، استانبول، ١٩٦٠.
- المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران (٢٩٧-٣٨٤هـ).
٢٩٤. معجم الشعراء، تهذيب: سالم الكونكورى، القاهرة، ١٣٥٤هـ.
- المرصفي: سيد بن علي ١٣٤٩هـ/١٩٣١م.
٢٩٥. رغبة الأمل من كتاب الكامل، ط١، مطبعة النهضة، مصر، ١٩٢٧-١٩٣٠).
- المسعودي: ابوالحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ.
٢٩٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محيي الدين، مصر، ١٩٦٧.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٠٤-٢٦١هـ)
٢٩٧. صحيح مسلم، تح: محمود توفيق، مطمجازي، القاهرة، ب. ت.
- ابن المعتز: عبد الله (٢٤٧-٢٩٦هـ)
٢٩٨. طبقات الشعراء، تح: عبد الستار احمد فراج، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦.
- ابن معد: شمس الدين أبو علي فخار ت ٦٠٣هـ. ٢٩٠.
٢٩٩. الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب، تح محمد السيد بحر العلوم، ط٢، بغداد، ب. ت، (كانت ط١ في ١٩٦٥).
- ابن المغازلي: أبو الحسن علي بن محمد الشافعي ت ٤٨٣هـ.
٣٠٠. مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تح: محمد باقر البهبودي، المكتبة الإسلامية،

٧٢٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

طهران، ١٣٩٤هـ.

المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (٣٨٨-٤١٣هـ)

٣٠١. الإرشاد، تح: حسين الاعلمي، ط٥، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠١.

٣٠٢. إيمان أبي طالب، تح: محمد حسن آل ياسين، منشور ضمن نفائس

المخطوطات، ط٢، بغداد، ١٩٦٣.

٣٠٣. مسار الشيعة ب. محق. المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ١٤١٣هـ.

٣٠٤. المقنعة، ب. محق، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ١٤١٣هـ.

المقريزي: تقي الدين أبو العباس احمد بن علي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م.

٣٠٥. اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ت: جمال الدين الشيال ومحمد

حلمي احمد، القاهرة، ٦٧-١٩٧١.

٣٠٦. الخطط المقرزية، ب. محق، بولاق، ١٢٩٤هـ.

٣٠٧. النزاع والتخاصم، فيما بين بني امية وهاشم، ليدن، ١٨٨٨.

الملطي: أبو الحسين محمد بن احمد الشافعي ت ٣٧٧هـ / ٩٨٧م.

٣٠٨. التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع، تح: محمد زاهد الكوثري، بيروت،

١٩٦٨.

المناعي: محمد بن عبد الرؤوف ٩٥٢-١٠٣١هـ

٣٠٩. فيض القدير بشرح الجامع الصغير، ط١، مصر، ١٩٣٨.

المنذري: زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (٥٨١-٦٥٦هـ).

٣١٠. تهذيب الترغيب والترهيب، تح: عوني نعيم، الزرقاء، الاردن، ١٩٩٠.

٣١١. التكملة لوفيات النقلة، تح: بشار عواد، النجف، ١٩٦٨-١٩٦٩.

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ٦٣٠-٧١١هـ.

٣١٢. لسان العرب، الدار المصرية، القاهرة. ب. ت.
- ابن منقذ: الامير اسامه بن مرشد بن علي ت (٤٨٨ ٥٨٤هـ).
٣١٣. لباب الاداب، تح: احمد محمود شاكر، القاهرة، ١٩٣٥.
- المنقري: نصر بن مزاحم ت ٢١٢هـ.
٣١٤. وقعة صفين، تح: محمد عبد السلام هارون، القاهرة، ١٣٨٢هـ.
- الميداني: أبو الفضل احمد بن محمد ت ٥١٨هـ.
٣١٥. مجمع الامثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢، مط السعادة، مصر، ١٩٥٩.
- النابغة الذبياني ت ٦٠٢م.
٣١٦. ديوان النابغة، تح وشرح: كرم البستاني، بيروت، ١٩٥٣.
- الناشيء الأكبر: أبو العباس عبد الله بن محمد ٢٩٣هـ/ ٩٠٦م.
٣١٧. مسائل الإمامه، تح: يوسف فان آس، بيروت، ١٩٧١.
- ابن نباته، جمال الدين محمد بن محمد ت ٧٦٨هـ.
٣١٨. سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ط ٤، مصر، ١٣٢١هـ.
- النباهي: أبو الحسن علي بن عبد الله المالقي (القرن الثامن الهجري).
٣١٩. تاريخ قضاة الاندلس، المكتب التجاري، بيروت، ب. ت.
- النجاشي: احمد بن علي بن احمد بن العباس (٣٧٢- ٤٥٠هـ).
٣٢٠. الرجال، تصحيح: جلال الدين الاملي، ب. مكاء، ب. ت.
- ابن النديم: محمد بن اسحق (ت مطلع القرن الخامس الهجري).
٣٢١. الفهرست، ب. محق، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- النسائي: أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب (٢١٥- ٣٠٣هـ).

- ٧٢٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٣٢٢. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تح: محمد هادي الأميني،
النجف، ١٩٦٩.
٣٢٣. سنن النسائي بشرح السيوطي، المطبعة المصرية بالازهر، ط ١،
١٣٤٨هـ / ١٩٣٠.
- أبو نعيم: احمد بن عبد الله الاصبهاني ت ٤٣٠هـ.
٣٢٤. حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ب. محق، ط ٢، دار الكتاب العربي،
بيروت، ١٩٦٧.
٣٢٥. دلائل النبوة، ب. محق، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٧.
- أبو نؤاس: الحسن بن هانئ ١٣٦ - ١٩٥ أو ١٩٧هـ
٣٢٦. ديوان أبي نؤاس، تح: احمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت،
١٩٥٣.
- النووي: أبو زكريا محيي الدين ت ٦٥٦هـ.
٣٢٧. تهذيب الاسماء واللغات، ب. محق، ب. ط، دار الكتب العلمية، بيروت.
- النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ - ٧٣٣هـ)
٣٢٨. نهاية الارب، تح: محمد أبو الفضل، القاهرة، ١٩٧٧.
- الهاشمي: حبيب الله
٣٢٩. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تصحيح: ابراهيم الميانجي، المكتبة
الإسلامية، طهران، ١٣٧٨ - ١٣٨٣هـ.
- ابن هشام: عبد المللك ت ٢١٨هـ..
٣٣٠. السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وآخرين، دار الفكر، ب. ت.
- ابن هلال الثقفني: أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سعيد ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م.

- فهرس المصادر والمراجع ٧٢٥
٣٣١. الغارات، تح: عبد الزهراء الخطيب، ط ١، دار الكتاب الاسلامي، ١٩٩٠.
- ابوهلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهيل ت ٣٩٥هـ.
٣٣٢. الاوائل: ، تح: محمد السيد الوكيل، طنجة، المغرب، ١٩٦٦
٣٣٣. جمهرة الامثال، تح: محمد أبو الفضل و عبد المجيد قطامش، ط ١، القاهرة، ١٩٦٤.
- الهلالي: سليم بن قيس العامري ت حدود ٩٠هـ.
٣٣٤. كتاب سليم بن قيس، حرره الحسني، ب.مكا. ب. ت.
- الهمداني: أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب ت ٣٣٤هـ.
٣٣٥. الاكليل، تح: محب الدين الخطيب، ج ١٠، القاهرة، ١٣٦٨هـ.
- الهمداني: أبو بكر احمد بن محمد
٣٣٦. مختصر كتاب البلدان، تح: دي غويه، بريل، ١٨٨٥م.
- الهمداني: محمد بن عبد الملك ت ٥٢١هـ/ ١١٢٧م.
٣٣٧. تكملة تاريخ الطبري، (ضمن ذيول تاريخ الطبري) ط ٢، تح: محمد أبو الفضل، دار المعارف، ١٩٨٢.
- الهيتمي: احمد بن حجر المكي ت ٩٧٤هـ.
٣٣٨. تطهير الجنان واللسان، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة، ١٣٧٥هـ.
٣٣٩. الصواعق المحرقة، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف الحسني، القاهرة، ١٣٧٥هـ.
- الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر ت ٨٠٧هـ.
٣٤٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢- ١٣٥٣هـ.
- الواحدي: أبو الحسن علي بن احمد ت ٤٦٨هـ.

٧٢٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

٣٤١. أسباب النزول، ب. محق، القاهرة، ١٩٦٨.

الواسطي: تقي الدين أبو الفرج (٦٧٠ هـ/٧٤٤ هـ).

٣٤٢. طبقات خرقه الصوفية، ب. محق، القاهرة، ١٣٠٥.

الواقدي: محمد بن عمر بن واقدت ٢٠٧ هـ.

٣٤٣. المغازي، تح: مارسدن جونس، أكسفورد، ١٩٦٦.

اليافعي: ابو محمد عبد الله بن أسعد بن علي ت ٧٦٨ هـ.

٣٤٤. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٠.

اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب ت بعد ٢٩٢ هـ.

٣٤٥. التاريخ، تح محمد صادق بحر العلوم، ط ٤، النجف، ١٩٧٤.

ثانيا: المراجع الثانوية

الآلوسي: محمود شكري البغدادي ت ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٤ م.

٣٤٦. بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، تصحيح: محمد بهجت الاثري،

ط ٣، مصر، ١٣٤٢ هـ.

الامين: محسن العاملي ت ١٣٧١ هـ/ ١٩٥١ م.

٣٤٧. أعيان الشيعة، تح: حسن الامين، بيروت، ب. ت.

الأميني: عبد الحسين بن احمد النجفي ت ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.

٣٤٨. الغدير في الكتاب والسنة والادب، مركز الغدير للدراسات الإسلامية،

ط ١، ١٩٩٥.

بدوي: عبد الرحمن

٣٤٩. مذاهب الاسلاميين، ط ٣، دار العلم للملايين، ١٩٨٣.

بروكلمان: كارل

- فهرس المصادر والمراجع ٧٢٧
٣٥٠. ٣٤١. تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، ١٩٦١.
- بنت الشاطيء: عائشة عبد الرحمن
٣٥١. بنات النبي عليه الصلاة والسلام، دار الهلال، مصر الجديدة، ١٩٦٣.
- البهادلي: احمد كاظم
٣٥٢. مفتاح الوصول إلى علم الاصول، ط ١، بغداد، ١٩٩٤.
- بينيس
٣٥٣. مذهب الذره عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود، نقله عن الألمانية: محمد عبد الهادي أبو ريده، القايره، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦.
- الجابري: محمد عابد
٣٥٤. العقل السياسي العربي، ط ٢، بيروت، ١٩٩١.
- جار الله: زهدي
٣٥٥. المعتزلة، ط ٢، بيروت، ١٩٧٤.
- جرداق: جورج
٣٥٦. الإمام عليؑ صوت العدالة الانسانية، قدم له: ميخائيل نعيمة، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٨.
- الجميلي: خضير عباس
٣٥٧. قبيلة قريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام، بغداد، ٢٠٠٢.
- جواد: مصطفى
٣٥٨. أبو جعفر النقيب، مط الهلال، بغداد، ١٩٤٩.
- حسن: حسن ابراهيم

- ٧٢٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٣٥٩. تاريخ الدولة الفاطمية، ط٣، الجيزة، ١٩٦٤.
- الحسيني: هاشم معروف
٣٦٠. سيرة الأئمة الاثني عشر (عليهم السّلام)، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٦.
- حسين: طه
٣٦١. الفتنه الكبرى (علي وبنوه)، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦.
- الحفني: عبد المنعم
٣٦٢. موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والاحزاب والحركات الإسلامية، ط٢، ب.مكا، ١٩٩٩.
- الحلاوي: ناصر (وآخرين)
٣٦٣. البلاغة والتطبيق، ط١، بغداد، ١٩٨٨.
- الخزرجي: عبود احمد
٣٦٤. روائع الحكم في أشعار الإمام علي عليه السلام، بغداد، ١٩٨٨.
- الخطيب: عبد الزهراء
٣٦٥. مصادر نهج البلاغة واسانيده، ط١، النجف، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- الخنيزي: عبد الله
٣٦٦. أبو طالب مؤمن قريش، ط٢، بيروت، ١٩٦٤.
- الحوثي: ابراهيم ت ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.
٣٦٧. الدرّة النجفية في شرح نهج البلاغة، ط حجرية، ب.مكا، ١٣٢٥هـ.
- الدسوقي: عمر
٣٦٨. الفتوة عند العرب، القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
- الراوي: عبد الستار عز الدين

- فهرس المصادر والمراجع ٧٢٩
٣٦٩. ثورة العقل (دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد)، ط ٢، بغداد، ١٩٨٦.
- الربيعي: احمد
٣٧٠. العديق النضيد بمصادر ابن أبي الحديد، مط العاني، بغداد، ١٩٨٧.
- الزركلي: خير الدين
٣٧١. الأعلام، ط ٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩.
- الزنجاني: ابراهيم
٣٧٢. عقائد الإمامية، ط ٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٣.
- زيدان: جرجي ت ١٣٣٢هـ.
٣٧٣. تاريخ آداب اللغة العربية، دارمكتبة الحياة، بيروت، ب.ت.
- السامرائي: خليل ابراهيم
٣٧٤. دراسات في تاريخ الفكر العربي، الموصل، ب.ت.
- الشبلنجي: مؤمن بن حسن مؤمن (١٢٥٢ بعد ١٣٠٨هـ / ١٨٣٦ - بعد ١٨٩١م).
٣٧٥. نور الابصار، ب.محق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.
- الشرهاني: حسين علي
٣٧٦. حياة السيدة خديجة بنت خويلد من المهد إلى اللحد، بيروت، ٢٠٠٥.
- شمس الدين: محمد مهدي
٣٧٧. حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، ط ١، مؤسسة نهج البلاغة، ١٤٠٥هـ.
٣٧٨. دراسات في نهج البلاغة، المطبعة العلمية، النجف، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م.
- الشهرستاني: السیدهبة الدين
٣٧٩. ما هو نهج البلاغة، ط ٢، دار الثقافة، النجف، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.
- الشنقيطي: محمد حبيب الله بن عبد الله (١٢٩٥ - ١٣٦٣هـ / ١٨٧٨ - ١٩٤٤م).

٧٣٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

٣٨٠. كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، تح: محمد علي صالح، ط ١، مط الاستقامة، ١٩٦٣.

الصائغ: مجيد

٣٨١. علي عليه السلام بين أمه وأبيه، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

صالحية: محمد عيسى

٣٨٢. المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٢-١٩٩٥.

صبحي: احمد محمود

٣٨٣. في علم الكلام، ط ٢، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٦.

صليبا: جميل

٣٨٤. المعجم الفلسفي، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣.

صفوت: احمد زكي

٣٨٥. جمهرة رسائل العرب، ط ١، القاهرة، ١٩٣٧.

ضيف: شوقي

٣٨٦. الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط ٩، دار المعارف، مصر، ب.ت.

الطباطبائي: محمد حسين

٣٨٧. علي عليه السلام والفلسفة الالهية، الدار الإسلامية، ١٣٤٩هـ.

العاملي: السيد محمد علي شرف الدين

٣٨٨. شيخ الابطح، مط دار السلام، بغداد، ١٣٤٩هـ.

عثمان: عبد الكريم

٣٨٩. قاضي القضاة عبد الجبار بن احمد الهمداني، بيروت، ١٩٦٧.

فهرس المصادر والمراجع ٧٣١

العزیزی: روکس بن زائد

٣٩٠. الإمام عليّ عليه السلام وقديسه، مط النجف، ب.ت.

العسكري: مرتضى

٣٩١. معالم المدرستين، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، ١٤٢٤هـ،

٢٠٠٣.

العقاد: عباس محمود

٣٩٢. عبقرية الإمام عليّ عليه السلام، دار الفكر، بغداد، ب.ن.

٣٩٣. فاطمة الزهراء والفاطميون (عليهم السلام)، دار الهلال، ب.ت.

عمر: فاروق

٣٩٤. التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، ط٢، مكتبة النهضة، بغداد،

١٩٨٥.

٣٩٥. العباسيون الاوائل، ط٢، بغداد، ١٩٧٧.

أبو علم: توفيق (رئيس مجلس ادارة مسجد السيدة نفيسة (عليها السلام))

٣٩٦. أهل البيت، ط١، بمكا، ١٩٧٠.

الغالي: د. بلقاسم

٣٩٧. الجانب الاعتزالي عند الجاحظ، ط١، بيروت، ١٩٩٩.

غرابه: همودي

٣٩٨. أبو الحسن الأشعري، بيروت، ب.ت.

غربال: محمد شفيق

٣٩٩. الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان، ١٩٨٠.

فروخ: عمر

- ٧٣٢.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٤٠٠. تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط ٤، بيروت، ١٩٨٣.
- أبو القاسم الخوئي
٤٠١. معجم رجال الحديث، ط ٢، النجف، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- كاشف الغطاء: الهادي
٤٠٢. مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه، مكتبة الاندلس، بيروت، ب.ت.
٤٠٣. مستدرک نهج البلاغة، مكتبة الاندلس، بيروت، ب.ت.
- كحاله: عمر رضا
٤٠٤. اعلام النساء، ط ٣، بيروت، ١٩٧٧.
٤٠٥. معجم قبائل العرب، بيروت، ١٩٦٨.
- لقبال. موسى
٤٠٦. دور كتامه في تاريخ الدولة الفاطمية، الجزائر، ١٩٧٩.
- متز: آدم
٤٠٧. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، ١٩٤٠.
- محفوظ: حسين علي
٤٠٨. الصحيفة السجادية، بغداد، ١٩٦٧.
- محمد السيد، د. محمد صالح
٤٠٩. أبو جعفر الاسكافي وآرائه الكلامية والفلسفية، دار إحياء الكتب، القاهرة، ١٩٩٨.
- المحمودي: محمد باقر
٤١٠. ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق لابن عساكر، ط ١،

بيروت، ١٩٧٥.

٤١١. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، بيروت، ١٩٧٦.

محمي الدين: عبد الرزاق

٤١٢. ادب المرتضى في سيرته وآثاره، ط ١، مط المعارف، بغداد، ١٩٥٧.

مدكور: محمد سلام

٤١٣. مناهج الاجتهاد في الإسلام، ط ٢، الكويت، ١٩٧٧.

مغنية: محمد جواد

٤١٤. فضائل الإمام عليؑ، ط ٢، بغداد، ١٩٦٤.

٤١٥. في ظلال نهج البلاغة، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨.

٤١٦. المكتبة العلمية

٤١٧. ديوان أمير المؤمنينؑ، بغداد، ب.ت.

الملاح: محمود

٤١٨. تشریح شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، بغداد، ١٩٥٤.

الملاح: هاشم محيي

٤١٩. الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، الموصل، ١٩٩٤.

منعم: اميل دور

٤٢٠. حياة محمد، ترجمة: عادل زعيتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.

النعيمي: د. عماد

٤٢١. مدرسة البصرة الاعتزالية، دار الحكمة، البصرة، ١٩٩٠.

نقدي: جعفر

٤٢٢. زهرة الادباء في شرح لامية شيخ البطحاء، النجف، ١٣٥٦هـ.

٧٣٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الوردي: علي

٤٢٣. مهزلة العقل البشري، ب.مكا، ١٩٥٦.

ياسين: نجمان

٤٢٤. تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين، الموصل، ١٩٩٠.

اليوسف: عبدالقادر احمد

٤٢٥. الامبراطورية البيزنطية، بيروت، ١٩٦٦.

يوليوس، فلهاوزن

٤٢٦. تاريخ الدولة العربية، ترجمة: عبد الهادي أبو ريده، القاهرة، ١٩٥٨.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

الاعرجي: ستار جبر محمود

٤٢٧. منهج المتكلمين في فهم النص القرآني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية

الاداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٠م.

البطاط: أخلاص مرتضى

٤٢٨. قاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب،

جامعة البصره، ١٩٩٩.

الحجاج: محسن مشكل فهد

٤٢٩. دولة التبابعة في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة

البصرة، ١٩٩٩.

حمادي: عبد الخضر

٤٣٠. الحركة الفكرية في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، الجامعة

المستنصرية، ١٩٨٤.

فهرس المصادر والمراجع.....٧٣٥

الحيازي: مظفر شاكر محمود

٤٣١. الامام الدارقطني وجهوده في الحديث وعلومه، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة بغداد، ١٩٨٨.

الدخيلي: مهدي عربي

٤٣٢. بسطام بن قيس ذو الجدين، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٩٨٩.

الدوري: مزاحم مهدي ابراهيم

٤٣٣. قاضي شريح واراؤه الفقهية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة بغداد، ١٩٨٨.

الراوي: عبد الستار عزالدين محمود

٤٣٤. قاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي وفكره الاسلامي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الاسكندرية، ١٩٧٧.

الزوار: منعم عبد الرحيم حميد

٤٣٥. الفكر السياسي عند الخوارج، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٠.

الظالمي: حامد ناصر عبود

٤٣٦. ابن أبي الحديد جهوده النقدية والبلاغية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٦.

عبد الكريم: عبد الجبار سالم

٤٣٧. شعر عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد ت٦٥٦هـ، جمع وتح ودراسة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد،

٧٣٦.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

.١٩٩٦

عبد الله: محمد رمضان

٤٣٨. الباقلاني واراؤه الكلاميه، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية اصول الدين،

جامعة الازهر، ١٩٧٨.

ال عجيل: عبد الواحد خلف وساك

٤٣٩. جهود ابن أبي الحديد النحوية في شرح نهج البلاغة، رسالة ماجستير

غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٧.

العلي: كفاية طارش

٤٤٠. ابوحنف ودوره في التدوين التاريخي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية

الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٧.

الفحام: عباس علي

٤٤١. التصوير الفني في خطب الإمام علي عليه السلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية

التربية، جامعة الكوفة، ١٩٩٩.

الفرطوسي: سعد وحيد عيسى

٤٤٢. غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى دراسة منهجية، رسالة ماجستير

غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٣.

فياض: حسن حميد محسن

٤٤٣. ابن أبي الحديد ناقدا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القائد للتربية للبنات،

جامعة الكوفة، ١٩٩٧.

كاظم: شاكر مجيد

٤٤٤. التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، اطروحة دكتوراه غير منشورة،

فهرس المصادر والمراجع ٧٣٧

كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٢م.

محيي الدين: علي جواد

٤٤٥. ابن أبي الحديد سيرته واثاره الادبية والنقدية، رسالة ماجستير غير منشورة،

القاهرة، ١٩٧٧.

المشهداني: يحيى محمود احمد

٤٤٦. فلسفة أبي القاسم الكعبي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الكوفة،

١٩٩٧.

النصرالله: جواد كاظم

٤٤٧. المقريزي دراسة في سيرته الشخصية وآرائه في الازمات الاقتصادية، رسالة

ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٨.

رابعاً: الدوريات

الأبياري: ابراهيم

٤٤٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، مجلة تراث الانسانية، المؤسسة العربية،

مج ٢، ص ١٢٥-١٣٩.

بستانة: حسين

٤٤٩. أدب الإمام عليؑ ونهج البلاغة، مجلة الاعتدال، ع ٤، ص ٥، النجف،

١٩٣٩، ص ١٨٩-٢٠٣.

الجادر: د.محمود عبد الله

٤٥٠. الرؤى الاجتماعية والاخلاقية في شعر الشريف الرضي، مجلة آفاق عربية،

ع ٧، ١٩٨٥، ص ٩٥-١٤٠.

الجنابي: د.احمد نصيف

- ٧٣٨.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
- ٤٥١ . لغة الشريف الرضي، مجلة افاق عربية، ع٧، ١٩٨٥، ص ٣١١-٣٢٨.
- جواد:مصطفى
- ٤٥٢ . بعض مستندات ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، مجلة لغة العرب، مج ٩، ع٧، ١٩٣١، ص ٥٤٣-٥٤٦.
- ٤٥٣ . عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني شارح نهج البلاغة، مجلة المعرفة، بغداد، س٢، ع٢٩، ١٩٦٢، ص ٦٠٤-٦٣٤.
- خلوصي: صفاء
- ٤٥٤ . مصادر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٩، س١٩٦١، ص ٣٤٠-٣٤٨
- ٤٥٥ . الكنوز الدفينة في شرح نهج البلاغة، مجلة المعلم الجديد، مج ٢٤، ج ٣-٤، س ١٩٦١، ص ١-٢٢.
- الشيبي: د. كامل مصطفى
- ٤٥٦ . حجازيات الشريف الرضي، مجلة افاق عربية، ع٧، ١٩٨٥، ص ٢٣-٢٦.
- الصائع: د. عبد الإله
- ٤٥٧ . الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي، مجلة افاق عربية، ع٧، ١٩٨٥، ص ٢٤٧-٣١٠.
- الصفار: د. ابتسام مرهون
- ٤٥٨ . المؤثرات العامة في شعر الشريف الرضي، مجلة افاق عربية، ع٧، ١٩٨٥، ص ٦٣-٩٣.
- العبادي: علي غانم جثير
- ٤٥٩ . ذو الرأي الحباب بن المنذر الخزرجي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج

فهرس المصادر والمراجع ٧٣٩.

١٣، ع٧، ١٩٩٨، ص ١٤٩-١٨٦.

العسلي: د. خالد صالح

٤٦٠. عام الفيل صورة من الصراع العربي الحبشي، مجلة دراسات في التاريخ
والاثار، ع٢، ١٩٨٢، ص ١٧١-١٩٢.

العطية: مروان

٤٦١. الشريف الرضي الشاعر الأبي والاديب العبقري، مجلة ثقافة الهند، نيودلهي،
الهند، مج٤٣، ع٢، ١٩٩٢، ص ٤٠-٦٢.

العمر: سمير صالح حسن

٤٦٢. موقف كبار الصحابة من مقتل عثمان، مجلة اداب الرافدين، ع٣٥، ٢٠٠٢م.
ص ١٤٩-١٦٠.

عواد: كور كيس

٤٦٣. الشريف الرضي في اثار الدارسين، مجلة افاق عربية، ع٧، ١٩٨٥، ص ٣٢٩
٣٥٣.

ناجي: عبد الجبار

٤٦٤. تاريخ الطبري مصدرا عن ثورة الزنج في القرن الثالث للهجرة، مجلة المورد،
مج٧، ع٢، ١٩٧٨، ص ٣٧-٩٢.

٤٦٥. التنظيم العسكري لجيش صاحب الزنج، مجلة المؤرخ العربي، ع٧، ١٩٧٨،
ص ١١٦-١٥٧.

٤٦٦. صاحب الزنج، مجلة المورد، مج١، ع٣-٤، ١٩٧٢، ص ١١-٢٣.

آل ياسين: حسن

٤٦٧. نهج البلاغة لمن؟ مجلة البلاغ، ع٣، س٥، ١٩٧٥، ص ٣١-٤٩.

٧٤٠.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

خامسا: المحاضرات

الموسوي: د. محمد جواد

٤٦٨ . محاضرات ألقاها على طلبة الدكتوراه عام ١٩٩٩-٢٠٠٠.

المحتويات

المحتويات

الإهداء	٥
شكر وتقدير	١١
المقدمة	١٧
مدخل: التفضيل عند المعتزلة	٤٣
الفصل الأول: عراققة النسب	٨٣
الفصل الثاني: نشأة الإمام عليّ <small>عليه السلام</small>	١٥٥
الفصل الثالث: خصائص الإمام عليّ <small>عليه السلام</small>	٢٥٣
الفصل الرابع: الإمام عليّ <small>عليه السلام</small> ونظام الحكم	٣٠٧
المبحث الأول: قبل الخلافة	٣٠٧
المبحث الثاني: خلافة الإمام عليّ <small>عليه السلام</small>	٣٥٩
معركة الجمل	٣٧٣

٧٤٤	الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٣٨٧	معركة صفين
٤٣٥	معركة النهروان
٤٩٣	الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر للفكر
٤٩٣	المبحث الأول: الإمام علي عليه السلام مدينة العلم
٥٠١	المبحث الثاني: الإمام علي عليه السلام والعلم الإلهي
٥٠٩	المبحث الثالث: الإمام علي عليه السلام مصدر للتصوف
٥١٧	المبحث الرابع: الإمام علي عليه السلام وعلم الفقه
٥٣١	المبحث الخامس: الإمام علي عليه السلام وعلوم القرآن
٥٣٧	المبحث السادس: الإمام علي عليه السلام والبلاغة
٦٠٩	إشكالية نهج البلاغة والوضع
٦٢١	المبحث السابع: الإمام علي عليه السلام وعلم الفلك
٦٢٥	المبحث الثامن: الإمام علي عليه السلام وعلم الحيوان
٦٢٩	المبحث التاسع: الإمام علي عليه السلام وعلم التاريخ
٦٣٩	المبحث العاشر: الإمام علي عليه السلام والغيبات
٦٨٥	ملحق رقم (١): قصيدة لأبن أبي الحديد
٦٩٣	فهرس المصادر والمراجع
٧٤٣	المحتويات